

ديوان السليمانيات

(الجزء الخامس عشر)



نحو شعر عربي أصيل وهادئ وبناء وجاد ومحترم

صَحَّ ظَنِّي ورؤيتي ومرامي

لا تَنقُ شِعري نبرة اللوام

طيبات الأخلاق والإنعام

غادة هذي اليتم أضفى عليها

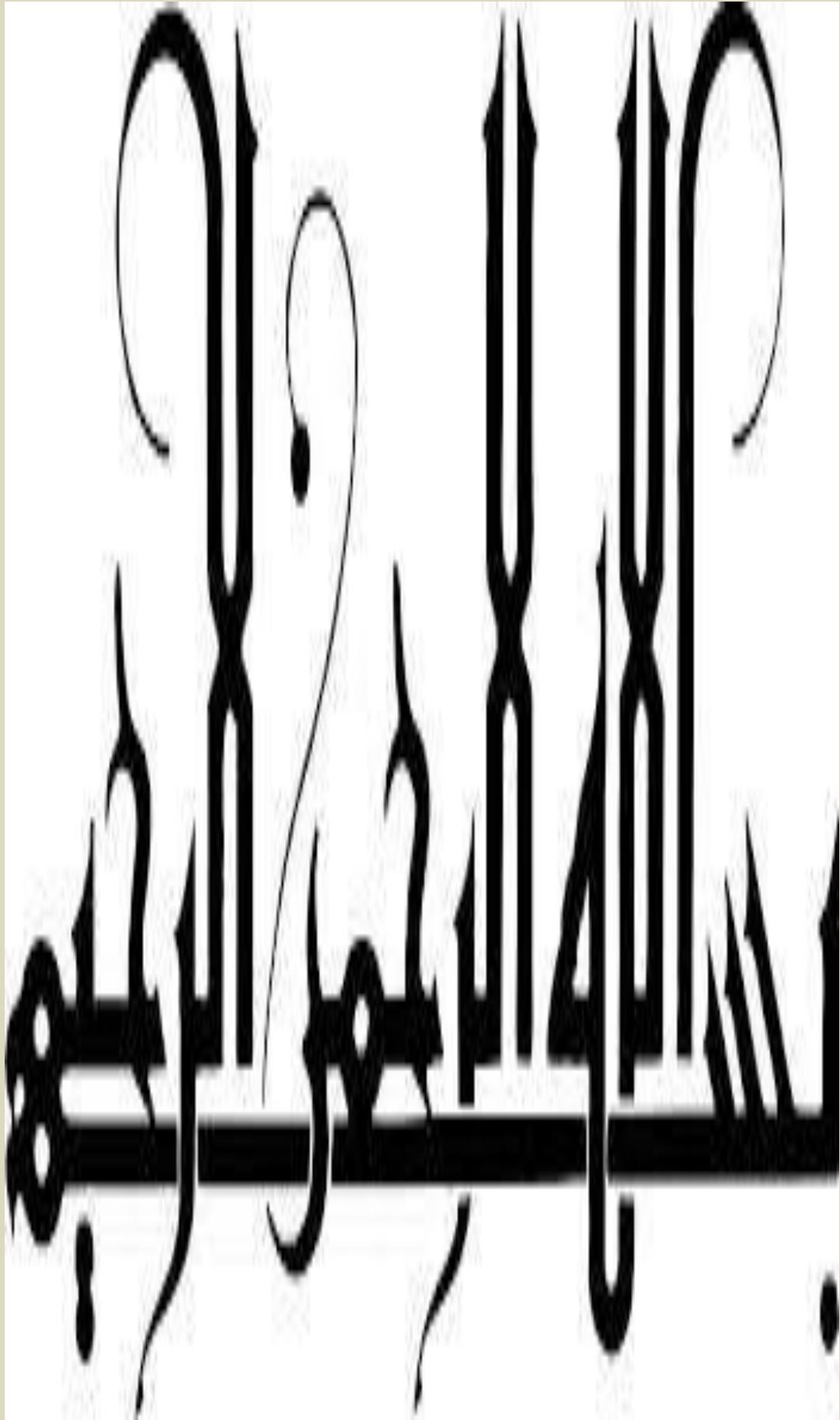
فاق في الحُسن الغضّ بدرَ تمام

هي نورٌ - فوق البسيطة - يسعى

ويُعاني من قسوة الأرحام

هي ظهرٌ في عالم يتردى

الطبعة الأولى



ديوان السليمانيات

(الجزء الخامس عشر)

غادة اليمن

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

الإهداء

الحمد لله ، الحمد لله قَدَمَ من شاء من عباده بفضلِهِ ، وأخَر من شاء منهم بعدله ، لا يعترض عليه ذو عقل سليم وقلب سليم بعقله ، ولا يسأله مخلوق عاقل رزين عن علة فعله ، هو الكريم المنان الوهاب ، هازم بقدرته الأحزاب ، ومنشئ بقوته السحاب ، ومنزل بحكمته الكتاب ، ومسبب بتقديره الأسباب ، وخالق الناس كلهم من تراب ، الواحد الفرد الأحد ، الإله القوي الصمد ، العزيز الواحد الماجد ، المتفرد بالتوحيد والتحميد والتعظيم والتوقير والتمجيد ، ليس له مثل ولا شبيه ولا نديد ، هو المبدئ المعيد ، الفَعَال لما يريد ، جَلَّ عن اتخاذ صاحبة والأهل والولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، لم يزل حكيمًا قديرًا عليمًا خبيرًا ، سبق الأشياء كل الأشياء علمه ، ونفذت فيها سبحانه إرادته ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة سبحانه وبحمده ، لم يلحقه في خلق شيء مما خلق كلال ولا عناءً ولا تعب ، وما مسه لغوب ولا إعياء ولا نصب ، خلق الأشياء بقدرته ، ودبرها ودبر أمرها بمشيئته ، وقهرها بجبروته ، وذلكها بعزته ، فذلت وخضعت له الرقاب ، وحارت في ملكوته فطن ذوي العقول والألباب ، وقامت بكلمته السماوات السبع والأرض المهاد ، وثبتت الجبال الرواسي ، وجرت الرياح اللوايح ، وسار في جو السماء السحاب ، وقامت البحار والأنهار ، وهو الله الواحد القهار ، مَغْشَى الليل النهار ، خضع لعظمته المتعززون المتكبرون ، وخشع له المترفعون ، واستكان لربوبيته المتعظمون ، ودان طوعًا وكرهاً له الخلق أجمعون ، نحمده على حَزْن الأمر وسهله ، ونحمده كما حمد نفسه وكما حمده الحامدون من جميع خلقه ، ونستعينه استعانة من فَوْض أمره إليه ، وأقر أنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه ، نستغفره استغفار مقرر بذنبه ، معترف بخطيئته ، نادم على ما يخالف الحق من قوله وفعله ، ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير. شهادة عبده ، وابن عبده ، وابن أمته ، ومن لا غنى به طرفة عين عن رحمته ؛ بل هو مفتقر إليه في كل وقت وحين ، إقرارًا بوحدانيته ، وإخلاصًا لربوبيته ، وإفرادًا لألوهيته ، فهو العالم بما تبطنه القلوب والضمائر ، وما تنطوي عليه الطوايا والسرائر ، وما تغيب الأرحام وما تزداد ، وكل شيء عنده بمقدار ، لا توارى عنه كلمة ، ولا تغيب عنه غائبة. (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ). ونشهد أن محمدًا عبده ونبيه ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ، أشرف من وطئ الحصى بنعله ، بلغ عن الله رسالاته ، ونصح له في برياته ، وجاهد في الله حق الجهاد ، وقاتل أهل البغي والزيغ والعناد والفساد ؛ حتى تمت كلمة الله ، وقطع دابر الفساد ، صلوات الله عليه وسلامه - من قائد إلى الهدى - وعلى آل بيته الطاهرين ، وعلى أصحابه الأبرار المصطفين المنتخبين ، وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ، ومن سار على نهجهم واقتدى بهديهم من الفقهاء والزهاد والدعاة العاملين المشمرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليمًا كثيرًا آمين آمين. اللهم حبيب إلينا الإيمان ، وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، فضلاً منك ونعمة ، وأنت خير الراشقين ، اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا فاتنين ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة وأعداء الدين ، الذين يكذبون برسلك ويصدون عبادك عن سبيلك ، اللهم اجعل عليهم رجزك وعذابك إله الحق ، يا قديم الإحسان ، يا من إحسانه فوق كل إحسان ، يا مالك الدنيا والآخرة ، يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا من لا يُعجزه شيء ولا يتعاضمه شيء ، نسألك العفو والعافية ، في الدين والدنيا والآخرة ، يا غفور يا ودود ، يا ذا العرش المجيد ، يا فعالاً لما يريد ، نسألك

بعزك الذي لا يُرام ، وبملكك الذي لا يُضام ، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك ، أن تكفيينا شر أعدائنا ، يا مغيث أغثنا. إلهنا وسيدنا ومولانا ، أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال! يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل ، أنت تعلم السر وأخفى ، سبحانك ربنا وتعاليت ، إذا كان عفوك يستغرق الذنب ، فكيف يكن رضوانك؟ وإذا كان رضوانك تزكو به النفوس ، فكيف يكون حبك؟ وإذا كان حبك يُنير القلوب ، فكيف يكن ودك. وإذا كان ودك يُنسي كل ما سواك ، فكيف يكون لطفك؟ يا مجيب دعاء المضطرين ، يا وليَّ عبادك المؤمنين ، يا غاية آمال العارفين ، يا منتهي أمل الراجين ، يا حبيب قلوب الصادقين ، يا خير من سئل ، يا أرحم من استُرحم ، اللهم يا فارج الهم ويا كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويجعلكم خلفاء الأرض أئله مع الله؟!) رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني ، اللهم ارحمني برحمة يا رباة منك تغنيني بها عن رحمة كل من سواك! أنت ولي ذلك والقادر عليه. والحقيقة أنني أهدي ديواني: (غادة اليمن) لفتاة يمنية تسمى رضوى ، ليس لأنها سبت عقلي وقلبي وقلمي وشعري بجمالها - وهي جميلة - ، ولا لأنني عشقتها وصادتني حبال غرامها على عادة الشعراء المراهقين ، الذين كلما نظروا إلى فتاة أو امرأة عشقوها وشغفوا بها حباً! ولا لأنها قابلتني في طريق وكلمتني وتجادبت أطراف الحديث معي حول قضية بعينها! ولا لأنني نجحتُ بحيلة الرجل الماجن في أن آخذ رقم هاتفها لأسامرها وأتحدث إليها في الخلوات! ولا لأنها - معاذ الله - فتاة لعوب استطاعت بما أوتيت من جمال الخلقة لا الخلق أن تسبني فؤاد الرجل الثلاثيني ذي الأولاد الثلاثة! ولا لأنها تملك من أسباب وحيل والأعيب الإغراء ما تجعلني أسير تلاعبها وإغرائها وإغوائها! ولا لأنها استعرضت ما تملك من اللباقة والأناقة لتستلفت أنظار الرجال فكنتُ واحداً من ضحاياها - معاذ الله - . ولا لأنها استطاعت بأسلوبيات المرأة ودهانها أن تكون هي المرأة التي إذا أحببت وعشقت أعطت وناضلت في سبيل الدفاع عن مشاعرها الحالمة وآمالها الميمونة والوصول إلى هدفها العاطفي مع عاشق ولهان. ولقد تفعل المستحيل لأجل كسب فارس أحلامها الهمام ، حتى ولو كلفها ذلك قضاء سنواتٍ من عمرها وهي تناضل للوصول إلى فؤاده الذي نجوم السماء أقرب إليها منه ، أو على الأقل كسب المودة المزعومة المفتراة المدعاة من أجل تحقيق ما تصبو إليه. وهي في هذا الإطار تلجأ إلى العديد من الأساليب المباحة وغير المباحة في ديوان العشق كي تكسب حريتها وتقطع الطريق أمام أي امرأة أخرى للوصول إلى عرش حبيبها العالي أو العاجي الذي لا يمكن الوصول إليه بسهولة ويسر. ولا لأنها اصطحبت العطور والمستحضرات التجميلية والملابس المثيرة وألوان الشفاه عبر المكياج ، وكلها عناصر ملعونة تدخل في اللعبة الإغرائية وتجعيدة الشعر الإغوائية. حتى أن بعض الفتيات المفتونات. فإنهن يعطين هذه الخطوة أولوية أساسية في حياتهن. ولا شك أن الشكل الخارجي أبرز أنواع لفت الأنظار عند ذوي القلوب المراهقة من الرجال الذين هم أقرب إلى الميوعة والتخنث منهم إلى الرجال! ولكن بشرط أن يترافق مع خجل وهدوء في التعبير عن الذات أمام الحضور. ولا شك أن هذه الطريقة هي أقوى وأنجح الطرق في كسب عاطفة الرجل وتأثير المرأة فيه لكن ذلك لا يعني أنه وقع في حبها. ولا لأنها قد اعترفت لي بحبها بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، وذلك من خلال إفهامي أنها متممة بي ومغرمة بشخصيتي دون أن تقول لي ذلك صراحةً. ويسمى هذا النوع استراتيجيات إغواء العشيق بغية استمالة قلبه إليها. لكن هذه الطريقة وعلى عكس النتيجة المنتظرة تؤدي إلى هروب الطرف الآخر بدلاً من تقربه منها لأن الرجل يبحث دائماً عن تلك المرأة التي يلحق بها

بنفسه وليس العكس. لكنه وفي الوقت نفسه ، سيجد من الفتاة التي تفضح مشاعرها بحنكة تجاهه نقطة ضعف بالنسبة له كما يقولون. ولا لأنها أفسحت لنفسها المجال وأطلقت لفمها العنان لكي تعتمد إلى الحديث عن تجاربها العاطفية السابقة ، وراحت تتبأخ في سرد حكاياها الشعورية التي تعبر عن انجذاب الرجال إليها وسعيهم نحوها ، وكأنها جوليت عصرها ولىلى قبيلتها وعبلة ربعها. وتدخلت بعد ذلك في تفاصيل دقيقة تعبر فيها عن نرجسية غير مسبوقة في الوصف. لكن الذي يغيب عن ظن الفتيات في هذه الناحية أن هناك العديد من الرجال الذين لا يحبون النساء اللواتي يتكلمن عن أنفسهن بصخب. بيد أن اللجوء إلى هذه الاستراتيجية ذكي ويؤثر في الذكور الذين قد يجدون فيما يقال نوعاً من التحدي بهدف كسب القلب النرجسي الوردى الذي يسبح في بحار الخيال ويحلم كثيراً ويخلق في سماء الرومانسية الحاملة. لم تكن رضوى (غادة اليمن) شيئاً من ذلك وحاشاها ، وحماها ربي وحمى عرضها وشرفها ودينها وأمانتها! لم تكن قط وما هل عساها تكون عاشقة إلا لزوجها ولا خدينة إلا لبعها ولا متيمة بغير هوى زوجها ولا مغرمة بحب رجل أبداً إلا لزوجها! ولربما يسأل سائل فيقول: لماذا عنونت بهذا العنوان المريب الغريب العجيب (غادة اليمن)؟ أنت رجل مصري لماذا لم تكتب عن غادة من غادات مصر؟ وهل عقت مصر أن تنجب الغادات؟ ولربما يكون للسائل كبير حق في سؤاله هذا ، وذلك لأن عنوان الديوان باسم غادة اليمن! والغادة هي المرأة الجميلة! فالعرب تقول: امرأة غيداء إذا كانت جميلة فأنفة الجمال! والغيداء اسم علم مؤنث عربي ، ومعناه: المرأة الحسناء اللينة الناعمة ، أو الفتاة البيئة الغيد. والغيد: اسم بمعنى النعومة والجمال. ولكن شيئاً من ذلك لم يوجد! لا أخذني جمالها – وإن كانت جميلة – ذلك الجمال اليمني العذب الذي تشتهي العيون النظر إليه وتعشقه القلوب من أول نظرة عين! ولكن إذا علمنا أن (رضوى) أو غادة اليمن هي فتاة لا تتجاوز العاشرة من العمر ، ودفعتني غيرتي عليها وعلى حجابها وعلى مرورها بين يدي الرجال إلى الحديث إليها مباشرة! الأمر الذي استرعى انتباه صاحبي في رحلة الحج: غسان وماهر الدلو من أبناء فلسطين! وكنت قادراً يومها على تبرير موقفي والدفاع عن حُجتي أمامهما! إذ كيف تتصور فتاة في مثل هذه السن وتعمل وتكدح كدح الرجال وتبلى بلاء الشباب. والله لقد كانت نشيطة نشاطاً يسترعي الانتباه ويأخذ بالعقول ويذهب بالأبصار! وما ذاك إلا لأنها فقدت – كغيرها من إخوانها وأخواتها – أباه! فكان لزاماً عليها وهي الابنة الكبرى لأمها أن تساعدها في تكاليف المعيشة التي أصبحت أشبه ما تكون بالسيف المسلط على الرقاب! وكان لزاماً عليها أن تضحي كما ضحت أمها ورفضت الخطاب والعرسان! وآثرت أن تعيش لأبنائها وبناتها ، ولا أن تدخل عليهم زوج أم يسومهم سوء العذاب ويكدر صفو حياتهم! وكانت تضحية (رضوى) من أعجب التضحيات في التاريخ ، حيث لا يمكن أن نتصور طفلة في مثل هذه السن وتتولى مسؤولية كتلك التي أنيطت بها! والله إن بلاءها لشديد ، ولا يُعين عليه إلا الذي قدره – سبحانه وتعالى -. وهذا الذي جعلني أعنون لديواني بـ (غادة اليمن)! إن غادتي تختلف كثيراً عن غادة حافظ! فلقد نظر حافظ إبراهيم لغادته اليابانية التي التقى بها في الفندق على أن قضيتها قضية دولية فهي تعمل وتكدح لأجل أن تعطي للدولة! أما غادتي المسلمة المتوضئة الطاهرة العفيفة فالتقيتها في نفق الملك عبد العزيز بمكة كرمها الله ، وغادتي تعمل لتعطي أمها التي ابتليت بالأبناء والبنات ولا تستطيع الإنفاق عليهم! والله إن الفرق بين الغادتين غادة اليابان وغادة اليمن ليزيد عن الفرق بين السماء والأرض! وإن كان هذا الكلام سابقاً لأوانه ، إذ ما كان ينبغي لي أن أسطره عن

غادتي! بل يُترك ذلك للنقاد وللتاريخ ، ريثما يذهب هذا الجيل الذي أغلب أهله جاهلون أميون لا يقرأون! بل هذا الأغلب أُمي وإن حاز الشهادات والألقاب والدرجات العلمية! حيث إنه لا يقرأ ولا يساهم في رصيد الحضارة العالمية ولا الرصيد الفكري والثقافي! بل إسهامات البعض شحيحة قليلة إذا قورنت بالأعداد الكثيرة والجموع الغفيرة التي تتخرج من الجامعات وتحوز الدرجات وتناقش البحوث والرسائل! وأضعف الإيمان أن يقرأ هؤلاء تراث ورصيد غيرهم من الثقافات والمعارف والعلوم! وحتى هذه لا يجيدها الغالب الأعم من الناس. وريثما يذهب الله بهذا الجيل ويأتي بجيل موحد مؤمن من شأنه أن يبائع المهدي بين الركن والمقام ويكون رهن إشارته لإقامة خلافة على منهاج النبوة! كما بشرنا بها النبي - صلى الله عليه وسلم - روى الإمام أحمد عن النعمان بن البشير رضي الله عنه (تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوءَةِ ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصًا ، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيًّا ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوءَةِ ثُمَّ سَكَتَ). والملك العاص: العَصُ هو الشدُّ بالأسنان على الشيء ، وأصل العَصِيضِ اللزوم وهي كناية عن شدة الاستمساك بأمر ما ؛ ولزَمَهُ ولزِقَ به. والملك الجبري: من الإِجْبَارِ وهو القهر والإكراه أو الحديد والنار. ريثما يأتي هذا الجيل ، ويقارن بين غادتي الحبيبة العزيزة الشريفة المسلمة المؤمنة الحشيمة الوضيئة التي سادعو لها ما حييت ، بأن يصلح الله شأنها ويثبتها على الحق ، وألتقي بها في جنات النعيم ، وبين عادة حافظ الهندوسية التي تتضاءل شخصيتها وعملها وجهدها إذا ما قورنت بغادتي! ويبقى لحافظ خياله الشعري ، وأنه فتح علينا الباب لكي نكتب (عادة اليمن) على غرار (عادة اليابان)! أما الحكم على النصين: نص حافظ ونصي أنا ، فهو رهن تقييم النقاد الموحدين من غير أغلب أهل هذا الزمان الذي نعيش! وغادات مصر المسلمات المؤمنات الموحدات كثرات ويعجز الشعر والشعراء عن أن يصوروا عظمة موافقهن الفذة الجميلة والشجاعة والإنسانية! وإن كان في العمر بقية وسعة كتبنا الكثير عن غادات مصر من المؤمنات الموحدات الحشيمات اللاني أبلين في الإسلام بلاءً حسناً! كما أبلين في الدفاع عن العقيدة والتوحيد على مر العصور وكر الدهور بلاءً حسناً لا وصف له! سدد الله خطانا ووقفنا لما يحب ويرضى ، والله الموفق!

المقدمة

الحمد لله الذي نشر بقدرته الخلاق والبشر ، وصرف بحكمته وعلمه وقدر ، وابتعث النبي العظيم والرسول الجليل محمداً إلى كافة أهل الأرض البدو منهم والحضر ، فأحلّ وفق ما شرع له ربه وحرّم ، وأباح حسب شريعة الإسلام وحظر. لا يغيب عن بصره وسمعه وعلمه وإحاطته دبيب النمل الأسود في الليل البهيم السرمد إذا سرى ، يعلم السرّ وأخفى ، ويسمع أنين المضطّر ويرى ، لا يعزّب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، اصطفى آدم ثم تاب عليه وهدى ، وابتعث نوحاً فبنى الفلك وسرى ، ونجّى الخليل من النار فصار حرّها سرى ، ثم ابتلاه بذبح ولده فأدهش بصبره الورى ، أحمده ما قطع نهار بسير وليل بسرّى. أحمده حمداً يدوم ما هبت جنوب وصبا. وأصلي وأسلم على رسول الله محمد ، أشرف الخلق عجباً وعرباً ، المبعوث في أم القرى ، صلوات الله عليه وسلامه ما تحركت الألسن والشفا ، وعلى [أبي بكر] الذي أنفق المال وبذل النفس وصاحبه في الدار والغار بلا مرآ (تأتي اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) ، وعلى [عمر] الذي من هيبته ولّى الشيطان وهرب ، من أعص [كسري] [وقيصر] بالرّيق وما ولى ، وعلى [عثمان] مجهز جيش العسرة زوج ابنتيه ما كان حديثاً يفترى ، حيّته الشهادة فقال: مرحباً ، وعلى [علي] أسد الشرى ، ما فُل سيف شجاعته قط ولا نبا ، وعلى جميع الأهل والآل والأصحاب والأتباع ما تعاقب صبح ومساء. وبعد فكنا نتمنى أن يقوم بتقديم شعرنا في ديواننا: (غادة اليمن) ، وشاعره: (أحمد سليمان) للجمهور أحد النقاد أو أحد الباحثين أو أحد المهتمين بالشعر العربي المعاصر! فتقوم هذه الشخصية الأدبية العملاقة بتحقيق وتدقيق ونقد الشعر والشاعر أولاً ، ثم تقدمه للجمهور كظاهرة شعرية لها ما لها من المميزات وعليها ما عليها من العيوب! كما تقدمه للجمهور كشاهد على العصر بما حوى من السلبيات والإيجابيات! لقد كان هذا طابع أغلب الدواوين الجديدة والشعراء الجدد! أن يقدم نفسه وشعره لمن يهمله الأمر من الغيورين المنصفين المحققين المدققين من كوكبة الباحثين والمهتمين بمجال تخصصه وهو الأدب ، وتحديداً الشعر كفرع من فروع الأدب وأي فرع! لقد اعتدنا أن نشاهد الديوان مصدراً باسم شاعره ويليهِ المقدم الدكتور فلان أو الدكتور علان من المشهود لهم بالعبقريّة والتمكن في التخصص ثم بالغيرة والحمية والإنصاف! لقد كان هذا محض حق الشاعر على جمهرة الأدب ورابطة الشعراء في زمانه! ويكفي الشاعر من هؤلاء فخراً أن يُزكّيه الدكتور فلان! لأنه والحال هكذا يكون قد بين للناس أن الشعر في هذا الديوان الذي قدّم له ليس منحولاً أو ركيكاً أو مسفهاً! فيكون التقديم بمثابة الوسام على صدر الديوان فضلاً عن أن يكون على صدر الشاعر! إذ بهذه الوسيلة تبرأ ساحتها عند جمهوره ، ويتفياً ظلال الثقة الوارفة عندهم! ولا تصوّب له أصابع الاتهام من أنه انتحل شعر فلان أو علان في القديم أو الحديث ونسبه لنفسه! والسراقات وإن كانت محرمة في شريعتنا ومستهجنة في عرفنا وممقوتة في تقاليدنا ، فإنها أشد حرمة وأكثر استهجاناً وأكبر مقتاً عندما تكون في الشعر! ونسأل: لماذا؟ والجواب باختصار: لأنه السارق في هذه الحالة يكون قد سرق مشاعر وأحاسيس وعواطف وخواطر وآراء وأفكار غيره! وكيف ينسب ناحلاً حقير كلام الآخرين وشعرهم إلى نفسه؟ ومن ذا الذي سوف يصدّقه بعد ذلك في كثير ولا قليل! والسراقات الأدبية والشعرية ليست حكرأ على زماننا ، وليس زماننا فيها بدعأ من الأزمنة! بل السراقات هذي والانتحالات تلك كانت قد عُرفت من زمن بعيد. فبعضهم يعزوها إلى زمان امرؤ القيس ، وبعضهم يقدم عن ذلك البعض ، والبعض يؤخر عنه! والحقيقة أنني

كنت حريصاً أشد ما يكون الحرص على أن أشير إلى زيد أو عمر ممن سبقني على درب الشعر الكريم ، فأورد أنني عارضته أو اقتبست منه أو صادرت على قصيدته! وذلك أفعله تعبداً وتقرباً إلى الله تعالى. إنها ثقافة الصدق والأمانة التي حلانا بها وجملنا ديننا الحنيف! وعموماً الشعر شعور وعاطفة في حقيقته كمبدأ إنساني بحت! وإذا تأملنا آراء الكتاب والباحثين والنقاد عن الشعر وجدناها تتباين في أحييين وتتشابه في أحييين أخرى! فمثلاً يقول الأستاذ فؤاد حداد: (لا أقتحم المعاني ولا ألتفّ عليها ، وتأسرني القافية ، فهي التي تقص أثري. فإن شاءت رُدْمْتُ تحت أنقاض الاحتلال ، وإن شاءت هُدِمْتُ وهُزِمْتُ ، وإن شاءت لم أهْزَمْ ولم أُنْتَصِر. لا أمل التكرار ولا يملني. إن سور الدير من بحر الرَّمَل ، فهو لا يألو سجوداً واعتكافاً ، وصلاة طلبت خبزاً كفافاً).هـ ويقول الأستاذ أحمد البنداري: (إنني حين علمت أن بين الشاعر والشارع تبادل الأحرف أهدرت دمك على الطرقات ودخلت مغارات الأسلاف ، وشربت مياه النبع الأول في أقصى حالات الدفق فُمُنحت الكثير من الفضول لرفع الغطاء والتحديق في حالة الغليان).هـ. ويقول كارل سانديرج: (الشعر يوميات حيوان بحري يعيش على البر ، ويريد أن يطير في الهواء).هـ. ويقول كيتيس: (إذا لم يجيء الشعر طبيعياً كما تنمو الأوراق على الأشجار فخير له أن لا يجيء).هـ. ويقول هاوسمان: (حتى عندما يكون للشعر معنى فمن الأفضل ألا تستخرجه كله).هـ. ويقول فلاوبرت: (الشعر علم دقيق شأنه شأن الهندسة تماماً).هـ. ويقول وليم ووردث سورث: (الشعر أحاسيس قوية نستجمعها وقت السكون).هـ. ويقول روبرت فروست: (الشعر هو الحياة عن طريق الحنجرة ، وذلك عندما تتولى الحنجرة مبدأ الدفاع عن الذات وعرض ما يعتمدها على الجمهور).هـ. ويقول جون جوردن: (لأنني شاعر فأنا أعبر عما أوّمن به ، وأناضل في سبيل كل ما أعارض ، بالشعر).هـ. ويقول ستيفن سبندر: (أعظم الشعر هو ما يكتبه شخصٌ يجهد نفسه ليذهب إلى أبعد مما يمكن).هـ. وتقول إيميلي ديكنسون: (حين أشعر أي (أكتب الشعر) أحس كأنني مشدودة من أعلى رأسي إلى أخصص قدمي ، أعرف أن هذا هو الشعر).هـ. ونحن إذ نقدم لديوان: (غادة اليمن) فنتمنى له النجاح والوصول إلى الهدف المراد منه! ألا وهو توصيل صورة حياة إلى الناس تمثل شهادة شاعره على العصر الذي يعيش! ونعتذر للقراء أننا افتقدنا إلى من يقدمنا للجمهور! وليقل التاريخ كلمته بعد ذلك في مستقبلات الأيام! وأظن أنه سوف يأتي اليوم الذي يتبوأ هذا الشعر مكانه اللائق به. وصدق من قال: (إن كلماتنا عرائس من الشمع تدب فيها الحياة إذا ما رويناها بدمائنا). وأكاد أجزم أنني أرى ذات الرؤية ، وكم من أمثلة على ذلك في القديم والحديث. وعسى الله أن تنفجر الغمة وتزول الأزمة وتعود الأمة ، ويذهب جميعاً إلى مزبلة التاريخ الطواغيت الذين يروجون ما شاءت لهم أمزجتهم من الفكر والشعر ، ويمنعون ما لا يروق لهم مما يبين عوارهم وخروجهم الكامل على الشرع المطهر والملة الحميدة المباركة! عسى الله أن يكون ذلك قريباً!

الافتتاحية

الحمد لله العظيم الجليل القدر ، المنفرد سبحانه بالبقاء والقهر ، الإله الواحد الأحد ذي العزة والستر ، لا ند له في السماوات ولا في الأرض فيبارى ، ولا شريك له في السماوات والأرض فيدارى ، كتب الفناء والزوال على أهل هذه الدار ، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا ، وعقبى الكافرين النار ، قدر مقادير الخلائق وأقسامها ، وبعث أمراضها وأسقامها ، وخلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ، جعل للمحسنين الدرجات ، وللمسيئين الدرجات. فحمداً لك اللهم مفرج الهموم ، ومنفس الكرب ومبدد الأشجان والأحزان والغموم ، جعل بعد الشدة فرجاً ، وبعد الضر والضيق سعة ومخرجاً ، لم يُخل محنة من منحة ، ولا نقمة من نعمة ولا نكبة ورزية من هبة وعطية ، نحمده على خلو القضاء ومُره ، ونعوذ به من سطواته ومكره ، ونشكره على ما أنفذ من أمره ، وعلى كل حال نحمده. هذه السماء أيها الناس رفعت هكذا بغير عمدٍ ترونها ، أسألكم: من رفعها؟ وبالكواكب من زينتها؟ والجبال من نصبها؟ وهذه الأرض من سطحها وذللها وقال في شأنها: (فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا)! وهذا الطبيب الذي يصف الدواء لمرضاه ، من أسقمه وأمراضه وأرداه ، وقد كان يرجى بإذن ربه شفاه؟ وهذا المريض وقد يُئس من علاجه ، من عافاه؟ وهذا الصحيح من بالمنايا رماه؟ وهذا البصير في الحفرة من أهواه؟ وهذا الأعمى في الزحام من يقود خُطاه؟ وذلكم الجنين في ظلمات ثلاثٍ من يراعه؟ وهذا الوليد من أبكاه؟ وهذا الثعبان من أحياه ، والسُّم يملأ فاه؟! وهذا الشَّهد من حلاه؟ وهذا اللبن من بين فرث ودم من صفاه؟ وهذا الهواء تحسُّه الأيدي ولا تراه من أخفاه؟ وهذا النَّبت في الصحراء من أرباه؟ وذلكم البدر من أتمه وأسراه؟ وهذا النخل من شقَّ نواه؟ وهذا الجبل من أرساه؟ وهذا الصخر من فَجَّر منه المياه؟ وهذا النهر من أجراه؟ وهذا البحر من أطغاه؟ وهذا الليل من حاك دُجَاه؟ وهذا الصُّبح من أسفره وصاغ ضحاه؟ وهذا النوم من جعله وفاة؟ ومن جعل تلك اليقظة منه بعثاً وحياة؟! وهذا العقل من منحه وأعطاه؟ وهذا النحل من هداه؟ وهذا الطير في جو السماء من أمسكه ورعاه؟ ومن في أوكاره غَدَاه ونَمَاه؟ إنه الله الرب القدير والخالق الكبير! أستحلفكم بالله تعالى سؤالاً دوماً يجول في خاطري: الطاغوت الجبار الظالم في دنيانا هذي من يقصمه؟ والمظلوم الذي ضاقت به السبل من ينصره؟ والمضطر الذي عدم من يعينه من البشر من يجيبه؟ والملهوف من يغيثه؟ والضال من يهديه؟ والحيران من يرشده؟ والعارى من يكسوه؟ والجائع من يشبعه؟ والكسير من يجبره؟ والفقير من يغنيه؟ أنت أيها الإنسان ، أنت مَنْ خلقك؟ من صورك؟ من شق سمعك وبصرك؟ من سواك فعَدَّك؟ من رزقك؟ من أطعمك؟ من آواك ونصرك؟ من جعل ملايين الكائنات ترتادُ فَمَك؟ ولو اختلفت لاختلفت وظائف فمك. من هداك؟ إنه الله الذي أحسن كل شيء خلقه. لا إله إلا هو. أنت من آياته ، والكون من آياته ، والآفاق من آياته ، تشهد بوحدانيته. إن تأملت ذلك عرفت حقاً كونه موحدًا خالقًا؟ وكونك عبدًا مخلوقًا ، الكون كتاب مسطور ينطق تسبيحًا وتوحيدًا ، وذراته تهتف تمجيدًا: (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ). ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عدة الصابرين وسلوان المصابين ، الكريم الشكور ، الرحيم الغفور ، المنزه عن أن يظلم أو يجور ، الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون. ونشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه ، وأمينه على وحيه ، أعرفُ الخلق به ، وأقومهم بخشيته ، وأنصحهم لأمته ،

وأصبرهم لحكمه ، وأشكرهم على نعمه ، أعلامهم عند الله منزلة وأعظمهم عند الله جاهاً ، بعثه للإيمان منادياً ، وفي مرضاته ساعياً ، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً ، بلغ رسالة ربه وصدع بأمره ، وتحمل ما لك يتحملة بشر سواه ، وقام لله بالصبر حتى بلغه رضاه ، دعانا إلى الجنة وأرشدنا إلى إتباع السنة ، وأخبر أن إعلاننا منزلة أعظمنا صبراً ، من استرجع واحتسب مصيبتة كانت له ذخراً ومنزلة عالية وقدرأ ، وكان مقتفياً هدياً ومتبعاً أثراً. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأزواجه وذرياته الأخيار وسلم تسليماً كثيراً متصلاً مستمراً ما تعاقب الليل والنهار. وبعد فإن لنا الفخر ونحن نفتتح مع قرآننا الأحبة ديواننا الغالي: (غادة اليمن) تلك الطفلة البطلة الوقورة الحشيمة الشجاعة التي أتت ما يعجز عنه الرجال! والتي كان عندها من كم المسؤولية ما لو توزع على فنام من الناس لوسعهم! والتي أخذت على عاتقها أن ترفع عن أسرتها المنكوبة البانسة نكبتها وبؤسها ، وتجعل منها بجدّها واجتهادها وعملها أسرة سعيدة يغطها القاصي والداني! نعم لقد جعلت من أسرتها رمزاً للصدود والتحدّي ومصارعة الأقدار بالأقدار! فنهضت الأسرة في وجه التحديات والصعاب ، وناضلت وصابرت على مقدور الله تعالى ، وجابهت أقدار الحق بالحق! فلم تياس أن عائلتها قد فارق الحياة إلى الرفيق الأعلى وإن حزنت عليه الحزن كله وإن بكت عليه البكاء كله! والذي أحسّه وأنا أفتتح معكم هذا الديوان: (غادة اليمن) أنني أمام قامة كبيرة في الجد والكفاح والمثابرة تدعى: (رضوى) تلك الطفلة اليمينية الوضيئة ، التي اعتادت أن تذاكر دروسها وتطعم إخوتها وأخواتها من عرق الجبين وكذ اليمن ، فكفت أسرتها سؤال الناس والحاجة إليهم! لقد كنت أتكلم إلى الطفلة بكل فخر واعتزاز وإجلال ، ولولا حزم الرجال وهيبتهم لانهمرت الدموع من عيني ، وأنا أتحدث مع الطفلة العشرية التي سبقت عمرها وكأني أمام امرأة ثلاثينية! وأشعر أن هناك تماثلاً وتشابهاً في الفكرة والمنهاج بين ديواني: (غادة اليمن) وديواني: (ماسحة الأحذية)! والذي جعلني أشعر هذا الشعور أنني وجدت اعتزازي بأهل الكفاح والجد والمثابرة في الحياة! تلك الحياة التي لما غاب بيت المال كجزء من نظام الإسلام ، وكان غيابه ليس مرضاً في حد ذاته بل كان عرضاً لمرض أكبر ألا وهو غياب الإسلام كنظام يحكم حركة الحياة ، وإن بقيت عند البعض أركانه من المناسك التعبديّة من صلاة وزكاة وصيام وحج وعقيدة مستقرة ثابتة نقيّة زكية عبقرية لا يخالطها شرك ولا بدعة عند البعض! ومن هنا عدت النساء من أمثال: رضوى (غادة اليمن) وماسحة الأحذية (غادة مصر) من يحنو عليهما وعلى أسرتيهما ويمدهما بالمال والغذاء والدواء والغطاء والكساء يبتغي بذلك وجه الله وثوابه في الآخرة! إن (ماسحة الأحذية) الأم قد ابتليت بذات الابتلاء الذي هو فقد العائل والزوج والمنفق الوحيد على الأسرة ، كما ابتليت بأن أطفالها كانوا لا يزالون يعيشون مرحلة نعومة الأظفار! فما لهم إذن وصراع الحياة الذي تتقاصر عنده همم الرجال الأشداء الأقوياء؟! وذات الموقف عاشته (رضوى) مع أمها التي فيما يبدو قررت أن تعيش لأطفالها الصغار ، فلم تتزوج وإن جاءها الأكفاء من الرجال! ولولا الحياء لسألث (رضوى) عن أمها أكثر وأكثر! ولكنه كان سؤالاً واحداً أنهى كل الأسئلة التي كان ينبغي أن تليه! حيث كانت دموعها أبلغ جواب على سؤالي الأول: (لماذا لا يقوم أبوك بهذا العمل؟) ومن هنا تولى الجواب على بعض أسئلتي بعض مرتادي نفق الملك عبد العزيز من أجل أكل الفطير وشرب الشاي من يد (رضوى) وبسعر رمزي! لقد كان لزاماً عليّ أن أرحم الفتاة فلا أتحدى في أسئلتي لكيلا أثير الشجون وأجلب الهموم وأخمش الجراح! ولعل الديوان الغالي: (غادة اليمن) أن يجعل قراءه على جزء كبير من الحق! والله الموفق إلى سواء السبيل!

بين يدي الديوان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره وتوب إليه. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ، ومن لا غنى به طرفة عين عن رحمته. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، أرسله الله رحمة للعالمين فشرح به الصدور وأنار به العقول ، وفتح به أعيناً عمياً وأذناً صماً وقلوباً غلفاً صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً. (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون). (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً). أما بعد ، أوصيكم قراني الكرام ونفسي المقصرة المذنبه بتقوى الله جل وعلا ، وأن تقدم لأنفسنا أعمالاً تبيض وجوهنا يوم نلقى الله: (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم). (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً). (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون). (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد). يوم يبعث ما في القبور ، ويحصل ما في الصدور ، (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً). (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً). يوم القيامة ، يوم الحاقة ، يوم الطامة الكبرى ، يوم القارعة ، يوم الزلزلة ، يوم الصاخة. (يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه). ثم اعلّموا يا قرآني الأعزاء أن رقابة البشر على البشر قاصرة ، وأن رقابة المخلوقات على بعضها قاصرة. البشر جميعاً يغفلون ، والبشر يسهون ، وينامون ، ويمرضون ، ويسافرون ، ويموتون! وصدق أستاذنا الدكتور علي القرني ذو الهمة العلية والمحاضرات الفتية النقية والفيوضات العبرية ، حيث سمعت منه قوله في مدح رب البرية الذي لا يحب أحد المدحة مثله سبحانه وتعالى: (سبحان الله وبحمده ، وسبحان الله العظيم ، ليس شيء أضرع لله من بني آدم ، الكون كله بكائناته يسجد لله ويخضع ويذل وتبقى فئة من الناس صادة نادة نشاز في هذا الكون لا تستحق الحياة ، فانظر إلى تلك الحشود كما يقول [سيد] رحمه الله: حشد من الخلائق مما يدرك الإنسان ومما لا يدرك ، وحشد من الأفلاك مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم ، حشد من الملائكة ، حشد من الجبال والشجر والدواب ، حشد من خلق الله كلها في موكب خاشع ذليل تسجد لله وتتجه إليه لا إلى سواه في تناسق ونظام عجيب إلا هذا الإنسان يتفرق فجزء منه يتنكب الموكب نشاز لا يستحق الحياة ، ألم ترى أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب (ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) ، فانظر إلى قهره وانظر إلى ذل خلقه ، كل ما في الكون يأتي خاضعاً ذليلاً ساجداً لله يدين له: النجم في أفقه ، يدين له الفلك الدائر ، يدين له الفرخ في عشه ، ونسر السما الجارح الكاسر ، تدين البحار وحياتها وماء سحباتها القاطر ، تدين له الأسد في غابها وظبي الفلاشارد النافر ، يدين له في سعيه ، يدين له الزاحف والناشر ، تدين النجاد ، تدين الوهاد ، يدين له البر والفاجر ، يدين الجلي ، يدين الخفي ، يدين له الجهر والخابر ، تدين الحياة ، يدين الوجود ، يدين المقدر والحاضر ، وكل العباد إليه رجوع وفوق العباد هو القاهر ، الشجر

والحجر والمدر ، يلبي ويوحد الله مع الحاج الملبى ، ثبت في الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم قال: ما من ملب يلبي إلا لبي مع عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر ، حتى تنقطع الأرض منها هنا ومنها هنا ، تفاعل الكون كله مع توحيد الله عز وجل ، كل كنى عن شوقه بلغاته ، ولربما أبكى الفصيح الأعجم ، بل إن الشجر ليشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم. روى الدارمي بإسناد صحيح كما قال صاحب المشكاة ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفرٍ فأقبل أعرابي فلما دنا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، قال ومن يشهد على ما تقول ، قال هذه السلمة - حَجْرَةُ السَّلْمَةِ - فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي في شاطئ الوادي فأقبلت تهز الأرض حتى قامت بين يديه ، فاستشهدا صلى الله عليه وسلم فشهدت ثلاثاً ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم رجعت إلى منبتها ، إن في ذلك لآية ، وروى الترمذي أيضاً كما في الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد بما أعرف أنك نبي ، بما أعرف أنك نبي ، قال صلى الله عليه وسلم إن دعوت هذا العذق شهد أني رسول الله ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل العذق من النخلة حتى سقط إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم شهد ثم قال صلى الله عليه وسلم له ارجع ، فرجع إلى مكانه ، فقال الأعرابي وأنا أشهد ألا إله إلا الله وأنت رسول الله ، ودخل في دين الله". ألم يمر بذهنك وأنت تعلم عبودية الشجر لله ما روى البخاري عن [سهل بن سعد] ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها ، فاشتاقت نفسك لظل هذه الشجرة فأحسنت التعامل مع الله لتكون من أهلها بإذن الله ، وأرجو الله أن نكون جميعاً من أهلها ، الجبال والحجارة تخشى الله ، فأين الخشية والخوف من الله ، وإن منها لما يهبط من خشية الله (لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيتَهُ خاشعاً متصدعاً من خشية الله).هـ. ونحن بين يدي ديوان: (غادة اليمن) يطيب لنا أن نبتهل إلى الله أن تكون بناتنا وأبنائنا كمثل ما كانت عليه هذه الغادة الطيبة: (رضوى)! إن بناء الإنسان ذي القيم والأخلاق والمبادئ مقدّم على بناء البيت الفاره! إن زراعة المسؤولية في أبنائنا بعد العقيدة والتوحيد لهي خير ذخر يواجهون به حياتهم التي أصبحت تعج بالأغاز السخيفة والثقافات المهترئة! مما يجعلنا كآباء ومربين لا نعتمد عليهم في مهام وتكاليف صعبة! إذ يكون من الخطر الجسيم أن تعهد بمهام الرجال لأناس هم إلى العيال أقرب منهم إلى الرجال! وصدق من قال في ذلك ناصحاً ومحذراً:- (إذا كنت في حاجة مرسلأ فأرسل حكيمأ ولا توصه!) ونسأل: لماذا؟ والجواب: لأن الحكيم بما لديه من مسؤولية وقدرات على حلّ المشكلات يستطيع التصرف بحكمة في الأمور العويصة التي قد تواجهه! ومن هنا كانت (رضوى) تلك الغادة اليمينية تمتلك هذا النوع من القدرات! ولعل الله سخرها لأمتها وأسررتها وإخوتها وأخواتها لتحمل عنهم هموم الحياة ، ولتأخذ على عاتقها كسر ظهر الفقر والإملاق وحمله بعيداً عن كاهل هذه الأسرة المبتلاة! وما أكثر الأسر المبتلاة في مجتمعاتنا! إنه عندما لا توجد عدالة في التوزيع ينقسم المجتمع - كما يُلح إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته - إلى سادةٍ نبلاءٍ وعبيدٍ أرقاء! ويرحم الله زمان الإسلام الحقيقي الذي ولى لتحل محله بقايا إسلام في صورة مناسكٍ تعبدية! إن بيت المال كان يعنى بأمثال هذه الأسر وبالأيتام وبالأرامل وبالمعوذين وبالمحتاجين! فلهم الله في زماننا هذا ، والله المستعان!

كل ما في الأمر

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، الحمد لله الذي أراد فقدر ، وملك فقهر ، وخلق فأمر ، وعبد فأتاب وشكر ، وعصي فعذب وغفر ، جعل مصير الذين كفروا إلي سقر ، والذين اتقوا ربهم إلي جنات ونهر ، ليجزى الذين كفروا بما عملوا ، والذين آمنوا بالحسنى! الحمد لله شهدت بوجوده آياته الباهرة ، ودلت على كرم جوده نعمه الباطنة والظاهرة ، وسبحت بحمده الأفلاك الدائرة ، والرياح السائرة ، والسحب الماطرة ، هو الأول فله الخلق والأمر ، والآخر فالإله الرجوع يوم الحشر ، هو الظاهر فله الحكم والقهر ، هو الباطن فله السر والجهر! الحمد لله الذي تقدس في أزليته وأبديته عن النظر والشبيه ، وتنزه في جماله وجلاله عن مقالات أهل التمويه ، الغني عن خلقه ، فلا أمد يحصره ، ولا أحد ينصره ولا ضياء يظهره ، ولا حجاب يخفيه ، فهو الواحد الأحد القدوس الصمد الذي لا شك فيه! الحمد لله الذي عز جلاله فلا تدركه الأفهام ، وسما كماله فلا تحيط به الأوهام ، وشهدت أفعاله أنه الحكيم العلام ، الموصوف بالعلم والقدرة والكلام ، سبحانه هو الله الواحد السلام ، المؤمنون حبيب إليهم الإيمان وشرح صدورهم للإسلام ، ويقبل التوبة ويكشف الحوبة ويغفر الإجمام ، تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام. الحمد لله رب العالمين سبحانه! سبحان الذي في السماء عرشه ، سبحان الذي في الأرض حكمه ، سبحان الذي في القبر قضائه ، سبحان الذي في البحر سبيله ، سبحانه في النار سلطانه ، سبحان الذي في الجنة رحمته ، سبحان الذي في القيامة عدله! الحمد لله رب العالمين ، أحمده على ما يفعل ويصنع ، وأشكره على ما يزوى ويدفع ، وأتوكل عليه وأقتع ، وأرضى بما يعطى ويمنع! وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين أجمعين ، وعلى آله وأزواجه وأصحابه والتابعين له إلى يوم الدين ، وبعد فكل ما في الأمر أنني قد طرأت لي فكرة اختيار هذا العنوان لهذا الديوان: (غادة اليمن) بعد الفراغ من قصائده التي هي في الأصل بعض قصائد ديوان: (ترنيمة على جدار الحب) وديوان: (الأمل الفواح) ، وذلك أنني وجدت أن كلاً من الديوانين قد تجاوز المائة الخامسة بتسعين صفحة ، يزيد أو يقل! الأمر الذي يجعله ضخماً للغاية! فلاحت فكرة أظنها طيبة ، ألا وهي تقسيم الديوانين: (ترنيمة على جدار الحب & الأمل الفواح) إلى ثلاثة دواوين ، على أن يكون عنوان الديوان الهجيني: (غادة اليمن)! وأسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في هذا العمل ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم! والأصل أن الشاعر فقط يكتب وكفاه ألم الكتابة وعذاب التأليف واختيار البحر والوزن والقافية والألفاظ والكلمات! ولكنه قدرني أن أكون: (الكاتب والمنسق والصاف والمحقق والمدقق والناقد والمقدم والمنقح) في آن واحد! والله تعالى يأجر على قدر الجهد والنية. وهذا عزائي في الذي أكتب ، ولعله مما شجعتني على الكتابة أن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً! وإذا كان ذلك كذلك فلماذا أقلق أو أنزعج؟! وعندما أرى على الدرب عماليق وجهابذة وفطاحل وأساطين في الشعر العربي الموزون المقفى كان هذا سمتهم وديدهم ومصيرهم ، فإنه ينبغي عليّ أن أتشجع أكثر! وهذا الذي حدث ، ذلك أن رابطة الشعراء واتحاد الكتاب وعمادة الشعر تنأى جميعاً عن مثلي وعن شعره! إذ أغلب أعضاء هؤلاء يكتبون إما مغلبين جانب الحدائث في القالب الشعري ذاته أو في مضمونه! كما أنهم لا يمثلون الواقع الذي يعيشون فيه: للأسف! ولما لم أكن كذلك فلم أبادر ابتداءً بأن أكون مع هؤلاء! كما أنه لا يوجد جهة تتبنى نشر وتوزيع الشعر العربي الواقعي الملتمزم الأصيل!

جنت يحدوني يقيني

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة ، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده ، ودعاها إلي ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقادة ، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة ، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده ، ونشكره معترفين بأن الشكر منه نعمة مستفادة. الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار النوام والوفاق وسقى أسرار أحبائه شراباً لذيذ المذاق ، وألزم قلوب الخائفين الوجل والإشفاق ، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كُتِبَ ولا في أي الفرقتين يُساق ، فإن سامح فبفضله ، وإن عاقب فبعدله ، ولا اعتراض على المَلِكِ الخلاق! سبحانه وتعالى لا حد يناله ، ولا عدّ يحتاله ، ولا أمد يحصره ، ولا أحد ينصره ، ولا ولد يشفعه ، ولا عدد يجمعه ، ولا مكان يمسكه ، ولا زمان يدركه ولا أحد ينفعه ، ولا أحد يضره. اللهم يا من لا تراه العيون ، ولا تخالطه الظنون ، ويا من دبّر الدهور ، وقدر الأمور ، وعلم هواجس الصدور ، يا من عليه يتوكل المتوكلون ، أقل العثرة وأغفر الزلة. يا رب أصلح شأننا ، وجد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولا يقصد سواك ، اللهم هب لنا فرجاً قريباً ، وصبراً جميلاً ، وكن لنا ولا تكن علينا ، وامكر لنا ولا تمكر بنا ، وتول أمرنا لا إله إلا أنت ، أنت حسبنا. اللهم لا تجعل بيننا وبينك في رزقنا أحداً سواك ، اللهم اجعلنا أغنى خلقك بك ، وأفقر عبادك إليك ، وهب لنا غناً لا يطغينا ، وصحةً لا تلهينا ، وأغننا اللهم عن من أغنيته عنا. اللهم أصلح من في صلاحه صلاح للإسلام والمسلمين ، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام والمسلمين. اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوء فأشغله بنفسه ، واجعل تدبيره تدميره يا حي يا قيوم يا عزيز. اللهم أنت خلقت أنفسنا ، وأنت تتوفاها ، فزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، لك مماتها ومحياها. اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إمانك ، في حاجة إلى رحمتك وأنت غني عن عذابنا ، اللهم فجازنا بالإحسان إحساناً وبالإساءة عفواً وغفراناً. اللهم أنس وحشتنا في القبور ، وأمن فزعنا يوم البعث والنشور ، واغفر لنا ولجميع موتى المسلمين يا أرحم الراحمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وخيرته من عباده وخليته! اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. وبعدُ فلقد جنت إلى ساحة ديوان: (غادة اليمن يحدوني يقيني أنني سأوفق بمشيئة الله تعالى لإخراج هذا الديوان إخراجاً يضاها ويضارع ما سبقه من الدواوين! وإنه لعسير على الكاتب وبخاصة إن كان شاعراً أن يكون هو الذي يكتب قصائده ، وهو الذي يصفها ، وهو الذي ينقحها ويدققها ، وهو الذي يصحح أغلاطها ، وهو الذي ينقيها من أخطائها ، وهو الذي يُشرف عليها إشرافاً كلياً ، وهو الذي يوزعها بعد طباعتها ، ولم يعد يبقى إلا أن يقوم بشرائها من نفسه بعد أن يُسمح لها بالتداول! لقد تغير الزمان والمكان والحال والناس! فأين نحن من زمان كان أهل القبيلة لا ينامون إذا نبغ فيهم شاعرٌ ما! بل يقيمون الليالي الملاح وتنشد القينات وتولم الولائم وتضرب الدفوف وتنحجر الجزر ، وتظل القبيلة تباهي بولادة شاعرها أياماً! ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تظل القبيلة تباهي بشاعرها سائر القبائل شهوراً! وهذا كان سانداً في زمان الجاهلية الأولى! أما في زمن الجاهلية المعاصرة الآنية فلا احتفال ولا ذكر ولا إشادة بالشاعر ولا مباهاة به! بل بالعكس: معايرة واستهزاء وسخرية وهمز وغمز ولمز! وإهمال تام له ولشعره وأفكاره التي تناولها فيه! ورحم الله زمان (شوقي) الذي ما كان الحبر يجف عن قصيدة كتبها لأول مرة إلا وتنشد في قرطاج أو دمشق!

ضل الجهول وخاب من يتشدد

(إنه ليفترض في كل من يؤتمن على اختيار معلم أن يختاره وفق مواصفات أهمها دينه وأدبه وقوة تخصصه ومستوى أدائه وسلوكه وتربويته. لكنه عندما تكون القضية هي قضية وصوله للوظيفة من أبوابها الخلفية ودروبها الملتوية ، يصبح الأمر معكوساً تماماً. فلا اختيار على أساس من دين ولا أدب ولا خلق ولا تخصص ولا عطاء. إنما يوضع كل رجل في غير المكان المناسب له. فالذي كان أحرى به أن يعمل في الحلاقة أو السوق أو المزاد يصبح مكان عمله معقل التعليم ، والتي كان أحرى بها أن تعمل في التمريض يُصبح مكان عملها المدرسة. ورجل تقدم ليعمل في سلك تدريس الإنجليزية عند قوم هم من أمثال هؤلاء ، فإذا به يلام على مظهر دينه الإسلام فضلاً عن جوهره ، ولست أدري ما علاقة ما يتدين به الأستاذ وبين ما يدرسه؟ (اللهم إن كان الاختيار على نحو ما أسلفنا من تقديم الدين أساساً في الاختيار ، فلا مكان لسؤالنا). لكن الأمر على خلاف ذلك تماماً. ويُطلب منه أن يُولف في أقل من ثلاث دقائق بالعدد موضوعاً من خمسة عشر سطرًا بالعدد عن اتفاق غزة أريحا ، فكان أن طلب من السائل أن يمنحه هو خمس دقائق إضافية ليكتب هو ذات الموضوع فُبُهِت الذي افترى. وآخر لا يعتبر الأديب شاعراً أو ناثراً حجة على لغته التي كتب بها نصه الأدبي بعيداً عن ضرورات الشعر طبعاً. وإذن فالمسألة تعجيز أكثر منها قياس مستوى. والله يشهد إنهم لمفترون مغالطون. وعلى أنفاس الاختيار غير القائم على أساس الدين والخلق والأدب والتخصص والعطاء ظهر لنا جيلٌ منكود من أجيال التاريخ لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه (طبعاً مادام أحد الموجهين يسأل سؤالاً قد سُئلته منذ عشر سنوات – وشر البلية ما يُضحك - : (هل تحرير المسجد الأقصى يبدأ من إطلاق اللحية؟) فقمْتُ فوراً بقلب السؤال قائلاً: (فهل يبدأ تحرير المسجد الأقصى من حلق اللحية؟) نعم ، على أنفاس هذا التجهيل الذي له اليوم اسم التعليم زوراً وبهتاناً خرجت أجيالٌ لا تحرم حراماً ولا تحل حلالاً ، أجيالٌ علمها بأهل الفن والرياضة والصحافة والأدب أكثر من علمها بدينها الذي تنتسب إليه انتساباً بالقول انتساباً أجوف لا يزيد! ولهم من مسمى المسلمين الادعاء ، ولهم من الترهل نصيبٌ تغرق فيه أمم ويعجز عن وصفه القلم ، خرجت أجيال لا ترى بأساً في التهلك والسفور والإباحية والهزل ، أجيالٌ تتسع في الطرقات ليلاً ونهاراً ، سرّاً وجهاراً ، ومنها التي تغني وترقص وتمثل وتتكشف وتسُكر. بل وتطلب إحداهم من أحد القضاة – والعُهد على الراوي – في جلسة سرية طلبتها منه بعد افترض أمرها وهي من بنيات يعرب هذه المرة في شرك من شرك الشياطين الإنسانية الذين يتعلم منهم اليوم شياطين الجن ، أو بالمعنى الأصح بتعاون شياطين الإنس والجن (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً). قالت للقاضي في جلستهما السرية: لماذا تضيقون عليّ ، إنني لا أستمع إلا بأنثى مثلي (عانية بذلك السحاق) وهو زنا ، كما أخبر بذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – (سحاق النساء بينهن زنا)! وتتججح السنة قوم اليوم قائلة: ما علاقة الدين بالحياة؟ بالكأس؟ بالسيجارة؟ بالخَمارة؟ بالأزياء والموضات؟ بالغناء والتمثيل؟ بالسينما والمسرح؟ ويقول آخرون: لماذا نسمع عن توبة أهل الفن ولا نسمع عن توبة أهل الطب أو الهندسة؟! منافحين بذلك عن مهن أهل الفساد في الأرض من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وهنياً لأحفاد القردة والخنازير من اليهود والنصارى هذه الأجيال الجاهلية التي لا تختلف كثيراً عنهم إلا فقط في التسمي بالإسلام. إنني أكتب هذه القصيدة القافية الكافية تلك المعقدة الطويلة لتكون شاهداً على العصر وأهله من أننا نرفض هذا الهوان وهذه التبعية

وهذه الجاهلية وأهلها! في كتابه (المعلم الذي نريد) يقول الأستاذ وليد شكر ، وتحت عنوان: (الصفات المطلوبة في المعلم الداعية) يقول ما نصه: * صفات مطلوبة شرعاً حتى نكون أهلاً لتوفيق الله. * وصفات مطلوبة واقعيًا ومهنيًا ، وهي من باب الإعداد للأمور به في قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة). * أولاً:- الصفات المطلوبة شرعاً حتى نكون أهلاً لتوفيق الله: 1- الإخلاص لله تعالى وحسن النية: بأن يستشعر المعلم قول الله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: {إنها أمانة ، ويوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها وأدى الذي عليه فيها} ، وقول سلمان رضي الله عنه: {أتق الله عند همك إذا هممت ، وحكمك إذا حكمت ، ويدك إذا قسمت}. فحاور نفسك دامت: ماذا قلت لهم ، ماذا قومت من سلوكهم ، ماذا أفدتهم ، ما مدى تأثيرك عليهم ، هل نجحت في تحبيبهم في الخير؟ أم كنت على أنفسهم عوناً للشيطان؟ هذا الشعور لو سيطر على إحساس المعلم وألهب مشاعره ، سيدفعه إلى بذل المزيد ، واقتراح الجديد ، والنهوض بطلابه في مسيرة حفظهم لكلام ربهم ، وقبل هذا كله لماذا تقوم بهذا الدور؟ فيكون الجواب من القلب: طلباً لرضا الله تعالى. 2 - القدوة الصالحة: فالمعلم قدوة صالحة لطلابه ، فلا يرى منه ما يشين ولا يسمع منه ما يُعاب ، فنظر طلابه مُسلطً عليه ، فإياه إياه أن يقع منه ما يُضعف صورته في أعين طلبته. ومجالات القدوة كثيرة فمنها: المحافظة على الصلاة في أول وقتها ، وحفظ اللسان والجوارح ، والبعد عن مواطن الشبه وأماكن الريب. فالله الله أيها المعلم! لا تكن داعية إلى الخير بقولك صادقاً عنه بفعلك. بل لا بد من الاتزان في شخصية المعلم الداعية! يؤكد هذه الصفة الإمام النووي فيقول: "وينبغي للمعلم أن يصون يديه عن العبث ، وعينيه عن تفريق النظر بلا حاجة ، ويلتفت إلى الحاضرين التفاتاً قصداً بحسب الحاجة للخطاب". (المجموع شرح المذهب). والاتزان صفة يحتاج إليها من يطلب من الناس أدنى اعتبار لشخصيته واحترام لها ، فكيف بمن يكون معلماً للجيل وقدوة للناشئة؟ إذ إن أولئك الذين يفقدون اتزانهم ، وتنبئ تصرفاتهم عن نقص في العقل وكمال الرجولة ، وفقد لهيبة العلم ، أولئك إنما تنادي أحوالهم بمزيد من السخرية والعبث من قبل تلامذتهم. 3 - أن يكون ذا هم يصبّحه ويمسّيه ، فالفرق بين حامل الرسالة وصاحب الأمانة ، كالفرق بين النائحة الثكلى والأخرى المستأجرة! لقد كان الأنبياء منتهى أملهم أن يُخلّي بينهم وبين الناس ، والمعلم - والله الحمد - قد خُلي بينه وبين طلابه ، فماذا هو فاعل؟ وماذا هو - إذا لم يحسن استغلال الفرص - لربه قائل؟! فبين يديك أيها المعلم قلوب عطشى ، وأرواح ولهى ، وعقول حيرى ، فاسكب فيها أنوار ما تحمله ، وارو غليلها بفيض ما ترتله ، واعلم أن من كملت معرفته بالله عز وجل صار دالاً عليه يصير شبكة يصطاد بها الخلق من بحر الدنيا ، يعطي القوة حتى ينهزم إبليس وجنده ، ويأخذ الخلق من أيديهم. فَفَجَّرْ في قلبك بركان الغيرة ، واحمل هموم جيل يُعاني من الحيرة ، قال جعفر بن سليمان: [سمعت مالك بن دينار يقول: لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم ، ولو وجدت أتباعاً لفرقتهم ينادون في سائر الدنيا كلها: النار النار]. ولك في رسولك أسوة ، وفي منهجه قدوة ، حين خاطب: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ) [وإنها لكلمة عظيمة رهيبية ، تنزعه من دفء الفراش في البيت الهادئ ، والحضن الدافئ ، لتدفع به في الخضم بين الزعازع والأنواء ، وبين الشدّ والجذب في ضمائر الناس ، وفي واقع الحياة]. فيا من حملت الكتاب المنزل على محمد ، هذه حياة محمد ، ويا من أخذت ميراثه هذه تركته ، فأحمل وتحمل وغير مفاهيم نفسك يتغير كل ما حولك. * ثانياً: الصفات المطلوبة واقعيًا ومهنيًا

وهي من باب الإعداد المأمور به في قوله - عز وجل - : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة).
1 - المظهر الحسن ، والملبس النظيف ، والهندام الطيب ، والرائحة الزكية ، فاللباس من أول الأشياء التي تعطي انطباعاً للآخرين عن لابسها مبدئياً ، فليراع لونه ، وبساطته ، ونظافته ، وتناسقه ، وقبل هذا كله شرعيته مع أناقة غير مبالغ فيها. 2 - حسن التصرف في المواقف بلباقة اجتماعية ، وحضور سريع ومنطق حسن. فإن المنطق واللسان يُعدان معياراً من معايير تقويم الشخصية ، لذا فلعلك توافقتي أن من واجبات المعلم أن يحفظ منطقه ولسانه ، فلا يسمع منه الطلاب إلا خيراً ، وحتى حين يعاتب أو يحاسب ، فلا يليق به أن يتجاوز ويرمي بالكلمات التي لا يبالي بها. ولنن كانت الكلمة الطيبة تترك أثرها في النفوس ، فالكلمة الجارحة تهدم أسوار المحبة ، وتقضي على بنياتها. ولنن كنا لا ندرك بدقة أثر ما نقوله على الناس فالناس لهم مشاعر ، واعتبارات ينبغي أن نرعاها. 3 - حسن التعاون مع الإدارة حتى تتناغم الجهود كلها ولا يعاكس بعضها بعضاً ، فحقيقة المطلوب منه التناغم لا التصادم والتأزر لا التناحر.
4 - الجدية في العمل ، فالمعلم الجاد يمتلك ناحية الإعجاب والقبول من الجادين والباذلين ولو ندهم. 5 - قوة الشخصية ، يعجب الطالب بالمعلم قوي الشخصية ، وليس المقصود المصادمة فقوة الشخصية شيء محبب للطالب بعكس صاحب المصادمات مع الطلاب. 6 - معرفته لقدرات تلامذته وإدراكهم العقلي: فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول لأبي هريرة - رضي الله عنه - حين سأله عن الشفاعة: "لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث". (رواه البخاري)! فهو صلى الله عليه وسلم يعلم أن تلميذه أبا هريرة - رضي الله عنه - من أحرص أصحابه على الحديث ، ويظن أن يسبقهم بالسؤال ، ويقول صلى الله عليه وسلم: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقروهم أبي ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح". (رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد).
أفليس هذا مظهراً من مظاهر إدراكه صلى الله عليه وسلم لمدارك واستعدادات أصحابه؟ أفلا يجدر بمن يتأسى بمنهجه ، ويقتدي بهديه في التعليم أن يعنى بالتعرف على قدرات تلامذته ، ومدى حرصهم واستعدادهم؟ إن معرفة المعلم لتلامذته تنعكس على تدريسه وعطائه ، فالذي يعرف تلامذته معرفة دقيقة هو القادر أن يعلمهم ما يحتاجون إليه ويتناسب معهم ، وهو القادر على توجيههم للتخصص المناسب ، وعلى الإجابة الدقيقة عن تساؤلاتهم ، وهو القادر أيضاً على العدالة والدقة في تقويمهم وإعطائهم الدرجات التي يستحقونها. 7 - التشويق والتنويع في عرض المادة: فهو صلى الله عليه وسلم أحياناً يطرح المسألة على أصحابه متسائلاً: أتدرون ما الغيبة؟ (رواه مسلم). "أتدرون من المفلس؟" (رواه مسلم). "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟" (رواه البخاري ومسلم). ولا شك أن السؤال مدعاة للتفكير وتنميته ، ومدعاة للاشتياق لمعرفة الجواب مما يكون أرسخ في الذهن. وأحياناً يغيّر نبرات صوته ، فكان إذا خطب احمرّت عيناه ، وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم! (رواه مسلم). وأحياناً يغيّر جلسته كما في حديث أكبر الكبار: وجلس وكان متكناً فقال: "ألا وقول الزور!!" (رواه البخاري ومسلم). فنهدي هذه القيسات إلى كل معلم حبس نفسه في إطار قوالب جامدة ، وأساليب موروثية ، فحول الأسلوب هدفاً ، والوسيلة غاية. 8 - استعمال الوسائل التعليمية: أ - فهو صلى الله عليه وسلم يشير تارة كقوله: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا" وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً. (رواه

البخاري). وقوله: "الفتنة هاهنا" وأشار إلى المشرق (رواه البخاري ومسلم). ب - وتارة يضرب المثل ، أو يفترض قصة كما في قوله: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً" (رواه البخاري). وكما في قوله صلى الله عليه وسلم: "لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحرُّ والعطش أو ما شاء الله ، قال: أرجع إلى مكاني ، فرجع فنام نومة ، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده". (رواه البخاري ومسلم). ج - وتارة يستعمل الرسم للتوضيح فقد خطَّ خطاً مربعاً ، وخطَّ خطاً في الوسط خارجاً منه ، وخطَّ خطاً صغيراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ، وقال: "هذا الإنسان ، وهذا أجله محيط به ، أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله ، وهذه الخطط الصغار الأعراض ، فإن أخطأه هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا". (رواه البخاري). د - وأحياناً يحكي قصة واقعية من الأمم السابقة ، كما في قصة الثلاثة الذين آوهم المبيت إلى غار فدعوا الله بصالح أعمالهم (رواه البخاري ومسلم) ، وقصة الذي قتل تسعة وتسعين إنساناً (رواه البخاري ومسلم) ، وأمثلتها كثيرة. أه - وأحياناً يربط المعنى المعقول بالصورة المحسوسة ، فينظر مرة إلى القمر ليلة البدر ثم يقول: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ: [وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب]. (رواه البخاري ومسلم). وقال لعلي - رضي الله عنه -: "قل: اللهم اهدني ، وسددني واذكر بالهدى هدايتك الطريق ، وبالسداد سداد السهم". (رواه مسلم). فاستعماله صلى الله عليه وسلم لما أتيت في عصره من وسائل ، يعني لنا أن من تمام الاقتداء بهديه صلى الله عليه وسلم أن نستعمل خير ما تفتق عنه العصر من وسائل وأساليب حديثة في التربية والتعليم ، مادامت مباحة. 9 - مراعاة نشاط الطلاب واستعدادهم: ويدل لهذا المعنى ما رواه ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا. (رواه البخاري ومسلم)! أما الذين يشعرون أن التعليم يقف عند سرد معلومات جافة ، فلا يعينهم مدى استعداد الطالب ، وتهينه للتعليم فأولئك بعيدون كلَّ البعد عن هدي المعلم الأول صلى الله عليه وسلم ، إن المتعلم ليس آلة صماء تستقبل كل ما يرد إليها ، بل هو بشر له قدرات محددة ، وغرائز ، وصفات بشرية لا بد من مراعاتها. 10 - فن التودد ، فالبر شيء هين: وجه طليق ؛ وكلام لين. فالتجهم والعبوس يمثلان حواجز عالية بين المعلم وطلابه ، وينسفان جسور المودة ، والوجه هو مرآة صاحبه ، قال تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ) ، وقال سبحانه: (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ) ، وقال صلى الله عليه وسلم: [تبسمك في وجه أخيك صدقة!] فليتصدق المعلم على طلابه ، وليوقن أن طالبه قبل أن يقرأ عليه آيات ربه ، يقرأ أولاً ملامح وجهه ، وسطور جبينه. وليحذر المعلم من ابتسامه ساخرة تخرج مية فتصيب الآخرين بالإحباط والصدود). هـ. وأعلم علم اليقين أن هذه الاقتباسات لا علاقة لها بموضوع القصيدة الذي هو نقد سلوك الموجهين والباحثين الذين يختارون المعلم لمعايير لا أساس لها من الصحة ولا ينبغي أن تكون في المعلم ابتداءً! ولكنني عمدتُ إلى إفادة القارئ خاصة إن كان معلماً أو موجهاً تربوياً! ويضاف إلى ذلك أنني شاعر

معلم! ومن هنا جاء اهتمامي بتقويم وتقييم منظومة التعليم ، ووضع الأيدي على الخلل وطرق العلاج والتداوي بهدف إصلاح المعلم والمتعلم ومن يختارون المعلم! وإذا تم اختيار المعلمين على هذا الأساس فأنا على يقين أن أحوال المجتمع سوف تنضب ، ويخرج جيل مؤمن موحد حريص على رقي مجتمعه والنهوض به والوصول به إلى أسنى درجات الرقي والازدهار! ومن هنا فإنه ينبغي علينا أن نعلم أن للمعلمين - الذين هذه صفاتهم وهذا عطاؤهم - حقوقاً تناولها في مقال عنوانه: (حقوق المعلمين الأحرار على الأمة) الأستاذ العلامة محمد البشير الإبراهيمي ، فقال ما نصه بتصريف زهيد: (ونعني بالمعلمين هذه الطائفة المجاهدة في سبيل تعليم أبناء الأمة لغتهم ، وتربيتهم على عقائد وقواعد دينهم ، وطبّعهم على قالب من آدابه وأخلاقه. نعني هذه الطائفة الصابرة على مكاره الحياة كلها ، المحرومة من الراحة والاطمئنان في جميع أوقاتها ، فهي في الشتاء تشقى وتتعب ، وفي الصيف تضحى وتتصب ، وفيما بين ذلك تكابد وتعاني ، على ضيق من العيش ، وهناك فوق ذلك كله فقداناً للحافز من الرغبة والتشيط ؛ فلا مسكن مريح ، ولا شمل مجموع ، ولا شتات أمر منتفى ، ولا مرتب كاف يسدّ الضرورة ، ويقوّي الضعيف ، ويخففّ الهم ويصونّ الهمة عن التبذل. هذه الطائفة هي عماد المجتمعات في أجلّ وظائفها ، وهي التريفة والتعليم ، وهي العصب المدبّر لحياة هذه الحركة النهضوية المباركة. ولو كان لمدارسنا مددٌ ثابتٌ من الأغنياء ورجال الأعمال وحقّ الله في أموالهم لجعلناه بعض ما نبني عليه في التوسيع على المعلمين ، وإزاحة بعض علّهم ، ولكننا هزّنا هؤلاء الأغنياء بما يهتزّ له الكرام فلم تسقط منهم ثمرة ، ورقينا لعاهة الشخّ فيهم باسم الله وباسم الدين والوطن ، وناشدناهم الله في هذا الجيل المُقبل أن يحلّ به ما حلّ بهم من جهل ، يصحبه هوان ، يصحبه شر مستطير ، فلم ينزل عفريتٌ بخلهم لِرُقِيّةٍ ؛ وبقيت مواردُ المدارس - لغيبة الأغنياء عن ميدان البذل - محدودةً مقترّة ، تتراجع ناضبة ، حتى أصبحت لا تبتلّ من جفاف ، ولا تقوم بكفاف ؛ وإذا لم يكن الغيث هامياً فلا ترجُ أن يكون النبت نامياً. نوجّه بعض العتب إلى أهل القلوب الرحيمة والأيدي السخية من أصحاب الأموال أن يكون لأموالهم أثرٌ يذكر في حلّ هذه الأزمة التي شغلنا التفكير فيها عن التفكير في توسيع دائرة الحركة وتكميل نقائصها ؛ ولو أنهم كانوا أكثر جرأة مما هم عليه لما توقفوا عند كل فترة يأنسونها من الجمهور ؛ فليعلموا أن كل تقصير يقع منهم في هذا الواجب فمصيبته تقع على المعلمين البائسين ، وأنا لا نسمح بأن يكون تفريطهم على حساب هذه الطائفة المجاهدة ، ولا نرضى أن تكون خاتمة أعمالهم فشلاً وخيبة ، ولا أن يكونوا هم السبب أو بعض السبب فيما يصيب هذه النهضة العلمية من خمود أو تراجع. إن الموانع لكثيرة ، وإن العوائق عن الخير لوفيرة ؛ وشرّها ما عاق عن العلم والدين ، ووقف عثرةً في طريقهما ، ولكنها عند الرجال مصاعب سهلة التذليل ؛ لأنهم يعتبرونها عوارض تزول ، وأحوالاً تتحول ؛ فيكون فهمهم لها وتصورهم إياها على حقيقتها أكبر أعوانهم عليها ؛ فيلقونها بالهمم النافذة ، والتصميم الخارق ، والصبر الثابت ، حتى تنقشع غمتها ، وتسلم المقاصد الذاتية. وإذا هاج البحر ، وعصفت عواصفه فالغرق عارض ، والسلامة هي الأصل ، وما على الرّبان الحاذق المتأثر بهذه الحقيقة إلا أن يعالج الشدّة بدوانها فيعالج الفزع بالصبر ، والعواصف بحسن التصريف لها ، وإلحاح الأمواج بإلحاح العزيمة ، فإذا هو ناج سالمٌ محررٌ لمهجته وسفينته. ولكن هذا كله كلام لا يجلب المنام ، ولا يغني عن الطعام ، ولا يكسو العظام ، ولا ينعل الأقدام). هـ. وربما عنى الإبراهيمي أهل زمانه وحال المعلم بينهم! فكيف بزماننا اليوم وقد ازداد الحال سوءاً وإلى الله المشتكى وعليه

التكلان! وقد تحدث الأستاذ عبد الرحمن اليحيى عن حقوق المعلم فقال ما نصه بتصريف: (مهما نال المعلم من حقوق ومهما كانت مكافأته مجزية فإنه في الحقيقة يعطي أكثر مما يأخذ وإذا أردنا أن نعرف دور المعلمين في المجتمع فلننظر إلى المسافة بين الأمي وبين خريج الجامعة وهي من صنع المعلمين! والمطلوب من الجميع دعمان دعم معنوي ودعم مادي، ومنها على سبيل المثال: * الاحترام وحفظ العهد ورعاية الحق أمر مطلوب ومن شكر الله شكر كل ذي حق فقد أمر الله عباده بالوفاء وقد أمرنا الله بشكره وشكر الوالدين فما بالك إذا كانت النعمة نعمة العلم التي عرف بها الطالب كيف يتوضأ وكيف يغتسل وكيف يصلي وكيف يركع؟ إن الطالب الموفق الرضي البار هو من يعرف حق المعلم (كاد المعلم أن يكون رسولا) * عدم ضغط المعلم الجديد في بداية الأمر حتى يألف العمل لأنه إذا ضغط نفر. * تخفيض جدول المعلم الكبير في السن والذي قد أمضى فترة طويلة. * مراعاة وضع المعلم الصحي. * رفع صلاحيات الضرب غير المبرح أسقط هيبة المعلم بين الطلاب لأن مقاومة سوء الأخلاق والتربية بالعقلانية وبالتوجيه والتوعية لا قيمة له ما لم يُحط بعقوبات! وهذا يولد عادات وسلوكيات أشد مما نفر منه. * فتح مجال تبادل الخبرات بين المدارس لتطوير خبرات المعلم فلا يترك عشرين سنة في مدرسة واحدة، بل يكون هناك تنقلات بين المدرسين بشرط أن تكون في نطاق عملهم. * جعل محفزات مالية ومعنوية للمعلم الذي يحصل على دورات تطوّر مستواه فبعضهم يحرض على التقدير المعنوي أكثر من المالي والعكس كذلك. * تحسين مستواه الوظيفي فيجعل هناك سلم للمعلمين وعليه محفزات مالية ومعنوية بحسب اجتهاد المعلم. * تكريم المعلم في المناسبات سواء في الحي أو في المنطقة وذلك من قبل أولياء الأمور والطلاب، ويزار إذا مرض وبنوه بدوره أو من قبل الإدارة. * ينبغي أن يعطى المعلم المستجد دورة في التعامل مع الطلاب لأن الكتب التربوية غير وافية وهي بعيدة كل البعد عن واقع التعليم ألفها أناس لم يمارسوا العملية التعليمية أصلاً! فتحدث أقوام عن كثير من الأساليب التربوية وليس عندهم خلفية عنها!). هـ. ألا فلينتبه للمسؤولية كل من بأيديهم اختيار المعلمين! لأنها أمانة كبيرة، وهناك سؤال بين يدي الله يوم القيامة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يُحدّثُ القومَ، جاءه أعرابيٌّ فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحدّثُ، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال: "أين السائل عن الساعة؟" قال: "ها أنا يا رسول الله!" قال: "إذا ضيَّعت الأمانة فانتظر الساعة". قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: "إذا وسدَّ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة". [أخرجه البخاري]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أدَّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تحنَّ من خانك". [أخرجه الترمذي وأبو داود]. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ الخازنَ المسلمَ الأمينَ الذي يُعطي ما أمرَ به، فيعطيه كاملاً موفِّراً، طيِّبَةً به نفسُهُ، فيدفعُهُ، إلى الذي أمرَ له به، أحدُ المتصدِّقين". [هذه رواية البخاري ومسلم وأبي داود]. ورواية النسائي قال: "المؤمنُ للمؤمن كالبنيان يشُدُّ بعضُهُ بعضًا"، وقال: "الخازنُ الأمينُ الذي يُعطي ما أمرَ به طيِّبًا به نفسُهُ، أحدُ المتصدِّقين". وعن حذيفة رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا: "أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَدْرٍ - أَسْلٍ - قُلُوبِ الرَّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ"، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: "يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةَ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرَهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ - يَعْنِي يَبْقَى فِي قَلْبِ

الرجل أثراً يسيراً للأمانة - ثُمَّ يَنَامُ النُّومَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجَلِّ - أثر قليل جداً حتى وكان الأمانة فقدت من القلوب - كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رَجْلِكَ فَفَنِطَ ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً ، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَّبِعُونَ ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُودِي الأمانة ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا ، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ ، وَمَا أَظْرَفَهُ ، وَمَا أَجْلَدَهُ ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ " ، وَلَقَدْ أَتَى عَلِيَّ زَمَانٌ وَمَا أَبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ لَنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ الْإِسْلَامَ ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أَبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا" [متفق عليه]. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ قَالَ انْتَبِي بِالشُّهُودِ أَشْهَدُهُمْ عَلَيْكَ قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا قَالَ: فَأَتَنِي بِكَفِيلٍ قَالَ : كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا قَالَ: فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى: فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ وَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ التَّمَسَ مَرْكَبًا يَفْقَدُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَلُهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا الدَّنَائِيرَ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهَا ثُمَّ سَدَّ مَوْضِعَهَا ثُمَّ أَتَى بِهَا الْبَحْرَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي تَسَلَّفْتُ مِنْ فُلَانٍ أَلْفَ دِينَارٍ وَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا فَرَضِي بِكَ وَسَأَلَنِي شُهُودًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا فَرَضِي بِكَ وَقَدْ جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثَ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ثُمَّ انصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَطْلُبُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ سَلَفَهُ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ فَأَادَا هُوَ بِالْخَشَبَةِ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطْبًا فَلَمَّا كَسَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ ثُمَّ قَدِمَ الرَّجُلُ فَأَتَاهُ بِالْأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلْبِ مَرْكَبٍ لَاتِيكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ فَقَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ آدَى عَنْكَ فَانصَرَفَ بِالْأَلْفِ دِينَارٍ رَاشِدًا". [أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ]. وَمَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِرَاعِي غَنَمٍ ، فَقَالَ: يَا رَاعِي الْغَنَمِ هَلْ مِنْ جَزْرَةٍ؟ قَالَ الرَّاعِي: لَيْسَ هَا هُنَا رَبُّهَا ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَقُولُ : أَكَلَهَا الدُّنْبُ ، فَرَفَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : فَأَيْنَ اللَّهُ ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَأَنَا وَاللَّهِ أَحَقُّ أَنْ أَقُولَ: فَأَيْنَ اللَّهُ ؟ فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِي وَاشْتَرَى الْغَنَمَ فَأَعْطَاهُ الْغَنَمَ". وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَكُلْ مِنْ وَكُلْ إِلَيْهِمْ اخْتِيَارَ الْمُعَلِّمِينَ مَسْئُولُونَ! يَقُولُ الْأُسْتَاذُ إِبْرَاهِيمُ أَبُو غَزَالَةَ فِي أَهْمِيَةِ خُلُقِ الْأَمَانَةِ لِمَنْ يَتَصَفُّونَ بِهِ مَا نَصَحَهُ: (إِنَّ لِلْأَمَانَةِ أَهْمِيَةَ كَبِيرَةً فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ، فَالْأَمَانَةُ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِ الْمُسْلِمِ وَحُسْنِ إِسْلَامِهِ: فَالْأَمَانَةُ تَدُلُّ عَلَى التَّرَامِ الْمُسْلِمِ الْعَمَلِيِّ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الْأَحْكَامِ ، وَأَنَّهُ يَعْتَقِدُ صِلَاحِيَةَ مَا جَاءَ بِهِ اللَّهُ لِيَكُونَ شَرِيعَةً يَنْتَهِجُهَا فِي حَيَاتِهِ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي أَنْ يَدَعَ مِلْدَاتِهِ وَشَهْوَاتِهِ. وَالأَمَانَةُ تَدْعُو لِحِفْظِ الدِّينِ ، وَأَدَاءِ حَقُوقِ اللَّهِ عِزِّ وَجَلِّ: فَالْأَمَانَةُ كَمَا فِي مَعْنَاهَا الْإِصْطِلَاحِي تَعْنِي الْإِتْرَامَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَافْتَرَضَهُ عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ تَكَالِيفٍ وَفَرَائِضٍ وَوَأَجِبَاتٍ ، لِذَلِكَ فَإِنَّ الْإِتْرَامَ بِالْأَمَانَةِ يَعْنِي الْإِتْرَامَ بِكُلِّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَفَرَضَهُ عَلَى عِبَادِهِ. الْأَمَانَةُ دَلِيلٌ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ وَتَمَامِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ عِنْدَ الَّذِي يَتَحَلَّى بِهَا: فَالْمُسْلِمُ إِنْ تَحَلَّى بِالْأَمَانَةِ لَا يَدَّ أَنْ يَتَحَلَّى بِبَاقِي الْأَخْلَاقِ ، الَّتِي هِيَ بِالنَّاتِجَةِ تَنْدَرِجُ تَحْتَ خُلُقِ الْأَمَانَةِ ، فَالصِّدْقُ جِزْءٌ مِنَ الْأَمَانَةِ ، وَحِفْظُ الْعَهُودِ وَالْمَوَاتِيقِ مِنَ الْأَمَانَةِ ، وَصُونَ أَعْرَاضِ النَّاسِ مِنَ الْأَمَانَةِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالْفَضَائِلِ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي ذَلِكَ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ). وَالَّذِي يَتَحَلَّى بِالْأَمَانَةِ يَصِلُ إِلَى حُبِّ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَحُبِّ النَّاسِ وَاحْتِرَامِهِمْ: فَإِنَّ الَّذِي يَتَحَلَّى بِالْأَمَانَةِ يُحِبُّهُ اللَّهُ ، وَخَيْرُ دَلِيلٍ وَشَاهِدٍ عَلَى ذَلِكَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ أَهْلُهُ وَعَشِيرَتُهُ حَتَّى قَبِلَ أَنْ يُبْعَثَ بِالرِّسَالَةِ لِأَمَانَتِهِ وَصِدْقِهِ. الْأَمَانَةُ صِفَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَهْمَةِ الَّتِي تُؤَدِي إِلَى حِفْظِ حَقُوقِ النَّاسِ وَتَأْدِيبَتِهَا وَقَتِ حَاجَتِهِمْ لَهَا: فَالْأَمَانَةُ بِمَفْهُومِهَا الْعَامِ

تعني تأدية الحقوق لمن استأمنك عليها وقت حاجته لها تامة غير ناقصة ، وهي صفة مهمة في التعامل بين الناس ، إذ تؤدي لأن تسود الثقة والألفة فيما بينهم. الأمانة تؤدي إلى حفظ الأعراض والأموال: فالذي يتحلّى بالأمانة يدرك أنّ من الأمانة أن يحفظ أعراض الناس فلا يكشفها ولا يفضحها ، فضلاً عن أن ينتهكها ، أو يرتع فيها. الأمانة تؤدي بأصحابها إلى الفوز بالأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى ، وذلك لعظمتها عند الله ، وثقلها على المسلم الذي تحمّل وجود المذات ، ثم امتنع عنها محبةً في الله ورغبةً فيما عنده. الأمانة طريقٌ لحفظ العلوم والمعارف: فإن الأمين يدرك أنّ من الأمانة إيصال ما تعلّمه من العلوم والمعارف إلى طلاب العلم دون تحريفٍ أو تزيف ، مما يؤدي إلى حفظ العلوم وبقائها. الأمانة من العوامل نشر الأمن في المجتمع: حيث بالأمانة تنتشر الثقة بين الناس ويحسنُ التعامل ، وتظهر الأخلاق الحميدة ، ويأمن الناس على أموالهم وممتلكاتهم وأعراضهم. الأمانة تؤدي إلى تصالح الفرد مع نفسه ورضاه عنها: فالأمين يعي جيداً قيمة الأمانة وأثرها على نفسه ومجتمعه مما يجعله يرضى عن نفسه ويحب أعماله ، وبالتالي ينعكس ذلك على رضا المجتمع عنه. الأمانة صفةٌ إن وجدت في المسلم ستنتفي معها جميع الصفات السيئة عنه: وأهم الصفات التي تنتفي بوجود الأمانة الخيانة ، والغدر ، والكذب والنفاق ، والفحش بالقول أو العمل ، وغير ذلك من الصفات السيئة ، حيث إنّ الأمانة تدعو للتخلي بالأخلاق الحميدة ونبذ السيئ من القول والعمل).هـ. وفي محاضرة له يتناول الدكتور محمد العريفي الأمانة فيقول: (مر عمر رضي الله تعالى عنه يوماً يعس وعمر رضي الله تعالى عنه كان حريصاً على ضبط الناس في أموالهم وسوقهم وبيعهم وشرانهم فمر بأحد البيوت والليل ساكن وإذا امرأة هي وابنتها يبيعون اللبن كل صباح بعد الفجر يخرجون يبيعون اللبن للناس فهم في الليل يقسمون هذا اللبن ويجزئونه ويجهزونه للبيع. وإذا الأم تقول لابنتها: يا ابنتي شوّبي اللبن بالماء اللبن! أي اخلطي معه ماءً بدلاً من أن يكون اللبن قربة واحدة يكون قربة ونصفاً أو قربتين ، حتى نبيع أكثر قالت: شوبي اللبن بالماء! قالت: يا أمي أفلم ينهي أمير المؤمنين عن خلط اللبن بالماء؟ والمعنى: هذا غش ولا يجوز أن نبيع اللبن بهذه الطريقة ، وليس كل الناس يذوق اللبن عندما يشتري ، إنما يذوقه في بيته ، فهو لا يكتشف الغش إلا عندما يذهب إلى بيته. قالت: ألم ينهي أمير المؤمنين عن أن يشاب اللبن بالماء؟ قالت: يا ابنتي أمير المؤمنين لا يراك. لا ، بل اخلطيه حتى يزداد رزقنا ونربح أكثر! فقالت لها: يا أمي إن كان عمر لا يرانا ، فإن رب عمر يرانا. والمعنى: إذا عمر لا يرانا ، فنحن عندنا من الإيمان والخوف والتعظيم لربنا ما هو أعظم من تعظيمنا وخوفنا من عمر ، فإذا عمر نهى عنه لأنه غش فنحن نخاف من الله أكثر من خوفنا من عمر نعم (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) (لا إيمان لمن لا أمانة له). وكان نبينا صلوات ربي وسلامه عليه يوصف بأنه الصادق الأمين حتى قبل أن يوحى إليه بالرسالة عليه الصلاة والسلام كان أميناً في تعامله مع الناس كل الأنبياء ذكرهم الله تعالى في القرآن ووصفهم الله جل وعلا أنهم قالوا لقومهم (إني لكم رسول أمين) قالها صالح لقومه (إني لكم رسول أمين) قالها لوط لقومه (إني لكم رسول أمين) قالها نوح لقومه (إني لكم رسول أمين) قالها شعيب لقومه (إني لكم رسول أمين). وكان نبينا صلوات ربي وسلامه عليه الذي يتأمل في حياته يعلم أن الأمانة سبيل لزيادة الرزق ، وليس لنقصه! هذه الفتاة التي صارت أمينة ، وقالت: إن كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا حفظ عمر الباب ثم سأل عن البيت من غده قال: البيت الفلاني في الحارة الفلانية من هم؟ قالوا: هم آل فلان قال: عندهم فتاة هل هي متزوجة؟ فسألوا فإذا هي ليست متزوجة

فخطبها عمر رضي الله تعالى عنه لابنه عاصم فتزوجت الفتاة ابن الخليفة ثم ولدت بنتاً وهذه
 البنت ولدت عمر بن عبد العزيز! انظر البركة كيف تكون بالأمانة).هـ. ومن هذا المنطلق فإنني
 أنصح لمن وكل إليهم أمانة اختيار المعلمين ، أن يحرصوا على اختيار المعلمين والمعلمات
 الأكفاء الجيدين الممتازين ديناً وخلقاً وعلماً! وليستيقنوا أن الله سوف يسألهم يوم القيامة عن
 كل معلم اختاروه! اللهم إني قد بلغت اللهم فاشهد!

ضل الجهول ، وخاب من يتشدد
 خابت نفوس - في الضلالة - أوغلت
 قتل الذين - على كرامتنا - قضا
 لم يرقبوا في مؤمن إلا ولا
 وتذرعوا بغلوهم فيمن علا
 كم غرهم حلم المليك ومنة
 كم من عميل عاش في قعر الخنا
 جهراً يناصر كل وغد مثله
 ويبعثر القيم الأصيلة هازلاً
 لم يمثّل أمر المليك وشرعه
 لم يحترم ديناً ، فخان أمانة
 وله - ببحر الغدر - أشرس جوقه
 لم لا يتاجر في الأنام بلا حيا
 لم لا يحارب - في الحنيفة - أهلها
 لم لا يناصر - في الدنا - أهل الهوى؟
 لم لا يشن الحرب يزكي نارها
 هو قد تحكّم في الديار وأهلها
 قد مكّنوه لكي يثبت باطلاً
 وسيقصم الجبار من يتفهيق
 وتفيات ناراً تبيد وتحرق
 وعلى شهامتنا الأبيّة أطبقوا
 من ذمة ، وعلى الورى لم يشفقوا
 وتساحوا بالكبر ، ثم تعمقوا
 حتى طغوا ، وتمردوا ، وتزندقوا!
 بالزور فينا عابثاً يتشدد!
 ويدلس الأخبار ، ثم يلفق
 ويكل غهر - في الدنا - يتعلق
 سار التقى غرباً ، وذاك يشرق
 وله أعد السيف ثم الفيلق
 تُردى السلام ، لها العلا والزورق
 هذا الذي للحي الرجولة يحلق؟
 ويناوي المستمسكين ، ويسحق؟
 لم لا يعاند صفنا ، ويمزق؟
 ضد الهدى ، ويعين من هو يفسق؟
 حتى غدت - من كل خير - تمرق
 والجهل - في شذقيه - غلّ مطبق

وهو الغراب بكل غمطٍ ينعق!
كالفرخ بالبرق المصارع يُصعق
وحقوقُ أهل العلم - عمداً - تُسرق
ويقول: كيف العُرفُ جهراً يُخرق؟
وهي التي بالأمس كانت تُشرق
وإذا علا هِرِّيموثُ السودق!
ومِدادُها - في كل صُقع - يُمحق
وفؤادُها - خلف الربا - يتحرق
ودموعُها - من حزنه - تتدفق
وبغى الأسافل ، ثم حل المأزق
في الوحل بنس الحال! بنس المنطق!
يُقلبي ، وجمهورُ العمالة يسبق؟
شهماً على أبنائه يتصدق
يختال إن وجد الدراهم تبرق
ورمى العهد ، ومنه فرّ الموثق
مثل ، وقبلة الهوى والفندق
وبكل ألوان الضلالة ينطق
وإذا رأى أنثى يهيج ويعشق
أمسى - على نار التحسّر - يشهق
ذاك الذي عن ظله لا يفرق؟!
وعلى نواقيس الغواية يطرق؟
جمع الفلوس ، ففي صداها يغرّق؟

ورأوه مأموناً على أجيالهم
وتلمل التعلِيمُ في وكناته
يبكي الثقافة ، كيف شُرِدَ أهلها!
يستصرخ القمم العليّة جُنْدت
يبكي على شمس المعارف أخدمت
يبكي على الآداب واراها الثرى
يزجي الدموع مؤبّثاً كُتب الهدى
يشكو العلوم تلعثت خطواتها
ويُسائل الأجيال كيف تعلمت؟
أسفاً على القيم النبيلة جُنْدت
ينعي المعلم كيف مُرغ شأنه
مَن كان قد جمع العلوم بقلبه
متطفلاً يحيى المعلم راجياً
مِن بعد أن حاز الوظيفة جاهلاً
حيزت له الدنيا ، فعربد لاهياً
عجباً يُمكن مَن أبوجهل له
والجهل فيه طبيعة وجبالة
وإذا رأى الدينار سعال لعابُه
وإذا يفتوت النذل حظ لقيمة
أعلمم هذا يُعلمم جيلنا
أم ذاك مرتزق ، بضاعته الخنا
أعلمم مَن كان كل مراده

وإذا تكلم في الورى لا يصدق
في كفهها طبل الهراء معلق!
وعلى شراك الكيد باب مغلق
وخطاه أوثقها الغشا والمزلق
وعلى امتداد الدرب شوكة مخدق
فله سيات تسبّد وتحنق
وهناك - في اليسرى - تبدى البندق
والى عشية عتقه يتشوق
فأراه - في سحب الأنين - يحولق
في كل مدرسة تربّع بيدق
ولهم نجوم - في الدنا - تتألق
ولهم عطور - في المجالس - تعبق
في كل وجه تحويه ، وتخنق
أمست تتابع سيرنا وتحملق
حصد الفلوس ، وفي جناها تعرق
وأقام قبر عفافها (المستشرق)
واختط سيرتها جهاراً (عفاق)
فنصيحتي - بندى الصفا - تترقرق
وأنا الذي - في الحق - ليس يُزوق
أن المعلم - كالهازر - يُشقشق
فهو الذي بعفافه يتخالق

كلا ، معاذ الله ، هذا مقلّس!
يا خبيبة التعليم خصّ بجوقة
وهناك في الأخرى بخور فائح
أسفي على العلم استبيحت داره
والغل طوق جیده متشفيأ
وتجبر الجلاذ يلهب ظهره
في كفه اليمنى سيات جمعت
أبدأ تدميه السيات ، فيشتكي
أبدأ تجرعه الهوم سُمومها
وليهنأ الفساق ، صاروا سادة
ولهم - برغم الأنف - أسمى عزة
ولهم رصيذ - في البنوك - مكدس
ولهم قيود - في المعاهد - أشرعت
ليست تريد لغيرها عيشاً ، لذا
من فجرها الليل تكدح ترتجي
إبليس ألهمها عبادة درهم
وأحاله شرع الطواغي ردة
إني عليهم لست أحقد طرفة
لو كنت أحسدُهم ، لميت لتركهم
لكن أردت هنا بيان حقيقة
يُعطي العلوم ، وثم يمنح خلقه

عَبْدُ الَّذِي يُعْطِي الْأَنْفَامَ وَيَخْلُقُ
قَشَعِ الظَّلَامِ ، لَهُ فَتِيلٌ مُشْرِقٌ
بِالْعِلْمِ - بَعْدَ الدِّينِ - عَزَّ الْمَشْرِقُ
قَدْ حَاطَهُ - لِلرَّاعِبِينَ - الزَّبِيقُ!
لِلدَّارِسِينَ يَرِيدَ مَنْ يَتَفَوَّقُ
لِيُودَعَ الدُّنْيَا الظَّلَامُ الْأَخْرَقُ
مُتَطَيِّبِ الْقَطْرَاتِ ، بَلْ هُوَ أَعْتَقُ
وَهُوَ الْحَرِيُّ بِكُلِّ مَا هُوَ أَلِيقُ
وَمَعِينَهَا إِلَّا الَّذِي هُوَ أَسْبِقُ
عَنْ زُخْرَفِ الدُّنْيَا فَحْتَمًا يُخْفِقُ
وَالسِّيَ تَكْسِبُ رِزْقَهُ يَنْطَرِقُ
وَأَدَمُ - عَلَى الْمَجْهَالِ - دَمْعًا يَفْهَقُ
أَمْسَى لَهُمْ نَصْحِي رِياضًا تَوْرُقُ
وَبِكُلِّ تَذْكَيرٍ بِخَيْرٍ رَوْنِقُ
يَعْمَلُ يَوْفَقُ ، إِنْ هَذَا أَعْبَقُ!
فِيهِ السَّلَامَةُ وَالْأَمَانُ الْمَطْلُقُ
وَالكُونُ هَذَا فِيهِ كَلٌّ يُرْزَقُ
فِيهَا الْعُرُوسُ يَزِينُهَا الْإِسْتَبْرَقُ
قَطْعًا نَعِيمِ الْعَيْشِ فِيهَا يُغْدَقُ
كُلَّ الْعِنَا ، وَعَلَى الدُّنْيَا يَبْصِقُ
وَمَكَارَهُ الْجَنَاتِ - جَدًّا - تَقْلِقُ
لِلْخَيْرِ ، ثُمَّ - عَلَى الْحَنِيفَةِ - يُنْفِقُ

هُوَ لَيْسَ عَبْدًا لِلْفَلَّوْسِ ، وَإِنَّمَا
إِنَّ الْمَعْلَمَ كَالسَّرَاجِ إِذَا بَدَا
هُوَ لِلْحَيَاةِ أَرِيحُهَا وَعِمَادُهَا
كَمِ لِلْمَعْلَمِ مِنْ رِسَائِلِ فَضْلِهَا
وَيَزْفُ أَحْلَى الْأَمْنِيَّاتِ رَطِيبَةَ
كَالشَّمْعَةِ الزَّهْرَاءِ تَحْرَقُ نَفْسَهَا
كَالنَّحْلَةِ انْطَلَقَتْ لِتُهْدِيَ شَهْدَهَا
وَلَهُ الْمُنَاقِبُ لَا سَبِيلَ لَوْصَفِهَا
وَلَهُ الْفَضَائِلُ لَا يَنَالُ مَرَامَهَا
وَإِذَا الْمَعْلَمُ لَمْ يَكُنْ مَتَرَفَعًا
وَإِذَا الْمَعْلَمُ كَانَ يَجْهَلُ دِينَهُ
كَبَّرَ عَلَيْهِ كَمَا تَوَدَّعَ مَيْتًا
لَمَّا رَأَيْتُ جَمِيعَهُمْ فِي مَشْهَدٍ
وَجْهَدْتُ فِي تَذْكَيرِهِمْ بِشَرِيْعَتِي
قُلْتُ: اْعْمَلُوا لِحُجْرَانِ رَبِّي إِنْ مَنَ
وَتَعْلَمُوا التَّوْحِيدَ ، هَذَا وَاجِبٌ
وَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ ، فَلَا تَتَعَلَّوْا
وَالْمَوْمِنُ الصَّابِرُ يَنْشُدُ جَنَّةَ
دَارِ الْخُلُودِ لِمَنْ أَطَاعَ مَلِيكَهُ
يَحْيَا لَهَا ، يَسْعَى لَهَا ، مَتَحَمَّلًا
يَسْتَعِذُّ بِالْأَهْوَالِ ، يَسْتَتِيقُ الْخَطَا
يَتَلَوُّ ، يُصَلِّي ، ثُمَّ يَدْعُو غَيْرَهُ

وعلا - على الصرعى - بعز يسْمُق
بعض الثواني خُلْمَه يسْتغرق
وإذا يُعارض فالجميع يُزْنِدق!
والروح فيه بلا اعتبار تُزْهَق
ويزيد في خصر الحوار ويسلق
وإذا يُواجَه بالحقيقة يُصْعَق
تبكي الضمائر - تارة - وتورق
والغش يلفح شجوه ويُطْوَق
وكان دمك - في الأنام - الزئبق!
أم لا يرونك عندما تتسوق؟
ولكل أشجار الرخا تتسلق
وحروفهم - في الصدع - لا تتفرق
ويعيش عفاً - في الديار - ويصدق
وقلاه مفضوح السُتور البخنق!؟
والوجه بالأصباغ زاهٍ مُشْرِق
وتفننت في كشف ما يتأبق
وروائخ الماسون منها تعبق
يزداد إعجاباً ، وقد يتجلق
أضحى الحكيم لما يراه يُصْفَق
لم عُينت؟ هل مثل هذا منطق؟
لتوقد الشهوات ، ثم تفنق!؟

سَمَتِ الجنانُ لديه ، فاشتاقت له
أبدأً يحنّ لما اشتهى ، لكنه
ماذا يُعلم من يُدخنُ جاهراً
وتراه يُفتي دون علم ، أو حيا
ويعيش يشكو الحال ، يصطنع البكا
لا يشكرُ المنانَ رغم عطائه
ودموعُ أنات التسول أصبحت
أما الفطحل فكاذبٌ في دمه
فيم التباكي ، أنت تلتهم الغنى؟
أظن أن الكل ليس بعالم؟
هُم قد رأوك لكل غال تشتري
الكل يرقب كل شئ راصداً
لكن يقول الناس: يوماً يستحي
ماذا تُعلم من تكشف حُسنها!
فالشعرُ ملفوفٌ كأشهى كعكةٍ
وقد ارتدت ثمن الرداء تندرأً
وتجمل اللاثوب يلفت ناظراً
وإذا رآها بعضهم في غيها
والحسن أغرى كل عين حوله
ماذا تقدم هذه لبناتنا؟
لم مكنت - في الصف - من فتياتنا

والحال - من تغريها - يتأزق
هل مثل هذي - بالصبايا - ترفق؟
وكأنها - في الخافقين - خورنق
يفري عزيمة القوام الأمهق
يلوي إباءك - في اللقاء - المرفق!
فإذا يفعت تمجها وتطلق؟
فغدوت - في أهدابها - تتزحلق!
وهزمت لَمَّا أن تثنى السونق
حتى استكان - لناظريك - الدورق
حتى استشاط لَمَّا اجترحت الديسق
حتى طواك - من السعار - الحولق
اللحم فيها منتن والخردق
وعليه عطر - للغريم - ونمرق
و(موجة) الحمقى الجواد الأبلق
ورأت ذوائبها تموج وتبرق
والحق أنك - في التفرس - أخوق
بل ، لاحترمت الشيب ، هذا أليق
ولَمَّا أذاك خطوها المتبطرق
ولصنت عينك ، إن ذلك أعرق
ورفعتها ، وبغى عليك المزلق
وغدا لها - في العالمين - الجوسق
وحديثها غث الحروف مبوق

ماذا تعلم غير سوء تبرج؟
حرب سعار لا يكف أوأرها
يامن رأيت بأن هذي قدوة
ضحكت عليك لأن قلبك مائع
صدق اليراع ، وأنت جد مراهق
أتريدها زوجاً تردك للصبابا
هي طوقتك بكل رمش حالم
لمعت قلائدُها ، فهزك شجوها
ورشفت من ترخيمها لكلامها
ومضغت - في شره - لحوماً كُشفت
وبلعت سُم مجونها في خسة
وصنعت من قيح التبرج وجبة!
ورأيت قامتها سناماً مانلاً
هي مهرة لفح النضوج شبابها
عينك: عين أبصرت فيها الصبا
ولديك عين أغمضت عن رجبها
لو كنت فذاً ما رضخت لحسنها
لو كنت محترماً لأدبك الحيا
ولصنت ماء الوجه والتقوى معاً
أكرمتها في الناس ، وهي وضيفة
حتى قلت قعر الحضيض إلى الذرى
وغدت تدرس للبنات هراءها

في رفع شأن الجيل ، نعم الموثق!
وبزيف أحبال التحال تشنق
وأذل - مَن بالمجرمات - ترفقوا
إننا - ببأس مليكننا - نتعلق
مِن كل مرتكس اللوا يتحدلق
مَن يُظهر الحُسنى ، وبعدُ يُلْفِق
وعلا بدعوى أنه يتحقق
تردي الحمى؟ فهُم العبيدُ الأبق!
وعلى سوا عدهم تمطى البيرق
ولهم - إلى سلب البرايا - أطرق
حُمُرٌ تققعُ - في الديار - وأينق
وهناك (سَبيط) سَفيةً مصَلق
دنس السريرة ، في السفاهة منلق
وقد احتواهم - في التحدي - خندق
فمتى يُوارى - في ثراه - الأخرق؟
فيها اشتهاءُ العِلم غَضُّ شيق؟
تهدي الشباب فلا يُرى يستحمق؟
وله قِرابٌ - في التناظر - ضيق
وهو الذي برعيننا يتأفق؟
وكبيرهم - فوق الرحال - البيدق
إذ أعقلُ الأقوام فيهم أولق

عارٌ عليها أن تقوم بدورها
رب انتصرُ ممن بأرضك أفسدت
هي أحدثت شرخاً ، فأبطلن سحرها
هم أوقدوا ناراً ، فأطفئ وهجها
للهم فالعن مَن يَمَكُنُ مثلها
مَن يبتغي - في الأرض - فتنة فاسق
مَن زج - للتدريس - كل رقيعة
فيم اختيارُ كوادر همجية
هم يحملون لواء كل مخرب
هم يحرقون - من البخور - عطيره
ولهم (موالد) في ربوع بلادهم
يتجمعون على المشارب والكللا
تحوي الموالدُ كل من لفظ الهدى
ويحاربون الحقيق دون هواده
قد أفسدوا جيلاً هناك بأرضهم
أُبراد منهم أن يضلوا صفوة
هل فاقدُ الآداب يمنح نفحة
مَن ليس يعرف أي علم نافع
هل مثل هذا نصطفيه مدرساً
قالوا: (كوادر) ، قلت: كلا ، جوقة
قالوا: لهم خبراتهم ، قلت: اخسأوا

قالوا: شهداتُ القطيع شِوافعَ
قالوا: سنكرمهم ، فهذا حقهم
يا قوم خولتم زكي أمانةٍ
ومعاقلُ التعاليم تشكو جهلها
بالأمس كانت - في المعالي - عادة
عقمت ، فلم تحمل رسالة مجدها
وسطا على أحلامها من أفسوا
من بعد أن بليت بأشقى فرقةٍ
هي تسرق الثمرات ، ثم تلوكها
يا جوقة درجت على ظلم الورى
أكلت لحوم الناس دون هوادةٍ
وتناولت في غيها وفسوقها
ولها عزيّف إن تبدت قيمة
لم تنج منها - في الديار - طليعة
تبعث (أبالهب) لذاك ترهلت
كم غرها عيشٍ يطيب لأهله
هذا يكد لنيل قوتٍ مضمّر
دنيا على نار التناقض أنشئت
جيلٌ يُنعم في مغاني بقعةٍ
جيلٌ يُعربد بالنقود ، وينتشي
وسواه يكدح ، لا يُحصّل قوته
جيلٌ تمرّغ في متهات الرخا

قلت: الشهادة في الحقيقة عسلق
فصدعت: ردوا كيد من يتسرق
كيف احتواكم سبك من يتأنق؟
غاضت نضارتها ، لذا تتأرق!
واليوم جرحها الأسى والجولق
وعذاب ربك - بالأسافل - ملحق
وسحاب خيبتها بها متعلق
قد كان علمها الشقاء (جلوبق)!
وإذا تلام فإنها تتبعق
بنالها تكوي الأنعام ، وترشق
ولهم بقضم اللحم ناب أزرق
وغدت تُعلمن - تارة - وتهرطق
كالكوز يُلقى ماءه فيببق!
عصفت بقومي ، لم تكن تترفق
وبمثله - بين الورى - تترفق
غاصت به الأقدام ثم الأسوق!
وسواه - فوق رقابنا - يتعلمق
عيش يموت ، وآخر يترقق
وعظام آخر بالحديد تدقق
والعيش - في كنف الرياش - يُدهمق
وعليه جُل كلامه يستغلق
وعلى جليد فتونه يتحذلق!

يتعبد (المُوضات) ، يسعى للفنا
ويقلد الكفار في أزيائهم
وقد اقتفى أثر الخزايا لاهثاً
هو يحرس الهزل الرقيع من البلا
وتراه مغواراً إذا نيل الغشا
ولقد يرى شعراً ضلالاً صاغه
أين القريض من الحضيض وأهله؟
أبدي لمن جهلوا قروح عواركم
يا جوقة الضلال ، تلك قصيدي
يا جوقة مردت على صنع الخنا
مردت على حبك النفاق ونسجه
ورحى نكارتها تدور وتنتشي
شاب الرجال على مقارفة الهوى
إن لم يتوبوا ، فالخسار حل يفهم
رحل الكرام ، وجندلوا تحت الثرى
كم علموا الأجيال غاية عيشهم!
تحيا على أوج الشموخ كريمة
شادوا صروح العلم حتى أينعت
حتى أتت أصقاعهم زمر الهدي
بذلوا من العلم النفيس أصيله
ومعلمونا كم لنا قد أخلصوا!

مثل الغراب - على المخازي - ينعق
والشعر طال ، وفيه غاض المفرق!
كالكلب يتبع من سعى ويوقوق
وكأنه - بين القطيع - السنجق!
وكأنه - عند الهجوم - (فرزدق)!
وهو الذي بغرى الميوعة ينهق
أنا شاعر فيكم همام مفلق
ومن الحقيقة فيكم أسوثق
منها الحقائق غضة تستنشق
شعري - بخيبتنا - بعير موثق
وعوارها متبذل متشقق
وحصانها - رغم الردى - يتبطرق
ولهم إذا أتت القيامة موبق
وجهنم تهوى الكفار وترمق
والعلم ينعي من جود ويحذق
هم كالنخيل يشذ عنها البلعق
حتى تدلت - بالتمور - الأعنق
والعلم طير بالنماء يزقزق
والدار سرت ، والورى ، والأنوق
والعلم شهد بالتصبر يلغق
كم حبروا! كم بسطوا! كم نمقوا!

كم لخصوا! كم سَجَلوا! كم دَوَّنوا! كم رتبوا! كم نقحوا! كم نسَّقوا!
للهم فأجزهم على ما قدّموا واغفر ذنوبهم ، فعفوك أرفق
وأعد لتعليم الخزايا شأنه واجعله شمساً - في البرايا - تشرق

معاني الكلمات غير المطروقة

بعير موسق: محمل. يستوثق: يتأكد. ينغق الغراب: ينقع ويصيح. يوقوق الكلب: ينبج عند الخوف. شاعر مفلق: يأتي بالأعاجيب في شعره. المفرق من الشعر: أي موضع فرقه. يستغلق الكلام عليه: يرتجج ويرتج ويختلط. يترقق له: أي يلين له قلبه ويرق. يدهمق العيش: يطيب ويترف. يبقبب الكوز: يحدث صوتا عند نزول الماء منه. يهرطق: يتكلم كلاما لا يفهم. رجل أخوق: أي أعور. السودق: الصقر. السودق: أي السوار يحيط بالمعصم. الدورق: الجرة ذات العروة. الديسق: هو خوان الفضة وفي هذه الصورة كناية عن الترف. شاعر مُصلق: أي بليغ يعتمد إلى الفصاحة في شعره. الخورنق: أحد قصري النعمان بن المنذر. أطرق: أي طرق فهي جمع طريق وإن كان غير مستعمل لكنه ثابت في لغة العرب ، فالعرب تجمع طريق على طرق وأطرق! المرفق: هو موصل الذراع في العضد. أعذق: جمع عذق في النخلة. سحاب متعثق: أي متراكم بعضه فوق بعض. العسلق: هو السراب. الأمهق: الشديد البياض. النمرق: أي الوسادة الصغيرة. أنوق: جمع ناقة مثل أينق ونوق ونياق. موبق: أي واد من أدوية جهنم شديد الالتهب والسعير. أبق: تقول العرب عبید أبق أي فارون من أسيادهم. يتأبق: يستتر. يتجلق: يضحك حتى تبدو أضراسه. يتأزق الحال: أي يضيق ويتأزم. الجولق: هو الشوك. يحذق: يتقن ويجيد. يتأفق بنا: يأتي من أفق كذا. الأولق: المجنون. المنلق: المعتوه. يتأنق: يتقن عمله. يتأوق: يتشاءم. الحولق: هو وجع الحلق. البخنق: هو قناع الجارية. يستحمق: أي يفعل فعل الحمقى ويصنع صنيعهم. البيذق: هو دليل القوم في سفرهم. يتبطرق: أي يمشي مشي الحصان المختال. يتبعق في الكلام: أي يندفع فيه. الخردق: هو الحساء. البلعق: أجود أنواع التمور العمانية. الجواد الأبلق: أي الجواد يكون فيه سواد وبياض. الأخرق: المجنون المعتوه. كلام مبوق: أي كلام باطل لا خير فيه قط. الجوسق: هو القصر. جلوبق: اسم لص محترف من بني مهرة ذاع سيطه. أسوق: أي سيقان فهي جمع ساق!

دياجير الغرور

(اغتر بماله ذلك الشقي الأحمق أضعاف اغترار قارون بما آتاه ربه! وليس عنده عشر معشار ما كان عند قارون! فاحتوشته دياجيرُ الغرور! فليعلم كل مغتر بماله معتدّ به أنه مسؤول عنه بين يدي الله يوم القيامة! (وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه) ، فليعدّ نفسه للجواب من الآن من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله ولا درهم فيه ولا دينار ولا أحساب ولا أنساب! ويومها لن يغني عنه غروره بالمال ولا اعتداده به شيئاً ، وسيكون أضعف ما يكون!)

صاح إن الغرور شوّم ونحسُ
ودمارٌ - يُردي الفؤاد - وبؤسُ
إن نفساً تهوى الغرور ستشقى
ويضمّ المغترّ بالمال رمس
ويقال: من أين يا عبدُ كسب؟
ليس ينجو من سُؤل ربك فلس!
ويقال الإنفاقُ فميم؟ وكيف؟
ياترى هل تقوى على الكذب نفس؟!
يا شقيّاً أغراه مالٌ وطينٌ
ورياشٌ تسبّي الغشا ودمقس
وسقاه الغرورُ كأسَ انتكاس
فأباد المغرورَ هذا الكأس
في دياجير الوهم يسعى شريداً
زاده - بين الناس - جبنٌ ويأس
مئة الخلقُ في دروب حياةٍ
هي كربٌ - بالمترفين - ونحس
فتذكرُ يا أيها الغر عيشاً
لم يزرّك فيه نعيمٌ وأنس
وتأمل ما أنت فيه ، وأجمل
وتذكرُ قارون! ذلك درس
أعلينا أنت الظلام تمطى!
وعلى أعداء الحنيفة شمس؟!
إنني سطرث النصيحة شعراً
ويراعي مهذبٌ والطرس
وتراني حذرتُ من كل كبر
بيقين لَمّا يُخالطه خدس
وجهرتُ بالصدق يغمر شعري
دون لبس ، ماذا يفيد اللبس؟!
إن ضللت فما عليك ملام
أو هديتُ فذلك اليوم عُرس

حسابي مع من يتشدد

(ظل ذلك السفيفه يتشدد بأخلاق هو منها براء! فراح القلم يُصفي الحسابَ معه مُلقناً إياه درساً لا ينساه أبداً. والحقيقة أن النذل الأناني الخسيس لا يُجدي معه عتاب ولا ينفع معه لوم ولا يفيدته التوبيخ شيئاً! ذلك أنه قد أقام علاقاته بالناس على أساس المنفعة والمصلحة. وهذه رسالة شعرية لكل نذل أناني خسيس عاش لنفسه في أي مكان وزمان ، نكتبها إبراءً للذمة! وذلك بعد تجربة مريرة مع مجموعة منهم ، وزادَ أحدهم حبات طين النذالة والخسة بلة فكانت القصيدة رداً! والعجيب أن ذلك النذل الخسيس راح يتهم الكرماء بالسذاجة!)

كيف ترمي - بزورك - الأخيارا
يا سفيهاً قد كان يرعى الذمرا
لم تكن من أصحابنا ذات يوم
كيف مثلي يُصاحب الأشرارا؟
لم تحافظ على الجوار ، ولكن
بالتجني هدمت ذاك الجوارا
فرضتْك الأقدارُ فرضاً علينا
والتقي من يرتضي الأقدارا
أشهد المولى قد رضيتُ بحظي
ولهذا صبري عليك احتارا
يا خسيساً: فعلاً وذاتاً وسمتاً
وضميراً ومعدناً واعتبارا
لست مني ، ولست منك ، فدعني
وتمهل ، واسـتقرئ الأخبارا
كم رميت بالحقد قلباً نقياً
ونسجت الكيد المقيت جهارا
وعلينا أشهرت سيفاً خووناً
ورفعت الغل المرير ستارا
لا تُلام ، إذ لا يُلام وضيع!
وعوارُ الخذل لـيس يُوارى
قد تنازلتُ عنك ، أنت حقيـرٌ
ولئن قدمت الدموع اعتذارا
لن تراني أفضي إليك بسري!
لن يضم مثلي ومثلك نادٍ
المُضِل هل يحفظ الأسرارا؟
إن صحتي يا نذل قومٍ كرامٍ
وعهـودي قد صُغتها أشعارا
ومكاني بين الأبياة مـصونٌ
والتقي يُرافـق الأبرارا
وقريضي - في مدحهم - لا يُبارى

إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون

(لست أدري كيف أستهلّ مقدمة هذه القصيدة الحزينة ، فلقد بلغ السيّل الزبي ، وطف الصاع ، وظهر الفساد واستعلى ، واستفحل الباطل واستحکم ، وعم الشر وطم ، وأرغى العصيان وأزبد ، وهاج السوء وماج ، وثار السفه وفار في الأرض والبر والبحر والجو. وعشنا غربة الإسلام منذ زمن بعيد. وكما يقول صاحب كتاب (الغرباء) ص99: (الغريب في وقتنا هذا من قد أخذ بالسنين وصبر عليها ، وحذر من البدع وصبر عنها ، واتبع آثار السلف ، وعرف زمانه وشدة فساده وفساد أغلب أهله ، فاستغنى بإصلاح شأن نفسه ، من حفظ جوارحه وترك الخوض فيما لا يعنيه ، وعمل في إصلاح كل كسر فيه ، وكان طلبه في الدنيا ما فيه كفايته في ترك كل فضل لا يعنيه بل يُطغيه ، ودارى أهل زمانه ولم يُداهنهم ، وصبر على ذلك ، فهذا غريب ، من يأنس إليه من العشيرة والإخوة قليل ، ولا يضره ذلك).هـ. نعم أصبح المؤمن اليوم يرى حُرّمات الله تنتهك وحدود الله معطلة وشرائع الله يُستهان بها ودماء أهل التوحيد قد أرخصت وأرواحهم أزهقت ودورهم استعمرت وأعراضهم انتهكت وعشنا فتنة لا تبقى ولا تذر. وصدق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – إذ يلخص ذلك في الحديث الذي أخرجه أبو داود بسند صحيح في سننه من حديث أبي موسى الأشعري أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، يُصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً ، ويُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً ، القاعد فيها خير من القائم ، والماشى فيها خير من الساعي ، فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم ، واضربوا سيوفكم بالحجارة ، فإن دُخل يعني على أحدكم ، فليكن كخير ابني آدم). هذا ، وإذا كان ابن بطّة – رحمه الله – يتهم أهل زمانه فما بالنا بأهل زماننا؟! يقول ابن بطّة في كتاب (الإبانة): (ألا وإن كل الفتن المضلة المهلكة المضرة بالدين والدنيا قد حلت بأهل عصرنا ، واجتمع عليهم مع الفتن التي هم فيها والتي قد أضرموا نارها وتقلدوا عارها ، الفتن الماضية والسابقة في تلك القرون السالفة ، فقد هلك أكثر من ترى بفتن سالفة وفتن آتفة ، اتبعوا فيها الهوى وآثروا فيها الدنيا ، فعلامه من أراد الله به خيراً وكان ممن سبقت له من مولاة الكريم عناية أن يفتح له باب الدعاء باللجوء والافتقار إلى الله عز وجل بالسلامة والنجا ، ويهب له الصمت إلا بما فيه رضى ولدينه فيه صلاح ، وأن يكون حافظاً للسان ، عارفاً بأهل زمانه ، مقبلاً على شأنه ، قد ترك الخوض والكلام فيما لا يعنيه ، والمسألة والإخبار بما لعله أن يكون فيه هلاكه! لا يحب إلا الله ، ولا يبغض إلا الله ، فإن هذه الفتن والأهواء قد فضحت خلقاً كثيراً ، وكشفت أستارهم عن أحوال قبيحة. فإن أصون الناس لنفسه أحفظهم للسانه وأشغلهم بدينه وأتركهم لما لا يعنيه).هـ. وأما ابن القيم – رحمه الله – فيقول في كتاب (الداء والدواء): (ومن تأثير المعاصي في هذه الأرض ما يحل بها من الخسف والزلازل ويمحق بركتها. وقد مرّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على ديار ثمود ، فمنعهم من دخول ديارهم إلا وهم باكون ، ومن شرب مياههم ومن الاستسقاء من آبارهم ، حتى أمر أن يعلف العجين الذي عجن بمياههم للنواضح أي للبعير ، وذلك لتأثير شؤم المعصية في الماء ، وكذلك تأثير شؤم الذنوب في نقص الثمار وما ترى به من الآفات).هـ. أقول وكلي أسى وحزن على رقعة من الأرض كانت ذخراً للإسلام يوماً ما. كيف تعلمت اليوم للحد الذي فيه يقيم بعض طواغيتها حفلة ماجنة تشارك فيها عواهر من بُنيات بني صهيون وحفيدات العم سام ، وحدث ولا حرج عن الخمر والدعر والعهر والرقص ، وحدث ولا كرامة عن الإباحية والتحلل والكفر من أجل سواد عيون أحفاد القردة والخنازير وعبد الطاغوت. وعلى مرأى

ومسمع من الناس والدنيا بأسرها يقوم أحد الطواغيت بتمزيق القرآن تحت أرجل الراقصات قائلاً: ليحم هذا الكتابَ صاحبه الآن! فساد ضوءٌ زهري شديد غطى المنطقة وشق الله البحر وتصاعدت منه نيران ملتهبة بعدها انفجار عات وسقط المسرح بما فيه ومن فيه وسط البحر على الفور! وشق الله الأرض فابتلعت هؤلاء الكفرة الفجرة العهرة الغدرة. وما استطاع الكفر العالمي أن يستخرج جثة واحدة من جثث هؤلاء! ألا وإن قوامهم ثلاثة آلاف كانوا قد صهروا في تلك النيران. ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون. وصدق الله: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). وكل مجترئ على القرآن والسنة ، وكل معطل لهما ، وكل محارب لهما ولأوليائهما فإن الله مؤفٍيه حساباً كاملاً غير منقوص! إن عاجلاً أو آجلاً! أكتفي بهذا المقدار في التقديم وأرد شعراً على كل من مزق القرآن مادياً بتقطيع أوراقه ومعنوياً بإسقاط أحكامه أو تعطيلها أو السخرية منها! ولم أشأ أن أذكر المكان ولا الزمان لأنني أعلم أن أغلب القراء يعلمون ذلك ، وقد نشرت مجلة (شيحان) التي تصدر في الأردن مقالاً موسعاً عنه! يقول الأستاذ سالم التميمي حول إهانة المصحف وإلقاء الكفار – ومعلوم من هم وما مكانهم - له في المراحل ما نصه: (المجرمون يهينون المصحف الشريف بتمزيق صفحاته ورميها في دورات المياه. وهذا خبر يثير لا أقول الاستهجان والاستنكار ، بل يثير الهلع والرعب والفرع مما وصل إليه حالنا من الضعف والذلة والمهانة ، لدرجة أن ينال العدو من دين الأمة ، ويهين أعز وأقدس مقدساتها ، بعد أن اجترأ على سفك دمها وهتك عرضها ونهب أموالها وخيراتها. ثم ماذا؟ هل سيرت جيوش ورفعت رايات وأعلن النفير العام؟ هل قطعنا علائق وانتفضت قلوب تتأثر لدين الله وتزيل المهانة عن كلامه المقدس؟ لا..لا لم يحدث من ذلك شيء.. ربما قامت مظاهرات هنا وهناك.. وأدت بعض الشعوب المغلوبة على أمرها شيئاً من مسئوليتها. أما الحكومات.. فمتى كان العبد يعترض على سيده؟ ومتى كان له الحق في سؤاله لم فعل ولم لم يفعل؟ مع كل يوم جديد.. تزداد الفتنة رسوخاً والإيمان يقيناً بطبيعة هذه الحرب ومقوماتها رغم ادعاءات متحذقي الليبرالية وأغليمة العلمانية ، الذين يتقدمون إلينا مع كل حادث من تلك الحوادث التي تقوم فيها (أهم) بإعلان الحرب على دين الأمة وانتهاك مقدساتها.. يأتون إلينا باعترافات وتسويغات تنقصها البراءة ويعوزها الإيمان ويغلفها النفاق الممجوج ، يلتمعون الوجه الكالح.. ويجملون العجوز الشمطاء.. يقومون بحملة علاقات عامة لوأد كل مشروع من مشاريع التحرك والاستنكار ولو كان سلمياً.. الفسقة من العلمانيين والتغريبيين وإن لبسوا لبوس الوطنية وادعوا الموضوعية هم أبعد الناس عن أن يثاروا لدين الله ويقفوا من انتهاك حرمانه موقف الشرف والعزة.. كيف وهم يهدمون دين الله كل يوم بما يُشيعونه من التغريب والتمميع لقضايا الأمة ومبادئها؟ رئيس تحرير إحدى الصحف العربية ثارت ثائرتة ، وانتفض قلمه حين نشر في جريدته بطريق الخطأ مقال عن العنصرية في العقيدة الصهيونية ، فشهّر سلاحه مدافعاً عن الصهيونية ، واعتذر بكل ما أوتي من عبارات الذلة والاستخذاء ، وأصدر قراراً بمنع كاتب المقال من جريدته.. ترى هل سيسجل مثل هذا موقفاً من إهانة القرآن كما فعل في الدفاع عن الصهيونية؟).هـ. وتحت عنوان: (فداك نفسي يا كتاب الله) يقول الأستاذ محمد أبو الهيثم ما نصه: (صفحات متوالية تلك التي تنهال على أمة الإسلام في وقت رعى الذناب الغنم ، ولم يعد لها راع سوى تلك الذناب. هانت الأمة حتى وصل الحال بأعدائها إلى المساس بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إهانة لأمة هجرت كتاب ربها وليس إهانة للكتاب ، فحاشى إخوان الخنازير وأعوانهم أن يصلوا لكتاب الله ، ولكنهم استطاعوا الوصول لإهانة

الأمة تحقيقاً لسُننِ الله في كونه ، من إدالة الظالمين على الظالمين بما كسبت أيديهم ، {وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}. أمة الفضائيات الهابطة ، والأكاديميات الداعرة والعُري الفاضح ، والقوانين الكافرة ، والأضرحة المنتشرة في ديار المسلمين تتخذ من دون الله آلهة. أمة أصبح المسلمون فيها غرباء مطرودون والكفار أولياء مقربون ، فأصبحت الرابطة رابطة علماني ، وأصبح الولاء ديموقراطياً ، وأصبح العمل لاهوتياً ؛ فلا تكاد تفرق بين بيوت كثير من المسلمين وبيوت النصارى ، فالزوجة في كلا البيتين عارية ، وصوت الفضائيات والأغاني ينبعث من البيتين كليهما ، وترك الصلاة هنا وهناك ، فبماذا يكون التمييز إذن؟ ولا شك أننا عندما نرى شباب الصحوة كالنور يتلألأ في دياجير هذه الظلمات ينتعش القلب فرحاً ، كما يحزن القلب من التفرق المشين بين أبناء الصحوة ، وبين البعد الكبير عن التطبيق الصحيح لمنهج الإسلام ، الذي لو اتُّبع على حقيقته لما وجدنا هذا التفرق. فعلى الأمة أن تعود إلى منهج ربها وتنتهي من هذا الفصام النكد بينها وبين التطبيق الصحيح لشريعة ربها. وعلى الطواغيت أن يطبقوا شريعة ربهم ، فما هانوا وهانت معهم أمتهم إلا بتركهم لأصلهم والتمسح في كل أصل بديل ، والارتقاء على أرجل وأعتاب كل ذليل. وليعلم الجميع أن هذه الثلة الصالحة المباركة ، التي يدنس شرفها وتهان كرامتها في سجون الدعار ، سواء في الشرق أو الغرب ، أو حتى في سجون الطواغيت المتسلطين من أبناء الجلدة. نقول للجميع بأن هؤلاء هم الأعلون رغم ما هم فيه من سجن ، وأن أعداءهم هم الأذلاء ، ولننتذكر قول عمر في رده على أبي سفيان بن حرب بعد غزوة أحد: "قتلنا في الجنة وقتلناكم في النار". ولنعلم أن دولة الإسلام ستقوم بعز عزيز وبذل ذليل {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}. ولكنها - مسؤولة النهوض بالأمة - قد اشتدت فوق الأكتاف ، فماذا عسانا أن ننتظر بعد أن تعرض كتاب ربنا للإهانة في سجون الدعار ، أبناء ثقافة العهر ، وديانة المادة ، على كل مسلم أن يتحرك لدينه بتغيير ما حوله ، بالعلم الصحيح وخاصة المعتقد الصافي ، والدعوة الصادقة ، وتغيير المنكر بما ليس منكر ، والسعي لنشر دين الله في الأرض وتطبيق شريعته. وعلى الطواغيت أن يتذكروا أن التاريخ لن ينسى لهم بحال أن أعداء الله استهانوا بهم لدرجة تدنيس أقدس المقدسات ، بلا هيبة لهم ولا خوف منهم. رحم الله صاحب هذه الكلمات: "من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ، لك ما ترى دون ما تسمع يا ابن الكافرة". لك الله يا أمة المسلمين يوم غاب قادتك العظام ، فأين عمر يستلم مفاتيح القدس؟ وأين خالد يغزو الروم؟ وأين صلاح الدين يطهر بيت المقدس؟ وأين عمر بن عبد العزيز يحكم بشريعة الإسلام فلا يجد من يستحق الزكاة؟! (هـ).

الله أكبرُ ، إن البحر يحترق!
والجو - من لهب النيران - مُشتعلٌ
والخمرُ سَجَرَهَا وهَجُ السعير ، فلم
وظلمة الليل قد غامت سَكينتها
وظلّة البدر لم تبرح منازلها
وفي السماء نجوم الليل قد غرقت
والأرض - من حَم البركان - تختنق!
والليل أودى به - في المحنة - الغسق
تلعب برأس ، ولم تسعد بها الخلق
فلم يلامس سَنَا ترجيعها الأفق
إذ المنازلُ فيها البدرُ يحترق
وشجّ موكبها - في الظلمة - الغرق

وقوسها من صهير الرمل تنشرق
يبكي - على هدمها - التدمير والشفق
منها فنادقها ، كلا ، ولا الشفق
والرقص أسكته (الزلازل) والصق
فالنار كالسيل - فوق الرمل - تندفق
على روابي الفنا ، كأنها الصلق
وأين سُكَّرَ بها يقوده الشبق؟
منه الحوائط ، والرايات تختفق؟
وفوق هامتها الفيروز يأتلق؟
أين الرياضة ، أين الجعل والفرق؟
وأين من في سباق العدو قد سبقوا؟
وحول جيد الخنا قد لفت الشنق؟
أين الفنون التي بالرغم تختنق؟
حرب المليك ، وفيها القوم قد غرقوا؟
وأين أرصدة قد حاطها الأزق؟
وأين من في مدى تقديرها انفهقوا؟
وأين أهل الهوى والكأس والرفق؟
وأسأل اليوم في الدار الذين بقوا
ودمغها في سرى الأشلاء منسحق
ويجعل المرء فيمن صاغه يثق؟
عن الذين من الإسلام قد مرقوا؟

والرمل تلفحه النيران في نهم
ثم البنايات في أنقاضها جمعت
تتأثرت في أديم الأرض ما علمت
ثم المسارح في أشلائها رقصت
ثم الشواطئ للبركان ما صمدت
سَلِّ الفنادق - مثل الغيث - هاطلة
أين الزبائن والسُّيَّاح أجمعهم؟
أين الدواعر والماخور قد سقطت
أين الملاهي التي كانت مزخرفة
أين النوادي بها الألعاب يانعة؟
أين السباحة في أحواضها ذهبت؟
كيف السياحة قد دُكَّتْ دعائمها
وكيف ناحت - على التمثيل - جوقته؟
وأين سوق الزنا في الدار مُعلنة
وأين صرخ الربا في كل حاضرة؟
أين الغناء بدا في ثغر غانية؟
أين المجلات بالعري المشين بدت؟
إني أسائل داراً أصبحت خبيراً
أستنطق - اليوم - أطلالاً تنن دماً
فهل جواب تريح النفس لفظته
وهل هنالك تفسير يُطمئننا

دَكَتْ حِصُونِ الْأَلَى عَنْ هَدِيهِمْ فَسَقُوا؟
فَكَرِيَ الْحَلِيمُ الَّذِي أَهْوَى وَأَعْتَقَ!
إِذِ الْعُقَاةُ عَلَى كُرْسِيِّهِمْ قَلَقُوا
وَيُظْهِرُ اللَّهُ مَنْ مِنْ دِينِهِمْ أَبَقُوا
مَهْمَا تَعَقَّبَهَا بَطْشُ الَّذِينَ شَقُوا
لَكِي يَبْصُرَ مَنْ بِالْكَفْرِ قَدْ نَعَقُوا
عَلَى الضَّلَالَةِ وَالسَّوْأَى قَدْ انْغَلَقُوا
وَلِلْقَضَاءِ لِسَانٌ شَاحِدٌ لِبَقِ
وَحَاطَهُمْ بِنِطَاقِ الْمَوْتِ ، فَاخْتَنَقُوا
وَعَنْ سِرَابِ بَدَا فِي الْبِيدِ مَا افْتَرَقُوا
كَمْ اسْتَبَدُّوا! وَكَمْ جَارُوا! وَكَمْ سَحَقُوا!
قَوْمٌ عَلَى عِزَّةِ الْقُرْآنِ قَدْ بَصَقُوا!
وَبَعْدُ زَادُوا ، فَأَيَّاتِ الْهُدَى مَزَقُوا!
لَأَنْهَمُ بَعْزِي قَرَأْتَهُمْ شَرَقُوا
لَأَنْهَمُ فِي هَوَى أَرْبَابِهِمْ صَدَقُوا
يَحْمِي كِتَاباً غَدَا كَأَنَّهُ الصَّرْقُ؟
وَفَجَّرَ الْأَرْضَ مِمَّنْ بِالْهُدَى شَرَقُوا
وَسَيْفُهُ مِنْ ظِلَالِ الْغَمِّدِ يَنْخَرِقُ
وَحَاصِرِ الْكَلِّ لَمْ يَصْمُدْ لَهُ الْأَبْقُ
وَحَوْلَهُ جَوْقَةُ الْفَسَّاقِ وَالشَّرْقُ
غَارُوا جَمِيعاً ، وَغَارَ اللَّهُو وَالزُّوقُ
لَكِي تَرَاهُمْ قُلُوبُ النَّاسِ وَالْحَدَقُ

وَهَلْ هِنَالِكَ تَأْوِيلٌ لَزَلْزَلَةٍ
وَكَمْ تَسَاءَلْتُ حَتَّى مَجَّ أَسْنَانِي
وَلَمْ أَجِدْ فِي دَجَى التَّعْتِيمِ أَجْوِبَةَ
فَقُلْتُ: يَوْمًا سَتَجْلُو كُلَّ خَافِيَةٍ
إِنَّ الْحَقِيقَةَ لَا تَخْفَى مَعَالِمَهَا
تَغِيْبُ دَهْرًا ، وَيُحْيِي اللَّهُ عَوْدَتَهَا
وَكَيْ تَكُونَ نَذِيرًا فِي دَهَاقَتِهِ
سَقَى الْقَضَاءُ عَدُوَّ اللَّهِ كَأْسَ رَدَى
وَأَذَبَ الْكَلَّ مَنْ ضَلُّوا وَمَنْ سَكَنُوا
وَضَاعَفَ الْهَوْلَ حَتَّى أَصْبَحُوا خَثُوبًا
وَكَالَ بِالرَّعْبِ ، لَمْ يَرْحَمْ أَكَّاسِرَةَ
وَسَلَّطَ الْمَوْتَ سَيْفًا لَيْسَ يَغْلِبُهُ
هَمْ قَطَعُوا صَفْحَاتِ الذِّكْرِ مَا ارْتَدَعُوا
وَلَمْ يَخَافُوا - عَلَى التَّحْقِيقِ - مَا ارْتَكَبُوا
حَتَّى إِذَا كَفَرُوا دَاسُوا شَرَّارِفَتَهَا
وَصَاحَ أَكْبَرُهُمْ: أَيُّنَ الْمَلِيكِ لَكِي
فَزَلَّزَلَ اللَّهُ مَبْنَى كَانِ يَجْمَعُهُمْ
وَالذُّعْرُ أَزْبَدَ فِي قَفْرِ وَفِي حَضْرٍ
وَالْمَوْتُ خَطَّ حَتُوفِ الْعَيْرِ يَحْصُدُهُمْ
وَوَاصَتْ الْأَرْضُ بِالْدهْقَانِ حِينَ طَغَى
طَوَى الْحِمَامِ فَسَوْقًا كَانِ يَرْبِطُهُمْ
قَضَاءُ خَالِقَتَا جَلَى نَهَايَتُهُمْ

لم يحو خرقتهما جبر ولا ورق!
وهم - لمافي يد الكفار - كم وثقوا
مثل الحمير - على أشلائهم - نهقوا
وكم أبادوا من الشمّ الذين لقوا!
وكم من الناس فحوى عزهم سرقوا!
ولا تراهم سوى الخسران قد عشقوا
كأنهم - من لظى الأعداء - جد سُقوا
كأنهم من سنا توحيدنا صَّعقوا
كم - دون ذنب - على أعوادها شنقوا!
كأنما هم - على تدميرنا - اتفقوا
صوب الحضيض ، هناك الذل والرنق
فالدين والغرف والأخلاق قد خرقوا
والسيف - في وجهه - بالقهر يُمتشق
من البلاء الذي حقاً له ألق
وآخرون لعاب الكفر كم لعقوا!
والكافرون بنار الخبيبة احترقوا
فاستعذبوا الموت قرباناً لما اعتنقوا
وما استكانوا لمن في الفتنة انطلقوا
وفي الجهاد - ببذل الأنفس - انطلقوا
ولم يخافوا أذى من بالهوى نطقوا
لأنهم - بركاب المصطفى - التحقوا

واليوم يكشفهم شعراً به صور
أملاهم الله دهراً ، ثم باغتهم
تعلمنوا ، وأديهم الأرض يلعنهم
كم استكانوا لصهيون وزمرته!
كم عرّضوا لزوال البأس أمّتهم!
وكم أضاعوا لواء النصر في صلف!
كم حاربوا شرعة التوحيد دون حيا
فلم يُطبقوا له بأساً يتيةً به
شادوا المشائق - في الأرحاب - مُشرعة
وشيدوا - في الدنا - للذعر أبنية
وضلوا الجبل بالتغريب ، فانحدروا
وحكموا - في الورى - قانون من كفروا
ومن يعارض فإن السجن موعده
يذوق ما كتبت يد المليك له
ضدان: من أسلموا لله خالقهم
فالمسلمون من النيران قد أمنوا
والمسلمون استتابوا نور شرعتهم
واستعذبوا - في الهدى - آلام دعوته
وأنفقوا المال والأرواح هينة
وواجهوا الباطل المملوء علمنة
واستصغروا كل ما أدوا وما بذلوا

فكم أبادوا؟! وكم كادوا؟! وكم حرقوا؟!
يندى الجبين لها ، والدمع ينسحق!
وكلهم - في التهام اللحم - مستبق
فعاقب الله من أغرى ومن محقوا
وكم أحاطت بمن قد حوربوا الخرق!
حتى أتاهم وهم في غيهم نفقوا
بين التقاة ومن في الباطل انزلقوا
فأهل ذي سعدوا ، وأهل تلك شقوا!
فأهل تلك نجوا ، وأهل ذي احرقوا!
هل يستوي أسود الألوان والياق؟!
وسعي من أسلموا عن ذاك يفترق
فيها النعيم وأنس الخور والسقم
وليس يُزعجهم كرب ولا رهق
وبالعرائس في زيناتها رزقوا
كأنهم - لجنان الخلد - قد خلقوا
وثم من أنهر الجنات بعد سقوا
قوامها ذهب قد شابه الورق
وإن منظرها - باللون - متسق
صدقاً تحار لهذا الألسن الطلق
يغار منه السنا والحسن والمهق
نعم الزخارف والزينات والأنق!
وهم جديرون بالحسنى ، فهم صدق

والمجرمون - على إجرامهم - درجوا
كم حاربوا الخير في الدنيا محاربة
كم من دماء دعاة الحق قد شربوا!
واستعذبوا محق أهل الخير قاطبة
وكم دموع لما قد أحدثوا ذرفت!
واستعذبوا الموت في جور وفي عمه
والفرق أعمق من وصف يحيط به
عذوبتان فذي رشد ، وذي خبل
وموتتان فذي خير ، وذي سُعر
شنتان شنتان إي والله بينهما!
وسعي من فجروا النيران تلفحه
فالمؤمنون بجنات المليك لهم
لا يحزنون ، ولا يلتاع خاطرهم
على الأرائك في سعد وفي مرح
وبالأطياب خصوا دون غيرهم
أطياب الأكل فاضت في مجالسهم
أما الخالي فما عين لها نظرت!
نعم الأساور لا غش ولا صدأ!
بياض لمعتها أم حسن لا بسبها
أما الفراش فمن استبرق عطر
واللؤلؤ الغض في الأيدي نضارته
ثم الحريير لباس زان خلقتهم

والخيرُ - في جنة الرضوان - مرتصدٌ
أنواعُ أنهرها يا صاح أربعة
الخمير ليس بها غولٌ ولا خدرٌ
وأنهرُ العسل الصافي تخالها
وأنهرُ اللبن الفواح جارية
صُنِعَ المليك ، تعالى الله خالقتها
فيها الذي ما رأته عينٌ ، ولا سمعتُ
ورؤية الله في الجنات كائنة
وليس يزهّدُ فيها غيرُ مرتكس
والكافرون لهم نارٌ ستحرقهم
جزاء ما أنزلوا - بالخلق - من محن
تمردوا ، والمليك الحق ينظرهم!
لم يرعوا دعاة الخير حين دعوا
وهادنوا الكفر والكفار ما عقلوا
تسابقوا في دمار الناس ، ما حسبوا
كأنهم ورثوا كيدَ العتاة ضحى
تواضعوا لكلاب الأرض كي يثبوا
ومكّنوا الكفرَ من شعب ومملكة
ماذا أقول لمن باعوا شريعتهم
وأفجّر القوم محبوراً بفعلته
تمزقُ المصحفَ المحفوظ ، تحقّره؟

أهل الجنان رطيباً عطره عبق
والوصفُ في سورة (القتال) يأتلق
والماء فاض بها ، فسئله غدق
حلو المذاق ، فلا قبض ولا شرق
تهدي الحياة لمن في قلبه رمق
فنعم دارٌ لنا ، ونعم مرتفق!
أذن ، ولم يك في قلب له أفق!
تلك الزيادة فيها الغر تسبق
في حمأة الفسق - نحو التيه - ينطلق
بنارها للقاسم كأنها عُسق
فجمعهم من سعير النار ينصعق
إذ قبل حلق لحاهم دينهم حلقوا
لكن هدير الهدى - من جحدهم - خنقوا
وبالطواغيت - في غدوانهم - لحقوا
مغبة الأمر ، بئس القوم والسابق!
وفي المساء - على أبوابهم - طرقوا
على الكرام ، فما سادوا ولا سمقوا
وبالأمجاد - من أبنائنا - ارتزقوا
لمن طغى ، وعلى أنصارها حنقوا؟
ماذا تؤمّل منها ، أيها الفسق؟
تحاربُ الله ، في الكفران تنزلق؟

آي الكتاب ، وفيها السهم كم رشقوا!
بكل خبث ، فما احتاطوا وما رفقوا!
غدت كرامتها - في الوحل - تندلق!
والدافع اليوم - في ذي المحنة - الخنق
ألا يرى العيش من نوريه ينبثق!
ونور تطبيقه ليذهب الفرق
فذي الحياة مع القرآن تنفق
في عالم لجب أودى به الزلق
فوق الرفوف لمن في طبعه حذوق
وذاك أبيض - من فرط السنا - يقق
وذاك أزرق يطفو فوقه الزرق
ورش - من فوقه - الريحان والحبق
وبعد عابوا كتاب الله ، واختلقوا
فالكفر أمر - على الكفار - ينطبق
هم الذين لنا كأس الشقا دهقوا
هم الذين لنا أرض العنا عزقوا
أم أنهم نظروا ، لكنهم حُقق؟
كذلك (فرعون) قد أودى به الغرق
أما ثمود فمن هول الأذى انسحقوا
عند التناظر لم تُرفع لهم عنق
فقبل: لا تحرقني ، لذلك احترقوا!
فأحرق الطير - في الجوزاء - والوَهق

وغيرك البلاء أهل الكفر قد طعنوا
كم مزقوه بألباب وأفنودة
كم أبعدوه عن التحكيم في أمم
سيان تمزيق أوراق الكتاب هنا
وثم تمزيقه بأن يُراد له
نور التلاوة في دمع وفي لجأ
نبيث نأمن أن قمنا بواجبنا
فلا نراه تراتيلاً منغمة
ولا نراه قراطيساً مزركشة
فيه الزخارف ، هذا أحمر نضّر
فيه الإطارات ، هذا أخضر عطر
وفصلوه بأحجام منوعة
لكنهم لفظوا تطبيقه زمراً
وكونهم كفروا حُكم يناسبهم
ما عُذرهم في الذي قالوه ، أو فعلوا؟
هم الذين لما قد نالنا فرحوا
ألم يكونوا يرون النذر قائمة؟
(قارون) قد خسفت أرض المليك به
وقوم عادٍ بظلام منهم هلكوا
أما سمعتم بـ (نمرود) وجوقته
حتى أعادوا لـ (إبراهيم) نارهم
فألله عطل - رغم الكيد - سُنتها

نارُ الكفور ، كفاها الطيرُ والونق
 معي الأدلة ، والتاريخ متفق
 في حربهم ، وبركب المصطفى التحقوا
 وإن تناثرت الأشلاء والمزق
 وغيرنا - بنطاق النصر - ينتطق!
 فميم التقاعس والتخذيّل والقلق؟
 بحبل طاعته كي يذهب الأرق
 كفى هواناً ، فإن الصنف مُخرق
 وبئس مهزلة! وبئس منزلق!
 أما استبان لنا السبيل والنفق؟
 من بعد أن أغلقت من دوننا الطرق؟
 ما مزق المصحف المستكبرُ الفسق!
 وما استبدّ بنا الصرصورُ والدلق
 والبعضُ نشكرهم ، وبئس ذا خلق!
 ولم يفخ - بالزنا - لسانه الذلق
 ولم يكن سادة أربابُه العُلق
 لكنّ جودك موفورٌ لمن صدقوا
 إننا - بغيرك - يا منان لا نثق

أما (الخيّل) فما مسّت ذوائبه
 والحق مهما انزوى فالله ينصره
 وسنة الله تمحيصُ الألي صمدوا
 يا إخوة الحق: إن الحق منتصرٌ
 فميم الركونُ إلى الأسباب في وجل؟
 إنني أصارحكم ، والحرصُ يملأني
 تمسّكوا بكتاب الله ، واعتصموا
 ناشدكم بالإله الحق ، لا تهنوا
 تمضي السنون ، وأنتم في تناخركم
 متى نبئت على عزّ يوحّدنا؟
 فهل سبيلٌ إلى درب يُجمّنا
 لو كان في الأرض من بأسٍ لشرعتنا
 كلا ، وما رقصت في الدار راقصة
 وما رأيت ذئبَ الغرب تنهشنا
 ولم يُغن ، ولم يهزل مُخنثهم
 ولم يسدّ في الورى قانونٌ من كفروا
 يارب لسنا بأهل كي تمكّنا
 فتمم الفضل ، وارزقنا بصدق تقى

معاني الكلمات غير المطروقة

أيها الفسق: أيها الفاسق. انفهقوا في الكلام: تنطعوا فيه. الشنق: حبال المشنقة. الرنق:
 الكدرة. أبقوا: هربوا وفرّوا ، ومنه عبدٌ أبق من سيده! مرقوا: انسلخوا. تنشرق القوس:
 تنشق. قومٌ صدق: صادقون. الصرق: رقائق الخبز. الصعق: شدة الصوت وفضاعته. الصلق:

القاع الصفصف. أَسُنُّ طلق: متكلمة بليغة. عُقق: جمع عاق. بنارٌ عُمُق: أي عميقة. الغدق: الوفير الكثير المنهمر. العسق: أول ظلمة الليل. المِرَق: القطع ، جمع مزقة أي قطعة. يمتشق السيف: يتقلده ويُشهره للضرب به. المهق: خضرة الماء. لون أبيض يقق: شديد البياض. أبيض يلق: شديد البياض بلمعان. الحُرُق: جمع حُرقة. السمق: العلو والسموق. الحلق: جمع حلق. الفرق: أي الخوف والهلع. الوثق: جمع وثاق وهو ما يُؤبظ به. الوهق: الحبلى يرمى في أنشودة فتؤخذ به الدابة وتقاد. الأبق: الفرار والهروب. الأزق: المأزق والضيق. الأفق: أي الناحية. يأتلق: يتألق. الحبق: نبات عطري طيب. الحدق: جمع حدقة. الحنق: الغيظ. ينخرق السيف: أي ينسل فيطعن. دلق اللسان: أي بليغ متكلم. الدلق: دويبة. الرmq: بقية الحياة. رُفق: جمع رفقة. الرهق: التعب. الزرق: شدة الزرقة. الزلق: الموضع الذي لا تثبت قط فيه قدم. الزوق: الزينات ، وهي مأخوذة من زوق يزوق أي زخرف يزخرف. دمع منسحق: مندفع غزير. الشرق: جمع شريق وهو الغلام الحسن.

لآلى الشعر (معارضة لقصيدة عدنان النحوي)

(كتب الدكتور الشاعر سماحة الوالد عدنان النحوي - حفظه الله ورعاه - قصيدته (لآلى الشعر) ، وكانت المرة الأولى التي طالعها فيها في مجلة (الأدب الإسلامي) في العدد السادس - السنة الثانية - والصادر في ذي الحجة 1415 هـ مايو 1990 م ، وهي في الرد على المُفلسين أذئاب الحداثة من سدنة اللاشعر الحر ، وفي الانتصار للقصيدة التي نيل منها كثيراً في زماننا هذا القصيدة العربية الأصيلة! يقول مطلع قصيدة الدكتور عدنان:-

يقولُ ترتجلُ الأشعارَ تنشُدُها وزنًا وقافية! قيِّداً وإعساراً!

وكم أعجبني هذه المعلقة الانتصارية ، وعندما ذهب بي الإعجاب مذهبه رأيت أن أشعر في معارضتها ، وإنه حقاً لشرف كبير لمثلي من المستشعرين الذين قد لا يكون لأحدهم من الشعر والشعراء إلا التسمي ، أن أعارض فطحلاً من فطاحلة الشعر العربي المعاصر وجهداً من جهابذته وقمة من قممه وعبقرياً من عباقرته ، بحجم الدكتور عدنان النحوي ، ولا نزكي على الله ربنا أحداً. والحداثة ولدت في الغرب الذي كفر بالدين ، وأقصاه عن الحياة: يقول غالي شكري الشيوعي المصري وأحد منظري ورموز الحداثة العربية في كتابه "شعرنا الحديث إلى أين؟" صفحة 116: "إن المفاضلة بين الشعر التقليدي والشعر الحديث ، تصبح غير ذات موضوع ، لأنهما لا يملكان في حقيقة الأمر من عناصر الأرض المشتركة سوى اللغة ، كما أن محاولة تبرير الشعر الحديث بميراثنا التاريخي ، من حركات التجديد في الشعر العربي ، هي محاولة غير مُجدية ، بل أصبحت ضارة إلى حد ما ، فالنقد الحديث الذي يود أن يرافق شعراءنا الجدد ، عليه أن يلتفت إلى جوهر القصيدة العربية الحداثية إذا أراد أن يكتشف جوهر القصيدة العربية الحديثة". ونقل صالح جواد - في مجلة فصول المجلد الرابع ، العدد الرابع ، صفحة 17 - عن جبرا إبراهيم جبرا من كتابه "الرحلة الثامنة" قوله: "حركة الشعر الجديد متصلة بحركة الفن الحديث في أوروبا أو قل في العالم كله أكثر من أي شيء آخر بغير مواربة ، ومن العيب أن نستشهد بالقدامي ، ونستند في أحكامنا إلى سوابق لن تجدها في كتب الأدب التي وضعت قبل بضعة قرون على الأقل". وتتوالى الاعترافات من منظري الحداثة! فهذا محمد برادة يكتب مقالاً في مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد 3 صفحة 11 بعنوان "اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة" يؤكد فيه بأن الحداثة مفهوم مرتبط أساساً بالحضارة الغربية وبسياقاتها التاريخية وما أفرزته تجاربها في مجالات مختلفة ، ويصل في النهاية إلى أن الحديث عن حداثة عربية مشروطة تاريخياً بوجود سابق للحداثة الغربية وبامتداد قنوات للتواصل بين الثقافتين. والواقع أعظم شاهد على أن الحداثة العربية ابن غير شرعي للمفكرين الغربيين ، منذ بولدوير ، وإدجار ألن بو ، حتى يومنا هذا ، ويكفيك للتأكد من ذلك أن تتصفح أي منشور حداثي: شعر أو رواية أو مسرحية أو قصة أو دراسة نقدية ، لتجدها تصرخ بقوة وتعلن أنها من نبات مزابل الحي اللاتيني في باريس ، أو أزقة سوهو في لندن ، عليها شعار الشاذين من أدباء الغرب الذين لا يكتبون أفكارهم إلا في أحضان المومسات أو أمام تمثال ماركس. كما بين الأستاذ عوض القرني في كتابه عن الحداثة! ويقول غالي شكري: "وعندما أقول الشعراء الجدد ، وأذكر مفهوم الحداثة عندهم... أتمثل كبار شعراء الحركة الحديثة من أمثال: أدونيس ، وبدر شاكر السياب ، وصلاح عبد الصبور ، وعبد الوهاب البياتي ، وخليل حاوي... عند هؤلاء سوف نعثر على إليوت ، وإزرا باوند ، وربما على رواسب من رامبو ،

وفاليري ، وربما على ملامح من أحدث شعراء العصر في أوربا وأمريكا ، ولكننا لن نعثر على التراث العربي". فجزا الله خيراً الدكتور عدنان النحوي على نقده للحدائثة والحدائيين ، وعلى بذله وأطروحاته ومفاجآته الشعرية التي يُتحفنا بها بين الحين والآخر. وقد اعتدت أن أسمع كلمة: (مبروك!) منه عندما أصدر ديواناً جديداً وأرسله له بعد مراجعته وتحقيقه وتدقيقه وإبداء ملاحظاته التي استجبتُ - بفضل الله - لكثير منها! كلمة (مبروك!) التي يقولها الدنيويون بعضهم لبعض لندنيا أصابها أحدهم أو لامرأة نكحها أو لصفقة أحرزها أو لمال ربحه! أما الشعراء فيعتبرون القصيدة فضلاً عن الديوان - يشخص آلام جراح أمة منكوبة ويصف العلاج والتداوي ويضع طريق الخلاص - سبِقاً وإنجازاً ومكرمةً ونجاحاً وفلاحاً ونصراً يستحق صاحبه عليه التهنية! فيا لله على هذا الأمر وعلى ذلك الإحساس الذي لا يعيشه إلا أهله فقط! ولقد قيلت لي كلمة: (مبروك!) على أموال ادخرتها أو ربحتها! وقيلت لشهادات نلتها! وقيلت لامرأة تزوجتها! وقيلت لابن رزقني الله إياه! وقيلت لابنة وحيدة على سبعة أبناء بارك الله فيهم جميعاً وغفر لي تقصيري في حقهم ، وأنجز لي فيهم من البركة والفلاح كرب ما عجزت عنه كأب! وقيلت لي لدورات تدريبية عربية وشعرية وإنجليزية وفرنسية! وقيلت لي على ورش عمل علمية ودراسية وتربوية! وقيلت لي على سيارة اشتريتها ودار استأجرتها في غربتي ودار أخرى بنيتها في مصر! ولا زالت كلمة (مبروك!) تقال ، وستظل تقال! ولكن وقعها من الدكتور عدنان يُبارك شعراً أكتبه أو ديواناً أصدره لها وقعٌ آخر وتأثير آخر في النفس والقلب والروح والضمير! ولنن كان الإمام الذهبي قد قال في سير أعلام النبلاء ج17 ص319 ما نصه: (الكتابة مُسلمة لابن البواب ، كما أن أقرأ الأمة أبي بن كعب ، وأقضاهم علي بن أبي طالب ، وأفرضهم زيد ، وأعلمهم بالتأويل ابن عباس ، وأمينهم أبو عبيدة ، وعابرههم محمد بن سيرين وأصدقهم لهجة أبو ذر الغفاري ، وفقه الأمة مالك ، ومحدثهم أحمد بن حنبل ، ولغوهم أبو عبيد وشاعرهم أبو تمام ، وعابدهم الفضيل ، وحافظهم سفيان الثوري ، وإخباريهم الواقي ، وزاهدهم معروف الكرخي ، ونحويهم سيبويه ، وعروضيهم الخليل ، وخطيبهم ابن نباتة ، ومنشئهم القاضي الفاضل ، وفارسهم خالد بن الوليد - رضي الله عن من كان منهم صحابياً ، ورحم من كان منهم تابعياً). هـ. أقول: لنن كان ذلك كذلك فإني أكاد أقطع بأنه في زمان أمتنا المعاصر يكون أقرأ الأمة عبد الباسط عبد الصمد ، وأفرضها محمد علي الصابوني ، وأعلمها بالتأويل وإنزال القرآن على الواقع صاحب المعالم والظلال ، وفقهها صاحب فقه السنة ، ومحدثها أبو إسحق الحويني ، ولغوها مصطفى الغلاييني ، وشاعرها عدنان النحوي! ونقف عند الشعراء بأن ننزل الدكتور عدنان منزلته ونخلع عليه ما هو أهله ، فالرجل بدون مبالغة يُعتبر من أصدق الشعراء الذين عرفتهم ، وأغيرهم على الحنيفية السمحة والشعر العربي واللغة العربية ، ويُعد من أصدق الشعراء لهجة ، وأعزهم فخراً ، وأبرهم قلباً ، وأجلهم قدراً ، وأشرحهم صدرأ ، وأعظمهم حساً وشاعرية ، وأوضحهم مذهباً ، وأوسطهم طريقة ، وأفضلهم حسباً ، وأعرقهم نسباً ، وأنبلمهم سجية ، وأمضاهم عزيمة ، وأحسنهم هدياً ، وأقواهم بصيرة ، وأسدهم رأياً ، وأكثرهم حِلماً ، وأجملهم طريقة ، وأظهرهم حجة ، وأكرمهم يداً ، وأظهرهم عرضاً ، وأوصلهم رحماً ، وأعدلهم حكماً ، وأقومهم قبلاً ، وأرضاهم جبلة ، وأسماهم جانباً ، وأثبتهم جناناً ، وأبينهم خطاباً ، وأنقاهم سريرة ، وأنقاهم نفساً ، وأكثرهم محافظة على الوزن والقافية والوحدة الموضوعية وجودة النص وسلامته وقوة التركيب وطلاوته وجمال الحس والإحساس! ولقد يظن البعض أنني لفرط حبي للرجل قلت فيه مبالغاً هذا الذي قلت! والحقيقة

أن الراسخين في معرفته يدركون صدق كل حرف مما قلت ومطابقتها للواقع ، ويعلمون جيداً أن الرجل كما رأيت ويزيد! ولا نزكّيه على الله ، إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين ، والله حسبيه ووكيله ، وإنما هذه شهادتنا عليه من ظاهر عمله وقوله! ونحسبه هكذا. وغفر الله له ما لا نعلم وجعله خيراً مما نظن ، ولا فتنه الله بما نقول! وإنما قلت ما قلت فيه لأخبره أنني أحبه في الله! وأنا بهذا أمتثل أمر النبي - صلى الله عليه وسلم بأن المسلم إذا أحب أخاه المسلم فليعلمه! وأعتقد أنني أعلمته من خلال الرسائل ومن خلال القصائد!

فأضت - على الخلق - ریحاناً وأنوارا	إننا نَسَطِر - في القِرطاس - أشعارا
ونترعُ الدارَ تكريماً وإكبارا	نسوقها - في دروب القوم - تبصرة
وطائر الشعر - بالذكري - لقد طارا	دنيا القريض - بما نزجيه - شاهدة
والعقل - في حاله المعوج - كم حارا!	نشخص الواقع المعتل في وضوح
وإن - في الدار حين البأس - أنصارا	ونجبرُ الكسر ، والقِرآنُ عُدتنا
وعزمُ صحوتنا نراه أقمارا	نعالج الداءَ تلو الداءِ في ثقة!
وكم خطوب لنا تبيثُ أشعارا!	والشعرُ رائدنا في كل نازلةٍ
ولن يُقدّم هذا الإفكُ أفكارا	وليس شعرٌ بلا وزن وقافيةٍ
تُهدي القصائد أنغاماً وأزهارا	إن القوافي والأوزان بوتقنة
والشعرُ - من دونها - يبيتُ أقفارا	هي الحياة - لشعر الغُرب - قاطبة
وكل لفظٍ حوى تيهها وأوضارا	فلا حياة به تُبدي محاسنه
واستعذبوا الغش والتدليس والعارا	أصحابه أفلسوا في كل أمسيةٍ
ثم استباحوا الحمى ، والدين ، والدارا	كم أحدثوا - بقريض الغُرب - من زل!
يصبُ - فوق الغشاء الراكد - النارا	حتى أتى أسداً (عدنان) يكبتهم
وليس يقبل - من أعداء - أعذارا	يُعلم البلاء أن الشعر يرفضهم
وفكرة عفة ، تمجّع إعصارا	إما قريضٌ له وزنٌ وقافية
ومن بحار التقى تُذيع أخبارا	تذكر الناس بالرحمن خالقهم
وأبحرث - في سماء الرُشد - إبحارا	عفت - عن الدنس المرذول - شامخة

وتلقم الباطل الملعون أحجارا
وخيرُهُ فاض عُمراناً وأنهارا
تَحْمَلُ الجيل آثاماً وأوزارا
ولا نرى مجدنا الصداخ منهمارا
وسطر النقود أبواباً وأسفارا
واجعلن سبائكه - للجيل - تذكارا
أن القريض غدا - بالوزن - زخارا
فإن تنوره - يا قومنا - فارا
وإن للكيد - بعد العز - إدارا!
كم يخطم الشعر أغلالاً وأسوارا
مهما أضلت رؤى تهذي وأبصارا
بل جهزوا الناي والأرغول والزارا
وأن ما قد مضى من عهده بارا
وجمعهم - في سبيل الغي - قد سارا
صدقا ، وإن لها - في الدار - أثمارا
خلف القوافي ، وعزم الشعر قد خارا؟
وماء رونقها - في ناله - غارا
فإن - في قولكم - إرباً وأوطارا
وقد صنعت له الإفلاس أطوارا
وأهلها أصبحوا - بالهزل - أغرارا
وقد نرى رأسهم - في البار - خمارا

ترد حقاً إلى ركن يليق به
فذاك شعر له الجوزاء موعدة
ومما سواه فألفاظ ملفقة
يا (عدن) فاكتب ، لكي تنزاح فتنتهم
واجعل - من الشعر - طوفاناً ليغرقهم
ونقح الأدب المملوء تجربفة
وجدد العهد ، أن تحيى لتعلمهم
ولا سبيل إلى نيل يمزقه
وكيف تطفئ شمسا جوقة هزلت؟
ولا سبيل إلى غل يقيده
(عدنان) بين لهم فحوى حقيقة تهم
وكم كتبت ، فما كفوا دعائيتهم!
وأوهموا الناس ، أن الشعر عصرنة
واستأسدوا وقوى التعريب تكأهم
قالوا: الحداثة منهاج يجملنا
ماذا أخذنا - من الأوزان - شاخصة
تقدم الكل ، والأشعار خالفة
قلت: احسأوا في سراب التيه ، وانجدلوا
كفوا الهراء ، فإن الجيل سانلكم
هي الحداثة لا تبقني على قيم
هم الضياع لمن يغشى محلهم

وقد يكون - لأهل السوء - زمارا
وحطموا الشعر ، حتى بات أصفارا
إذ ترفع اليوم (نيقولا) و(جيفارا)!
كيلا تصرّ - على التخريب - إصرارا
بوركت أصدرت - في الضلال - إصدارا
تنساب - فوق رؤوس العير - أمطارا
وأنت - بالشعر - قد أعذرت إعدارا
الحق يئشُد أبطالاً وأخيّارا
وبات يكشف - للغادين - أسرارا
دريّة تُشهر الأشواق إشهارا
تعلم الجنّد تفضيلاً وإيثارا
شمسُ التباشير تذكيراً وأذكّارا
وجنة الشعر - فيها - الحور أبكارا
وإن رأيت مُنكراً كوئنه إنكارا
والشعرُ أمسى - ببذل الخير - معطارا
بنصرة الخير نثراً ، ثم أشعارا
وسلم الشاعر المحتار منظارا!
ليس (امراً القيس)! بل وليس (بشارا)
يفوق في حكمة التركيب (مهيارا)!
فليس مأربه - في العيش - دينارا
من الذين غدوا عيراً وأزيارا
لذلك اختار دين السلم معيارا

إن الحداثي - في أهوائه - لجبّ
هم خزّبوا الفكر والآداب أجمعها
خابت حداثتهم ، من بعد رفعتها
ودمّر الله إفلاساً تدنّ به
يا (عدن) أصدر لهم سفراً يسفهم
سفر (الحداثة) نارٌ سوف تحرقهم
و(النقد) سيفٌ - على أعناقهم - نهم
و(النهج) بيّن درب الحق في زمن
و(موكب النور) جأى كل غاشية
و(مهرجان قصيد) الفذ يبعثها
وفي (الملاحم) كم من صيحة بُذلت!
وفي (الجراح) - على درب الهدى - طلعت
منابع الفكر فيما قد كتبت لنا
يراعة - من سنا الفرقان - كم شربت
هذي الدواوين نورٌ في مرابعنا
والبدرُ (عدنان) أهدى الكل تهنئة
أعطى وأجزل ، لم يبخل بعزيمته
كان المهذب في شعر يُسطره
وشعره طيبُ الأعراق فيه تقى
لم يُغره منصبٌ يُذلّ عزته
ولم تؤرجحه دنيا من بها افتتوا
رسالة (العدن) في المأوى نهايتها

وأرسل النقدَ تلو النقدِ مدرارا
يعش نقياً ، فقد زادتَه أقدارا
يؤتيه - من عاطر التنظير - قنطارا
بين الخلائق دلالاً وسمسارا
وفي جوارحه - للضاد - مقدارا
وإن - في قلبه - عُوداً ودولارا!
وإن تسُد فتنة تجذُه مجعارا
إلا الحداثة فيها الطب كم حارا!
وكم أقرت دجى التضليل إقرارا!
قد احتوى صفهم حُمرأ وأعيارا
وأصبحوا - في حضيض - التيه أثوارا
من بعد أن كان - في ماضيه - مغوارا
وأنزلوا بجمال الشعر أضراراً!
وأهدروا - في رياض - النثر آبارا
وأحضروا - لغناء الشعر - مزارا
يُخرَفون ، وأضحى الكيد بتارا
وإن - في لحدها - المجهول سحارا
ويقصدون دهاقيناً وأحبارا
وإن - في كل كف كاد - منشارا
ويسدلون - على البهتان - أستارا
وتمس - في زمر الأفلاك - سيارا

أردى الحداثة ، جلى قبح عورتها
وكان ينظر كوناً بالحداثة لم
يرى الحداثي مردولاً ، فيمقته
ولا يخاف الذي قد كان نصبه
فإن في قلب (عدن) حب خالقه
لكن حداثيهم - في الوحل - مرتكس
إذا علت قيمة تلقاه منخرساً
وكل داعٍ له طيب يُعالجه
دارت على فلك التغريب فانشطرت
وأهلها خبثوا من معشر فحش
كم علموا العيش ، حتى صار يلعنهم!
كم مزقوا الفكر ، حتى بات مسخرة!
كم حرّفوا الشعر حتى ضاع رونقه
كم قتلوا جهرة وزناً وقافية!
وطوّعوا الشعر للأوهام ، فاحدروا
وأخضعوا الشعر للاشعر فانكفأوا
واسأل (أدونيس) كم ياقوتة دُفنت!
يُبذون ، ولا إنسان يسألهم
ويشظرون لواء الشعر دون حيا
يُعربدون لهم سواق تشجعهم
هي الحداثة فارجمها تعش ألقاً

وقد غدا أهلها - في الساح - فجّارا
وكل بالوعةٍ تضم (صرصارا)!
وكل جيب يُمَجّج - الآن - أثارا
وإنني ها هنا أسديت أحذارا
وعن حدائتهم أنذرت إنذارا
وقد أبان لنا - عن تلك - أخطارا
وجادل (العدن) مأجوراً وديّارا
وبعد زار لها دوراً وأمصارا
لذاك مزق - في التنظير - أوتارا
وقال: كيف يكون القوم أبرارا؟!
وإن - في رحم المجهول - أقدارا
مثل التي أهلكت من قبل كفّارا
وأصبحوا - في ثرى البيداء - أبعارا
وإن - في الكون - أحوالاً وأغيارا
لم تُبق من جمعهم في الناس مسعارا
حتى يُولوا من الأكوان أدبارا!
فلا نعاني له - في البهم - إضمارا
فلا يُعكّر أجيالاً وأعصارا
ولا يُناشد - للإفلاس - تجارا
لأنها قطعت - في الغي - مشوارا
والليث إن يبدُ لم ترقب هنا فارا!
عساك تلحق خباباً وعصارا

لا تخدعنك ، هذي نبتة خبيثت
في كل ضقع لها ذيل ينمقها
وكل دار بها جيب يُباركها
خابت دهافتها في كل حاضرة
صرحت ، لم أدر نصحاً وتبصرة
حتى رأيت أبي (عدنان) أتحفنا
عرى الحداثة ، لم يحفل بصولتها
وكم تعقبها في عُقر منشئها!
وناقش (العدن) تضليلاً تتيه به
أبان سُبُل الهدى لمن طغى وبغى
لكنهم أعرضوا عن هدي خالقهم
فربما خصّهم ربي بصاعقة
وربما سُلبوا فحوى مكائنتهم
وربما أخذوا من كل ميسرة
وربما أهلكوا بسوء عاقبة
وربما اجتثت السواى فضائهم
ويصحبوا خبيراً ماتت نكارتة
يزول - بعد ظهور الحق - مُنتفضاً
ولا تقوم له - في الدار - قائمة
هي الحداثة ليست تحتوي قيمياً
(عدنان) أنت لها ليث يروضها
أوصيك وأصل جهاداً طاب مسلكه!

ويسـتزيد - من الأفـذاذ - عـمـارا
أمسى عدوك - في التغير - مـكـارا
يرد كيداً - على الإسلام - جرارا
تـحـرق اليـوم خـواناً و غـذارا
فأخرسـته ، ويوماً كان ثرثارا
حرباً ضروساً ، تضم الجند كـرارا
وإن للشعر - في الهيجاء - إغبارا
فتشـتكي ألمـا يـكوي وأعـسـارا
وأنت أصدقـ من في وجهها ثارا
وحسبـك الله فوق الكل قهارا
وحسبـك الرب - للزلات - غفارا
فحسبـك الله - للحويات - ستارا!

فإن شعرك كهفـ فـاز ساكنه
وإن بليتـ فصـبر ، ثم ملحمة
فدع قريضك - في الميدان - سيف مضا
وقر عيناً إذا نار القريض زكت
تكلمت عنـدما العـدون باغتها
وقد عرفـتـك يا (عدنان) معلنها
تـردى الحـدائـة ، لا تـبقي لها أثراً
وإن للنقـد ترجيعاً يورقها
وأنت يا (عدن) أدري بالذي صنعت
فاغرس يراعك في أعفان ساداتها
لا فض فوك! ولا انكسرت يراعكم
وإن تعقب ما ألفت مرتزق

فتى الأحلام

(يقول الله تعالى: (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى). إنني أعنون لهذه القصيدة بـ (فتى الأحلام) لأرمز هنا إلى القصة المكرورة التي تعيشها كل فتاة تعرض عن ذكر الله تعالى وتجعل من فاسقات التلفزيون والسينما وفاسقيه قذوات لها وأسوات ، وأدلف من هذه الهاوية إلى ضحية قصيدتنا التي قالت وهي تذرف دموع الندم: كانت البداية مكالمة هاتفية عفوية ، تطورت فيما بعد إلى قصة حب جاهلية وهمية كالتي يقدمها التلفزيون المجرم الأثيم للجيل الضائع المرذول! تقول العاشقة الولهانة: أوهمني فتى الأحلام أنه يحبني ، وسيتقدم لخطبتي ، وطلب رؤيتي فرفضت! فهددني بالهجر بقطع العلاقة ، فضعفت أمام عشقه فأرسلت له صورتني مع رسالة رقيقة وردية معطرة. وتوالت الرسائل وطلب مني أن أخرج معه ، فرفضت بشدة فهددني بالصورة وبالرسائل المعطرة وبصوتي في الهاتف فلقد كان يسجله في كل مرة. فخرجت معه على أن أعود في أسرع وقت ممكن. ولكن عدت وأنا أحمل العار! فقلت له: الزواج ، الفضيحة أو الانتحار! فقال لي بكل احتقار وسخرية: إنني لا أتزوج فاجرة! وإلى هذا الحد نسدل الستار عن قصة فتى الأحلام المزعوم! ونضرب الذكر صفحاً عن ذكر أحداثها. أقول: إن ظل الآباء والأمهات يدلسون ويُنصّبون من أنفسهم ديوثين على أعراض أولادهم وبناتهم فوالله ثم والله إن العاقبة ستكون وخيمة! وإذا لم يكن لهم وقفة من هبل القرن العشرين (التلفزيون) لو كان أبو لهب حياً لوقفها باسم التقاليد والعادات والأعراف بكل رجولة إذا لم تكن هناك وقفة لتكونن اللعنة أشد ومغبة الأمر أعتى! لقد قضى ذلك الجهاز الخبيث على القيم والكرامة والنخوة والإباء والآداب ، وأفسد الفطر والقلوب والعقول والضمانر والمشاعر والأرواح. وهذه امرأة نصرانية حكى عنها صاحب الظلال أنها أبكاها القرآن ، قال سيد رحمه الله: (كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجنب ، ليس فيها مسلم ، وخطر لنا أن نقيم صلاة الجماعة في محيط على ظهر السفينة ، وقد وافق قائد السفينة أن نقيم صلاتنا وكان كافراً ، وسمح للبحارة والطهارة والخدم وكلهم من المسلمين ، وكانوا من الليبيين المسلمين أن يصلوا معنا ، وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً ؛ إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة. وقمت بخطبة الجمعة ، وإقامة الصلاة ، والركاب الأجانب معظمهم متعلقون يرقبون صلاتنا ، وبعد الصلاة جاءنا كثيرون منهم يهنئوننا على نجاح القداس ، ظنوه القداس وأن المسألة مثل مسائل النصارى ، وهذا ما فهموا عن صلاتنا ، ولكن هناك امرأة من الحشد تعرّفنا فيما بعد أنها أوربية ، كانت شديدة التأثر والانفعال ، تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها ، جاءت لتهنئنا بحرارة وهي لا تملك نفساً من التأثر العميق وليس هذا موضع الشاهد من القصة ، ولكن ذلك كان في قولها ، أية لغة هذه التي يتحدث بها قسيسكم؟ وهذا تصورها ، وقد صححنا لها الفهم بأنه ليس هناك قسس في الإسلام ، وأجبناها على سؤالها على اللغة التي كان يتحدث بها الخطيب ، فقالت: إن هذه اللغة التي تحدث بها لها إيقاع عجيب ، وشعور في النفس غريب ، وإن كنت لم أفهم منها حرفاً واحداً ، ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول: لكن ليس هذا هو الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه ، إن الموضوع الذي لفت حسي هو أن الإمام كانت ترد في أثناء كلامه فقرات من نوع آخر غير بقية

كلامه ، نوع أكثر تأثيراً ، وأعمق إيقاعاً ، هذه الفقرات الخاصة كانت تعمل في نفسي رعشة وقشعريرة ، إنها شيء آخر يختلف عن كلام الخطيب ، وتفكرنا قليلاً ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة وفي أثناء الصلاة ، وكانت مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة من امرأة لا تفهم شيئاً مما نقول ، فسبحان الذي أنزل الكتاب وجعل له هذا السلطان (والتأثير). -هـ. كان أولى بهذا الانفعال من فهم القرآن والعمل به كمسلمة ضحية قصيدتنا! وما لم يصبح الآباء كالليوث خلف أولادهم وبناتهم يحمون ويحافظون ويؤدبون فلسوف يندمون في الدنيا قبل الآخرة! ونسأل الله تعالى أن يحفظ أبناءنا وبناتنا من الجاهلية وأهلها ومن الفن وأهله ومن الضلال وأهله! وبالطبع أستثني الفن الملتزم بالعقيدة!)

ماذا أقول لمن زلت بها القدم؟
ومن لغفلتها - باعت نضارتها
ومن أضاعت سدىً فحوى أنوثتها
ومن تلوكت ضحىً مأساة سقطتها
ومن تمرق منها العز حين غوت
ومن تدنس فيها ماءً نشوتها
ومن تمرغ - في الأحوال - خاطرها
ومن تحدر منها مسك عفتها
ومن تبخر فيها زاد سُودِدها
ومن تشئت - في أشلائها - غدُها
في مقتل طعنيت ، لَمَّا تعقبها
حتى هوت في حضيض الأرض تلثمه!
كانت تؤمل - في آلامها - رجلاً
يُقيل عثرتها ، في غابة أسنت
يحنو عليها ، إذا اشتدت دغولها
ويجلب الخير في بيت لها عطر!
لترفل الغادة الحسناء في نعم

ومن - على رجسها - تأسف الألم!
ثم انبرى يشتكى - من هزلها - الندم
حتى انثنى عودها المستشرف الشبم
وليس يقوى - على تصويرها - القلم
فأصبحت ينزوي - في ظلها - العدم
ثم اغتدى عطرها الفواح يُخترم
وفي ترائبها الإحساس ينهدم
وقد أحاطت بها - في الفتنة - الأزم
حتى علاها الأسى والذل والبكم
حتى ألمت بها - في الأزمة - الجرم
دأء الغرام ، فهانت عندها الحرم
لذا أهينت ، وكانت قبل تحترم
من الأعراب ، أو زجت به العجم
وليس يحوي الذي عجت به كلم
ويجتبئها ، إذا اشتطت بها الديم
شعاره الجود والإحسان والكرم
تدوسها العين والأهداب والقدم

فإن أمثالها - من الرخا - عُصم
فإنما المال - في دنيا الشقا - دَعَم
تميس في طولها ، كأنها الهرم
من أن قلت هذه المغرورة القيم
كأنه الحوث ، والمسكينة البلم
كأنه العيرُ والخرفان والغنم
وقصة تسحي - من سردها - إرم
وذئبُ قصتنا ليست له شيم
مثل التي أتقلت ، وأزها الوحم
لحمّ تعرى ، عليه العطرُ والكتم
حتى النفوسُ شوى إصرارها الضرم
ومن كوارثه الدموعُ تنسجم
وذاك من خدر (الأفلام) يبتسم
وفي معارفها الأخلاقُ تضطرم
لأنها رضخت ، فعافها السلم
تشوي تدينّه ، كأنها الحَمَم!
وجرُحه لجبّ ، وليس يلتئم
وقد أحاطتْ به الأهواءُ والظلم
يريد شرّاً به ، ومنه ينتقم
وسيلُ تخريبه - في دارنا - سَجَم
وأغنياتُ لها - في الملتقى - نغم

حتى تعبى - في الآفاق - فرحتها
حتى تقنطِر أموالاً وأرصدة
كانت تشيّد بين الناس مملكة
تختال تيهاً بما احتالت لعيشتها
وفصل الذئبُ مُحتمالاً غوايتها
تعقب الصيّد حتى نال مأربه
بضاعة رخصتْ في جيل غفلتنا
إن الأسود تعاف الغدر إن غدرتْ
سوى التشفي بلا حدٍ ولا هدفٍ
تعوي الكلابُ ، لها نبج على جيف!
والنارُ موقدة في كل ضاحيةٍ
تنوع الغهرُ في أصقاع ضيعتنا
تستقرئ الناس: هذا في ضلالتة
حتى تفاجأ بالمأساة تسحقها
فتمضغ الضيم - عمداً - ثم تبلّغه
يا خيبة الجيل فيما ساد من محن
شبابنا - في دجى التغريب - مرتكسٌ
ولا يُحس بما قد جيك من خدع
عدوه ساهرٌ - في الليل - يرقبُه
لم يألُ جهداً ، ولم تياسُ كتائبُه
مسلسلاتٌ وأفلامٌ مُنسقة

عبر الأثير ، ومغزاها هو السأم
والحسنُ في هجمة الماسون منهزم
وللسقوط غدت - في دارنا - فوم
تسوقه الغيد - للباغين - والرنم
ومن يبيع الأغاني ليس يُتهم
هي البريئة ، عاشت للورى النظم!
ومن يُروج للأفيون مُتهم!
متى يُقيم حدودَ الله (معتصم؟)
وكيف حلت بنا الأوجاع والنقم؟
وكم وعين؟ فلا عد ولا رقم!
دينُ المليك به - في الكون - ينهضم
آثارها عندما ضاقت بها الذمم
أهل الصليب لمن في دينهم هُزموا
جيل - على أحدث الصيحات - يختصم
مُصففُ الشعر ، من أودت به اللمم!
كل الصبايا ، وليس الأمر ينكتم
طلاوة البدر ، بنس الحمق والغشم!
والصبّ يأسره صوت الهوى الرخم
فصادها العاشقُ المستلثم البُرَم
تُزجي تحفظها ، والثوب محتشم
في غفلة الأهل ، حتى طفت التهم
من بعد أن فتكت - بالعادة - الغم

في كل يوم أباطيلٌ مُهدمة
وفي المجلة أزياءٌ مزركشة
والعريُّ يُغري تيوساً في مرابعها
وفي الجرائد كم دُعر يزخرفها!
يُحاكم القوم من يبيع خمرته
ومن يُروج - للأفلام - مهنته
من كان يُفسد جيلاً لا تعاقبه
حدّ الحراية من فينا يطبقه؟
سل الصبايا عن الأخلاق كيف غفت؟
سلهن عن سور القرآن ما حفظت
ماذا علمن عن الإسلام في زمن
سلهن عن سنة (العدنان) ما ظهرت
سلهن عن أثر المكياج شرّعه
سلهن عن رحلة الموضات ، سافرهما
سلهن عن قصة الأشعار قام بها
سلهن عن مطرب أغرى بأهته
سلهن عن هاتفٍ فاقت طلاوته
صوتٌ تجمل حتى بات أغنية
والهاتف العذبُ أغوى قلب غادتنا
لم تدخر جهدها ، تُوفي بما وعدت
وقادها النذل للطوفان ، فانزلقت
والهاتفُ الغر مزهوّ بنبرته

جبال قهر - على أرض العنا - رزم
يُزاحم الضوءَ فيها الحزنُ والطَّسَمُ
يُبدى تأسَّفه ، كأنه العلم
وخطبُ أخذتها في جيانا عمم
ومَن تفوقهُمُ - في الحكمة - النعم
وليس يسقط من - بالله - يعتصم!
وكيف أحرقتنا - في ناره - الجَم؟
بئس الخنوعُ! وبئس الهزلُ واللمم!
كأننا - في الحضيض - الرملُ والأكم
واليوم سادتنا - في أرضنا - قزم
بئس التحكُّم والأوضاعُ والقِسَم!
فيها تشيد بنا الأفلاكُ والنجم
ودارُننا الهدى القرآن تحتم
وإن صفَّ الهدى بالحق يلتزم
وحورب المنهج المستبصر اللقم
فإنما السيف للباغي هو الحكم
لطبقتها ، ففيها الخير يُغتم
نعوذ بالله مما تفتري العمم
وبات أمرُ الهدى - في الدار - يحتدم
شَبَّوا على بيعه ، وفي الخنا هُزَموا
وسوف يشرق في بطونهم خمم

فيه المفاتيح لم تبرخ أماكنها
وشاشة الهاتف المحبور واجمة
وأرييل الهاتف المطعون مرتفع
خابت هواتف جدت في ترهلنا
وحاسب الله من في غيهم سبجوا
أهكذا يُشكر المولى على نعم؟
إنني لأعجب كيف الجهل أرجحنا؟
وكيف ضاعت - بما نجنيه - هيبتنا؟
كيف احتوانا الخنا في بئر حماتة؟
وكيف زالت من الدنيا مناقبنا؟
وكيف قسَّمت الأعداء ضيعتنا؟
بالأمس كان حمى الجوزاء مرتعنا
وحقتنا - من عيون الأسد - نأخذ
وبالجهاد زكت فحوى عقيدتنا
فإن أبت منهج القرآن شرذمة
وقرن الهدى في أصفاد من فجروا
شريعة لورأى الأعدا حقيقتها
لكنما أهلها أخفوا نصاعتها
كم طوعوا الدين كي يرضوا قياصرهم
وإن فيلقهم - بالدين - مرتزق
وبالشريعة كم نالوا ، وكم أكلوا!

على الغفاة ، وَمَن أَغْرَاهُمُ النَّهْمُ
لأنهم لمعين النور قد كتموا
لكنهم من وراء الحق كم غنموا!
فكل واحدة لمن غوى طعم
وتلك قد نصبت لرقصها الخيم
أمست يُجهزها الطبال والحشم
لمن على غيرة أودى بها التخم
وليس تعصمها - من غيها - حكّم
وحقها - بيد الأعداء - يُلتمهم
ليهناً البغي والطاغوت والحشم!
وبئس ما فعلت ، وبئس قسَم!
وحطمت غيلة من كان يحتم
ويأكل الفقر كم أبناؤها الأيم!

ووزع الدين لم نشهد له أثراً
وأغلب الناس - في أعراضهم - وقعوا
تعلموا الحق للدنيا فما نفَعوا
حتى غدت فتيات الجيل منهبة
تنوع الكيد: هذا قادمهزلة
وذاك صاغ لعزف العود أغنية
وتلك تشرخ (ريجيماً) بأمتية
وتلك تفجر ، لا دين ولا خلل
وأمة الحق - في الأهواء - غارقة
تبارك اليوم من حاكوا مهالها
آلت على نفسها ألا تخالفهم
كم عذبت جيلها طفلاً ومشيخة!
ويأكل الكفر ما حازت وما صنعت!

الموت حار الكل في أسبابه (تأبين الشربيني أبو طالب)

(حُق لي أن أسمى عام 1999م عام الحزن ، إذ إنني افتقدت فيه أماً في الله غالباً ، وأستاذاً علم ونشأ وربى ورسخ وأعطى الكثير ، وهو الأستاذ الدكتور الشربيني أبو طالب ، رحمه الله رحمة واسعة. وكم تأثرتُ بفقد هذا الحبيب والمعلم والمربي الذي امتدت رحلته معي ، منذ كنتُ طالباً في المرحلة الإعدادية فالثانوية فالجامعية ، وامتدت العلاقة بعد الجامعة. نعم قام على تدريسي اللغة العربية وآدابها منذ كنتُ في الصف الثاني الإعدادي ، وإلى أن نال درجة الماجستير في الأدب العربي ، أو بالأحرى في النحو أو الأجرومية العربية. ولقد كان نعم الناصح الأمين ، فلقد والله عرضت عليه من أشعاري ما استطعتُ وما شاءه الله منذ كنتُ في مصر ، ويستضيفني في بيته استضافة يعجز عن رسم أبعادها وإحاطة القارئ بما فيها القلم. ومهما حاولت الكتابة عنها ما وفيتهُ حقه! وكان قد اعتاد - رحمه الله - أن يشتري لي الدوريات والمجلات والكتب ، وكنتُ أفعل الشيء ذاته له. وأهديته يوماً (المعجم الوجيز) في طبعته الأولى الفاخرة فكاد يطير من الفرح. وكان يتواضع فيعطيني أوراق رسالة الماجستير أراجعها لغوياً ، وأنا الفقير في اللغة العربية وبضاعتي فيها ساعتذ بضاعة مزجاة ، وهو يعلم ذلك ، لكنه التشجيع خلف ظلال التربية والعطاء. وكانت رحلة القطار من كفر سعد إلى المنصورة وكذا العودة سوياً جزءاً من تاريخ الذكريات وشريط الماضي. وأذكر أنه كان أول مخلوق له بعد الله الفضل في أن يجعل مني الخطيب الموهوب المفوه المصلق والشاعر القوي الشعر! وما ذاك إلا بفضل الله أولاً وآخرأ ، ثم بفضل تشجيع أستاذنا الشربيني. الرجل الذي كان ينصح فتقع النصيحة موقعاً في القلب لا يوصف ، والرجل الذي ما كانت يده تفارق يدي وهو يستقبلني ضيفاً عليه في بيته ، حتى أجلس وأخذ مكاني عنده. والرجل الذي لما كانت الحرب بين داحس والغبراء قد شب لهيبها والتهب أوارها واشتد وطيسها (أعني الحرب بينه وبين أحد أحبنا في الله وهو الحاج إبراهيم البغدادي وبعض إخوته هنا في كفر سعد - دمياط ، ونفخ فيها (أي في الحرب) شياطين الإنس والجن ، كنتُ قد ذهبتُ لأشفع للرجل عنده ، فقبل خاطري في حين رد خواطر وشفاعات قوم آخرين ربما في مثل سن آبائي وأجدادي! فجّل الرجل في عيني ، وعظم في نظري ، وهو يعلن أمام الحضور يومها أنه رد شفاعاة الكل وقبل شفاعتي ، وذلك في بيته عام 1988م. فكان من حقه علي أن أبكيه يوم رحيله بقصيدة كان يحبها ويتمثل بعض أبياتها عبّر رحلة القطار ، وربما هو الذي قدّم لي هذه القصيدة فيما قدّم على بساط البحث ومائدة التدوق الأدبي! وهي قصيدة شوقي في تأبين أحد أحبائه: (في الموت ما أعبا وفي أسبابه!) تلك التي حظيتُ بإعجاب النقاد المعاصرين والقدامى! وأشهد أنها قصيدة محبوكة مسبوكة ينفعل لها خاطري عندما أسمعها ، وكأنه لا يوجد قصيدة في الموت غيرها! لذا آثرتُ أن تكون قصيدتي في بكاء الدكتور الشربيني أبو طالب على ذات وزنها ورويها وقافيتها وبحرها. فإن لن تصل إلى عظمة أداء شوقي ، فلي شرف المحاولة في أن أعارض شاعراً كشوقي ، وقصيدة كهذي تعتبر من عيون شعر شوقي فضلاً عن أنها تعتبر في الوقت ذاته من عيون شعر العرب في العصر الحديث! روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رُفِع إليه ابن ابنته وهو في الموت ، ففاضت عينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. وروى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال

الرياح تفيته ، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء! ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تُحصد. والأرز في الحديث هي شجرة الصنوبر. وأنا لنحتسب الدكتور الشربيني عند الله تعالى ونصبر على هذا المصاب الجلل. فعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: يقول الله تعالى: (ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة). رواه البخاري. ألا وإن قصيدي عزاء كذلك للأدب العربي والإسلامي وأهله وللشريعة الحنيفة الغراء وأهلها ، إذ الدكتور الشربيني عالم أديب على كل حال. وإن موت العالم ثلثة في الدين. يقول الله تعالى: (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون؟) والحق أن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور العلماء ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهلاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا. ولما كان الموت من حقائق اليقين فإن الله تعالى جعله برهاناً على ربوبيته سبحانه {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ، {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شَرِكَاكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}. وفي هذا الحديث العظيم تذكير بالموت ، ولذا أمر صلى الله عليه وسلم بتذاكر الموت ، وحث على زيارة القبور لرؤية مساكن الموتى ، من أجل أن تستيقظ القلوب من رقدتها ، وتنتبه من غفلتها ، فلا ينسيها عن ذكر الموت ما تتمتع به من مشاغل الدنيا وملهياتها. والناس في كل يوم يرون الأموات عياناً أو عبر الشاشات ، ويرون القتلى قد مددوا على الأرض ، وفي كل يوم يسمعون أخبار الموتى! وكان حقاً عليهم أن يعتبروا ويخافوا ؛ لأنه إذا كثر الموت كما هو الحال في زمننا هذا زادت نسب احتمالات وصول الموت إليهم. لقد كان الناس قديماً - وبسبب تواضع وسائل الاتصال والإعلام - لا يسمعون أخبار الموت ، ولا يشاهدون الموتى إلا في فترات متباعدة ؛ فترق قلوبهم ، وتدمع عيونهم ، وتعلوهم هيبة الموت ويتغير الواحد منهم فترة لا يشتهي الطعام ، ولا يغمض لنام! يفرغه ذكر الموت ، ويرعبه منظر الموتى ، ويتذكر ما شاهد من جنازة ، ويفكر متى يحمل مثلها ، فينتفع قلبه بذلك مدة من الزمن. أما الآن فالناس في المقابر يتحدثون في أمور الدنيا ، ونعوش الموتى محمولة على أكتافهم ومنهم من يطالع رسالة في هاتفه ، أو يهاتف غيره ، وكأنه يحمل أي متاع لا يذكره بشيء. وإن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا شربيني لمحزونون. اللهم ربنا اغفر له ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وأفسح له في قبره ونور له فيه. اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من خطايه كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، وزوجاً خيراً من زوجته ، ودمماً خيراً من دمه ، وأدخله الجنة وأعدّه من النار. إنك يا ربنا أرحم الراحمين وخير الغافرين يا رب العالمين.)

الموت حار الكل في أسبابه حقاً ، وتناه العقل في عجابه
وخزائن المقدور غيب خالص والخلق موقوف على أبوابه
لا تسأل الأقدار ، ماذا خبأت؟ إذ ليس هذا سؤال فذ نابيه
كم من صحيح في دجى الموت انزوى خلف القبور ، بكاه جمل صحابه!

وأتى الفراقُ يخطططي كتابه
ما كان يحلم لحظةً بغيابه
وجنى مصابُ الموتِ زهرَ شبابه
ودعا - له - المشتاق في محرابه
وسرتْ خيوط الكرب في أعصابه
والدمعُ يرفل في أسى تسكابه
بأظى النحيب ، فيحتمي بشعبه
بأً موجداً ، يأسى على أحبابه
حرى تلوم الموتَ عبْر وثابه
والقبرُ موصدٌ خلف صمت ترابه
ماذا وراء الموت قد أجرى به؟
رغم الأنوف على مَرار شرابه!
وبلاءُ رب الناس من أسبابه
فإذا دننا أجلٌ أتى بحرابه
متن الحياة ، يؤزه بعذابه
والعبد موقوفٌ على أعتابه
يوماً يُجرع من أسى إعجابه
كم خصني - دهرأ - بعذب خطابه!
وعلى قريضي رش من آدابه!
وصعدتُ معزاً لعز ركابه
أبدأً أغرد فوق دوح رحابه

أكلتُ أمانيه العذابُ فوادهُ
وظغى الرحيلُ على مُحياه الذي
وسعى وحيداً في دهاليز الجوى
وعلى وفاة الشهم سالتُ أدمعُ
واشتد حزنُ الخل ينعي خله
يبكي ، ويغلبه الأنينُ ، فيشتكي
أبدأً يُبازره النشيحُ ، فيكتوي
حتام ترحمُ ذكريات الأمس قلـ
يا أيها الحب المسجى ، أهتني
تستمطر الرحمات ، تجهش بالبكا
وعلى جبين الضيف بسمة حائر
فالموتُ كأسٌ سوف يشربه الورى
ولله جنودٌ لا تخاف مُكابراً
نسعى ، وفوق الرأس يسعى موتنا
ويراقب الرمق الأخير إذا اعتلى
ولكل موتٍ ظاعن سكراته
ومن اكتفى - بحياته - متشاغلاً
لما علمتُ بموت خـل صادق
وكم اشتراني من هوى يجتأخني
ورأيتني - فوق المنابر - هادياً
ورأيتني ، والشعرُ يُتحف هامتي

بيراعةٍ مائتٌ ببعض لبابه
وعلى كلامي العذب بعض ثيابه
فإن الله يُكرم من يلوذ ببابه
عبرَ القطار ، وفي نسيم غيابه
والكل ينهل من جنى أرطابه
وأنا أسجل كل ما أوصى به
والعلم يزهو بعد كشف نقابه
وأريجها يبكي عطا غيابه
ينعي لمن حضروا رحيل شهابه
بين الورى ، تبكي على أقطابه
علماً يُوازره عتي صغابه
والعلمُ تيجانٌ على طلابه
فاضت على شعري وبوح رضابه
والود أهداني بهي رغابه
والحلم نورٌ في دنا أصحابه
والشهم برٌّ في رطيب عتابه
في عالم يجني على أنجابه
جم السنا متواضعٌ بجنابه
والجودُ يحيا في ربا أطيابه
عف المكارم عبر سحر جوابه
وتوسم الأقسام دفن سبابه
واللفظ خان ، وشذ من أنيابه

ورأيتني - بين الخلائق - كاتباً
ورأيتني متكلماً متبلغاً
والفضل للمنان ، ثم لصاحبي
مازلت أذكر يوم أن كنا معاً
والفد يُعطي من أصيل علومه
هذا يُسائل ، ثم هذي تشتكي
مازلت أذكر ما بذلت معلمي
إني أعزي فيك (ضاداً) أتكلت
(سندوب) بعدك مقفراً ديوانها
(منصورة) التعليم بعدك أمحلت
مازلت أذكر ما نصحت تريديني
وطرحت خيرك - فوق رأسي - وافراً
وغمرتني بنصيحة شععرية
وشملتني برعاية أخوية
مازلت أذكر من خلافك حلمه
فإذا اختلفنا ، كنت أندي منطقاً
إيثارك الغض الأريب مسامري
وحياؤك المنثور فوق فضولنا
وسخاؤك المبنول فينا آية
وإذا أسئ إليك كان سماحكم
لما جعلت رسول من قد عابكم
وهمست في أذنيك: هذا صاحبي

والعفو أحمد في صنيع عجايبه
والأمر أمسى في أليم مصابه
جسر العداوة فوق ذل صعايبه
والصف عان في لظى أحزابه
أن تحمل الجثمان بعد ذهابه؟
والموكب المكروب في أعقابيه
والروح تنزف خلف ظل حجابيه
تأسى ، ويجرحها أنين كعابيه
فوق الفقيد تروم يوم إبابيه
والموت سيف جد خلف قرابيه
أعطى كتاب الله جمل شبابيه
قد كان كالنبراس في أترابيه
إذ تعجز الكلمات عن ألقابيه
فالعلم والترويح في إطنابيه
إن العزاء يئن من أنصابه
جعل التفقه من زها أنسابيه
للضاد يقري الناس من آدابيه
والفد من ضيفت على أحسابيه
والجيل يفدي بأسها برقابيه
شط الوجوم بها بأخذ عقابيه
والحزن ملتاع ثوى بلعابيه

فاغفر ، وأنت أميرنا وإماننا
فرايتُ منك لخاطري ما راقني
فرضيت بالصلح الزكي ليغبروا
وقتلت فتنهم ليرضى جمعهم
يا (كفر سعد) كيف طابت أنفس
والنعش - ويح النعش - في إداره!
يبكي على أعناقهم متملماً
وهناك الأسفار في إيوانها
وجحافل الزوار تطفو موقوفهم
يا أيها المجنوز موتك هزني
إلا بيوم رحيل أشجى مقرئ
ها ذاك (عبد الباسط) الفذ الذي
وكذا بيوم فراق أخلص عالم
(عبد الحميد) ، ومن يُباري شخصه
من ذا أعزي فيك يا مصباحنا
إني أعزي فيك كل موحدٍ
وكذا أعزي فيك كل معلم
فالضاد أشرف ما علمت من اللغا
مثل الحليب على اللسان حروفها
وكذا أعزي فيك أسرتك التي
وتحدثت أحداقها من حزنها

إن القنوط يـؤزكم بخرابه
ودعوا الجوى ينفل في تلعبه
وحببكم قد أن طي كتابه
ما قد حبيت مُفاخرأ بركابه
أخطاءه في (الضرب) أو أذنبه
هذي ، ويغشاها ببعض سحابه؟
والجيل يرثي اللحن في أعرابه
والنسرُ ثاو في رحي أسرابه
يُزكي القريض ، تنال حسن ثوابه
ووضعت في الديوان فضل خضابه
للقائه ، ليحين يوم حسابه
لو كان يعرف عن دنو تبابه
وثاؤكم عندي أصيل نصابه
ويمن بالغفران كي يُجزى به

حتام يصبر في المصيبة ألكم
والله أرحم ، فاستكينوا واخشعوا
قدرُ المليك ، وصبركم فيه العزا
ولسوف أذكر بالترحم صاحبي
قد كنت أعطيه القريض لكي يرى
فمن الذي يقوى على مرثيتي
ذهب الغطاريف الذين نحبهم
وحمائم الشعر احتواها حزنها
قد كنت أرجو منك نقداً عاجلاً
أرسلته متكافاً ومؤملاً
لكن قضاء الله خط نهاية
وأتى ثناؤك في رسالة والدي
قد أصبحت ذكرى عبارات الثنا
فليرحم الرحمن عبداً قد مضى

إنما الله إله واحد (رسالة إلى منصرة!)

(كان من المرجو أن تكون هذه القصيدة بين أخواتها في ديواننا الثاني: (عزيز النفس)! إذ يرجع تاريخ مناسبتها إلى الفترة من 25 - 11 - 1994م ، وحتى تاريخ إصدار ديواننا الخامس: (ترنيمة على جدار الحب). وتأخر التأليف لحكمة يعلمها الله تعالى. إلا أنني أجزم أن جنين هذه القصيدة لم تدب فيه الحياة إلا وقت تأليفها فقط! وإن كنت لا أقطع بأن الحبر قد جف عنها بعد. إذ هي في طور الولادة ، فليعذرني القارئ إن هو وجد عليها أثراً من آثار ولادتها ومخاض فكرتها ونفاس القريحة التي جادت بها بعد توفيق الله من قبل ومن بعد. ومرة بعد مرة أكرر أن الفضل لله أولاً وآخراً في كل قصيدة كتبها أبتغي بها وجه الله تعالى! وتعود مناسبة هذه القصيدة إلى إحدى المنصرات الصليبيات الجادات الموغلات في النصرانية والدايعيات إليها بإخلاص ، أخذت تدعو وتبتهل عند مريض مصاب في حادث سير مروري أودى بمقتله اليسرى فاستأذنت عليه المنصرة تلك أن تدخل عليه غرفته بالمستشفى حيث كان تحت العلاج والإشراف الطبي ، فأذن لها الرجل إحساناً للظن بها ، حيث لم يكن يعرفها ولا يعرف حقيقتها ولا سبب مجيئها ، وإنما وقع في خاطره وتقديره أنها ممرضة جاءت لوضع بعض القطرة أو لإعطاء إبرة أو متابعة حرارة المريض أو السؤال عن مدى تحسن الحال بوجه عام. وساعد على ذلك أنها كانت ترتدي ملابس الممرضات التقليدية. وبعد أن سألته عن حاله ورثت لما حدث له وتأسفت ، سألته مستأذنة في الدعاء له بلهجة إنجليزية! ومن سوء حظها ان الرجل كان يتقنها ويعلمها بحكم تخصصه. وكان المعنى الذي ترمز إليه هذه المشركة الجاهلية أن يُخَلِّص المسيح هذا الشاب البائس المصاب من معاناته الأليمة ومن مصابه الجل ، وانفعلت الخبيثة في أداء العبارات المأساوية الجنائزية بصورة درامية في قالب موغل في التراجيديا الشكسبيرية الهوليودية ، فأخذت بالنفوس من حولها ، تلك النفوس التي صنعها الإعلام الغربي والعربي الجاهلي المعاصر. وامتلك المريض الشجاعة الأدبية في الرد عليها في ثقة المؤمن وإيمان الواثق ، مستأذناً إياها في أن يسألها بعض الأسئلة التي طلب إليها أن تجيبه بصراحة وبدون أدنى مواربة! فوافقت على الفور ظناً منها أن دعاءها الشركي الدرامي قد استحوذ على إعجابها ، وبخاصة أن جموع الحاضرين من المتمسكين المرتزقة قد صفقوا لها وهم يعلمون حقيقة ما قالت - لعنة الله عليها إلا إن تابت وآمنت-. يعلمون كل حرف قالته فضلاً عن الكلمة أو الجملة أو العبارة بحكم نطقهم للإنجليزية ، وبجامع أن الأسلوب الذي استخدمته هذه الهازلة الساقطة أسلوب سهل ممتنع! فلا تعقيد في عبارته ولا إشكال في ديباجته! وعلى قاعدة (الرضا بالكفر كفر ، والرضا بالشرك شرك! إلا إذا كان الإكراه! والإكراه السيف!) فلنا أن نقول: (ولعنة الله عليهم إلا إن تابوا وآمنوا) ذلك أنهم رضوا ما قالت وهم على علم بلغتها ، وإن كنا سنعذر بالجهل الأطباء والمدراء فما هل عسانا نفعل بالسوقة والدهماء ممن لم يتعلموا ابتداءً؟! وإذن فانتفت الموانع ، وأقيمت الحجة الرسالية التي يكفر تاركها ، ومن المعلوم بالاضطرار في دين الله تعالى الإسلام أن الله لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأنه لا ينفع ولا يضر إلا الله! فإن كان الأطباء يجهلون أبجديات العقيدة الإسلامية فماذا يعلمون؟ بنس ما اعتقد القوم وما فعلوا! وبنس ما درس القوم وما تعلموا! لقد استحسنوا ما قالت وشفقوا لها ، وهم يعلمون أنه دعاء غير الله تعالى ، ناهيك عن نسبة الولد إلى الله تعالى! المهم أنها لما سمحت للمريض بالسؤال قال لها: ألم تعتدي كما يعتقد قومك أن المسيح قد صُلب؟ فأجابت: بلى! فقال: إذا كان المسيح على ما تدعون قد صلب فلم يستطع الدفاع عن نفسه ، فكيف به يرفع البأس والحرج والألم

اليوم عن مريض مصاب؟! فعقبت الخبيثة مُريدة بذلك أن تغلق الحوار على الفور ، فقالت في خبثٍ ودهاء: إذن علمني كيف أدعو لك لأنني أريد أن أجاملك وأحبيك وأنفعك بما أستطيع؟ فقال: قللي الذي قلته لكن وجهي الدعاء برؤمته إلى الله سبحانه وتعالى ، ربي وربك ورب المسيح ورب مريم البتول أم المسيح ورب السماوات والأرض ورب العالمين! فإذا بها قد لاكت كل سورات غضبها ، وعبأت انفعالاتها ، ورددت في ابتساماة ملعونة ذات الدعاء متوجهة به في ظاهر الأمر لله تعالى: والله يشهد إنهم لكاذبون! وإلا فلماذا لم تتوجه بالدعاء أول مرة لله تعالى؟! وعجب العجاب ليس منها (إنها منصرة تدعو إلى دينها الباطل ، والرجل قد فطن إلى ذلك ، وتكلم معها من هذا المنطلق تنزلاً للخصم على ما يريد ، ومجاراتها لها ولقومها وإيقاعها في تناقضات ملتها ليس إلا) ، بل عجب العجاب في المتمسلمين الذين صفقوا لها في هذه المرة وأبدوا تشجيعهم وأظهروا إعجابهم! وهنا تطل الدهشة الفجة وتستشرف فوق رؤوسنا ونصب أعيننا: أَعْجَبهم التوجه بالدعاء للمسيح وهو شرك بالله تعالى لا يرضاه المسيح ولا أمه لو كانا بيننا؟! أم أعجبهم التوجه لله بالدعاء فهذا هو التوحيد؟! ولقد تناولت الأطباء في غير ما قصيدة من قصائدي ، وفي غير ما ديوان من دواويني ، وأذكر قصيدة: (الطب محراب الإيمان) تلك التي ذكرت فيها أن الله تعالى أطلع الأطباء بحكم تخصصهم وعملهم – على ما لم يطلع عليه غيرهم من الناس! أطلعهم سبحانه على بعض أسرار خلقه في جسم الإنسان! وكنت أتصور أن يكون جُل الأطباء إن لم يكن كلهم في قمة الإيمان بالله! ولكن للأسف وجدنا القليل منهم من أدرك ذلك فقويت عقيدته وكمل توحيده وإيمانه بالله رب العالمين! وكنت أتوقع في موقف المنصرة (جينا) موضوع قصيدتنا هذي أن يقوم بالرد عليها أحد الأطباء المؤمنين أو إحدى الطبيبات المؤمنات ، وكفي أو تكفي الرجل المريض النازفة دماؤه مؤنة الرد عليها! وقد سبت رب العالمين بنسبتها الولد إليه! ولكن شيئاً من ذلك لم يوجد! وانتهى المشهد الدرامي التمثيلي بأن رددت المنصرة في ثناء وإطراء على ذلك المريض المؤمن وقالت: (هذا واحد من أتباع محمد وليس أنتم!) ورددت ذلك ثلاثاً حتى وصلت إلى باب الغرفة. وكانت قد عرضت قطعاً من الحلوى ثلاثاً على المريض قبل خروجها ، ورغم حبه للحلوى وجمال حلواها وأناقته وغلوه ثمنها وبراعة صناعتها ، إلا أنه أراد أن يلقتها درساً آخر في التوحيد ، فاختار قطعة واحدة ليقول لها: (إنما الله إله واحد!) والمعنى الذي يريد أنه أخذ قطعة واحدة ، لأن الله إله واحد! فكتبت إلى جينا المنصرة ، وإلى كل جينا تسول لها نفسها أن تدعو إلى التثليث والصلبية وسط قوم مسلمين ، لأنه حتماً سيسوق الله لها من بينهم من يلقتها الدرس الشافي! ولتضع في اعتبارها أن عقيدة التوحيد غالية غلو الروح والنفس عند أصحابها ، أكثر من كون الصليب والعقيدة التثليثية الإلحادية التي تنسب إلى الله الولد والصاحبة غالية عند أصحابها المشركين الوثنيين! وأعتقد أن جينا لن تنسى هذا الموقف في مستقبل عمرها أبداً! لقد كان موقفاً رائعاً بكل ما تعنيه الكلمة من معان! وما اعتدينا إنا إذن لظالمون! هذه ابنتكم أرادت تنصير مريضنا ، فكان ذلك الموقف الجميل! إلى جينا وكل جينا أكتب هذه القصيدة!)

أصدقيني – اليوم – ماذا تقصدين؟ وأجيبني عن سؤالي المسـتـبـين!

واجعلي الحق رسولاً بيننا ودليلاً للقطيع المسـتـتـكين

واطرحي الزيف لكيلا تسقطي من عيون الصديق يا من تفترين!

واصدقي الأقسام فيما تدعين
يقتل الأوهام فيما تقصدين
باطلاً يختال في ثوب مشين
إنما الشك دجونٌ ومنون
لا تخافي بأس قوم مؤمنين!
وعصوا - عمداً - إمام المرسلين
وغدوا - عن دين مولاهم - عمين
دون خوف الله رب العالمين
ومشوا خلف اليهود الملحدين
حملاً يرتع في النذل الوهين
ناقاة بلهاء تستجدي اللجين
ويحهم ، صاروا عليهم كالعيون
خيرهم ، والعز حيناً بعد حين
صهوة التشريد في القفر الدجين
في حضيض التيه يجترّ المجون
فله الطردُ جزاءً والسجون!
جودكم يا (جين) أو غسل الصحون!
لاهثاً خلف البغايا واللحون
نحن سرنا في دهاليز العفون
لم نعد نحيا على تقوى ودين
صفنا المحصور في غل الكمين

واعرضي البرهان يزكي حجة
وامنحي القول دليلاً قاطعاً
وارجمي التدجيل حتى لا نرى
واقтали الشك الذي لا يستحي
لا تخافي - اليوم - منا مسلماً!
أغلب القطعان باعوا دينهم
واستباحوا - اليوم - كل حرمة
واستكانوا - للأعداء - جهرة
حكّموا شرع النصارى بينهم
وعلى كل الأعداء أصبحوا
وعلى كل الطواغيت غدوا
وعلى أحبّابهم لم يعطفوا
أشمتوا فيهم عدواً يجتني
ورضوا بالقهر قوتاً ، وامتطوا
نحن يا (جيناً) قطيع معروض
والذي منا يُوعى قومه
بعضنا - في داركم - يحيا على
وترين البعض في أصقاعنا
نحن ضعنا في سراديب الهوى
عزة الإسلام فينا أخدمت
إنما ريح التجني أزهقت

وسحابُ الزور بالسواى هتون
بالمليك الحق مولى المتقين
واصحبى الآن الخطايا بالمئين
واجمعي الإجرام من خالي القرون
لا تخافي الغرم ، أو بأس الديون
ولمن معبودها اليوم (استالين)
أو أضلوا قومنا باسم الفنون
ولغباد الهوى صرعى (لينين)!
ولمن معبودهم جَمّ القرون
جينا الغر على هز البطون
بالتردى قيمة العرض المصون
همة الأجيال والمجد الرصين
شعلة الإيمان - عمداً - واليقين
نمة المولى ولا الإل الأمين
ولمن قد قطعوا منا الوتين
فاقت الليل سواداً والودجون!
وارحمي قلباً تعزیه الظنون
ولماذا هذه الحربُ الزبون؟
بلهيب الكيد من خلف الفتون؟
بحسام الوحي والذكر المبين؟
موكب المختار في الركن الحصين
يبعث الرعب رسولاً والمنون

لا تخافي سلم الجو لكم
برئ المييدان ممن آمنوا
ولك الساحة فيها ، فاطربي
وامئى السدار فجوراً وغنا
وخذي من مال قومي جُله
ذلك المال لـ (جينا) وحدها
ذلك المال لمن هم عربدوا
ذلك المال لأشعار الخنا
ذلك المال لمن لم يُسلموا
ذلك المال لمن قد أفسدوا
ولمن في كل ضقع أهدروا
ولمن في كل دار دمروا
ولمن في كل جمع أطفأوا
ولمن في مؤمن لم يرقبوا
ولمن عابوا علينا ديننا
أخبريني عن نواياك التي
وأريحي - من عذاب - خاطري
أنت من يا (جين)؟ قولي واصدقي!
الأنى - الآن - وحدي أكتوي
أم لأنى حاطم صلبانكم
أنا هذي الصحوه الشماء في
لا نهاب الموت يسعى خلفنا

وعلى التوحيد أقس منا اليمين
زأنا القرآن ، والسرب المعين
والى الكفار لا يرضى الركون!
يؤثر الموت على العيش المهين
وشهيد الحق أصفى الأكرمين
يباغ الشرك على مرّ السنين
وله في البأس عزم لا يلين
مؤمن بالله مرفوع الجبين
فله في لجة الموج السفين
وله في عالم الغاب العرين
وله في جنة الفردوس عين
ورسول الله للمأوى الضمين!
ولماذا أهة الحرص الضنين؟
ولماذا يشتكى منا الأنين؟
إنما الإخلاص مأوانا الركين!
لم تعدّ تحيا لدولار وطين
كيف تخشى اليوم من ربح سفون؟
لم تعادل عُشرها البئر الشطون
نفسك الرعاء في الرهط الخون!
و(مسيح) الحق عبد للمتين!
نسبوا لله زوجاً وبنين

نحن آمننا برب قادر
أن نموت - اليوم - في نصر الهدى
نحن ركب في سنا الحق نما
وله (العندان) أسمى قدوة
في سبيل الله عذب موتنا
نحن طوفان عميق قعره
هادر في كل واد صوته
صاعد للمجد موفور الإبا
يعلم الماسون فحوى عزه
وله الأمن إذا خاف الورى
وله النور إذا عم الدجى
وله السلم إذا ساد الشقا
فلماذا الخوف من موت إذن؟
ولماذا الجبن يطوي عزمنا؟
ولماذا يزدهي فينا الأسى؟
نحن يا (جينا) نفوس طهرت
ثبتت في الحق - دهرأ - صدقي
حفرت للظلم أعتى حفرة
بشري ما شئت ، أو لا تتعبي
إنما المولى إله واحد
بأغ التوحيد قومأ أجرموا

ذات ربي نزهت عما يشين!
من أولي العزم كما قال (الأمين)
برئت ممن تردوا أجمعين
والى قصتها يهفو الحنين
ابنة (العمران) تاج الأولين
في سراب الدعر والفسق اللعين
غنم - في ساحة البيدا - رشون
فعدت (جينيا) لهم بنس القرين!
بنس ديناً ، ثم أبس بالمدين!
أزهق الأرواح ، أودى بالخصون!
قبل (جينيا) ، واستكاثت للطعون
تعس الإعراض من داء زمين!
وهو مكشوفاً لدى المرء الرزين
لبيان الحق والنور المبين
ولنزع السم والحق الدفين
واختفت - خلف الروابي - والغصون
ولإنقاذ الذي ترديه (جين)
للمعالي ، نحن أصحاب اليمين
إنما العاجز تحووه الشجون!
وقت من يدعو إلى الحق ثمين
ولغير الله لسنا نستكين
ورحى التثليث يُرديها القنين

جل شأن الله يا (جينيا) اعقلي!
ونبي الله (عيسى) مُرسَل
وكذا أم المسيح (مريم)
وكتاب الله أوفى شهاد
أحصنت فرجاً ، وكفني أنها
نصري إن شئت قوماً أو غلوا
هم وأنت - الآن - سمت واحد
هم عشوا عن ذكر ربي عمرهم
إنه دينٌ عليهم رده
آه من تنصيركم في دارنا
لكن الأرواح هذي خبثت
وتردت في مهاوي جهلها
نصري ، والجهد هذا ضائع
وهو للأبرار زاد حافز
ولإلزام النصارى حادهم
من أفاع أتقتت صُنع الأذى
ولبذل الجهد في نصح الورى
نحن يا (جينيا) سنهدي قومنا
لم نعد نأسى لما أحدثته
سوف لا تمضي الثواني هكذا
ونصيرُ الحق ربَّ قادراً
وصليبُ الشرك يوماً ينمحي

خلف ظل الكيد كيلا تستبين
وغدت بالدين - حقاً - تستهين
لذة التقوى كما الماء المعين
واحذري يا (جين) مما تدعين
أو تعضي إصبع الهم الحزين
خبلاً في العقل ، أو مسّ الجنون
من عطر الحب ، أو عشق الخدين
وعلى الكفين زيدي في الرقون
فضعي الأصباغ من تحت الجفون
واستزيدي في الفساتين الغضون
عن خباياك التي خلف العُهون!
جفت البُشرة من رشف الدهون
وأطياي فيه ترجيع الخنين
دونك المسك ودهن الياسمين!
وتسلي بالأغاني والرنين!
وأسري الأوباش بالرمش الحنون!
من سُعار الناس أسراب الدخون
لفح الكل ، تمادى للذقون!
وسعا فوق الدنا الجيل الهجين
من بريق العُهر تغيرٌ ولين
ومن الجهل شروحٌ ومُتون

والأقنانيم سريعا تنزوي
والأناجيل التي قد حُرّفت
سوف تذروها رياح أشربت
فاستريحي ، وادخلي في ديننا
أو فخّلي الكيد كيلا تندمي
واطرحي التبشير أرضاً ، إنه
أو فعودي للذي ودّعته
واغرقني في الوجد ، لا تستكثري
ليس بعد الكفر ذنبٌ ، فاعلمي
والبسي العُري رداءً فاضحاً
واجعلي الخبز لباساً مفصّحاً
وضعي الأصباغ في الوجه إذا
واخضعي بالقول ، لا تستهجني
وخذي الطيب لكي تستعطري
واسمعي القينات صبحاً والمسا
وانظري التلفاز ، قد ضاع الحيا
حيلٌ تنزري بحوًا ، ولها
أغرقت قومي ، وهذا شوْمها
وإذا الأعرابُ فينا استغربوا
كلما أبصر عُهرًا غرّه
ركب الجهل ، فضاعت ریحُه

بـدع ضللت سبيلاً ورؤى
 نحل ماجئت بجيئل تانه
 وسكارى كالدemy لم يرشـدوا
 لم يذر دعر النصارى بقعة
 لم يذر سهلاً ولا وعراً ، ولا
 لم يدع داراً على إيمانها
 لم تعد تسلم من نيرانه
 لكن المسلم لا تغلبه
 يبصر الفتنة لا يأي إلى
 والمعين الله فيما قد جرى
 وضلال مقرف الشـكل غبين
 وشباب في دجى الفسق رهين
 وقطيع في أسى الدعر سجين
 لم يذر سفحاً ، ولا حتى الحجون
 ساحة فيها عيون أو رزون
 لم يدع قفراً ، ولا حتى الوجين
 لحظة - كلا - على أرضي الوكون
 جوقة الشر ، فذا عف فطين
 أهلها المسـتهزين السـافلين
 وـرب الناس أكرم من معين

بعض المعاني للكلمات غير المطروقة

عفون: جمع عفن. الغضون: ثنايا الثوب. العهون: الصوف المصبوغ ألوانا. القنين: الرمح الحاد. اللجين: هو زبد أفواه الإبل. الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه. الوجين: شط الوادي. وكون: جمع وكن وهو عش الطائر. وهين: أي ساكن متند. هجين: العربي يولد من الأمة. هتون: هاطل غزير. الحجون: الأودية المتعرجة. الخنين: الضحك في الأنف. رزون: الأماكن المرتفعة. غم رشون: رتاع. الرقون: هي الحناء أو الخضاب. دخون النار: أي دخانها. حرب زبون: أي عاتية شديدة. مرض زمين: أي شديد فهو مزمن. ريح سفون: أي شديدة الهبوب. بئر شطون: أي بئر عميقة بعيدة القعر. جينا: اسم المنصرة الصليبية. ابنة العمران: أي مريم ابنة عمران البتول الحصان الرزان العذراء البرينة من اليهود والنصارى. منصرة: كل من تدعو للنصرانية ، ويخطئ من يسميها مبشرة لأن الشرك لا يبشر به ، إنما يكون التبشير بالتوحيد!

ذرى المجد (رسالة إلى عمر بن عبد العزيز)

(مهما كتب الكاتبون وأنشد المنشدون وقصد الشعراء المجيدون عن عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين ، فما أظنهم يوفونه حقه عليهم. وإن هذه القصيدة من بعض حقه علي! ليس هذا فقط ، بل إنني لأشرف فضلاً عن أن يشرف شعري عندما أكتب عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - . وديوان كل شاعر مسلم يخلو من ذكر عمر بن عبد العزيز فهو ديوان خديج لم يكتمل! وعلى شاعره أن يخص ابن عبد العزيز بشئ من الشعر عن مناقبه! هذا إن كان شاعراً يؤمن بالله واليوم الآخر! وكذلك يكتب عن عمر بن عبد العزيز الشاعر المنصف ذو المعايير الإنسانية والقيم الأدمية وإن كان شاعراً غير مسلم! وذلك لما تناوله الأخبار والرهبان في زمانه عمر عنه من المناقب والسجايا! وشهاداتهم سجلها التاريخ!)

الأرحمة المولى على من تسنموا
وجادوا بما أعطى المليك ، وأخلصوا
وكم لقتوا الدنيا دروساً وأهلها!
وكم أربوا العادين في كل موقع!
وكم أوقفوهم عند حدٍ ومنتهى!
وسجل تاريخ الورى حال بأسهم
وذا (عمر) تاج الخلائف بعده
أقام التقى والعدل من بعد غيبة
تنازل عن زيف الرياش وأهله
وطأق دنيا الخلق ، لم يكثر بها
فقد كان يرجو جنة عند ربه
تواضع حتى قيل أزكى خليفة
وجدد هذا الدين ، والدهر شاهد
فكان مناراً في العطاء وقدوة
وكان يحب الرفق في جمل أمره

ذرى المجد والتقوى ، فسادوا وقوموا
وعاشوا على نهج الهدى ، ثم علموا
وكم جاهدوا من قبل أن يتكلموا!
وكم أدبوا من هدى الله أحجموا!
وإن سيوف الحق للكفر بلسم
وسطر ما شادوا سجل ومرقم
عظيم رفيع القدر ، في الحق ضيغم
فأدب من عاثوا فساداً ، وأجرموا
ولم يُغره بين العبايد درهم
لأن له زهداً من العز أعظم
وكان له دمع من النار سنجم
وكان رطيب القلب ، يُعطي ويرحم
وضحى ليحيا في سنا الخير مُسلم
وقرآنه في سبعة كان يُختم!
وهذا - وربى - في المغبات أقوم

مشاعر تهويمة السحر الفواح!

(كان في القمة من الإسلام والمسلمين ، وفي الذؤابة من الجهاد والمجاهدين. ثم تعرّض لغادة نصرانية سحرته بما أوتيت من جمال وفتنة ، ومازالت به حتى فتن عن دينه ، والعياذ بالله تعالى! أورد الإمام ابن كثير في البداية والنهاية في حوادث سنة 287هـ: (وفيها توفي ابن عبد الرحيم – قبّحه الله – كان هذا من المجاهدين في بلاد الروم ، ولما حاصر المسلمون بلدة من بلاد الروم نظر إلى امرأة رومية نصرانية حسناء ، وراسلها وسألها ذات يوم: أما إليك من سبيل؟ فقالت الخبيثة: تنتصر وتتبرأ من القرآن ومن محمد! فقال الخبيث: أفعل. وقد كان ذلك منه بالفعل! ومر عليه المسلمون وهو عندها وقالوا: ما فعل قرآنك وصلاتك وصيامك وجهادك؟ فقال: أنسيته القرآن إلا آيتين هما: (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ، ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) ، وقد صار لي فيهم مال وولد). هـ. فهالني ذلك الحور بعد الكور ، وراعني جداً تحوّل الإيمان وزوال القرآن. وسألت الله ألا أكون مثل هذا الرجل يوماً. وما أكثر أبناء وأشباه عبد الرحيم هذا في زماننا! نسأل الله العافية والسلامة! ومن هنا أنشدت أصف مشاعر كل مخذول انهزم وانبطح لتهويمة السحر الرخيص الفواح الذي هان على أصحابه فابتذل وكان سبباً للفتنة به! والله در من وصف سبيل النجاة من فتنة النساء فقال ما نصه: (إن فتن الحياة الدنيا كثيرة ، فمنها فتنة المال ، وفتنة الفقر ، وفتنة الغنى ، وفتنة الأولاد وفتنة الحرب ، وفتنة الاضطهاد والإيذاء ، وغير ذلك من أنواع الفتن ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن ، ويشهد له قول الله تعالى: (زين للناس حب الشهوات من النساء) فجعلهن من حب الشهوات ، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع قبل الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وقبل فتنة الأولاد ، بدأ الله بهن في الذكر ، ومع أنهن ناقصات عقل ودين فانهن يحملن الرجال على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشغلهم عن طلب أمور الدين وحملهم على التهاك على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد. وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، اتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء). رواه مسلم وفي رواية للإمام أحمد رحمه الله تعالى: (إن الدنيا خضرة حلوة ، فاتقوها واتقوا النساء). ثم ذكر نسوة ثلاثة من بني إسرائيل امرأتين طويلتين تعرفان وامرأة قصيرة لا تعرف ، فاتخذت رجلين من خشب من تحت الثياب لتطول ، وصاغت خاتماً ، فحشته من أطيب الطيب المسك ، وجعلت له غلفاً فإذا مرت بالمأ أو بالمجلس قالت به ففتحته ففاحت ريحه ، هكذا تحايلت لتلفت نظر الرجال إليها ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء. قال النووي رحمه الله: ومعناه تجنبوا الافتتان بها وبالنساء ، وتدخّل في النساء الزوجات وغيرهن وأكثرهن فتنة الزوجات ، لدوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن. ولذلك كان السلف رحمهم الله يحرصون على عدم الافتتان! فقد أرسل بعض الخلفاء إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها ، وردّها الفضيل فقالت له امرأته: ترد عشرة آلاف وما عندنا قوت يومنا؟ فقال لها: مثلي ومثلكم كقوم لهم بقرة يحرثون عليها ، فلما هرمت ذبحوها. وكذا أنتم أردتم ذبحي على كبر سني ، موتوا جوعاً قبل أن تذبحوا فضيلاً. ومن أسباب كون المرأة فتنة ومن أسباب عظم الفتنة بها أمر مهم جداً ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في قوله في الحديث الصحيح: (المرأة عورة ، كلها عورة) لم يستثن وجهاً ولا كفين أمام الرجال ، المرأة عورة ، (فإذا خرجت استشرفها الشيطان) ، فما

معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم استشرفها الشيطان ، قال المباركفوري رحمه الله تعالى: أي زيتها في نظر الرجال ، وقيل أي نظر إليها ليغويها ويغوي بها ، والأصل في الاستشراف رفع البصر للنظر إلى الشيء ، وبسط الكف فوق الحاجب ، هذا هو الاستشراف. والمعنى أن المرأة يستقبح خروجها وظهورها ، فإذا خرجت أمعن النظر إليها ليغويها بغيرها ويغوي غيرها بها ، ليوقعهما أو أحدهما في الفتنة. أو يريد بالشيطان شيطان الإنس من أهل الفسق ، سماه به على التشبيه ، فالشيطان يرفع أنظار الرجال إلى المرأة ، والشيطان يزين المرأة في أعين الناظرين ، فترى المرأة إذا خرجت إلى الشارع تمشي ارتفعت إليها أبصار الرجال ، ذلك لأن الشيطان حريص على تزيينها وعلى رفع الأبصار إليها ، تلقائياً ، تجد الأبصار تتجه إلى المرأة من حين خروجها للشارع ، يستشرفها الشيطان ، ويجعلها هدفاً منصوباً مُلفتاً لينظر إليها الرجال ، استشرفها الشيطان فهي وسيلته ، لإغواء الناس. ولذلك كان السلف رحمهم الله يخافون - على أنفسهم أشد الخوف من فتنة النساء مع عبادتهم وزهدهم وورعهم ، أكثر مما نخاف نحن على أنفسنا مع ضعفنا ، ولا مقارنة بيننا وبينهم. وكان سعيد بن المسيب رحمه الله يقول وقد أتت عليه ثمانون سنة! منها خمسون يصلي فيها الصبح بوضوء العشاء ، وهو قائم على قدميه يصلي كان يقول: ما شيء أخوف عندي عليّ من النساء ، وهو ابن ثمانين سنة يعبد الله تعالى يقوم الليالي. ومن أجل فتنة النساء اتخذ الشارع سائر الاحتياطات الكفيلة بحماية الرجل من الوقوع في فتنة المرأة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل: يا رسول الله أرأيت الحمى؟ قال: الحمى الموت) وهو قريب الزوج: أخوه وسائر أقرابه ، فهو يشبه الموت في خطره ، فهو يؤدي إلى موت الدين ، فهو ربما يؤدي إلى الرجم وهو موت ، إذا زنى بها وهو محصن ، فقال: الحمى الموت ، وقال لا تسافر المرأة إلا ومعها ذو محرم ، ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ، كل هذه الاحتياطات لدرأ فتنة النساء. والنبي صلى الله عليه وسلم أظهر الناس مع الصحابة أفضل هذه الأمة كان يعمل سائر الاحتياطات الكفيلة بمنع الاختلاط والنظر. فعن أبي أسيد الأنصاري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد فاختلفت الرجال مع النساء في الطريق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ينهى عما رأى - (استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق ، عليكن بحافات الطريق). فالمرأة لا تمشي في الوسط ، بل تمشي في الجوانب ، والرجال يمشون في الوسط ، هكذا كانت الشوارع في المجتمع الإسلامي الأول ، فكانت المرأة تلتصق بالجدار ، حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به ، رواه أبو داود وهو حديث صحيح. وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النساء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كن إذا سلّمن من المكتوبة قمن مباشرة ، وثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن صلى من الرجال ما شاء الله - فترة كافية لخروج النساء - فإذا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قام الرجال. قال الحافظ رحمه الله: وفي الحديث الاحتياط فيما يُفرضي إلى المحظور ، وفيه اجتناب مواضع التهم ، وكراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات فضلاً عن البيوت. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو تركنا هذا الباب للنساء) - باب في المسجد مخصص للنساء وإلى الآن اسمه باب النساء - قال نافع: ولم يدخل ابن عمر منه حتى مات. هذه الاحتياطات وغيرها لأجل درأ فتنة النساء ، وعائشة رضي الله عنها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بفترة قالت: لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء - يعنى ما أحدثنا بعده - لمنعن كما منعت نساء بني إسرائيل. وماذا أحدثت النساء في عهد عائشة وهي

تقول: لو رأى النبي صلى الله عليه وسلم الوضع لمنعهن من المساجد والخروج؟ لو رأت عائشة ولو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعنا اليوم ، ماذا تراه يقول وماذا تراه يفعل؟ إن الأمر خطير ، وإن الخطب جلل ، وإن الفساد في انتشار بسبب فتنة النساء ، وفي هذا الزمان الذي لم يمر في العالم زمان مثله زينت فيه المرأة لفتنة الرجال ، واجتهد فيه أعداء الله في إبراز المرأة ، فترى عوامل الجذب والفتنة في الملابس الضيقة والمفتوحة والشفافة والكعب العالي والمناكير على الأظفار ورائحة العطور والصوت والأزياء الفاضحة ، وحتى النقاب الذي تلبسه بعض النساء والبرقع اليوم ربما يكون أشد فتنة مما لو كشفت وجهها بالكليّة ، نظرا لما تقوم به بعض النساء من اللعب فيه فتجعله بالتالي لا يغطي وجهها بالصورة التي أمر الله ورسوله أن تكون! وهناك الفتنة أيضاً بالأفلام ، والقصص الماجنة ، والمجلات ، والدعايات ، لا تكاد توجد سلعة إلا ومعها صورة امرأة ولا بد وكذلك عروض الأزياء ، وكل ذلك يزين المرأة في نظر الرجال ، حتى إذا نزلت إلى الشارع والسوق رأيت العجب ، وهذه المساحيق والمكياج التي تجعل أشد النساء دمامة لوحدة فنية من الأصباغ! وما تفعله الكوافيرات في وجوه النساء. ثم تحدث الفتنة العظيمة وتخرج المرأة بهذه الزينة وتجتمع كل عوامل الإغراء ، كل العوامل ، فلا تدخل دكاناً ولا سوقاً ، أو باب مدرسة ، أو مستشفى ، أو طائرة أو غير ذلك من الأماكن ، إلا ووجدت القضية كلها تدور على الإغواء والإغراء بالمرأة ، ولا تكاد تنظر في الصفحة الخارجية لمجلة أو غيرها إلا وتجد القضية نفسها تدور. إن إخوان القردة والخنازير ، هم الذين وصلوا بالمرأة إلى ما وصلت إليه ، وعمت الفتنة ، وثارَت الشهوات ، وصار الوضع محزناً لصاحب القلب الحي. لمثل هذا الذي نرى يموت القلب من كمد وغيظ وشنآن إن كان في القلب فعلاً إسلام وإيمان! المسألة كلها مخالفات شرعية ، في هذه الأشياء والإغراءات التي تحصل ، وتأمل ماذا أحدثه هذا الهاتف من الفتنة ، في بدأ العلاقة وتطويرها وتنميتها والتخطيط للخروج ثم الخروج ، وتأمل كيف يزين الشيطان الحيل بحجة خروجها إلى السوق ، أو الدراسة مع صاحبها ، أو زيارة صاحبها ، وأثناء غياب الزوج في العمل ، أو الوردية الليلية ، وأيام الاختبارات يحدث فساد عظيم وشر مستطير ، وأيام البر وتتخلف الأسرة هناك ، والشباب هنا لوحده. كل هذه الأمور التي تؤدي إلى الفتنة والوقوع في الفاحشة ، والمسألة فيها غضب ، غضب من الله ، وإغصاب الله ، وكل القضية تدور على مخالفة الآيات الشرعية ، تأمل في الوقع ثم قارن: (ولا يبدين زينتهن!) تأمل ثم قارن بقوله: (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب) ، وتأمل وقارن بقوله: (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً) ، فكيف تستهل البنت الحديث في الهاتف ، (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً) ، وقارن بقوله تعالى: (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) ، وقارن بقوله تعالى: (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) ، المسألة كانت على الخلل ، والآن تفتح العبادة وتلبس عدة مرات لتصلح من هدامها بزعمها وهي في وسط الرجال ، وقارن بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن المرأة إذا استعطرت فخرجت فمرت بالمجلس فهي كذا و كذا) يعني زانية. فإذن ، المسألة تحتاج في زماننا هذا ، إلى صبر عظيم ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم مجانباً للصواب أبداً ولا مبالغاً عندما قال: إن أخشى ما يخشى على هذه الأمة هو فتنة النساء ، والذي يتتبع الأخبار يعرف وليس المجال مجال تفصيل ، ولا تعميم الحال ، فهناك صلاح والحمد لله ، وهناك خير قادم ، ولكن لا بد من أن نضع الضوابط وأن نلزم أنفسنا بأحكام الشريعة ، فإن قال قائل وما

هي الإجراءات التي تحمي الرجل من فتنة النساء؟ فأقول: أولاً: قال عليه الصلاة والسلام: (لا تُتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى وليس لك الآخرة). وعن جرير بن عبد الله قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري. ولما رأى الفضل ينظر إلى امرأة وضئته صرف وجهه إلى الشق الآخر. وإذن فمسألة غض البصر هي أساس العلاج ، لأن المسألة في أولها ، وهو أهون شيء النظر. قال العلاء بن زياد: لا تُتبع بصرك رداء امرأة ، فإن النظرة تجعل في القلب شهوة. وقال أحد الصالحين لابنه: يا بني امش وراء الأسد والحية والثعبان ، ولا تمش وراء امرأة. إن نظر الرجل إلى محاسن امرأة سهم مسموم من سهام إبليس ، والسهم المسموم إذا دخل السم ينتشر. إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب الشهوة ، وكفى بها لصاحبها فتنة. وكان السلف رحمهم الله ، في غاية الحرص على هذه المسألة ، قال سفيان: كان الربيع بن خثيم يغض بصره ، فمر به نسوة ، فأطرق إطراقاً شديداً ، حتى ظن النسوة أنه أعمى ، فتعوذن بالله من العمى. وخرج حسان إلى العيد ، فقيل له لما رجع: يا أبا عبد الله ما رأينا عيداً أكثر نساءً منه ، فقال: ما تلقنتني امرأة حتى رجعت. وهو حسان بن أبي سنان ، لما خرج إلى العيد ورجع قالت له امرأته: كم من امرأة حسنة قد نظرت اليوم ، فلما أكثرت عليه قال: ويحك ، ويحك ، ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك. وكانوا يحاربون النظر ويعتبرونه منكرًا شديداً ، وينهرون فاعله. عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: دخل عبد الله بن مسعود على مريض يعوده ومعه قوم وفي البيت امرأة! فجعل رجل من القوم ينظر إلى المرأة ، فقال عبد الله رضي الله عنه: لو انفقت عينك كان خيراً لك. والمعنى لو انفقت عينك وصارت لك مصيبة واحتسبتها عند الله كان خيراً لك من النظر واستعمال البصر في المعصية. ثم إنه إذا كرره حصل في القلب زرع الفتنة وذلك أمر يصعب تصوره ، ولذلك لا بد من الحماية بسد باب النظر ، فإنه إذا سده ، سهل بعد ذلك انحسار الأمر. هذه القضية لا يكاد يطبقها اليوم إلا من رحم الله ، غض البصر عن النساء. وفي معنى النظر وصف المرأة ، حتى كأنه ينظر إليها ، فلذلك نهينا عنه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تباشر المرأة المرأة فتنتعها لزوجها كأنه ينظر إليها) وهذا أصل في سد الذرائع ، وأن وصف المرأة للرجل الأجنبي عنها يؤدي إلى الافتتان بالموصوفة. ثانياً: أن الإنسان إذا رأى امرأة فأعجبته ، فإن كان له امرأة أو مملوكة أتاها مباشرة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن المرأة تُقبل في صورة شيطان ، وتدبر في صورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله ، فإن ذلك يرد ما في نفسه). وأما الأعزب ، فإنه يستعين بالصبر والصلاة والصيام الذي هو من أسباب تقليل الشهوة. وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقع في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها ، فإن ذلك يرد ما في نفسه) ، لأن الذي معها مثل الذي معها ، كما قال صلى الله عليه وسلم فليسكن نفسه ويدفع شهوته ، وفي هذا بيان عظيم ، وإرشاد كبير إلى قضية العلاج لمثل ما يقع للرجال في هذه المسألة. ثم إن من الأمور المهمة أن الإنسان لا يغطى أماكن الفتنة ، ولا يغطى أماكن الخلوة ، ثم بعد ذلك يقول لم أصبر ، بل إنه يتمنى عند الحرام ، ولذلك لما دعت امرأة العزيز يوسف قال إني أخاف الله ، قال أعوذ بالله ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين) ، مع أنها امرأة ذات منصب وجمال وأين يجتمع هذا ، ومع ذلك يقول إني أخاف الله رب العالمين. ثم – إنه ينبغي للرجل – ومن العلاجات أيضاً ، أنها إذا تعرضت له ، وكثير من النساء اليوم هي التي تتعرض للرجل ، وربما تكون هي التي اتصلت ، وهي التي تأتي

بالإشارات والحركات الداعية ، فماذا يفعل؟ افعل كما فعل جريج رحمه ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة ، ومنهم ذلك العابد ، تكلم الصبي من أجله ، كانت امرأة بغي يتمثل بحسنها ، فقالت: إن شئتم - تقول لبني إسرائيل - لأفتنن هذا العابد الزاهد. فتعرضت له فلم يلتفت إليها - هذا هو المهم هو لب الموضوع الآن - فأنت راعياً كان يأوي إلى صنعته ، فأمكنته من نفسها فحملت ، الحديث فيه كيف خلص الله جريجاً بسبب صبره. الشاهد قوله فلم يلتفت إليها. فمن الذي لا يلتفت اليوم؟ الذي رحمه الله وأراد به خيراً. ثم لا بد من التأمل في مسألة الفاحشة! فإن الشيطان كتابه الوشم ، وقرآنه الغناء ، ورسله الكهنة ، وطعامه ما لم يذكر اسم الله عليه ، وشرايه كل مسكر وبيته الحمام ، ومصائبه النساء ومؤذنه المزمار ، ومسجده السوق ، وكل هذه الأشياء مع بعضها البعض تؤدي للفتنة العظيمة العارمة ، والزنى من أعظم الذنوب والفواحش ، وبعضه أشد من بعض ، فمن أفحشه الزنى بالمحارم ، ومن أفحشه أن تزني المرأة المزني بها جارة ، ولأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني الرجل بامرأة جاره. والنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن عقوبة الزناة والزواني في البرزخ قبل دخول جهنم ، في تنور - في فرن - يأتيهم اللهب من أسفل منهم فيرتفعون ، فيصيحون ، فإذا خمد اللهب ، سقطوا ، ثم يأتيهم مرة أخرى فيرتفعون ، حتى يكادوا أن يخرجوا ، وهكذا إلى قيام الساعة ، هذا عقاب الزناة والزواني في البرزخ. وحكى النبي صلى الله عليه وسلم عن أشخاص كادوا أن يقعوا في الفاحشة ، وربما يصل الأمر إلى هذه الدرجة ، فماذا يفعل الشخص حينئذ ، قال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم ، أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء ، فطلبت إليها نفسها ، فأبت حتى أتيتها بمائة دينار ، فسعيت حتى جمعت مائة دينار ، فلقيتها بها ، فلما قعدت بين رجلها ، قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه - والحق هو عقد الزواج الشرعي - ففقت عنها وهي أحب الناس إلي. إذن يمكن للإنسان لو أنه ساقته نفسه والشيطان والمرأة على الفاحشة ، أنه في اللحظة الأخيرة يذكر الله تعالى فيقوم عنها. إذن هذه من النظرة إلى اللحظة الأخيرة احتياطات شرعية لأجل الوقاية من فتنة النساء ، والقضية بحاجة شديدة إلى مصابرة ومجاهدة ، وبعض الناس يقولون لا تلوموا الشباب ولوموا الفتيات ، كيف ذلك؟! اللوم على الجميع ، اللوم على الفتاة التي تبرجت ، وعلى الشاب الذي استجاب ، وعلى وليهما الذي لم يرب هذا ولم يمنع تلك من الخروج ، وعلى الذي يضع العراقيل في طريق الزواج بحجج واهية ، ويغلي المهور ، ويقول: بنتنا ليست بأقل من بنت فلانة ، أو يضع العراقيل الواهية باسم القبيلة والموازن الدنيوية التافهة ، ويرد هذا ، وهذه بنتنا تريد الدراسة ، ونحو ذلك ، اللوم على الجميع ، ليس أحد بمستثنى. نسأل الله أن لا يواخذنا بما فعل السفهاء منا ، ونسأله عز وجل أن يقينا كل هذه الشرور ، وأن يجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن! إن التذكر والتفكير في عرائس الجنان حري بأن يذهب بعض ما في النفوس! إن سألت عن الجنة وعرائسها وأزواجهم فهن الكواكب الأتراب ، اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب ، تجري الشمس في محاسن وجهها إذا برزت ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت! إذا قابلت حبها فقل ما تشاء ، في تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة المحبين ، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين ، لو طلعت على الدنيا لمألت ما بين الأرض والسماء ريحاً ، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ، ولقد زخرف لها ما بين الخافقين ، ولأغضت عن غيرها كل عين ، ولطمست ضوء

الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولأمن من على ظهرها بالحي القيوم ، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيتها ، لا تزداد على طول الأحقاب إلا حُسناً وجمالاً ، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً ، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس ، لا يفنى شبابها ، ولا تبلى ثيابها ، ولا يخلق ثوب جمالها ، ولا يُمل طيب وصالها ، قد قصرت طرفها على زوجها ، فلا تطمح لأحد سواه ، وقصر طرفه عليها ، فهي غاية أمنيته وهواه ، وإن سألت عن السن ، فأتراب في أعدل سن الشباب ، وإن سألت عن حسن الخلق ، فهن الخيرات الحسان ، اللاتي جُمع لهن بين الحسن والإحسان ، وإن سألت عن حسن العشرة ولذة المعاملة ، فهن العرب المتحبيبات إلى الأزواج بلطافة التبعل ، التي تمتزج بالروح أيما امتزاج! فما ظنك بامرأة ، إذا ضحكت في وجه زوجها ، أضاعت الجنة من ضحكها ، وإذا حضرت زوجها ، فإيا حسن محاضرتها ، وإن خاصرتة فإيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة ، وإن غنت ، فإيا لذة الأبصار والأسماع ، وإن آنت وأمتعت ، فإيا حبذا تلك الموانسة والإمتاع! (إنا أنشأناهن إنشاء ، فجعلناهن أبقاراً ، عرباً أتراباً) ، تلك المرأة من الحور العين ، بصلاتها وصيامها ، ويجعلها الله تعالى من العرب ، وهي التي جمعت إلى حلاوة الصورة حسن الثاني والتبعل ، والتحبب إلى الزوج! والعرب من النساء ، المطيعة لزوجها ، العاشقة له ، المتحبة إليه ، أبقاراً ، ذلك من فضل وطأ البكر على الثيب ، فجعلهن الله أبقاراً ، ولو كانت في الدنيا ثيباً! وقال الله تعالى عن الحور العين: (لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان)! فلم يطأهن ولم يغشهن إنس ولا جان من قبل ، (كأنهن الياقوت والمرجان) بالياقوت في صفاءه ، وبالمرجان لبياضه ، فجمعن بين هذا البياض والصفاء ، وقال أبو هريرة: ألم يقل أبو القاسم: (إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء ، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء الحجب ، وما في الجنة أعجب؟) وقال صلى الله عليه وسلم: (ولو اطلعت امرأة من نساء الجنة إلى الأرض ، لمألت ما بينهما ريحاً وأضاعت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها). هذا قدر الخمار فما بالك بقدر اللابسة؟ أزواج مطهرة ، لا حيض ولا نفاس ولا سوائل ولا صُفرة ولا كُدرة ولا عرق ولا بصاق ولا مخاط. هذه النساء الحسان ، يُغنين لأزواجهن ، قال الله عن المؤمنين: (في روضةٍ يُحبرون) يحبرون يعني يسمعون الغناء. قال - صلى الله عليه وسلم -: (إن أزواج أهل الجنة ليُغنين لأزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط ، إن مما يغنين: نحن الخيرات الحسان ، أزواج قوم كرام ، ينظرن بقرة أعيان)! وإن مما يغنين به: (نحن الخالدات فلا يمتن ، نحن الأمانات فلا يخفن ، نحن المقيمات فلا يظعن)! وهكذا يتقلب المرأ من أهل الجنة بين زوجاته ، وهو في هذه الخيمة من اللؤلؤة المجوفة ، سبعون ميلاً في كل زاوية له أهل لا يراهم الآخرون ، ولا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذي قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا ، إنها مشتاقاة إليه من الآن ، إنها تعلم عنه الآن ، الآن هي تعلم عنه من نساءه في الجنة ، إنها تعلم عنه ، وقد أخبر علي رضي الله عنه في الحديث الموقوف الذي له حكم الرفع: أنه إذا دخل الجنة خف إليه الغلمان ، فتحلقوا حوله خدمه وحشمه ، يستقبلونه ، يذهب واحد منهم مسرعاً ، إلى بيته ، فيخبر تلك الحورية ، بأن زوجها على وشك الوصول ، فلا تصبر حتى تخرج إلى أسقفية الباب لتستقبله ، فإنه استقبال عظيم يومئذ ، يُعطى الرجل قوة مئة في الجماع ، ويصل إلى نساءه في الجنة ، وتهب ريح الشمال كما جاء في

صحيح مسلم يوم الجمعة فتحتوا في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم ، وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم ألوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً. فأين هذا النعيم من لذة ساعة شر إلى قيام الساعة! فإذا قامت الساعة ، كان ذلك أشد وأنكى ، أين هذه الصفات للهور العين ، من هؤلاء النساء ، مهما تجملت ، فغالب زينتها المكياج الزائف ، ومهما كانت جميلة فانظر إليها بعد سنين ، فإنها تكون في غاية القبح والدمامة ، وتصبح عجوزاً شوهاء ، ومع ذلك فإن الاستمتاع بها مكرراً في حيضها ودمها وطمثها وإفرازاتها ، وسائر الأشياء المفرفة المقرزة ، التي تخرج منها ، أين هذا من هؤلاء الأزواج المطهرة ، فمن صبر هنا كان له هذا هناك ، ومن لم يصبر هنا فإيا سوء ذلك الحرمان ، نعوذ بالله من الخذلان). هـ. الجنة وما أدراك ما الجنة! إن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران. وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن. وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر. وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر. وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب. وإن سألت عن أشجارها فما فيها من شجرة إلا وساقها من الذهب والفضة ، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ، ألين من الزبد ، وأحلى من العسل. وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل. وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى. وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون. وإن سألت عن شرابهم فالنسيم والزنجبيل والكافور. وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة ، في صفاء القوارير. وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام. وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تنعم بالطرب لمن يسمعها. وإن سألت عن ظلها ففي ظل الشجرة الواحدة يسير الراكب المُجدّ السريع مائة عام لا يقطعها. وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام. وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من ذرة مُجوفة ، طولها ستون ميلاً. وإن سألت عن علائها وجوسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية عالية. إن العمل للجنة أولى! وقد استفضنا وتوسعنا في وصف الحور العين تشويقاً لمن يحب النساء ويفتتن بهن! نقول له: انتظر فعما قريب تكون في الجنة وتحظى بالزواج من الحور العين عرائس الجنان على الوصف الذي ذكرنا من الآيات والذكر الحكيم وأقوال أهل العلم والفقهاء والفهم ، ومن أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ونعود من الحديث عن الجنة وحورها ونعيمها ، إلى ابن عبد الرحيم موضوع قصيدتنا الذي ترك دين الإسلام ، وهجر الكتاب والسنة من أجل رومية نصرانية حسناء ، لفحته بتهويمه سحر جمالها فأنسته الدين والدنيا والآخرة! نسأل الله العافية والسلامة! تخيلته يصف لنا ما حدث له ، ويروي قصته لنا شعراً من بدايتها إلى نهايتها المشؤومة تلك! وبنست البداية وبنست البداية!

إنني اتخذت من الجمال ركاباً
لأسباق العُشاق والأحباباً
سحر المليحة نالني بحسامه
فأزال عني حكمة وصواباً
فرضت على عيني حُسن قوامها!
ولحافظها يس تأثر الألباباً

لمُرادها ، والعشيقُ دق البابا
خالقاً ، ولما تعرفِ الآدابا
أمسيت لروح المسْتَهامِ عقابا
وكانه يُهدي العَشِيقَ شهابا
فحديتها يتضمَّن الإعرابا
ولذاك تُفهم أحماً يتغابى
ولذاك قد أهديتها الإعجابا!
إذ مثلُ ذي تسستهنُ الخطابا
وطئ الديارَ ، وفي المليحة ذابا
شئٌ يسيرٌ لا يُعدُّ مُصابا!
إما سألت ، فإذا يكون جوابا!
ليعود من لقيها الغرام شبابا
وسينيه تغدو به أحقابا
وإذا انفلتت يُهدئ الأعصابا
حُسن يُزائل سُترة وحجابا
ويزيدها - من هولاه - استغرابا
إذ إنه بالعُزى ليس مُعابا!
بذوائب أمست - لديه - جرابا
هو ليس دجّالاً ولا كذابا!
في العالم المشهود ليس سرابا
يُزجي الصبا ، وأراه لا يتصابي
حتى سطرْتُ بما اشتبهتُ خطابا

طعنَتْ فؤادي بالتغنج ، فارعوى
والعقل قد سحرته من لم تلتزم
ولصوتها تهويمية سحرية
ولكل رمش سحره وجماله
وإذا تكلمت المليحة أفصح
هي لا تُعقد لفظها برطانة
وأنا ضحية قدها وبيانها
عزباء لا زوج يُجرعها العنا
ملكٌ مُشاع للرجال ، من ابتغى
وكراؤها كفرّ بدين (محمد)
ثم اتبع هوى النصارى كله
سحرٌ يُكأف من يتوق لنياله
سحرٌ حياة المرء في أحضانه
سحر يوانس - في البرايا - وحشتي
سحرٌ ملوك الروم تحسده على
سحرٌ يُفتق - في النفوس - لهيها
سحرٌ تفلأت من ديانة قومه
سحرٌ يُصارع من يُناوى عُهره
سحرٌ تُصدق أخذه آياته
سحرٌ تذرع بالمفاتن تزدهي
سحرٌ يُخادع من يروم خداعه
لما تبدى لم أطق قسامته

وقد انتويتُ - إلى الجمال - ذهاباً
وتركتُ ديني سنةً وكتاباً
متع الحياةً وغيداً وكعاباً
كلا ، ولم أحسب لذاك حساباً
رُوميةً خلعتُ حيا وثياباً
وطرحتُ - تحت نعالها - الأتساباً
ووضعتُ - تحت بساطها - الألقاباً
ورأيتُ كل المؤمنين ذئاباً
وعشقتُ - من أخواتها - أتراباً
والمالُ فاض ، فأطربوا إطراباً
ورأيتُ أتباع القرآن تراباً
وغدوتُ - فيما أدعي - مُرتاباً
جعلتُ أسوداً - في القتال - ذباباً
ويحياهم - بين الأنام - كلاباً
لضربتهم - بالسهمري - غلاباً!
ولكل ساحر أعذ عذاباً

أفصحتُ فيه عن الذي أضمرته
أدليتُ دأوي ، وارتضيتُ شروطه
وقد ارتميتُ - على الجمال - مفضلاً
وأخذتُ ، لم أدرس مغبةً فعلتي
ونسبتُ نفسي للنصارى أرتجي
وظفقتُ أوسغها بعذب تشببي
ولفظتُ - فوق سريرها - آي الهدى
ورأيتُ نفسي في ملامح وجهها
ونظرتُ للأحياء من قداسها
ورزقتُ منها صبيةً أحببتهم
ورأيتهم - في العالمين - أماجداً
ونسيتُ قرآناً حفظتُ جميعه
(تهويمه السحر) العظيمة بليمة
لعن المليك السحر يُزري بالورى
لو أن أمر الساحرين يؤول لي
إن المهيمن سوف يُبطل سحرهم

صرخة في ليالي المراهقات

(عندما تجد الفتاة المراهقة راعياً حازماً يُقيم أمر الله تعالى فيها ، ويعلمها القيم والأخلاق التي تواجه بها ذلك العالم الإباحي المتحلل المتحرر الذي نعيش فيه ، فإنها تجتاح مراهقتها بنجاح وهدوء وحكمة. ولكن عندما يتركها راعيها المفرط المضيق للإنترنت والفضائيات فماذا يخرج للمجتمع سوى فتاة ضائعة مشتتة مبتذلة ، بعد أن خاضت غمار التحلل والتهاك تحت مطارق الحرب المسعورة التي يشنها اليوم أعداء الإسلام؟ إنني في هذه القصيدة الغضة أصف ليالي المراهقات المفرطات الضائعات ، بسبب إهمال الرعاة السفهاء البلهاء! يقول الدكتور الحوالي ما نصه: (إن الشباب - حقيقة - يعاني ويتعرض لضغوط شديدة ، قد تجعله ينحرف ويرجع ، ويقول: ولم لا أكون كما كنت؟! وإذا بدأ العد التنازلي فإنه لا ينتهي إلى حد ، فيبدأ يهمل موضوع السنن مثلاً ، ثم موضوع الحجاب بالنسبة للزوجة ، ثم هكذا حتى يعود في النهاية إلى ما هو أسوأ مما كان عليه! نسأل الله العفو والعافية! إذاً: هناك قضية مهمة جداً يجب أن نتنبه لها جميعاً ، وهي أن الشباب في هذه الأمة مظلوم على ما فيه من أخطاء ، وعلى ما فيه من أمور ليس هذا المقام مقام تفصيل لها ، ولا أن نعذره بها ، لكنه مظلوم من جانب ؛ وهو يعاني العقوق بينما يشكو الآباء من عقوق أبنائهم ، ويشكو المدرسون من عقوق طلابهم أيضاً ، فكذلك الابن يعقه أبوه ، ويعقه مدرسه ، وتعقه أمته بهذا التوجيه السيء المنصب عليه ليل نهار ، والذي نهايته هذه البلبلة وهذه الحيرة).هـ. فماذا عن ليالي المراهقات تلك؟!)

فاحت ليالي الهوى دُعراً وتضليلا
حجارة - من ديار الكفر - سجيلا
غزو تمكّن من بيوت من غفلوا
عبر الأثير ، وليس الكيد مجهولا
حرب سعار - على الفضيلة - اشتعلت
وسيف باظها قد بات مسلولاً
تستهدف الخير قد فاضت منابعه
حتى تنكّل - بالكرام - تنكيلا
وقودها العهر يزجيه الألى فجروا
من يكملون علينا الطول والطولا
يُحقق الغرب أحلاماً يتوق لها
حتى يضلل أهل الحق تضليلا
كيلا يكون حجاب فوق أنسه
ولا تُرتل أي الذكر تـرتيلا
كيلا نحرم ما الإسلام حرمة
ولا نجس حلالاً فيه تحليلا
كيلا تُحبل بشرع الله مشكلة
ولا يُؤول وحى الله تـأويلا
يا مسلمون استفيقوا من ترهلكم
وزايلوا الغرب ، أمسى الغرب ضليلا
مازال يطعنكم بدون مرحمة
وليس يصحب في الهيجاء أسطولا
فإن قطعتم له شبراً تعقبكم
حتى ليقطع - في لحظته - ميلا!

تفوق - في هولها - الطير الأبايلا
ولا أهول - في التصوير - تهويلا
ولا يمثّل - بالألفاظ - تمثيلا
وليس يحتاج هذا الوصف تفصيلا
إذ خالفوا - في الذي يأتون - إنجيلا!
بل صدّروا - للبيوتات - الأضاليا
وحطمت - عندهم - ما كان مأمولا
فقاوموا الغزو ، حتى تنقذوا الجيلا
وكل راع غداً يكون مسؤولا
وحكموا سنة عزت وتنزيلا
إن الحقائق تجتاح الأباطيلا
هيا اطرحوها عن سناها القال والقيلا
حتى يصير - عن المضاء - مشلولا
لا تنسجوا - عن مخازيه - الأقاويلا
بجّلتموها بروح العشق تبجيلا
وبعد - في السر - تُردون القناديلا
إني أوّمل - ما دعوت - تأميلا!

ما زال يرسل - في التلفاز - شحنته
مشاهدت زردى العيون رؤيتها
تحلّ ماله - في الأرض - من مثل
هذي الإباحية الرعناء غدتهم
فهل يقر الذي يأتون ديتهم؟
ما حققوا الخير ، حتى يلحقوه بنا
بضاعة حسدت أسباب قوتهم
يا مسلمون ، غدا شبا بكم هدفاً
أمانة هذه البنات عندكم
فراقبوا الله ، إن الله مطلع
ولا تكيّلوا لنا الردود مفحمة
ولن تفيّدكم الأعداء قد سبكت
كلّ يعلل - بالتسويف - همته
لا تلعنوا الغرب جهراً في مجالسكم
وإن خلوتم بأفلام له سفلت
لا تحقروا ظلمات الغرب في ملاء
يا مسلمون دعائي بالرشاد لكم

ذكريات أنين زوجة باكية

(تزوج الثانية ، وأهمل الأولى وأولادها ، فخالف عن شرع الله تعالى الذي يدعي أنه تزوج على هدىً منه! فكان للأولى أنين سمعه الشاعر منها شخصياً ، وبكى له ورثاً لحالها البائس. وحاول الإصلاح بمراجعة الزوج الذي تجاوز حدود الله تعالى. ولكن دون جدوى ، لم ينصت الزوج لشكاة صاحبه ولا لأنين صاحبتة ، فتخيلت نفسي في مكان هذه الزوجة وملاأت محبرتي من أنينها ، وجعلتُ مداد يراعتي من دموعها فكانت قصيدة: (ذكريات أنين زوجة باكية) ترجمة للموقف! قال ابن كثير: (قوله: {فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم} أي فإن خشيتم من تعداد النساء أن لا تعدلوا بينهن! كما قال تعالى: {ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم} ، فمن خاف من ذلك فليقتصر على واحدة أو على الجواري السرايري ، فإنه لا يجب قسم بينهن ، ولكن يستحب فمن فعل فحسن ، ومن لا فلا حرج! وقوله: {ذلك أدنى ألا تعولوا} قال بعضهم ذلك أدنى ألا تكثر عيالكم ، قاله زيد بن أسلم وسفيان بن عيينة والشافعي رحمهم الله ، وهو مأخوذ من قوله تعالى: {وإن خفتم عيلة} أي فقراً {فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء}. وتقول العرب: عال الرجل يعيل عيلة إذا افتقر ، ولكن في هذا التفسير ههنا نظر ، فإنه كما يخشى كثرة العائلة من تعداد الحرائر كذلك يخشى من تعداد السرايري ، والصحيح قول الجمهور {ذلك أدنى ألا تعولوا} أي لا تجوروا أو تظلموا ، يُقال: عال في الحكم إذا قسط وظلم وجار). هـ. وإن فالعدل بين الزوجتين واجب شرعي سنة الكتاب والسنة!)

- | | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| حتى متى دمع الأنين مُباح؟ | وإلى متى مرثية وجراح؟ |
| وإلى متى عز البريئة مُهدرٌ | وتطالعه - بالشائعات - رماح؟ |
| وإلى متى ظلم يفور أواره | وظلام ليل ماله إصباح؟ |
| يا صاح شرع الله عدلٌ كـله | ولكل متبوع الرشاد فلاح |
| هلا تدبرت الشريعة مخلصاً | ليبوء - بالخير العميم - نكاح؟ |
| هلا تفهمت المقاصد والروى؟ | إن التفقه نصرة وصلاح |
| هلا درست الأمر في شرع الهدى | حتى يُكَلِّل ما أتيت نجاح؟ |
| هلا استشرت أولي التجارب والنهي | وسألت قوماً حرّموا وأباحوا؟ |
| عددت ، هذا من شعائر ديننا | مثى ، ثلاثاً ، ما عليك جناح! |
| وفق الذي شرع المليك لمن هدى | كي تسمو الألباب والأرواح |
| العدل أين؟ وأين حق عيالنا؟ | ولم الحقوق لأجل تلك تباح؟ |
| ولم الإدانة دون حق ، والهوى؟ | كم من تجنّ فأله الإيضاح! |

هذا الغموض يدّكّه الإفصاح
فلديك منها حرببة وسلاح!
والزوجة الأولى لديك (سجاح)؟!
تحيا وتملاً دارها الأشباح؟
وثلّح ، هـلا أرك الإلحاح؟
فهل اعترتُك بليّة وصّياح؟
والليل طال ، وليس بعدُ صباح
والأمرُ جدّ ، ليس فيه مزاح
فنصيرها المتكبّر الفتحاح
فلتتخّثر الزوجات والأفراح!
كـيلا تسود ضغانن ونواح
إن التعدد هممة وكفاح
لا فرصة للمستهين تتحاح
ويزين عيشك عدلك الوضاح
وبه يزول تجاور وجماح
وتطاول دمعي - له - سحاح!
هل يستوي الليمون والتفاح؟
وإذا احتواه العدل ، فهو مباح

أفصح عن الخلل الذي أخفيتّه
لم تتخذ لغة التطاول منهجاً؟
هل زوجتاك: كريمة ميمونة
(أم العيال) غدت - لديك - مهينة
أمست تنن ، فهل سمعت أنينها؟
وتصيح ، لا من علة أودت بها
أبدأ تُداهمها الخطوب ، فتشتكي
اعدن ، وكن - في كل أمرك - منصفاً
واحذر دعاء وليّة مكلومة
أنالاً أحرم ما أباح إهنّا
لكن بتحقيق العدالة حسبة
وأرى التعدد حق كل موحد
وضياً إذا ما العدل شاد بنائه
فإذا عدلت فما عليك ملامة
والعدل شرط الله في قرآنه
شتان بين عدالة تشجي الورى
شتان بين محبة وعداوة!
إن التعدد من شعائر ديننا

شمس الجزيرة العربية (محمد بن عبد الوهّاب)

(إن عندليب الجزيرة العربية الشادي بالتوحيد والمغرد بالعقيدة وشمس جزيرة العرب وقمرها المنير وينبوع عزها وأكسير مجدها هو مجدد القرن الثاني عشر الهجري الشيخ محمد بن عبد الوهّاب - رحمه الله تعالى - ، وإن كانت هناك مجموعة شمسية فهم أولاده وأحفاده ممن سار منهم على منهاجه! لقد تصدى الشيخ للبدعة وللمبتدعين وجاهدهم بالقرآن والسيف جهاداً كبيراً! ولم يزل الشيخ - رحمه الله - يجاهد أهل البدع والضلال حتى لحق بالرفيق الأعلى تبارك وتعالى! ومن هذا المنطلق استحق هذه التحية الشعرية التي أكتبها وعمرى 32 سنة!)

يا يراعي ، حبر حروف العبارة
فابن عبد الوهّاب شمسٌ أطلت
بددت أرجاس الدجى بسناها
أمة كان الشيخ في عصر جهل
لم يقل: وحدي والعدو كثير
تخذ العلم والجهاد سبيلاً
واجه الشرك في رباطة جأش
فاستجاب لما يقول أناس!
تارة بالعلم الصحيح يلاحى
ثم باتت به الجزيرة صرحاً
واستنارت - به - الديار ، وعزت
ودعاة القبور منه استشاطوا
أشعلوا - في الأصقاع - فتنة حمقى
ثم عمّ الدجى جميع البوادي
ثم مات ، والإرث علمٌ وتقوى

ثم صرّح بما احتوته الإشارة
ثم حازت - بين النجوم - الصدارة
وأزاحت - عن القلوب - المرارة
وانحطاط ، ففي العقول حجارة
والدواهي - من العدا - في الصدارة
وانبرى في كلّ حوز الإمارة
ومن العلم كان قدح الشرارة
وأناس باؤوا بخزي الخسارة
ويلاقي الأعداء بالسيف تارة
وغدت - بالتوحيد - أبهى منارة
وتحدت - بالدين - أهل الحضارة
غضباً لما خط شرط الزيارة
وأرادوها غارة تلو غارة
فأعاد الشيخ الضيا والنضارة
وكتابات تُقتنى عن جدارة

أطلال فن القصيدة

(اعتاد ذلك الشاعر على كتابة أغلب شعره ارتجالاً. وكان قد تعجّل نشره بشتى السبل ، فخرجت قصائده خالية من الفن والجودة ، ناهيك عن الأخطاء الإملائية والثانية التصحيحية والثالثة الطباعية! وما ذاك إلا لنقص الخبرة من كافة الوجوه: الخبرة في التأليف والكتابة والصياغة لحدائثة التجربة ، وكذلك الخبرة في التعامل مع المطابع ودور النشر! وكانت القصائد أشبه ما تكون بالأطعمة المسلوقة دون طهي أو حبهك أو صياغة! فكتبتُ أرشده إلى فن تأليف وطباعة القصيدة! والأصل أن يتعلم الشاعر ليصقل موهبته ، ثم يعرض ما كتب على أصحاب الفن والعلم ليبينوا أخطاءه العلمية اللغوية والعروضية والصياغية ونحو ذلك! ثم يعرضه على أهل التدقيق ليشرحوه! وأما الطباعة والنشر والتوزيع للجُمهور فهذه آخر المراحل لا أولها!)

نقح قصيدك ، لا تلعب بك الفتن
وكنف عن نشره إلا إذا ارتحلت
سفينة الشعر قد يُودي بهانزق
فاصبر على الشعر إن رمت استقامته
واعرضه دوماً على أرباب صنعته
صلاح شعرك عند الناقلين له
(فن القصيدة) بالتعليم تدرّكه
ويصقل الشعر بالآلام تطرّحه
(فن القصيدة) أن يلتاع صاحبها
مثل الجنين ببطن الأم محتبس
(فن القصيدة) أن يكون شاعرها
فقرط الشعر كي تراه مؤتلقاً
(فن القصيدة) بالعروض مُرتبط
وأعذب الشعر ما جاءت به كُرب!

كيلا تراه - على الأيام - يمتهن
عن كل بيت به الأوباء والدرن
يزجيه مستعجل - بالطيش - مرتهن
شعرُ التعجل غثّ منتن عفن
حتى يصح ، وإن كانت لهم منن
فالشعر - بالنقد - حي نابض حسن
والعلم عُدته المجهود والزمن
وبالتجارب صدق الشعر يمتحن
شوقاً ، ويؤلمه القريض والشجن
يصول معترضاً ، وماله سكن!
مثل الغريب له تشوق الوطن
حسن القريض بحسن السبك مقترن
كالروح يحيا بها بين الورى البدن
وأجمل الشعر ما زجت به المحن!

مولد النور في عرس بنت الأربعين

(ظلمها أبوها برفض كل عريس يتقدم لها ، وذلك بحجج واهيةٍ منها مثلاً المال والقبيلة والمكانة والوظيفة والجنسية ، حيث إنها مواطنة والعريس المتقدم وأفد! ونحو ذلك! فتركت البائسة بين مطارق الشهوات المجنونة وسُعار الفضائيات الملعونة! فلجأت إلى الله تعالى واعتصمت به وتعرفت إليه ، وعكفت على القرآن وتذرعت بالصوم وتسلحت بطلب العلم الشرعي واتجهت إلى مبدأ شغل الوقت فيما يفيد ، فكانت تعلم بنيات جاراتها القرآن والسنة وبعض العلوم المدرسية ابتغاء وجه الله ، ومن هنا تعرفت على الكثير من معالم دينها. وجدت في الدعاء وتحينت أوقات قبوله ، فعصمها الله ورزقها شاباً مؤمناً وذلك بعد موت أبويها في حادث سير (وقد كانا حجر عثرة في طريق عفتها واستقامتها وزواجها)! والعجيب أن عمر ذلك الشاب 25 سنة ، بينما كان عمرها 40 سنة. الأمر الذي يُذكرنا بزواجه - صلى الله عليه وسلم - من أمتنا خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - . والأعجب من ذلك أنه تزوجها لدينها وأمانتها واجتهادها وأخلاقها ، الأمر الذي لم يعد وارداً على عقليات أغلب الشباب والشابات المتقدمين للزواج اليوم ، لفساد الناس والزمان والحال! فتخيلت نفسي أحد المدعوين لحضور عرس بنت الأربعين ، وطلب مني الحضور أن أهني العروس شعراً ، فكانت هذه القصيدة!)

تمثلي الشرع بين الناس ، وارتفعي	وحظمي هاجس الأعراف والجزع
خلي التقاليد ، إذ قد خالفت ونأت	وجاهرت ربهها بسبي البعد
ثم اهجري عادة - عن ديننا - شطنت	وفاضلي من طغت ، والفاسقين دعي!
أعاد عرسك ذكرى عندنا عظمت	ذكرى النبي التي طابت لمتبع
علوت بالشرع - يا أختاه - في ثقة	من تلتزم بعري الإيمان تنتفع
في الأربعين تفوقين النجوم ضيا	والجسم لا يشتك شيئا من الوجع
والنفس راضية ، بما المليك قضى	والقلب يرفل في القنوع والشبع
والروح تنظر - في القرآن - صورتها	فلا سبيل إلى الأوهام والهلع
في الأربعين لها مشاعر طهرت	من التذرع - بين الناس - بالطمع
فبارك الله فيها طالما عملت	بمقتضى الشرع في بيت ومجتمع
وبارك الله في شهم تزوجها	زوج التقية يحيا في ذرى المتع

ظلمات حب الغانيات

(مجموعة من الشباب الهازلين كانوا قد فتنوا بالدنيا في الداخل والخارج! ولم يكتفوا بما حوث ديارهم من الإباحية والتهتك والانحطاط المزري ، فراحوا ينشدون اللذة والمتعة الحرام في غربتهم! وكان الوثئ الأكبر الذي فتنهم هو الفضائيات بأنواعها. ولسان حال كل منهم أنني إن ملثت من فضائيات قومي ، فإنني لا أمل غيرها من فضائيات الغرب. والحق أن الغرب لا يلام على فضائياته العُهرية ، لأنه ليس بعد كفره ذنب. ويبقى اللوم مُوجَّهاً لمن يدعي الإسلام والقيم والأخلاق. فأنشدت هذه القصيدة بعد جدال مع أحد هؤلاء الشباب والذي قد عزف عن الزواج ، وبات يتغنى بالعزوبية. وقد أفصح لي عن هذا بقوله: إن العزوبية أحلى من الزواج! وعلل ذلك بأنه في إطار العزوبية وتحت مظلتها يستطيع أن يتمتع بالغانيات في كل لحظة! إن الافتتان بالغيد يورث في النفس ظلماتٍ ودياجي يصعب على من ابتلي بها أن يُزيلها! حيث إن لها اتصالاً مباشراً بالقلب والروح والعواطف والأحاسيس! ويُمسي ذلك المفتون ويصبح لا يفكر إلا في جديد هذه الأوساخ! وكلما أدرك منها جديداً تبناه ولهث وراءه وتوله به وتعلق به ، ثم تأتيه مرحلة الافتتان العاتية! ولو كان ناصحاً لنفسه لاجتنب خطوات الشيطان ، واتبع كتاب الله وسنة رسوله – عليه السلام –. فتخيلت أحد هؤلاء الشبان - المفتونين بالغانيات والسالكين دروب التهتك والإباحية حتى منتهاها – ينصح سواه بعد تجربة وتمرس وتمحيص ودربة فيقول:

عشقُ غيدِ الفن بلوى ومناهة	فابتعد عني ، وحُرِّ أنت النزاهة
لم أزل - في العشق - أهذي مُستميئاً	وأراه مُتعة تزكِي الرفاهة
وأباهي بالجميلات النـدامى	ربما أغنت - عن الدعر - المباهة
والفضائيات - في الغربية - زادي	فافهم القصد ، ودع عنك السفاهة
وتمثل أنت أخلاق المعالي	إنني أمقتُ معيار الوجاهة
لا تناصحنِي ، ولا تنكأ جراحی	حيث إن النصح تشوية وعاهة
فالغواني هنَّ أنوار الـدياجي	والبغاء اليوم فنٌّ لا تفاهة!
لا أرى العِصمة في أي زواج!	إن هذا القول طيشٌ وبلاهة
إن (حب الغانيات) اليوم غنمٌ	يُبهِج القلب ، ويُهديه الفكاهة
لا تقل: هذا انحلالٌ ، أو حرامٌ	أو فسوقٌ يعتلي متن الكراهة!
افقه الحق الذي تدعو إليه	إنما الحكمة توتى بالبداهة

فرح بنات الثرى ببنات الثريا

(إن فرحة الأرض - بما عليها وبمن عليها - بالمطر لا يمكن تخيلها فضلاً عن وصفها. اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج). وأنا هنا أعبر عن مدى فرحة كائنات الأرض بالمطر! فهو احتفاءً واحتفالاً تزجيه بنات الثرى لبنات الثريا! الماء يحيي به الله كل شئ ، {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا}. وهو فرحة عظمى للناس بعد جذبهم ، {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}. وهو سبب رزقهم ، {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ}. وهو سبب لإحياء الأرض ، {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}. وهو سقياً للناس ، {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ}. وهو صحة الأجواء ، وطرده الأدوية. وهو الغيث ، {يُنزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}. وقليلة هي الأشعار التي تصف المطر ، فأثرت أن أصف المطر وأثاره علينا!

إنما الغيث معجزات وآية	تغمُر النفس بالتقى والهداية
يُبهِجُ الْأَرْضَ وَالْعَالَمَ حَتَّى	ترفع السعد - في الخلائق - راية
فبنات الثرى يقمن احتراماً	لتؤدى - للاحتفاء - البدايات
والزروع تهدي الأنام جمالاً	وكان الجمال قصداً وغاية
والثمار تختال زهواً وفخراً	لتنقص - للناس - بعض الحكاية
والنباتات تنتشي وتغني!	يا ترى هل أمسى الغناء هواية؟
والطيور - فوق العصور - تناعي	بعدما كانت تستغيث شكاية
والحقول تفيض حسناً وخيراً	فالغيوث جادت لها بالكفاية
والأزاهير - في الرياض - سُكاري	بعدما خصت بالعطا والرعاية
وبنات الثرى يُرددن شكراً	للمليك إذ غيثنه الآن آية
في احتفاءً يطري بنات الثريا	ثم يوصي الأمطار أغلى وصاية
أن تعود بدون طول فراق!	إن طول الفراق أعتى نكاية
والحياة - بدون غيث - ممات	قد جهرنا بقولنا عن دراية
بدأت باليسرى بنات الثريا!	وبنات الثرى خططن النهاية

ابتسامات الأسي الملتهب

(والدُّ كم قسا على ولده وجرّعه الآلامَ والمزحَن. والتي كان آخرها أن صفعه على وجهه وبعد صلاة العشاء في المسجد أمام الرفاق. فابتسم الفتى ابتسامة الأسي الممزوج بالصبر والاحتساب والمسامحة والتماس الأعذار! وغادر المجلس مستعبراً حزيناً باكياً! فُرِحَتْ أُعْبِرَ عن هذا شعراً ، فقد رثيْتُ لحالهما. أما رثائي لحال الابن فلأنه قد صُفِعَ وجهه بدون حق وأمام أصدقاء له وأصحاب! وأما رثائي لحال الأب فلأنه لم يستطع أن يملك نفسه حال غضبه! ألا وإن الإنصاف يقتضي أن يحلم الأب ريثما تواتي فرصة يستطيع عبْرُها إيصالَ فكرته لولده بدون اللجوء للضرب مرة واحدة! وهذا سلوكُ أب مع ابنه حال خروجهما من المسجد مهما كانت الأسباب والمبررات ، فكيف إن خرجا من سينما أو مسرح والعياذ بالله؟ فليكن الإفهام باللسان والكلام وليس بالضرب والصفع والإيلام! وما أجمل الابن لا يرد على أبيه أمام الناس ليزيد من تفاقم المشكلة! إنه الأدب الجم الذي عدمناه في زماننا هذا الذي قل خيرُه وكثر بلاؤُه وشره!)

كفّ على الوجه ، هذا كل ما حدثا
ووراها عدوّ جاحدٍ لرثي
بدون حق ، لذا أزرْتُ بصاحبها
لأنه لم يكن - بالأمر - مُكترثا
جيلٌ - على حقده والكيد - منغلِقٌ
كأنه - عن دجى إفلاسه - بحثا
رؤوسُه لفظت - عمداً - عقيدتها
وأقبلت - في اللظى - تستروح الخبثا
تذوب عشقاً لَمَّا الأفلامُ تسكُبهُ
من الضلالات تزجي الغهرَ والعبثا
جيلٌ على شهوة البطون مُنطرحٌ
وكل فحل - أمام الراقصات - جثا
ماذا تريدون من جيل يُناصحكم
ويستهين بما يموج فيه غثا؟
ألا استجيبوا لَمَّا يُحيي قلوبكم؟
إن الرشاد - من التقوى - قد انبعثا
فيم التحرشُ بالشباب ديدنه
تقوى المليك وفي محرابها لبثا؟
بضاعة مالها سُوقٌ يروجها
إلا التجني على من بالتقى لهثا
والابتسامة تزجي حِمَّ من صُفعتْ
أمانا وجنة منة فما نفثا
أسيّ على رقةٍ ما كان أجملها
من الأبوة أردى جورها التثا!
يا قوم وفوا بعهد الله ، والتزموا
لا خير في عهدكم إن خين أو نكثا
وكل حي له موتٌ يُراقبُه
وسوف يسكن - بعد الغرفة - الجَدثا

الراطلون ليلاً في زمن الأحزان

(اعتادوا كل ليلة أن يذهبوا إلى الفجور واللهو ، ثم يعودون عند قدوم الفجر ، حتى ابتلاههم الله بالإيدؤ والهريز جزاءً وفاقاً لما كانوا يقترفونه من الحرام! يقول أبو فيصل البدراني: (ومن حكَم خلق المصائب والآلام الدنيوية استخراج عبودية الضراء وهي الصبر ، كما تُستخرج عبودية السراء وهي الشكر وطهارة القلب والخلص من الخصال القبيحة ، كآفات القلوب المعلومة من كبر وعُجب وفرعنة وقسوة قلب ، والنظر إلى قهر الربوبية وذل العبودية وإيقاظ المبتلى من غفلته ومعرفة قدر العافية وحصول رحمة أهل البلاء من الله والهداية وحصول الأجر لهم. وما فسدت النفوس بمثل ما فسدت بالفجور واللهو والضياع والسفول!) شكر الله لأبي فيصل حكمته وفصل خطابه! إن المعاصي ياقومنا تذهب ويبقى أثرها ورجسها!)

آفة الدنيا النفوس الشبقة
فرخوا بالدعر يجتاح المدى
قد رمى الغرب شباكاً كالردى
وقلوب الناس غشاها الهوى
والليالي دنسوها بعد أن
وسُعارُ العُهر أودى بالورى
وإذا الأفلام ناراً أضرمت
وإذا بالجويل مكدود القوى
ماله - في الصالحين - قدوة
ألى الليل رحيل فاجر؟
يا شباب الجيل قوموا ليكم
إنما العمرُ سويعات التقى!
سنة تمضي كأحلام الصبا
ثم تأتي سنة تزجي الهنا
قد دنا الموت ، أفيقوا قومنا!

لوثت من كل صقع منطقة
مثل نار - في البرايا - مخرقة
في بحار بالخنا مصطفقة
فاسكت كانت للقيود الموثقة
فاخرت بالمغريات المشرقة
بأفنانين الغرام الشبقة
في نفوس بالبغايا مُحذقة
خائر العزم وموود الثقة
إنما القدوة فيمن أبقه
أوليس - في الحنايا - شفقة؟
ودعوا هذي الدروب المطبقة
مثل دوح - في البيادي - مورقة
ومن التفريط ولت مُشفقة
ومن التقوى أتت مؤتلفة
حفرة القبر وربى ضيقة!

مازلت وحدي بين جفون الجرح

(كانوا يظنون أن تديته بسبب فراغه ، وأن عزوفه عن المعاصي بسبب فقره. فإذا به بعد غناه على ما هو عليه بفضل الله تعالى ثابتاً ثبات الجبال. وكثيرون اليوم هولاء الأقسام الذين يرون الالتزام انعكاساً للحاجة والعوز! إنه تصور خاطئ منحرف منهزم لا رصيد له من الواقع ولا دليل عليه من كتاب أو سنة! فتخيلت ذلك الشاب الطائع يردّ عليهم فيقول: إنني مازلت وحدي متمسكاً بديني معتصماً بربي مهما كنت! وكثيراً ما يقول السفهاء هذا عن كل من استقام! فمنهم من يرى أن أغلب الفنانين تابوا لركود سوقهم! وأن أغلب الأغنياء كانت المعاصي والخروج على الشريعة الربانية سبب غناهم! والأصل أن نحسن الظن وأن نعلم أن الإيمان بالله تعالى يزيد بالطاعات والقربات وينقص بالمعاصي والموبقات! وعلى كل من اهتدى أن يحمد الله ويحاول على فعل الطاعات واجتناب المحرمات وأن يلزم الصالحين المتقين ليعينوه على أسباب التقوى! فتخيلت ذلك الطائع لله - في يسره وعسره ، وفي غناه وفقره - يقول لنا:)

مازلت ملتزماً هدى الإسلام	أقف وخطاه على مدى الأيام
متمسكاً بعقيدتي وشريعتي	ومُبَدِّداً - بالنور - كل ظلام
ومجاهداً بالشرع كل مُعَرِّبٍ	لأصدّ (وحدي) هجمة اللوام
(مازلت وحدي) لاندأ بحنيفتي	لأقيم دين الله خير قيام
ما عاقتي مستهزئاً بتديتي	كلا ، ولا ما ساق من أوهام
والصبر في دنيا الأعداء ديدني	إن التصبّر عُدة المقدام
(وحدي) أدود عن الشريعة مؤقتاً	بالنصر ، هذا مقصدي ومرامي!
لن أستكين لما يُصدّره العدا	من داعر الأفكار والأفلام
لن أصحب السفهاء ، ذاك هو الردى	إن السففيه يزيد في آثامي
لم أنتهج شرع المليك لحاجتي	إلا إلى ربي فبالإرغام
الأمر أكبر من متابعة الهوى	والله يعلم غاية استسلامي
هو من هداني للحنيفة والهدى	فتبارك الرحمن ذو الإكرام
وأعزني بالذود عن دين الهدى	فكرامة الإنسان في الإسلام
جل المليك أضلّ خلقاً أجرموا	وهدى فريقاً من أولي الأحلام

القريض الصادق دعوة من القلب للقلب

(الشعر الصادق دعوة من قلب شاعر لقلب قارئ! وإلا يكن ذلك كذلك يُصبح مجموعة من الأفكار ذات المعاني الموزونة المُقفاة التي لا روح فيها! يقول أستاذنا الخضر حسين: (وأما الأساليب فيراعى فيها قوانين النحو والبيان المسلّمة فلا يحسن منع أن يتكئ على علة التجديد ويُسقط حرف العطف في نحو: لا ورحمك الله ، أو يدع الكلمات والجمل التي توضع في أثناء الكلام ، فتكسو البيت لطفاً ، وتدفع عنه أوهاماً يَفْقُدُ بها المعنى قوته ، أو ينقلب بها إلى غير مراد ، إلى ما يشاكل هذه التصرفات التي تخرج بالشعر العربي عن حدود البلاغة وحسن البيان. بل على الشاعر أن يصدق!). هـ. ومن هنا تميز الشعر الصادق من التلفيق الكاذب! وهذه عملية مجربة: فما كان من الشعر صادقاً وعفيفاً وذا رسالة يريد كاتبه أن يوصلها لقرائه فإنه يخرج من قلب الشاعر إلى قرطاسه ثم إلى قلوب القراء!)

حَلَّقَ الشَّعْرُ جَنُوباً وَشَمَالاً	وسعى - في الناس - زهواً واختيالاً
ومضى شرقاً وغرباً في تفران	وعلا مُزناً - من الحق - ثقلاً
ودنا من قاع بحر ومحيطٍ	يسأل الدنيا وأهلها سؤالا
ما القريض؟ ما الشعور؟ ما الأمانى؟	واعتلى الشعر - لذا السؤل - الجدالا
وجواب السؤل يا شعري يسيرٌ	حازه الصيْدُ ، وجافاه الكسالى!
القريضُ رحمة جالت بقلب	وإلى قلب يُحب الحق ألا
فكرة سجالها عبْدٌ تقى	مستنيرٌ يعبد المولى تعالى
نفحة تخمّل حقاً للبرايا	في هجير العيش تهدينا الظلالا
طهرت في عرضها واللفظ حتى	جاوزت في الطهر والتقوى الكمالا
أخذت من كل نور منتهاه	إن نور الحق يغتال الضلالا
لبس الشعرُ بها ثوب المعالي	فَسَما وزناً ولفظاً ومقالا
واستوى الإحياء نبتاً وثمارا	واستوى بالخير وصلاً ووصالا
ليست الأشعارُ وزناً والقوافي	دون حق يُلزم النفس اعتدالا
ذلك الشعرُ ، وهذا مبتغاه	وإلى الأمجاد قد شد الرحالا
يُحِفُّ الأبرار بالأنس ابتهاجاً	ثم يُهدي كل طاغوتٍ وبالالا

البهتان الرخيص

(بهتت أمة سوداء شوهاء شمطاء أحد الشعراء ، وانتقصته وأهانته بدون حق لها. فكتبت أنتصر للشاعر المُفتري عليه. والأصل أن لا تكون إدانة أو اتهام بغير دليل وبرهان! وأيضاً يجب إعطاء كل مُدان أو مُتهم فرصة للدفاع عن نفسه وتبرير قوله أو فعله! وابتداءً يجب إحسانُ الظن وتبَيُّتُ حسن النية ، ريثما تأتي قرائنٌ يستحيلُ معها إحسانُ الظن وتبَيُّتُ حسن النية! أما بهتان الناس وذكر مساوئ خايسة ليست فيهم ، وذكر أخلاق سيئة ليسوا عليها ، فإن ذلك لا يجوز في ديننا مطلقاً! ولا يكون بيت امرأة حيزبون درديس من زجاج ، ثم هي تلقي بالحصى على الناس! ولا يجوز إلقاء الكلام الفظ على عواهنه بدون أي تحفظ أو تحسب! والمهم أنني تخيلت ذلك الشاعر ، وهو يرد بهتان الشمطاء عليها ، ويدافع عن نفسه!)

إنما البهتانُ عارٌ وفضيحة
لم تحتالين - في الأمر - علينا؟
تنفخين الشمس في طيش وسُخفٍ
ألكِ الناس عبيدٌ ورعايا؟
أنتِ إنسانٌ ، وهم صاروا مطايا؟
فاسمعي مني إذا كان استماعٌ
أنتِ ما أنتِ؟ رجيماً أَرَّ خلقاً
أنتِ ثعبانٌ ، غداً ينفخ سُماماً
أنتِ شمطاءً طغى العمرُ عليها
تدعين الحُسن ، والحسنُ وراءَ
لا تساوين حروفاً أصطفيها
أنتقي اللفظ ، أعاني في تحدٍ
خففي اللوم ، فإذا قلبي ذبيحٌ
أنا ما أذنبتُ حتى تجرحيني
فذري البهتانَ عني ، وكفاني

واختلاقُ الزيف يغتالُ القريحة
وبصوتٍ يشتكى وخز البُحوحة!
والى إطفانها أنتِ طموحة
فريّة هذي - على الناس - قبيحة!
هل تجيبين بأقوال صحيحة؟
وخذي الأمرَ بجدٍ ، والنصيحة!
وأعار العيرَ والحمقى جُموحه!
ثم أعطاكِ رداه وفحيحه!
فورثتِ - من أسى الشيب - قروحه
ولديك الشينُ يُهدينا فضوحه
من سنا الضاد على الطرس فصيحة!
والتي الألفاظ - عنها - مستريحة!
مثلما أخلاقك - اليوم - ذبيحة
كيف يحيا المرءُ بالنفس الجريحة؟
ما الأقي من أكاذيب صريحة

صراع مع النفس

(في كتاب (الفوائد) للعلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - فائدة عظيمة ص 102 يقول متحدثاً عن عَوْرَاتِ النَّفْسِ وصراعاتها المختلفة ما نصه: (سبحان الله ، في النفس الإنسانية من أخلاق بني آدم كِبْرُ إبليس ، وحسد قابيل ، وعُتْوُ عاد ، وطغيان ثمود ، وجرأة النمرود ، واستطالة فرعون ، وبغي قارون ، وقحة هامان ، وهوى بلعام ، وحيل أصحاب السبت ، وتمرد الوليد ، وجهل أبي جهل. وفيها من أخلاق البهائم حرصُ الغراب ، وشره الكلب ، ورعونة الطاووس ، ودناءة الجُعَل ، وعقوق الضب ، وحقد الجمل ، ووثوب الفهد ، وصولة الأسد ، وفسق الفأرة ، وخبث الحية ، وعبث القرد ، وجمع النملة ، ومكر الثعلب ، وخفة الفراش ، ونوم الضبع!). هـ. وكما أثرت في هذه الفائدة الذهبية القيمة ، في تشخيص أحوال النفس الإنسانية في رحلة حياتها من المهد إلى اللحد. وقد قرأت الكثير عن النفس فيما يسمى بعلم النفس المعاصر ، والذي أغلب حديثه عن النفس من قبيل التخرص المُخزِي المُشِين والكذب المبين والافتراء المقيت والضلال البعيد! إذ إنه يفصل بين كون النفس الإنسانية متصلة اتصالاً مباشراً بالروح. والله دَرَّ من قال: (ما أشد حاجتنا الماسة إلى معاتبة النفس ومحاسبتها! إن هذه المعاتبة والمحاسبة هي التي تجعل النفس تتحرر من أسر الشهوات ، وتتحرر من الظلمات ، وبالمعاتبة والمحاسبة تقام النفس على الصراط المستقيم ، فإن الله سبحانه وتعالى ندبنا إلى ذلك فقال: (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ). وقد قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: [حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا ، فإن أهون ما عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الأكبر: (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ). وكان رضي الله عنه يحاسب نفسه وهو أمير المؤمنين كما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: [سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً وخرجتُ معه حتى دخل حائطاً فسمعته يقول وبينني وبينه جدار وهو في جوف الحائط: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ ، والله لتتقين الله يا ابن الخطاب أو ليعذبنك!] رجاله ثقات. وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: [رحم الله عبداً قال لنفسه النفيسة: ألسنت صاحبة كذا؟ ألسنت صاحبة كذا؟ ثم ذمها ثم خطمها ثم أزمها كتاب الله فكان لها قائداً]. وقال ميمون بن مهران رحمه الله: [التقي أشد محاسبة لنفسه من شريك شحيح!] أي الذي يحاسب شريكه. ونحن لا نعتبر بالكثرة وإنما بالحقيقة ، والحقيقة أنه يجب علينا أن نحاسب أنفسنا ، وأن نعاتبها ، هل فينا خوفٌ من الله كما ينبغي؟ هل يوجد عندنا شيءٌ مما كان يوجد عند السلف من البكاء من خشية الله تعالى؟ هل إذا تليت آيات الله حركت في أنفسنا ما يجب أن يتحرك ، واقشعرت الجلود والنفوس والقلوب لذكر الله عز وجل ثم انقادت إلى طاعته ومرضاته؟: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ). عن القاسم بن محمد قال: كنا نساfer مع ابن المبارك فكثيراً ما كان يخطر في بالي فأقول في نفسي: بأي شيء فضل الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟! هـ. والله الحمد أن في إسلامنا أمثال ابن القيم من الذين أضاء الله بصرهم وبصيرتهم فتحدثوا في علوم شتى ، فأجادوا بفضل الله ورحمته وعطائه وجوده ومنه عليهم أن كتبوا عن النفس ، فقد فاقوا الفلاسفة الملاحدة والمتخرصين المعاصرين والمتحدثين الأولين. وتفوقوا إذ كتبوا في الحديث والفقه والأدب والشعر والتاريخ والسير والتراجم والرجال والتمتون وأصول الفقه وما شاكل ذلك. وفعلهم هذا قد كفانا بكل تأكيد مونة التطفل على موائد أهل الضلال السابقين منهم

واللاحقين ، اللهم إلا على سبيل نقد كلامهم وبيانه للناس! إنني أكتب (صراع مع النفس) لأتحدث عن هذه النفس التي ابتليت بها ، وأصف صراعها بأن له سلبيات وإيجابيات ، وأنشدها الثبات على الحق مهما كان الثمن والتضحيات ، وأحثها على البعد عن المعاصي والموبقات مهما كانت الإغراءات. والذكي العبقري من تتبع نفسه وزكاها وأخذ لها بأسباب السلامة والعافية حتى تزكو وتطهر من أوشاب الدنيا! والمنتكس من تتبع أسباب تدسية النفس وجلب لها ما يقودها إلى الهاوية. ولنتأمل قول الله تعالى: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها). والعلماء على أن من أخذ بأسباب التزكية تزكو نفسه ، ومن أخذ بأسباب التدسية تدسو نفسه! نسأل الله السلامة ربنا أت نفوسنا تقواها ، وزكّتها أنت خير من زكّاها!)

- نفسٌ ماذا وراء فعل الشرور؟ ثم ماذا خلف الصراع الغدور؟
- ولماذا هذا الشقاء طوانا؟ ولمماذا تعّلة الـديجور؟
- ولماذا - في الدرب - ضاعت خطانا؟ ولماذا ننسى القيامة عمداً؟
- ولماذا يطغى الغرور علينا فنعماني من الخواء المرير؟
- ولماذا نسعى إلى الخلف دوماً ثم نعدو خلف الضياع المبير؟
- وسوانا - في سلم المجد - يرقى والأمانى تفوخ مثل الزهور
- أحرقتنا ريح الخلافات دهوراً واكتويننا بالمنهج المؤتور
- وانتهينا - إلى الترهّل - قطعاً وتفردنا - بين الورى - بالشرور
- وإذا الأعداء صفّ علينا وأمطرونا - يا ويحهم - بالصخور
- إيه يا نفساً - في السراب - تردتْ واستكانت لغيها المستطير
- جهلت من إسلامها وهداها ما به ضلّت ، بنسه من مصير!
- ثقل التكليف اللطيف عليها واستحلت - في الناس - قول الزور
- وأناها - من هزلها - كل هون فتأظنت في كبة التنور
- ورماها موج الضلال بعيداً فتدسنت في صولة التدمير
- أين يا نفسي النورُ يحو ظلاماً؟ ليس يبقى الإظلام عند النور
- أين ما قد وعدتنيهِ؟ أجيبني! ولمماذا ترجيعه التقصير؟

ثم أوغنا في الأسى والثبور؟!
وكذا من (فرعون) بعض غرور
وكذا من (قارون) سوء ضمير
نفس خافي من وهج نار السعير!
فالمليك الرحمن خير نصير
واستريحي من عائدات الهجير
واشتريني من كل إثم خطير
تاق قلبي - فيها - للبس الحرير
عَمَرُوا الدنيا وفق شرع البشير
كل خير - بالمؤمنين - جدير
واهجري - يا نفس - عطب الأمور
كي تنيري درياً عليه مسيري
طيب القلب صالح مستنير
كي تعيشي في الانسجام القدير
واصدعي عقل الجاهلي الحقيير
أقنعهم بكل حق نصير
أعلمهم شراك كل مُغير
أنذريهم عُقبى الهوان الكسير
وفق شرع الله العزيز الغفور
عن هدى الله المستعان القدير!
وارحم النفس من عتاب كبير!

وشروق القرآن كيف قلنا
فيك من تضليل (الوليد) كثير
فيك من (هامان) اللئيم صفات
فيك من (حجاج) البليات قذر
واصدقي الله المستعان ، وتوبي
وأقيمي الصلاة ، ثم أنبيي
واندمي أن كانت ذنوبك تتري
واعلمي إن رمت الجنان ، وجدي
تاق قلبي - للأنس - فيها بقوم
فاقري القرآن الكريم لتلقي
واستجيب للنصح دون اعتذار
واقري - في الإسلام - كتب ثقات
واجعلي صحباً كل عبد مُنيب
وانصري الحق ، أنت للحق أهل
وارجمي - بالتذكير - من قد تعامى
واهدي للتقوى أناساً حيارى
أنقذهم يا نفس ممن أضلوا
بصريهم بالحق حتى يُفوقوا
عرّفيهم أن الحياة جهاد
كم شقينا يا نفس حين بُعدنا
إيه يا قلب خفف اللوم عنا

كان حبرُ اليراع نورَ شعوري
سكنتُ في إكليبه المصفور
فاض بالبشر والرضا والخبور
للأماني ، مرحى بخير البحور!
لجان الرحمن خير الدور
كم طواها ما أحدثت من قصور!
واسـتجرت بالله خير مجير
فهنيئاً غذوبة التعبير
فاح هذا الصراع مسك عبير
وإذا للـقـريـض ريـحٌ سُـرور
وإذا للأبيات حُسنُ البـدور
ولـه صوتٌ فـاق شـدو الطيور
ولـه معنـى كـانـسـياب النـمير
عـاظـر الـذـكـرى باشـتـياق هـدير
كـم قـريـض يـسـمـو بـكـر الـدهور!
سـوف يُـردـي أهـوالَ كل مُغـير

أنت صغت اللوم الكبير قريضاً
ووضعت فوق الشعور دموعاً
وفجرت الصراع ينبوع عطر
وجعلت (البحر الخفيف) سبيلاً
وتخذت الآمال في العيش كهفاً
وسبرت الأغوار في حال نفس
ووصفت الأدواء للـداء قطعاً
وبذلت الخير الجزيل احتساباً
وارتضيت من الصراع بجرح
وإذا النفس المسـتـكينة كـلمـى
وإذا للـقـراء نفـحٌ انتـشـاء
وإذا للـصـراع لـونٌ وطـعمٌ
ولـه فـحـوى تـسـتـجـيش فـوادي
ولـه في التـاريـخ جـد اعـتـبار
ولـه في تعاقب الـدهـر ذـكـرٌ
ولـه في إرـهاصـة الجـيـل سـهمٌ

كفى تبرجاً وقبحاً!

(أهدي هذه القصيدة لكل متبرجة زين لها الشيطان عملها السيئ فرأته حسناً ، وصدها عن السبيل ، وصرفها عن الشريعة الغراء ، فراحت ترى في العُري العجموي البهيمي السافر لذة ومتعة ورقياً وحضارة. والإسلام هو الحضارة ، وأي شيء يُخالف هدي الإسلام فإنه لا يمت للحضارة بصلة! وأعتب: ما هي العلاقة بين التقدّم والحضارة والرقي في جانب ولباس النساء في الجانب الآخر؟ أوكلما ازداد الناس تقدماً ازدادت نساؤهم عُرياً وتبرجاً وقبحاً؟ إن التبرج والسفور والعُري من فطرة البهائم ، وليس من فطرة الإنسان! وكفى بكل متبرجة خيبة وندامة أنها قدوة في السوء والشر والإفساد في الأرض بغير الحق! والحقيقة أن التهتك والإباحية لو كان فيهما من خير لنفعت أربابها في بلاد الغرب المُنحلّ الإباحي المتهتك. بل على العكس تماماً: وجدنا ثمرة الإباحية انفتاح الباب على مصراعيه لسُعار الشهوات وجحيم الغرائز وخضم المُجون وهاوية السفول! فهل من عودة جادة إلى الحق قبل فوات الأوان؟ وهل من توبة قبل الغرغرة؟ وهل من أوبة قبل عض أصابع الندم ، ولات ساعة مندم؟! عسى الله أن يكون ذلك قريباً! المهم أنني أسطر هذا العتاب الشعري لا أريد من ورائه إلا الهداية لنفسه ومن تقرأ من المتبرجات والمتهتكات! يقول محمد المنجد في محاضراته: (غُض البصر) ما نصه بتصرف: (وماذا جنى الغربيون بالتبرج والعري؟ ما حصل عندهم إلا السعار المجنون الذي لا يرتوي ولا يهدأ وإنما يعود إلى الظمأ والاندفاع ، وعندهم الأمراض النفسية والبدنية من البرود وغيرها ، وأنواع العقد والشذوذ الجنسي ، والتلف على الجنس الآخر ، وشيوع الاغتصاب بالرغم من كافة أنواع الحريات المطلقة في تلك المجتمعات ؛ مما يدل دلالة على أن الله حكيم خبير وأنه لما شرع غُض البصر ، وأمر بالحجاب ، ونهى عن الخلوة وسائر الاحتياطات والاحترازمات ، إنما هو لمصلحة الناس أجمعين. إن الإسلام يهمله أن يمنع المنكر من جميع جهاته ، فليست القضية في غُض البصر فقط ، وإنما أيضاً في تغطية العورة! ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان) يعني: زيتها في أعين الناظرين ، ولذلك كانت عورة كلها من أعلى شيء في رأسها إلى أخمص قدميها. المرأة عورة بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا احتجبت المرأة وراء الثياب أو الجدران فإلى أي شيء ينظر الناس ، ولو كان عند بعضهم رغبة في النظر. إذاً: فهذه احترازمات عظيمة من الشارع سبحانه وتعالى ، وحتى الرجال لهم عورة يجب عليهم تغطيتها ، وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة) ، مما يدل على أن لكل من الجنسين أمام بني جنسه عورة لا يجوز النظر إليها. وكذلك أمر بالزواج ، ورغب في الصيام لمن لم يستطعه! وحتى المتزوج له إجراء إذا وقع على شيء مما يثير الشهوة في نفسه ، ولذلك (كان صلى الله عليه وسلم جالساً في أصحابه فدخل ثم خرج وقد اغتسل ، فقلنا: يا رسول الله قد كان شيء؟ قال: أجل مرت بي فلانة فوق في قلبي شهوة النساء فأتيت بعض أزواجي فكذلك تفعلون فإن من أماكن أعمالكم إتيان الحلال). وللحديث شاهد من حديث أبي الزهير عن جابر (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فأتى زينب - وهي تمعس منيئة - يعني: تدبغ أديماً أو جلدأ فقضى حاجته - وقال: إن المرأة تُقبل في صورة شيطان وتُدبر في صورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه). ونظره صلى الله عليه وسلم لم يكن عمداً إلى حرام أبداً وإنما حصل فجأة ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم أنزه من أن تثور في نفسه شهوة لأمر محرم ، وإنما فعل ذلك لكمال إعفاف نفسه وتعليم الأمة ماذا يفعل أحدهم إذا وقع

بصره فجأة على امرأة فأعجبته ، أو رأى منظرًا فجأة فثارت في نفسه الشهوة، فعلم الأمة).هـ.
وسوف أضرب الذكر صفحاً عن السبب المباشر لتأليف هذه القصيدة مادام يتعلق بمدرسة
صاحبة فضل عليّ من قريب أو من بعيد! ذلك أنني كنت في زيارة إلى القبور ، ووجدت قبرها
عليه اسمها من بين القبور! وكنت قد طالعتُ مطلعاً للشاعر بشارة الخوري في مجلة عربية
أعجبني فجعلته مطلعاً لي مع فارق في بعض الكلمات بما يحافظ على المعنى! حيث كان المطلع
يقول: (أفوق الركبتين تشمرينا؟! بربك أي نهر تعبرينا؟! وهذا أذكره من باب الأمانة!)

لَحْدَ الرُّكْبَتَيْنِ تَشْمَرِينَا؟!!	أَسْأَلُ - أَي بَحْر - تَعْبُرِينَا؟!!
وَأَي رَقِيعَةٍ ضَحَكْتُ عَلَيْكَ	فَصَرْتِ تَقْلِيدِ السَّاقِطِينَا؟!!
أَفِي الْمَكِيحِ خَيْرٌ لِلصَّبَايَا؟	أَلَسْتَ - بِقَبْحِ وَجْهِكَ - تُبْصِرِينَا؟
وَهَلْ نَمِصُّ الْحَوَاجِبَ فِيهِ زَيْنٌ؟	أَلَسْتَ - بِشَيْنِ فِعْلِكَ - تَشْمَعِرِينَا؟
وَهَلْ ضَمِيقُ الثِّيَابِ بِشَيْرٍ خَيْرٌ؟	أَلَسْتَ - بِضَمِيقِ ثَوْبِكَ - تَضْجَرِينَا؟
وَهَلْ سَاقَاكَ قَدْ هَانَا عَلَيْكَ	فَبَاتِ الْعُرْيِ طَبْعاً مُسْتَبِينَا؟
وَهَلْ وَشَمُّ الْخُدُودِ تَرِينٌ حُسْنًا؟	رَأَيْتُ الْوَشْمَ تَشْوِيهَا لَعِينَا!
وَهَلْ صَبِغَ الرَّمُوشَ لَمْشَتِيهِ	يُرِوْقُكَ؟ أَي دِينِ تَدْعِينَا؟
وَهَلْ نَزَعُ الْعِبَاءَةَ مِنْ هُدَانَا؟	أَمْ أَنْ الْعُرْيِ سَمَتْ الْكَافِرِينَا؟
وَهَلْ تَرَصَّيغُ ثَوْبِكَ بِاللَّالِي	يَزِينُكَ؟ أَي زَيْنِ تَزْعَمِينَا؟
وَهَلْ حُسْنٌ يَجِيئُ بِوَصْلِ شَعْرٍ؟	فَإِنْ الْوَصْلَ هَدِي الْفَاسِقِينَا!
وَهَلْ تَفْلَيْحُ سَيْفِكَ قَدْ أَتَانَا	بِهِ الْقِرَانَ؟ فَاسْتَهْدِي الْأَمِينَا!
وَهَلْ وَثَنُ الْقَوَاطِعِ قَدْ أَتَتْهُ	قَدِيمًا أَمَهَاتُ الْمُؤْمِنِينَا؟
وَهَلْ تَرْجِيئُ شَعْرَكَ لِلضَّحَايَا	يَزِيدُ الْحُسْنَ؟ أَمْ يُرْدِي الْمُنِينَا؟
وَهَلْ تَلْوِينُ خَدِّكَ لِلْبَرَايَا	جَمِيلٌ؟ أَمْ يُجَرِّعُنَا الْمُجُونَا؟
وَهَلْ كَعَبُ الْحَذَاءِ يَكُونُ شَبْرًا؟	رَوَيْدُكَ ، حَاوَلِي أَنْ تَصْنُدُقِينَا!
وَكَيْفَ يُشَقُّ فَسْتَانٌ قَصِيرٌ	لِيُظْهِرَ عَوْرَةَ الْمَعْجِبِينَا؟
وَكَيْفَ يَشِفُّ ثَوْبُكَ عَنْ قَوَامٍ؟	أَرَأَيْكَ جَرِيئَةً ، لَا تَسْتَحِينَا!

وأنت - بموت قلبك - تفرحينا؟
ويصعق دُعرُ منظرِكِ الجبينا؟
تعري البنات نهجُ المجرمينا!
وأقذارُ المهيمن تحتويننا؟
جواهرها يبعث الحب الـدفينا
فما اتبعوا - وقد نظروك - دينا
وكنتِ شِراكَ مَنْ يقلوكِ حيننا
فباؤوا - بالـدغاول - أجمعينا
وتهدم - رغم قوته - العريننا
وتسعد - في الدنا - المتسكعينا
وبات العيشُ منتكساً دجينا
وصرنا - عن هُدانا - تانهينا
وأغرق موجُ وطأته السفينا
وبتنا في عداد الضائعيننا
وللفجار أعلنا الركوننا
وظالت هذه الفوضى سنينا
وكم حاربن سُوددنا الرصينا!
فريقاً - للتحال - مستكينا
ولا قيماً تسود العالمينا
وقد نجحت فلون الملحديننا
لذا تبعث دروب الهاليننا

وكيف تدوس سُمعك الرزايا
وكيف تلوك طلعتك الخطايا
أليس يقض مضجعك التعري؟
ألا تخشين ما تُخفي الليالي
عيونُ التفاهين عليك ناز
فتنتِ الناس - عمداً - بالتدني
فحيناً كنتِ فتنة من تمطى
نشرت القبح بين الناس جهراً
هي الأزياء تمحق كل طهر
هي الموضوعات تدحر كل عز
ألا إن الكوارث داهمتنا
تمرقت المبادئ والسجايا
وأودى بالعرى تضليل قومي
وأعداء الحنيفة مزقونا
لفظنا الوحي ، لم نعمل بحق
تبرجت النساء فما غضبنا
فأعلن التهتك والتدري!
أبين الستر ، فاحتوت المخازي
قد انفلت الزمام ، فلا احتشام
وأصبحت النساء ملكاً مشاعاً
وبنت (خديجة) أمست سراباً

وسارت خلف قوم مفسدنا
وكم صنعت صنيع الأذلينا!
كما يتخبط القوم العمونا
وفي الذكرى انتفاع المؤمننا
فعوذك قد يسر المسلمنا
وإن الله مولى التائبنا
ومن سارت مسير الخائبنا
كما أملى لمن يستكبرونا
وأخذ الله يُردي الظالمنا
وجدي تلحقني بالعائنا
لأن الستر دأب الصالحنا
خشيت البرد يتركني طعنا
أظنك مثل هل هذا تفهينا
مالت الأرض غرياً مستهنا
أولت ذرفي الدمع السخنا
تعالى الله رب العالمنا

رأت في التيه نهجاً مستقيماً
قد استغنت عن الأخرى بدنيا
أبت إلا التخبط في الدنيا
نصحتك لو يفيد النصح بلها
ألا عودي لربك ، واسـتقيمي
وتوبي ، إنما التوبة ذخـر
ولا تغررك من ضلت وخابت
لقد أملاك ربك ، فاستفيقي
وإمهال المليك له حدود
ألا ولتبعك ما قصرت فيه
ولا ألقاك في ثوب قصير
فإني قد أطلت اليوم ثوبي
ولست ألام إن قصرت ثوبي!
كفى بعداً عن الإسلام يا من
رحى الأقدار دائرة ، فتوبي
نصحت ، وأجر شعري عند ربي

رسالة مشفق على اللغة العربية

(دُعيتُ إلى أمسيةٍ شعريةٍ في قاعة (القصباء) بالشارقة ، وذلك بناءً على تلبية دعوةٍ وُجّهت إلي من جمعية حماية اللغة العربية. وألقيتُ عدداً من قصائدي بفضل الله تعالى. وكان من بينها قصيدة تتحدث فيها اللغة العربية عن حالها الآن في عالمنا العربي. والقصيدة معارضةً لقصيدة حافظ إبراهيم غير أنها ثلاثة أضعاف قصيدة حافظ في عدد الأبيات. حيث إن قصيدة حافظ أربعة وعشرون بيتاً ، ولكن قصيدتنا اثنان وسبعون بيتاً. ولي شرف المحاولة وإن لم أبلغ بعدُ شأو حافظ ولا مستواه ولا قدرته ولا حسه ولا موهبته! المهم أنني تخيلتُ من بين من يستمعون أحد المشفقين على لغة العرب يرسل لها رسالة شعرية ، فتحدثتُ على لسانه في الإشفاق على لغتنا الحبيبة ، فكانت هذه القصيدة المُعبّرة عن رسالة ذلك المشفق! قال الثعالبي في مقدمة كتابه: (فقه اللغة وسر العربية) ما نصه: (من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم! ومن أحب الرسول العربي أحبَّ العرب ، ومن أحبَّ العرب أحبَّ العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحبَّ العربية عني بها ، وثابر عليها وصرف همته إليها ، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه ، اعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الرسل ، والإسلام خير الملل ، والعرب خير الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد ، ثم هي لإحراز الفضائل ، والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب ، كالينبوع للماء والزند للنار. ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلائها ودقائقها ، إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة ، التي هي عمدة الإيمان ، لكفى بهما فضلاً يحسُن فيهما أثره ، ويطيب في الدارين ثمره ، فكيف وأيسر ما خصَّها الله عزَّ وجلَّ به من ضروب الممادح يكلُّ أقلام الكتبة ويتعب أنامل الحسبة. ولما شرفها الله تعالى عزَّ اسمه وعظَّمها ، ورفع خطرَها وكرَّمها ، وأوحى بها إلى خير خلقه ، وجعل لسان أمينه على وحيه ، وخلفائه في أرضه ، وأراد بقضائها ودوامها حتى تكون في هذه العاجلة لخير عبادِه ، وفي تلك الآجلة لساكني جناته ودار ثوابه ، قيَّض لها حفظةً وخزنةً من خواصه من خيار الناس وأعيان الفضل وأنجم الأرض ، تركوا في خدمتها الشهوات وجابوا الفلوات وناموا لاقتنائها الدفاتر وسامروا القماطر والمحابر ، وكذوا في حصر لغاتها طباعهم ، وأشهبوا في تقييد شواردها أجفانهم وأجالوا في نظم فلاندها أفكارهم ، وأنفقوا على تخليد كتبها أعمارهم ، فعظمت الفائدة وعمت المصلحة وتوقرت العائدة ، وكلما بدأت معارفها تنتكّر أو كادت معالمها تتسّر أو عرّض لها ما يشبه الفترة ردَّ الله تعالى لها الكرة فأهبَّ ريحها ونفق سوقها بفرد من أفراد الدهر أديب ذي صدر رحيب وقريحة ثاقبة ودراية صائبة ونفس سامية وهمّة عالية ، يحبُّ الأدب ويتعصّب للعربية فيجمع شملها ويكرم أهلها ويحرِّك الخواطر الساكنة لإعادة رونقها ويستثير المحاسن الكامنة في صدور المتحليين بها). هـ. فإن كنت يا ثعالبي قد فعلت في زمانك هذا فأنا كذلك!

عفواً حنانيك: إن القلب يضطرمُ والدمعُ - من لومك - الملتاع ينسجم
والنفسُ - من لفظك المحزون - في شجن يؤزها ، ويعادي عزمها الألم
ويح الأحاسيس ، ما جفت مدامعها تبكي ، ويذبحها - بصمته - الندم!

وبالمشاعر جرح ليس يلتئم
متى يزول الأسى والجرح والغم؟!
يراع - من هولها - المستبصر الفهم
متى سيوقف - من جرح يئن - دم؟
ومن سيحمد ناراً - فيك - تضطرم؟
من بعد أن شجها - في المحنة - الهرم؟
عزاً ، وقد هذها - بين الورى - العدم؟
غدرأ ، وقد لفت إباءها التهم؟
والكيذ يحبكه لص ومجترم!
قوم عن الخير في ضاد السلام عموا؟
ومن لحق - لسان الضاد - ينتقم؟
أم أن صفك - دون الجهد - يلتحم؟
أم أن عقديك - بالتفريط - ينتظم؟
في كل معترك - لحربك - اعتصموا؟
لمن يكيذ لنا؟ وما لنا البكم!
فالليل طال ، وأرخی ستره السخم!
من بعد ما بيعت الغهوذ والذمم
هل كان - ينقضنا يا ضادنا - النظم؟
فزاحمت ضادنا ، وانهارت الدعم
ولفظها - اليوم - بين العرب يتبهم
وبالركاكة - في الأسلوب - تتهتم

وبالعواطف وجد لا حدود له
وبالفؤاد أسى تزداد غمته
وبالضمير عذابات تنوء به
يا ضاد جرحك - فينا - صيب دمه
يا ضاد همك من - في الناس - يحمه؟
ومن يعيد شباب الضاد محتسباً
ومن يعيد حياة الضاد تملأنا
ومن يبرئها من ساحة ملئت
ومن سيبطل كيد الماكرين بها؟
ومن يفند تضاداً ليلاً يقوم به
ومن يحطم ما شادوه من كذب؟
ومن يوحد صفاً فيه وحدتنا؟
ومن يؤلف عقداً بات منفرطاً؟
ومن سيكبت أعداء تحيط بنا
ومن يصد هجوماً بات يخرسنا
ومن يرد ضحى غارات من هزلوا؟
تعلمنت - حولنا - الأصقاع راضية
حتى استساغت نظاماً لا يليق بنا
وقد غزتنا لغات الغرب قاطبة
واستهجنت لغة الأعراب دون حيا
وصفدت ، ورحى الأصفاد دائرة

لأنها لغوة يملأها القدم!
تنن - في جوفه - الأوزان والنغم
كان هذي السياط الوابل الرزم
وحقها - في علوم الناس - مهتضم
أيدي الجهالة ، بنسّ الفسق الغثم!
لم يخل من دمها - في الساح - مُصطدم
من يسلب الحق ، هل - في قلبه - رُحم؟
عن المصائر؟ هل أودى - به - الضرم؟
أم مزقته - لدى أعرابنا - النقم؟
هل فارقت دارها أجراسها العُصم؟
ويستسيغ صداه من - به - صمم؟!
ضاداً - بها - تشمخ الأعراف والقيم
أمسى يُساق له - في جيده - لُجم!
أضحى تسيّره الأهواء والديم
غدا يُصلي له ، والزيّف يحترم
إذا رأى صورة الدينار ينهزم
يسيل منه - إذا ما شجّها - اللعم!
لعجزه ، إنه قزم ، وذي شمم!
هل تستوي الأسد في الهيجاء والغنم؟
وهم دجى زاده الشحناء والوغم
لا يستوي النور - يا عصماء - والظلم!
وهم وما كتبوا - يا غادتي - رمم

وفي سُجون الهوان الضاد قد حُبت
وشعرها في قيود الأسر مُرتهن
ونثرها ، وسياط الظلم تجلده
وفي السلاسل كم ناحت بلاغتها!
والضاد تنعي البيان الغضّ تقتله
وفي الدغاول كم نيلت فصاحتها!
وليس يرحم صعلوك إبانتهما
أين البديع؟ لماذا لا يحدّثنا
أين المجاز؟ أما طاب المقام له؟
أين القوافي التي تختال ضاحكة؟
أين العروض يُسلي القلب رونقه
تنوعت زمرُ الباغين تسلبنا
فمن سقيم لبان الغرب مشربه
ومن عقيم الروى ، أفكاره عبث
ومن بليد رأى - في الغرب - قبائمه
ومن أجير تردى في سعير هوى
ومن دعى - بضاد الغرب - مُرتزق
ومن رقيع يُعادي الضاد يحقرها
يا ضاد لا تقلقي ، فإنهم همج
فإنك النور يسري في مراتبنا
والنور يحمو الدجى ، فهل مجادلة؟
أنت المعين صفاً حُباً لوارد

وكم أَلَمَتْ بهم - في الضجة - القَم!
وزأدهم - في الدفاع - المنهَجُ اللقم
وعُدّة الصّيد - من أبناك - القلم
وإن تصـايحتِ الهتافـة البُهْم
وسوف يُردِي سَرابَ المُعتدي الجَحم
هل الرمالُ استوتُ - يا ضاؤُ - والأكم؟
ومنكِ تنبثقُ الشموسُ والنجم
زهْداً ، وتسحقها أمواجُة البُهْم!
فهل يسود إذا مَجَّتْ به الحَم؟
وسوف تصعقه الآرامُ والخُذم!
ونحن ناصرُنا - في الفتنة - الحَكم
والمسلمُ الحقُّ - بالتوحيد - يعتصم
أو أيّدتهم - على تدميرنا - الأمم
ولو سرتُ في الوري تلك الفِرى الجُسم
فإن قـدوتهم - فيما أتوا - إرم
وجمعُهم - رغم هذا الكِبـر - منهزم
وفي النزال يبيّنُ الفارسُ القَصم
قلبٌ - من الحقد والتخذيل - مضطرم
وسَيفه - إن دَعَى داعي الوغى - خذم
فالبداءُ فيه ، وفي (العُكاظ) مُختتم!
عصا بة شِعْرُها تزكو به الهمم

أبطالكِ الغر كم ردوا! وكم دفعوا!
وهم أعادوا لنا ذكرى الخليل شجى
أعداؤهم حملوا الحُسامَ تشفوية
يا ضاؤُ لا تجزعي إن عز جَحْفَلهم
هَمُ السرابِ سرى في كل ضاحية
هَمُ الرمالِ عتو الرياح يُصرفها
هَمُ الخفافيشُ ، في الظلماء ثورتهم
هَمُ القواقعُ ، يرمي البحرُ ميتها
هَمُ الرمادُ ، وإن ماج الذهولُ به
هَمُ الجرادُ هفا إلى مراتعه
يا ضاؤُ هم رفعوا لواءَ علمنة
لن نـسـتـكين لهم ، والله غايتنا
مهما تطاول - في الأصقاع - باطلهم
مهما سعوا قُدماً في نشر ما اعتقدوا
مهما تذرَع - بالتشهير - فيلقهم
وقد تكون ثمودٌ دون كِبـرهم!
أسطر اليوم هذا الوعد شِعْرَ تقى
والشعر أمضى من التشويه يَحْبُكُه
إن القريض له فحوى يبوح بها
و(ذي المجاز) - على ما قلت - حُجَّتنا
واسأل (مجنّنة) ، والأشعارُ تغمره

كالأسد ضاقت - بها - الأدغال والأجم
شعرٌ صحيحُ العرى ، فما به سقم
ودون هذا فذي صنوان والصنم!
بالدين أعرابنا أماجدٌ كُرم
بعد الحنيفة ، إن الملة السلم
هذا أوارُ القتا - يا ضادُ - مُخْتدم
فإن مرتعه - يا غادتي - وخم
وعليّة للعدا - كما نرى - خدم
لولا التردّي لما حلت بها الإزم
واليوم إن نطقوا ، كأنهم عجم!
من اللغات ، وإن القول مُغتم
قوامه الخيرُ والتوحيدُ والقِيم
عمادها الفصلُ والتبيينُ والحكم
(محمد) الحق ، نعم المصطفى الهشم!
ولفظه - بلسان الضاد - محتم
نعم اللسان ، ونعم الفضلُ والنعم!
وشرفتُ ضادنا الأحداثُ والسيم
نعم الرجالُ! ونعم القادة اللزم!
فأنت أم لها ، والأم تحت رم
فصدقي عهدنا ، لأنه قسّم
ونهبُ الشعر حتى يحلّو الرنم
مهما اعترانا البلا والصد والعرم

كلُّ يُبارز - بالقريض - صاحبه
كلُّ يسئل - من الأشعار - حربته
هي العروبة إن فخرٌ بلهجتها!
حيث الحنيفة روحٌ في عُروبتنا
لكن قصدتُ هنا ضاداً تُجَمَلنا
يا ضادُ لا تضعفي في الحرب ، أو تهني
لا تعتبي ها هنا أن القطيعَ غفا
نهبُ العدو ، ولا يدري حقيقته
ضاعتُ ممالكهم سُدى ، وسؤددهم
وفرطوا - ويحهم - في ضاد مجدهم
وكم يُعز شعوباً ما تقول به
وعزة العرب من إسلامهم بزغت
والضادُ لؤلؤة في تاج ملتنا
بها تنزل قرآن المليك على
بها تكلم خير الخلق أجمعهم
ودونت - بلسان الضاد - سُنته
وسُجلت - بلسان الضاد - سيرته
وأغلبُ الصحب من أعراب بادية
يا ضادُ فلتفخري - بين اللغا - شرفاً
عهداً نصونك في سر وفي علن
نغلي لواءك خفاقاً ، نتيه به
نشد أزر لسان الضاد في ثقة

وخذلها جُزْمٌ من فوقها جُزْمٌ
 يوم تزول - به - الآهات والقصم
 في موكب عبق ، حُبوره عمم
 تفوح زاهية أزهاره الفغم
 من الحقائق ، إن الحق محترم
 وأمرهم - رغم من رأوه - ينحسم
 من خطبة شاهدة تأثيرها الحرم
 وسنة المصطفى - للناس - تبتسم
 ويستجيب لنا الأحباب والخم
 على إقامتها ، فالجمع معتزم
 سابلغين النذرى ، كأنك العأم
 وبالحنيفة جرح الضاد ملتئم
 إذا رأيت الغشا - للشرع - يحتكم
 حتى يصير معيناً ماؤك الشيم
 ومسلمين لهم - بين الورى - شيم
 وفي الحضارة قد رست لهم قدم
 أنت المجير ، وأنت الناصر الحكم
 شمس ، وما طلعت - في ظلمة - نجم
 حقاً ، وفي دينه من ليس يُتهم

فنصرة الضاد دَيْنٌ في ضمائرنا
 يا ضاد لا تحزني ، إننا نتوق إلى
 فتبسين به تاجاً له ألق
 على جبينك شِعْرُ العُرب مبهج
 وعن يمينك ما خطت قرائهم
 وتحت نعليك من نالوا حنيفتنا
 وعن يسارك ما قالت أعارينا
 وفوق تاجك قرآن المايك سما
 وكل شهم تقى سوف يغبطنا
 لأن دعوتنا إعلاء شِرعنا
 يا ضاد أنت إذا سادت شريعتنا
 فالدين صرحك إن عزت حواضرنا
 ستدحرين العدا في كل معترك
 ونسأل الله أن ترقى حنيفتنا
 ويصبح العُرب أعراباً إذا نطقوا
 لهم تقاليد - بالإسلام - قد صُنعت
 يا رب أدرك بنصر منك أمتنا
 وصل رب على النبي ما بزغت
 وصل رب على آل ومن تبعوا

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

حنانيك: لفظ التماس الرفق والحنان. يضطرم: يشتعل. الملتاع: الحزين. ينسجم: يتدفق غزيراً.
 شجن: حزن. الغمم: جمع غمة وهي شدة الحزن. الفقم: النابه المستنير لما حوله. الضاد: اللغة

العربية. التهم: جمع تهمة. مجترم: أي مجرم. يفند: يدحض. معترك: أرض النزال واللقاء. البكم: الخرس. السخم: السواد. تعلمنت: اصطبغت بالعلمانية التي هي فصل الدين عن الحياة وجعل الدين علاقة بين العبد والرب فقط! الدعَم: الدعائم. استهجنت: لفظت واستغربت وهجرت بكل ما تعنيه الكلمة. ينبهم: يُشكِل ويستغلق ويسوده الإبهام. صُفدت: أي قنّدت بالأصفاة وهي الأغلال. الوابل الرذم: المطر الشديد. الغشم: جمع غاشم وهو شديد الغشم والحمق. الدغاول: هي المصائب. النقم: جمع نقمة وهي الكارثة. أجراسها العُصم: أي الحالمة الإيقاع. العروض: هو علم يختص بأوزان شعر العرب. زمر: جمع زمرة وهي الجماعة من الناس. لبنان الغرب: أي عاداته وتقاليده وأعرافه وأفكاره ومذاهبه. لجم: جمع لجام وهو ما تربط به الدواب من أعناقها لتقاد به. الديم: الأرياح وهي هنا رمز للأهواء التي يتبعها القوم مجازاة لغيرهم. اللعم: اللعاب. شمم: إباء وعز وتعفف. الهيجاء: المعركة الضارية. الوغم: الحقد البغيض. القحم: الشدائد. المنهج اللقم: أي المستقيم الذي ليس فيه اعوجاج. الحسام: السيف. البُهْم: أي البهائم جمع بهيمة ، والمراد أن الإنسان بقيمه وخلقه! الحجم: الغيث الشديد. عتو الريح: شدتها. الأكم: جمع أكمة وهي الصخرة المرتفعة. النجم: النجوم. الأمواج البهم: المتلاطمة العاتية الشديدة. ماج: اضطرب. الحَمَم: السنة النيران تندلع تسبق البركان. الحذم: الأرائب سريعة العدو. الفرى الجسم: الأكاذيب الجسيمة. تدرع: تسلح. القصم: شديد الطعن للأعداء. خذم: قاصل. عكاظ وذو المجاز ومجنة: أسواق للأدب والشعر في الجاهلية. الأجم: أحرّاش الغابة. الإزم: جمع أزمة وهي المحنة الشديدة. مُعتلم: ذو معالم ومواصفات. المصطفى الهشم: أي النبي الهاشمي محمد صلى الله عليه وسلم. السيم: جمع سيما وهي العلامة. القادة اللزم: أرباب الفضل والفصل والقطع في القضايا المصيرية. الرنم: النغم. العرم: شدة الأمر وعدم القدرة عليه. العزم: النية والقصد. جُرم: جرائم ، جمع جريمة. الفغم: أي زهور فائحة الشذى. الحُمم: الأصدقاء ، جمع حميم. الماء الشبم: البارد النقي القراح. معتزم: غيور شهم.

رسالة عدو للغة العربية

(بعد أن كتبتُ (رسالة مشفق على اللغة العربية) ، تخيلتُ عدواً لها يرد على ذلك المشفق! فبم رد؟ وما شعوره؟ وبم يطفح قلبه؟ ورأيتُ أن ألحق الأولى بالثانية ليتبين لكل قارئ طبيعة النقيضين وجبلة الشعورين! يقول الأستاذ أنور الجندي في محاضرته: (المؤامرة على الفصحى لغة القرآن) ما نصه: (يقول الدكتور محمد محمد حسين: "ليس الخطر في الدعوة إلى العامية ولا في الدعوة إلى الحروف اللاتينية ولا إلى إبطال النحو وقواعد الإعراب أو إسقاطها ؛ وإنما الخطر في هؤلاء العُتاة الذين يعرفون كيف يخدعون الصيد بإخفاء الشراك. إن الخطر الحقيقي هو في الدعوات التي يتولاها خبثاً الهدامون ممن يُخفون أغراضهم الخطيرة ويضعونها في أحب الصور إلى الناس ولا يطمعون في كسب عاجل ، ولا يطلبون انقلاباً كاملاً سريعاً. إن الخطر الحقيقي هو قبول (مبدأ التطوير) نفسه ؛ لأن التسليم به والأخذ فيه لا ينتهي إلى حدٍ معين أو مدى معروف يقف عنده المتطورون ، ولا ريب أن التزحزح عن الحق كالتفريط في العرض. وقد كشف هذه المؤامرة الدكتور علي العناني حين قال: "إن الإصلاح في الألفاظ والتراكيب والأساليب لا يكون إلا بتغيير قواعد أبنية اللغة وهي (الصرف) ، وتحوير ضوابط إعرابها والأحوال العارضة على الألفاظ باختلاف الوضع في الجملة وهو (النحو) ، وتبديل الموضع اللفظي في المفرد والمركب من حيث الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية وهو (البيان) ، وتغيير وإهمال ضوابط الفصاحة والبلاغة وهي (المعاني) ، ومعنى إصلاح قواعد الصرف انتقالاً من الصعب إلى السهل إنما يعني أن نهدم علم الصرف من أساسه وننسخه نسخاً تاماً لتعدد قواعده وتنوع ضوابطه ، وبعد أن يتم الهدم يبني المصلحون على أنقاضه صرفاً جديداً محدود القواعد ، قليل التنوع ، خفيفاً على العقل والفكر ، سهلاً على الذهن والفهم. وكذلك الأمر في إصلاح قواعد النحو ، وإصلاح علوم البلاغة. وبهذا يكون معنى الإصلاح في اللغة نسخ العقلية العربية وما فيها من ثقافة نظرية وعملية. ذلك أن الإصلاح هو التغيير ، والتغيير يعني الإزالة والوضع. ويقول الدكتور العناني أن تغيير قواعد اللغة العربية صرفاً ونحواً بالوضع فقط ، أو بالوضع والإزالة معناه إحداث لغة جديدة بقواعد جديدة. وهذه اللغة العربية الجديدة إن صح اتصالها بالعربية الحالية المدونة اتصال اللهجة بالأم ، فإنها تبعد عنها شيئاً فشيئاً حتى تختفي معالم الصلات بينهما ، أو تكاد وعندئذ تكون اللغة العربية الحالية من اللغات الميتة. ونقول: إن هذا ما يحلم به سعيد عقل ، وأنيس فريحة ، ولويس عوض. وما كان يتمناه سلامة موسى ، والخوري ومارون غصن وطه حسين ولطفي السيد. ومعنى هذا أن يصبح كل تراث العربية البالغ عشرات الآلاف من الكتب في مختلف مجالات الشريعة الإسلامية والأدب ، والحضارة والفكر والفن عبارة عن توابيت في دار الآثار والمتاحف).هـ. وأشكر لجمعية اللغة العربية أن أتاحت لي هذه الفرصة العظيمة من المشاركة مع فطاحل الشعراء والشواعر. فألقيت ما من الله - عز وجل - به من القصائد. وكانت فاتحة خير إذ خرجت بقصائد ثلاث: (منار الخير - رسالة مشفق على اللغة العربية - رسالة عدو للغة العربية)!

قضى زمانك ، فبم اللوم والتهم؟ والرأس بالشيب - يا شمطاء - يضطرم
يا درديس ملات الجو ملهبة والدار طف بها التحريض والوعم
قد فض فوك ، فلا أسنان تعمره وفي شرابينك العجفاء جف دم

ونال مأربيه من حُسنك العدم
وسال منه صديداً بعضه للعم
وحل ضيفاً - على عبوسها - الوجم
وشوة الحُسن - في أخت لها - الضرم
وأضرم النار - في أخت لها - السدم
وأبعد الصوت - عن أخت لها - الصمم
هذي التجاعيدُ قد جاءت بها القضم
كأنما أكلت نتوءه الحآم
وسود الهامة المشطورة الفخم
حتى تمرقت الأهداب واللمم
وأختها جُدعت ، كأنها جذم
وأخر هده التقتير والورم
حوافر تلك ، تشكو عيبها النعم
وبات يطلُبُه - في الغفلة - الرجم
هل الشباب استوى يا قوم والهزم؟
فهل يُعيد لها شبابها الحجم؟
من بعد أن رجها - من شيبك - السأم
فليس تحملها - لعجزها - القدم
فهل يزينك ماسٌ بعضه القضم؟
فمثلك - اليوم - يشكو دودها الأدم
لن تخدع الناس لا تلك الفرى الجُسم

قد انحنى الظهر - رغم الأنف - عن وهن
غفاساتك ، فاللثغات تغمُرُه
وصفحة الوجه قد غارت بشاشتها
والوجنتان لظي أودى بواحدة
عينان واحدة تشكو العمى أبداً
أذنان واحدة لا سمع يتحفها
والحاجبان على كل مصائبه
والأنف أرخى - على الشفاه - أرنبة
وفي الجبين تلوى الجاد مُهترئاً
والشعرُ قد ذبحت فيه أنوثته
كفان كف شوى عُرقها برصاً
والساعدان فمشلولٌ بلا شلل
حتى الأصابع غاصت في ارتعاشتها
والقلبُ شاخت - على الأيام - نضرته
والروح ملت جفا شيب يُعذبها
والجسمُ عُرجونة ماتت شبيبته
والنفس هولُ الأسى أدمى سريرتها
والرجلُ قوسٌ ثوت سهاًمُ جُعبتها
سَفعاءً أنت ، وما بالغت في صفة
يا حيزبون ، تخلي عن مكابرة
كفالك فخرراً بأمجادٍ مُزيفة

وما استطلوا على الهيجا ، وما غنموا
فماله قيمة تغري ، ولا رنم
وقبل أخزاك - يا مغرورة - البكم
ولفظك اليوم - في الحاسوب - ينهزم
وفيك قد قوّضت - يا هشة - الدعم
هي التخلف والإظلام والنقم
طعماً إذا سُبكت يشوبه النغم
يابى الركون لها الأعراب والعجم
وظلقت نحوك الأجناس والأمم
يلهو بها القسوس الرهبان والنهم
وأنت غيبة في جوفها الظلم
البرء هل يستوي - ياناس - والتهم؟!
فأصـبحت دُرراً ، كأنها النجم
وشمروا عن نفير الجد ، واعتصموا
والناطقون بها - بين الورى - احترموا
بمهرجان له أقيمت الخيم
لسانه طلق ، وما به لسم
والسهل يشهد ، والكثبان والأكم
لسان (انكلترا) كأنه العلم!
حبل هي الضاد - بين الناس - منصرم
لو سـطرت بلسان الضاد تنبهم
بضادكم؟ أخبروا ، للعلم فاحتكموا

أعرابك البلية ما سادوا ، وما سبقوا
وشعرهم لم يكن إلا محاولة
علا غواؤك بالتنديد مُرعدة
قُصرت عن لغة الحضارة انطلقت
كل اللغات - على أشلائك - ارتفعت
وأهلك - اليوم - قدموا غروبهم
رطانة الغرب أحلى منك ، إن لها
بضاعة أنت - في الأسواق - كاسدة
سوخ الحياة أبتك - اليوم - خادمة
وهذه لغة الأقوام ، فاستمعي
والإنجليزية الشهباء لؤلؤة
شتان شتان ما هذي مقارنة!
فالإنجليزية انسابت قواعدها
أصحابها نصبوا في نشرها صخفاً
رعوا حقوق الألى شادوا مبانيها
وكافأوا من سعى دوماً لنهضتها
بها تكلم من يأتي أراضيتها
غزت ممالك أهل الأرض قاطبة
بأي حرف حواسيب الدنا انطلقت؟
بأي حرف علوم الأرض قد درست؟
بأي حرف قواميس العلوم أتت؟
الطب والفلك الدوار هل كتبنا

لا تستطيع ، إذن يخونها القلـم!
لقد يَحَار إذا تعنـو له الفهـم!
بابُ الصنـاعة مفتوحٌ لمن عزموا
والمرءُ يُلقى النوى ، والزارعُ الحكم
وسوف تفتـلكم - بسـيفها - التـخم
وليس يُدرك ما سـطرتُ منهزم
مَن في العروبة والإسلام يُتهم
وقد تداعث - على إنهاها - الأمم
كي تفلحوا ، وعمادَ المجد تقتسموا
فإن أعرافكم تعافها الرمم
عاداتُ داركم - في عصرنا - جُرم
فمنه تنبثُ الأوزانُ والقـيم
لا يسمع النصيحَ مَن تغره التهم
ولم تزر أهلكه الأوجاعُ والإزم
عذبا فـراتاً ، وتغشى لفظه الحكـم
العُربُ والعُجمُ والدنيا لها خـدم!
وركبُه عند صـيدِ الناس مُزدحم
وحقه - بين أهل الأرض - مُحترم
قوارعُ الدهر ، أو حلتُ به الغـم
الضادُ شاخت ، وأردتُ بأسها القـم
وفي الوجوه لبيدُ الحزنُ والألم

والمنطق الفذ هل صاغته ضادكم؟
لسانُ ضادكم هل خط فلسفة؟
لا تصنعون ، وكل الناس قد صنعوا
لا تزرعون ، وكل الناس قد زرعوا
بل تشـترون ، وهذا كل جهـدكم
صناعة الشئ أعتى مـن تجارته
العالة العـر هل تلقى له أدباً؟
حتى غدوتم لكل الناس مائدة
تنازلوا عن لسان الضاد ، واغتربوا
خذوا - عن الغرب - أعرافاً تُجمـكم
خذوا - عن الغرب - عاداتٍ تُزيـنكم
خذوا - عن الغرب - قانوناً يطـوركم
لا تقصـروا الأخذ في الآلات منتجة
تقدّم الغربُ ، وانحلت مشـاكلة
لسانـه كان ذرباً في حضارته
يواكبُ العصرَ والعمـرانَ في لغةٍ
ومـن تمكـن منها حاز مكرمـة
وتقبـل اليوم - بين الناس - شـفته
له يُلانُ الحديدُ الصلابُ إن نزلت
إني لأنصح ، والدنيا ستشـهدُ لي
فغسـلوها - بماء المزن - في وجل

بكفنها ، ودسوا في عبايتها
وبعد صلوا عليها في تقى ورجا
ثم ادفنوها ، وعزوا من يشاطركم
وغربوا الدار والأعراف ، وارتظنوا
وودعوا العمم الرعاء إن نبست
الغرب شرب عن الطوق المعيق له
وصاية الله كان الغرب جانبها
هذي الكنائس بات الغرب يهجرها
إن الحضارات والأديان ما اجتمعت
تبراً الغرب من أبحار ملتة
حتى النحارير في العلوم قتلتهم
فإن أردتم أيأ أعراب عزتكم
هذي الحضارة لن ترضى تديتكم
هذي الحضارة لن تحيا بضادكم
ففكروا في الذي ناصحتكم ، وزنوا
لا تبطنوا السير في درب يُبأعكم
حضارة الغرب يا أعراب قبلكم
وإن بدأتم بها منحي ومُتجهأ
حضارة الغرب قسط من حضارتكم
تقاسما الدور ، (روزا) أخت (عائشة)!
(روزا) تُغني - على القيثارة - راقصة
وقد تُذيع - على الأسماع - نشرتها

براعة حبرها - فوق القماش - دم
وفي الجنازة رُشوا الورد يبتسم
حزناً عليها ، ليأت الأهل والحشم
بلهجة الغرب ، نعم اللفظ والنعيم!
لن تُفلحوا أبداً إن ظلت العمم
فأحرقت كتب ، وذبحت نهم
أحكام دين طغت كأنها الشكم
حتى الأناجيل أخفى سطرها الضرم
حضارة تبتني ، ودينها الهدم
وأعلن الحرب ، ثم احتال ينقم
وهوأة - اليوم - ضد الدين مُحتم
فالغرب قدوتكم ، والرأي منصرم
صنوان دين يُرى في الدار والعدم
وأهلها - في الأنام - الجوقة الغثم
كل الأمور لكي يغدو لكم شمم
أليس منكم حكيم نابة فقم؟!
هي الحياة زهت ، والبيت والحرم
فاليُسُرُ رائدكم ، والسعد مُختم
وكان بينهما - رغم الجفا - رجم
ولم يكن - في الدنا - كهذه قسَم
فيمتع الناس صوت بعضه الرنم
وقد تمثل ، والجمهور ينسجم!

بُعْشِرْ ثُوب ، ولا لَوَمٌ ولا نَدَم!
 بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ الْغِيْدَاءِ مَبْتَسِم!
 تَتْلُو الْقُرْآنَ ، وَهَذَا الْجَهْدُ مُحْتَرَم
 وَمِنْ عِبَائِهَا تَسْتَأْسُ الْغَنَم
 وَتَلُوكَ بِالْبَدِينِ وَالْقُرْآنَ تَعْتَصِم
 وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا - يَا نَاسُ - مَصْطَدِم
 دُنْيَا الْإِلَهِ وَمَنْ لِّلسَّلَامِ يَحْتَكِم
 وَالنَّاسُ أَحْرَارُ لَوْ - عَنِ الرَّشَادِ - عَمُوا
 فَعُتْبُوكَ - الْيَوْمَ - لِلْأَعْرَابِ مَتَّهَم
 كَمَا تَرَيْنَ ، عَلَتْ أَمْوَاجُهُ الْبُهُم
 رِطَانَةَ الْغَرْبِ أَكَلَتْ ذَاكَ مَوْتِدِم
 زِي الْعُرُوبَةِ ، لَا يَذْهَبُ بِكَ الْعِشْم
 وَزَايِلِي الشِّعْرَ ، مَاوَى شِعْرِكَ السَّخْم
 أَيَّامُ مَجْدِكَ ، فَيَمِ الظَّنُّ وَالْوَهْمُ؟!
 وَجَاءَكَ الشَّيْبُ ، مِنْكَ الشَّيْبُ يَنْتَقِم
 وَلَيْسَ يَرُدُّهَا الْمَشَّيْبُ وَالْهَرَمُ
 أَسْمَاعُ أَغْلِبُهُمْ حَتْمًا بِهَا صَمَم
 وَالْعَرَبُ ضَاعُوا ، وَطَالَ اللَّيْلُ وَالْغَسَم
 أَدَى النَّصِيحَةِ يَسْعَى فِيهِ مَجْتَرَم!

وَقَدْ يَرَاهَا سِوَادُ النَّاسِ لَاعِبَةٌ
 لِسَانُ لَهْجَتِهَا - فِي الْغَرْبِ - مَوْلِدُهُ
 وَالْأَخْتُ (عَانِشَةُ) فِي الْبَيْتِ قَدْ حُبِسَتْ
 وَقَدْ تَهَمُ فِتْرَعِي بَعْضَ مَاشِيَةٍ
 حَضَارَتَانِ فِذِي الدُّنْيَا مَقَاصِدُهَا
 فَالِثْنَتَانِ عَلَي خَيْرٍ وَمَعْدَلَةٌ
 تَكْمَلَانِ حَيَاةَ النَّاسِ مِنْ رَغْبُوا
 فَالْبَدِينُ لِلَّهِ ، وَالْدُنْيَا لِمَنْ خَلَقُوا
 يَا ضَاؤُ كُفِّي عَنِ الْهُرَاءِ ، وَانْتَبَهِي
 لَا تَرْكَبِي الْمَوْجَ ، إِنْ الْبَحْرُ مِنْتَفَضُ
 لَا تَنْبَشِي الْجَيْلَ ، إِنْ الْجَيْلُ فِي شَغْلٍ!
 لَا تَطْمَعِي أَنْ يَعُودَ الْجَيْلُ مُلْتَحِفًا
 فَلَمَلِمِي النَّحْوَ وَالصَّرْفَ الْمَلِيَّ دَجِي
 وَخَفْ فِي ثَوْرَةِ التَّحْرِيطِ ، قَدْ ذَهَبَتْ
 دَعِي النَّصَابِي ، آيَاتُ الشَّابَابِ مَضَتْ
 مِثْلَ الْعَجُوزِ خَبَتْ فَحَوَى أَنْوَتْهَا
 طَغَى جَوَارِكُ ، وَالْأَعْرَابُ مَا سَمِعُوا
 وَأَلَى زَمَانِكَ ، وَالْأَيَّامُ مَاضِيَةٌ
 لَوْلَا أَحْبَبَكَ مَا نَاصَحَتْ مُحْتَمَلًا

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

شمطاء: هي المرأة أثر الشيب فيها. دردييس: هي المرأة أكل عليها الدهر وشرب. الوغم: شدة
 الحقد. فض فوك: أي خلا من الأسنان والقواطع. العجفاء: الهزيلة. اللعم: اللعاب. الوجم:

الصمت والوجوم. السدم: الهم مع الندم الشديد. القصم: قوارع الدهر ، جمع قاصمة. الحلم: دود يأكل الجلد. اللمم: جمع لمة وهي حزمة الشعر. جذم: جمع جذمة وهي القطعة التي تقطع من الشئ ويبقى أصله. النعم: هي الأنعام. الرجم: القبر. الحجم: المطر الثجاج. جعبتها: وعاء توضع فيه السهام. سفعاء: أي في وجنتي وجهها ضمور ملحوظ وبروز للعظام. القضم: قطع الفضة. الأدم: القبر. البله: من البلاهة أي الجنون والسفاهة. الغواء: صوت الذئب. الدعم: الدعائم. رطانة: عذيف ، وهو الكلام يطلق لا يفهم معناه لأول وهلة. النهم: جمع نهام وهو الراهب في الدير. التهم: شدة الحر ، ومنه تهماء. الخيم: جمع خيمة. اللسم: هو السكوت إما عن عي وإما عن حياء. الأكم: جمع أكمة وهي المكان المرتفع جدا. تنبهم: لا تعلم معانيها. التخم: جمع تخمة وهي شدة الأكل وشراسته. العالة: أي الذي يتكل على عطاء الناس. تداعت الأمم: فيه إشارة إلى حديث النبي – صلى الله عليه وسلم -: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها...). جرم: جرائم. يواكب: يساير. القحم: المصائب. ماء المزن: ماء السحاب قبل هطوله إلى الأرض. العمم: جمع عمة وهي هنا كناية عن أهل العلم بالدين. الهدم: هو الهدم والتدمير. الشمم: الإباء والنخوة. الشكم: جمع شكيمة وهي الحديدة تلجم الجواد. النحارير: جمع نحير وهو المتقن لفنه. النابه الفقم: هو الزكي العبقري. قسط: جزء. قسم: جمع قسمة. الرنم: هو الترنم أو النغم. منتفض: هانج مضطرب. الأخت عائشة: رمز إلى الفتاة العربية المسلمة. روزا: رمز إلى الفتاة النصرانية أو اليهودية. الهراء: الكلام الذي لا طائل من ورائه. الموج البهيم: العاتي الذي لا يتصور. أكل مؤتدم: فيه إدامه. العشم: الطمع والأمل. السخم: السواد. التصابي: الصبا والشباب. جوارك: صوت ندانك العالي. الغسم: سواد الليل. مجترم: مجرم شديد الإجرام.

لا صلح على دخن!

(صدق الله تعالى إذ يقول وقوله الحق: (والصلح خير). ولكن عندما يرى الناس أنه بالصلح تضيع الحقوق ، وتهذر الكرامات ، وتعرض الدماء للسفك بغير الحق ، وتهتك الأعراض ، ويتهم البراء بدون جريمة أو إثارة من دليل ، وتبرأ ساحة المجرمين ، ثم يُعد الناس هذا صلحاً على منهج: (من اليوم تعارفنا وننسى ما جرى منا * ولا كانا ولا صارنا ولا كنتم ولا كنا)! فإن هذا ليس بالصلح ، بل هو تهور وفتنة. إذ العقلاء لا يُقرون بمثل هذا أبداً. ولقد صدق الدكتور منقذ بن محمود السقار عندما تناول المعروف وأهله في محاضرة له منها قوله بتصريف: (والأنبياء والرسل هم أسرع الناس إلى طاعة الله والعمل بما أمر واجتناب ما نهى عنه ، فهم الذين قضوا حياتهم في دعوة الناس وهدايتهم إلى خيرهم ، إذ حياتهم كلها بذل وتضحية ومعروف. فهذا إبراهيم الخليل ، بلغ هذه المنزلة بصناعته للمعروف ، فقد روى البيهقي في الشعب بسنده إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا جبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ قال لإطعامه الطعام يا محمد). وهذا موسى عليه السلام {ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير}. وقال الله على لسان عيسى {وجعلني مباركاً أينما كنت}. روى أبو نعيم وغيره بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في تفسيره للآية: (اجعلني نفاعاً للناس أين اتجهت. وكذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم ، قيل لعائشة هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وهو قاعد؟ قالت: (نعم بعد ما حطمه الناس) أي بكثرة حوائجهم [مسلم]. ومن صور صناعته للمعروف صلى الله عليه وسلم ما جاء عن عبد الله بن جعفر قال: فدخل صلى الله عليه وسلم حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حنّ وذرفت عيناه ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكت فقال: (من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليّ أنك تُجيعه وتُدنيه) [أبو داود]. وكان السلف رحمهم الله أسرع الناس في صناعة المعروف وبذله: ومن ذلك ما ذكر من إنفاق الصديق وعثمان والزبير وأمّهات المؤمنين وعبد الرحمن بن عوف ، وغيرهم ، وهذا يطول ذكره. ولما ولي عمر الخلافة خرج يتحسس أخبار المسلمين. ونعود من هذه المقدمة التفصيلية إلى الغر الخب الويش الجبان الذي يطمح إلى الصلح المدخون الذي ليس فيه تفصيل ولا تحقيق ولا شروط! وإذن فعندما يتحقق الصلح بشروطه المعقولة من إعادة الحقوق إلى أصحابها ، وردع المعتدي المفترى المتجاوز لحدود الله ، وتحقيق مبدأ احترام الآخرين من ذوي الفضل والإحسان والحقوق ، هنا بل وهنا فقط يكون الصلح خيراً. أما الدخن والدغل في القلوب ، فإن هذا كله طريق للإفساد في الأرض بغير الحق كما أنه طريق إلى تعريض الدماء للسفك والأعراض للهتك والنوايا للاتهامات البغيضة المهيضة المريضة. أرسل هذه القصيدة لأحد السفهاء عندما تجاوز في حق رجل أحسن إليه ، وقسم داره وماله ووقته بينه وبين ذلك السفية يوماً ، صابراً على أذاه ، محتسباً عند الله الأجر! وبعد تجاوز الثاني السفية في حق الأول المُحسن ، أراد الصلح بدون تفصيل ولا بيان ، فأبى الأول ذلك الصلح المدخون المُعرض! وهنا أردتُ أن أبين لأحبتني القراء أن أي صلح بين اثنين أو جماعتين بدون تحقيق منصف عادل تطرح فيه كل الآراء ، ويظهر الجاني من المجني عليه يُعد صلحاً مدخوناً لا فائدة ترجى

من ورائه ولا خير يتوقع من حدوثه! وكل إنسان يصلح بهذا الأسلوب يكون أشبه بالطبيب الذي يضع المراهم والعطور على جرح قد ملئ بالصدید زاعماً أنه بذلك يعالج! لا ، بل الطبيب الحاذق هو الذي يخمش الجرح ويخرج الصدید أولاً ، ثم يضع المراهم والعطور ، بعد أن يكون الجرح قد انقشع عنه صدیده! فأنشدت من شعري ، أحكي على لسان البريء هذه الأبيات!

إن بيني وبينك التنازلاً
 كم مللت الحياة وفق هواكم!
 كم كرهت المقام بين ذناب
 كم لفظت الأرحام تغدو سيوفاً
 كم شجبت التجريح منكم مراراً
 كم سترت خزيًا يُشين كراماً
 كم رأيت الحقوق تُذبح جهراً!
 كم رأيت الأخلاق توأد فيكم
 كم رأيت مبادئاً تتردى
 كم رأيت - بين الأنام - صريعاً
 كم رأيت - على البسيطة - طفلاً
 كم أترتم - بين الخلائق - حرباً
 كم سفتكم دماء كل برئ
 كم رميتم - بالموبقات - حصاناً!
 كم هتكم عرضاً عن الكيد أغضى
 كم فقأتم عيناً بسكين حقدٍ
 كم جدعتم أنفأً بدون احترام
 كم لعنتم من مؤمن دون حق
 ليت شعري ، كيف افتريتم علينا
 لست أرى - عن هدي ربي - بديلاً
 إن مثلي ، لا ، لن يعيش ذليلاً
 تخذت - من ظلم الأنام - سبيلاً!
 وشقاءً مُسْتَقْبَاحاً مُرذولاً!
 وقشعت سِتارَه المسدولاً!
 واحتملت عذابَه المخبولاً!
 وذووها لا يُمهلون قليلاً!
 ورأيت من يُطفئ القديلاً!
 وعيوناً عن كل خير حولى!
 من لظاكم مستصراً مغلولاً!
 مستغيثاً مشرداً مخذولاً!
 كان فيها جُرم المصاب وبليلاً!
 من دماه أمسى الثرى مبلولاً!
 كم أنهتم مكرماً بها وللاً!
 ثم أضحي - من مكرم - مثكولاً!
 ثم أمسى إنسانها مسمولاً!
 وجعلتم تقطيعها تنفليلاً!
 وأحلتم معلومه مجهولاً!
 وخذعتم - بالترهات - الجيلاً؟

أيها الحمقى - في الأذى - قابيلا؟!
قد تمادى في غيّه ممقولا!
أصبح المكرُ جامحاً ضليلاً
وتحالي خِداك المتبولا؟
وثغاي حُسامك المسلولوا؟
وثمّني غرورك المختولوا؟
ليس ما يأتي المُفتري مغفولا
والتجني ، لا ، لن يدوم طويلا
ليس هذا - عند الورى - مقبولا
وكسخت صديدها المطفولا
وأراه يوافق التناقز زيلا
لا كصلاح يسنتوق التمثيلا
كُلبت - عند المعتدي - تكبيلًا!
ورأى إرجاع الحقوق رسولا!
بالتراضى مُفصلاً تفصيلا!
وانفتاحاً - بين الورى - مأمولا!
يُفعم النفسَ حسرة وخمولا
قلبه أمسى - بالجوى - مدخولا
عن حياتي تخرّصاً ومقبيلا
وعطائي الفياض كان دليلا
وعجالت ، لم أصطنع تمهيلا
وأراني فضلتهم تفضيلا

ليت شعري ، كيف اجترأتم ، ففقتم
آه من كيدٍ للصعاليك عاتٍ
آه مما قد يفتريه لئام!
أعلينا تحدث الناس زوراً
أعلينا تشن حرباً ضروساً
هل رخصنا ، حتى تبيع وتشري
خفف الكيد ، نحن بالندل أدرى
نحن أدرى بالأفعوان ، فأقصِر
لا تؤملن صالحاً يُشوّه حقاً
يثمر الصلح ، إن نبشت جراحاً
ذاك شَرطي ، وما اشترطت هراءً
إن صالحاً يستهدف الحق صدقاً
حبذا الصلح إن أعاد حقوقاً
حبذا الصلح إن رأى العدل درباً
حبذا الصلح إن أطل علينا
حبذا الصلح منهجاً وطريقاً
لكن الصلح دون كشف الخبايا
فتعلم أن لا تصالح عبداً
لست أدعو إلى الخلاف ، كفاكم
كم بذلت الخير الذي لا يُبارى!
لم أؤخر نصحاً يُقيم اعوجاجاً
وأرادوا زعامة ، قلت: مرحى

ويُوَارِي - تحت الثرى - متبولاً
وسباباً مسـ تقذراً منحـ ولاً
ويُقاسِي أربابُه التنكـ يلاً
فنعاني الإجحاف والتزميلاً؟
هل غدا نكرانُ الجميل جميلاً؟!
وعديمُ التقوى غدا مفضولاً
عوجُ هذا ينشد التعديلاً
كم تحذانا أنفساً وعقولاً
وتمادي - في الترهات - طويلاً
ثم جافي ، إذ أخطأ التأويلاً
كفه مُدت تشتهي التقبيلاً
واهجر النجوى ، واطرح الإكليلاً
لا تؤمل - عن فعل ذاك - بديلاً
وارتجى الصلح منطلقاً معدولاً
ورحى العدل تطحن التخيلاً
أو لقاءً بشبهة موصولاً
فلماذا أضحى الرباط هزلاً؟
ثم أمسى ضميرها معزولاً؟
لكلامي ، واسـ تبعد التسويلاً
بات مما لاقيته مجزولاً
أنت أخزى فعلاً ، وأكذبُ قِيلاً

فإذا بالمعروف يُهدر عمداً
ويكون رد الجميل هواناً
ويجزي الإحسان شراً وهضماً
لست أدري ، فميم التجني علينا
ولماذا نكرانُ كل جميل؟
كل فضل يُجزي بسب ولغن!
كل هذا - صدقاً - كثيرٌ علينا
وانحرافاً عن الصراط وربّي!
واستباح الأخلاق في كل درب
خانه تقديرُ الأمور ، فغالي
ويريد صلحاً بدون شروطٍ
أيها المخدوع المفتن ، فكـز
وتمعن فيما اجترحت ، وزنه
غُقت أحداث التعدي بصلح
إنه الحق بيننا ، ليس إلا
لا أريد صلحاً بدون التصافي
يزعم الناس أننا جد أهـل
ولماذا هذي الوشيجة زالت
فلئن كنا جد أهـل ، فأنصت
إن قولي فصل ، وليس بهزل
وأراك الكذاب تطفح زوراً

لم تخشى من اللقاء؟ أجنبي!
 أنت تسعى لكي تكون مُطاعاً
 وترى مَنْ أنجبتَ بعض مُوَكِّ
 أيها الغر زایل الكبر هذا
 واقراً التاريخ المریر جلياً
 إن بسطت كفاً تريد انتقاماً
 فأنا (هابيل) البرئ ، فغامر
 ثم كن من أصحاب نار تظلى
 حسبنا الله المستعان ، ويكفي
 بات لغز ما تدعي محلولاً!
 ومهاباً نهدي لك التبجيلاً
 وترى الزوج بيننا العطبولاً!
 وتحل من رجسه تحليلاً
 وترسل - في درسه - ترسلاً
 وسالت لسانك المصقولاً
 من يباري - في خلقه - (هابيل)؟!
 وتبيت - في دركها - ممقولاً
 ربنا خير كالأفلاً ووكيلاً

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

التنزيل: القرآن الذي أنزله الله تعالى. المقام: المعيشة والإقامة. شجبت: أنكرت. توأد: تقتل.
 عيون حولى: فيها حَوْل. البسيطة: الأرض. حَصان: هي المرأة المحصنة الشريفة العفيفة.
 بُهلول: هو السيد العظيم في قومه. عين مسمولة: مفقوءة. جدعتم: قطعتم للتشويه والتمثيل.
 تنفيل: مأخوذ من الأنفال ، ومعناه الإعطاء من الغنائم. قابيل: ابن آدم القاتل. هابيل: ابن آدم
 المقتول. ممقول: مغموس. ضليل: ضال مضل. متبول: سقيم. مختول: مخدوع. مطفول: ملوث
 بالتراب. الخبايا: جمع خبي وهو الشئ المستور في أعماق النفس البشرية ليس يدركه الناس.
 الجوى: أنين القلب. مقيل: قول. تمهيل: إملاء وإمهال. منحول: مأخوذ من الغير بغير حق.
 التزميل: الإخفاء واللف. مدخول: معيب. التجني: هو التطاول. الجميل: المعروف. الترهات:
 الأباطيل. الإكليل: إناء توضع فيه الزهور والورود. تمعن: تفرس وحاول جاهداً أن تدرك
 المعنى وحدك. اجترحت: جنيت. ارتجى: تطلب. رحي: طاحونة. جد: حقيقة. الوشيجة: الرابطة.
 التسويل: وسوسة الشيطان بالباطل. مجزول: قوي الحجة والبرهان في ذاته. لغز محلول:
 مكشوف معروف الحل. التبجيل: الاحترام والتقدير. من أنجبت: أي أولادك. العطبول: هي
 المرأة الجميلة المحترمة. تحلل: أي تحرر. ترسيل: هو القراءة بترسل وتأن وتمهل وتمعن.
 مصقول: من صقل سيفه إذا شحذه وأعدده. خلقه: أخلاقه. يباري: يحاول التظاهر. غامر: أي
 خاطر. سللت لسانك: أي أطلقت له العنان ليشتتم ويسب ويفحش ويلغو كما يهوى دونما حياء.

إلى من يهمه الأمر

(دُعيتُ إلى سلسلة محاضرات تربوية في أم القيوين ، وذلك في دار غربتي ، وكانت هذه المحاضرات عن التربية وكيفية النهوض بها. وكنت سعيداً أيما سعادة. ولكن إرادة الله أن أجد فيها ما يعكّر الصفو نسبياً ، حيث احتوت الملتقيات التربوية العلمية أساتذة لنا أفاضل نفتخر بأستاذيتهم! كما احتوت أراذل يتناولون على اللغة العربية وينالون منها بغير الحق ، فحزنتُ على اللغة العربية. وكان من قدر الله تعالى أنني أخذتُ أنافح عنها قدر استطاعتي. وبعد الفراغ من الملتقيات التربوية تلك ، أخذتُ أنسجُ هذه القصيدة بيتاً بيتاً إلى أن أتمّها الله علي. وأهديتها إلى من يهمه أمر اللغة العربية في الأرض اليوم. وموجهاً إياها إلى هذا المرتزق بها بيننا ، وأهديتها إلى كل متناول عليها مهما كانت منزلته! قال الأستاذ أنور الجندي في محاضرة له عن المؤامرة على اللغة الفصحى ما نصه: (ما تزال المؤامرة على اللغة العربية الفصحى مستمرة لم تتوقف. لها خيوطها المرتبطة بالاستعمار والاستشراق والتبشير والتغريب. ثم تضاعفت الدعوة إليها وتنوعت مرتبطة بالصهيونية والماركسية. وهي مؤامرة تلبس في بعض حلقاتها ومراحلها ثوب البحث العلمي. وتحاول أن تدّعي أنها تستهدف الخير والتقدم. والصورة المعروضة اليوم تخدع الكثيرين. وربما تجد لها من بعض الشباب الذي لم يلم إماماً كافياً بخطوات المؤامرة ، استجابة ساذجة. وقد كانت المؤامرة على اللغة العربية أساساً تستهدف الدعوة إلى العامية ، أو كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، وأخذت في بعض الأوقات الدعوة إلى معارضة مفاهيم النحو أو نطق الكلمات ، وجزت في خلال السنوات الطويلة الممتدة منذ حمل لواءها المبشر الإنجليزي وليم ويلكوكس في مراحل متعددة ، وانتقلت من مصر إلى المغرب إلى الشام ولبنان ، واستطاعت أن تجد لها دعاة ممن يكتبون بالعربية خلفوا أولئك الأجانب الذين حملوا اللواء أول الأمر. والذين ينظرون اليوم في مشروع العربية الأساسية الذي تقدمت به بعض الهيئات الأجنبية في حزيران- يونيو 1973م في مؤتمر برمانا ، ومنذ أن ارتفعت صيحة الدكتور عمر فروخ بالكشف عنه وإذاعته واهتمام الجهات المختصة به ، حتى أصدرت إحدى الهيئات الإسلامية وهي: مجمع البحوث بالأزهر تحذيرها الخطير بتوقيع الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر! أقول إن الذين ينظرون في هذا المشروع اليوم يجدونه مرتبطاً كل الارتباط بما أعلنه اللورد دوفرين في تقريره الذي وضعه عام 1882م بعد الاحتلال البريطاني لمصر ، حين دعا إلى معارضة اللغة الفصحى ، لغة القرآن ، وتشجيع لهجة مصر العامية ، واعتبارها حجر الزاوية في بناء منهج الثقافة والتعليم والتربية في مصر. وحين قال في تقريره بالحرف الواحد: "إن أمل التقدم ضعيف في مصر طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصحى العربية - لغة القرآن - كما هي في الوقت الحاضر". ثم لم يلبث المبشر وليم ويلكوكس الذي كان يعمل مهندساً في الحملة الاستعمارية على مصر أن دعا في خطابه المشهور عام 1883م بنادي الأزبكية إلى نشر اللغة العامية والتأليف بها. وقد أطلق على خطبته اسماً خطيراً هو: "لماذا لا توجد قوة الاختراع عند المصريين؟! " ، وكانت إجابته بالطبع: "إن السر في ذلك هو اللغة العربية الفصحى ، وإن سبيل إيجاد قوة الاختراع هو اتخاذ العامية بديلاً!". هـ. ولنن كان الأستاذ أنور الجندي قد عنى بكلامه هذا المستشرقين الحاقدين والاستعماريين والمستغربين والعلمانيين الذين توحدت جهودهم على اللغة العربية الفصحى ، إلا أن هناك أناساً يدخلون في هذا الفريق يقومون اليوم بدوره وينفذون مخططاته ويشرفون على أوامره ويبدعون في ذلك. والضحية هي اللغة العربية الفصحى التي لا تجد اليوم من يحنو

عليها ويشفق! فلك الله يا لغتنا الحبيبة! وإنما قمتُ بهذا الدور – رغم تخصصي في اللغة الإنجليزية – لأنني مسلم عربي ، وهذا من فضل الله تعالى عليّ وعلى الناس! وكم قابلتُ مسلمين غير ناطقين باللغة العربية ، وبرغم دراستهم لها عقوداً إلا أنهم إذا تكلموا بها أحنوا وأخطأوا! فسبحان من جعل لساني عربياً مبيناً! ومن هنا كان لزاماً عليّ أن أدافع عن العربية بكل ما أوتيتُ من بيان وحجة! ووجهتُ كلامي للموجه الذي اصطحب منديلاً كلما تكلم أربع كلمات بصق في منديله بصقة ، فأصاب مستمعيه ومتابعيه بالقرف المادي! وأخذ يكيل السموم عن اللغة العربية وأنها شاخت وشابت ولم تعد تقوى على مواكبة العصر الذي نعيش ، فأصاب مستمعيه ومتابعيه بالقرف المعنوي! أو قل بالمعنى الأدق ، جعل مستمعيه ومتابعيه يعانون القرف المادي من البصاق ومن القرف المعنوي من التطاول على اللغة العربية! وكانت هذه المحاضرة ثقيلة على قلبي جداً! حتى أنني قاطعته في تعريف: (التخطيط) وهو ينسب إلى ابن منظور ما لم يقله عندما عرف التخطيط بقوله: (وضع الاستراتيجيات والخطط للمستقبل!) فسألته: هل ذكر ابن منظور كلمة (الاستراتيجيات) فقال: نعم! فقلت: سبحانك ربي ، هذا بهتان عظيم! حيث لا يوجد في لسان العرب لابن منظور الأفريقي أي كلمة دخيلة أو مترجمة! فهاجمني هجوماً عنيفاً ، ولم يرد عليّ رداً علمياً بالدليل والحجة والبرهان! وزاد حبات الطين بلة افتخاره أنه كان يعلم تلاميذه العروض على دندنات العود ، وكان الغاية تبرر الوسيلة!

داوٍ – بالمنديل – أثار اللعم	وانطق الحق ، وإلا فالسّم
خيم القبح على ما تدعي	بات خيراً – من تعاليك - البكم
وادراً الجهل بعلم تنتصر	فاز من – بالعلم دوماً - يعتصم
واكظّم الغيظ لتحيا سالماً	إنما الغيظ شواظ مُحْتَدِم
واطعن الكبر تنل حُب الورى	إن عقباه انحطاط وندم
واطرح الحمق تعش مسترشداً	برك الحمق دهاليز الهَم
خانك التقدير ، فارجع واعتبر!	إنما التحريف سيف المنهزم
غرك المنصب ، فادحض ناره	وعلى المغرور ترتد الحَم
عقدة العمر تعالي جعزها	لا تقل: شمس التصابي لم تغم
قيمة أنت ، ولكن في الهرا	ومن التخريف روس وقم!
خفف التقريع ، هذي حدة	وسقيم الفهم يغتال القيم
جرك الحق إلى ساح الوغى	وعلى الحاسد كم يجني الوغم!
ما احترمت الشيب يغزو هامة	شابت الهامة – هذي – في الجرم

لدعاة الزيغ يقات الرّم
وهُم - والله - ضلال غشّم
وعلى التضليل يجتر النعم
وعلى القلب لا يدري الحكم
وعلى الباغي أتت - تترى - القم
وعلينا - اليوم - ليست تنبهم
خاب من بالمز يوماً يُتهم
رُب همّاز تردى في الضرم!
أخلص الدين ، وأحسن ، واستقم
واستمع ، لا تدعي - الآن - الصمم
عرضه والمال - في الدنيا - ودم
وانتصاخ المرء من أحلى الشيم
وضياع العلم تدمير عمم
بينكم يشقى اللبيب المحترم
بعلوم الضاد ، ذي خير النعم
ذكرها للناس من شكر الحكم
ونظمت الشعر فواح الرنم
ينصر الحق ، ويُزري بالإدم
ولنفسى قسط لما أنتمم
ثورة كانت على كل صنم
إنما الإسلام منهاج لقم

تبرأ الضاد من الغر ارعوى
تخذ الغرب دليلاً مُرشداً
علم الشعر - على العود - شدا
درس الهزل يراه حكمة
حُبّه للطميش أعمى قلبه
لغة الغمز سبّرنا غورها
وسراب اللمز عات وقعة
وعقاب الهمز يُردى أهله
أيها اللانك عرضاً غافلاً
وامتثل أمر النبي المصطفى
حُرمة المسلم حرق فارعهما!
عنك ما أخفيت نصحي ساعة
وطغى المال على ألبابكم
رغد العيش طوى أفهامكم
أحمد الله على ما خصني
لا أرتكي النفس ، هذي نعمة
قد خبرت الشعر من أربابه
بات سيفاً في يميني ماضياً
لم أكن أبداً غيري بالعدا
غضبة لله - شِعراً - صُغتها!
ترفع الحق شِعراً ومدي

وبها الأبيات أشباه النجم
وبها الأسلوب مفصاح قصم
فله عز يدانيه الشمم
أعزثني حيلة فيها عرم
لاستمتت - بالعطر - أزهار فغم
لرأى الناس يواقيت السيم
ولذا نقت ممرارات الألم
كي أرى الشعر أشم كالعلم
شامخ الهامة فواح النغم
طيب الشعر مبيد للظلم
وهو درب - فوقه - تسعى القدم
وشواظ - في البلايا - مضطرم
لم يكن بالفسق يوماً يُتهم
لم تسيّره الدعاوى والديم
لا يبيع الشعر إلا المُجترم
كي يقول الناس: شعرٌ منبهم
كرطيب الطيف يأتي في الخلم
شعره - في الحق - صمصام خذم
ويراهما دربه الشمم الفقيم
قوة الإلهام حتى يقتحم
أدفع اليوم شنيعات التهم
وأرد الكيد يُودي بالمدعم

تدحض الشر ، تجلي زيفه
تقمع الباطل ، تُردى أهله
لم أكن - بالشعر - أرجو درهماً
لو أردت المال بالشعر لَمَا
لو أردت الشعر في حُسن النساء
لو أردت الشعر في (ليلى) الهوى
غير أنني لم أشأ تلويثه
وتظيئت بألوان الشبقا
وتحطمت ليحيى في السورى
والتمست النور في آفاقه
فإذا بالشعر يُزكى خاطري
وإذا شعري حُسام قاصد
عفا ، لم يركع لنديا زخرفت
لم يكن يمدح طاغوتاً بغى
لم أبغ شعري لأغنى مشتر
لم أكن أسرف في الغازه
بل صدقت الناس شعراً صغته
قدوتي (حسان) في شعر الهدى!
صفت الدرب لفي يقتدي
شاعر (جبريل) أعطى شعره
مثلما دافع عن إسلامنا
أوقف الزحف يطل ديننا

ذهبت بالأرض من بعد النسم
وخيون الحق أضنتها الشكم
وصفوف الخير لمتا تلتئم
ولهم - في الحرب - مكرّ معتم
ثم نالوا - بالهوى - دعم الأمم
كنت خصماً لي ، فأصبحت الحكم!
بيننا ، صدق كلامي والقسم
ثم صارت كراتانات العجم
يفعل الأبحار - صدقاً - والنهم
فتمثلت الأضاليل الجسّم
من ضلال قد تسامى في العظم
لغة طابت لأندى ملتهم
قلم يزخر بالحبر الشيم
وجمال الشعر أن يروى بدم
كم قلوب نزعنت منها الرخم!
تارة يبكي ، وأخرى يبتسم
حيث غاب الوعي والفذ الفهم
ثم لم تلق الميامين الخم
بخلوا بالنصح يزجيه العشم
آفة النقد التجني والهذم
يسحب الشعر إلى قعر الرجم

فتنة عمّت ، فلو قيل اسكتوا
خيل أعداء عتي ضبؤها
وحّد الأعداء صفاً ضمهم
جفول يطوى الدنا إن قاتلوا
ضمنوا - بالزيف - تأييد الورى
أيها النائل منّا مغرضاً
وأنا أقسمت أن لا ملتقى
أنت تقتات بضاد حرفت
وتبيغ الضاد بالمال ، كما
نصّبوك - اليوم - أساتذاً لها
وابن منظر بور برى علمه
والأعاريب لبس أن معرب
أيها المذكر شِعراً خطه
بدمي - قبل مدادي - صغته
لم يكن يرحم شعري أحد
فرايت الشعر يسعي وحده
والدواوين تُعاني هجرة
عدمت - في الناس - أهلاً أخلصوا
وأساطين القريض أجفوا
نقدهم لم يبن بيتاً واحداً
كشروا عن ناب حقٍ مُجمل

حيث كانت كاليواقيت العُصم
عن هُدى الله ، وغاصوا في العدم
هؤلاء القوم في دربي قَصَم
يُشعل القنديل كي تُجلى الظلم
فاق نصحُ الفذ آفاقَ الكرم
لم يضيق ذرعاً بطول أو عُجم
إنما الشعرُ شعورٌ ونظم
إن (عدنان) لشهْمٌ معترزم
فسقولُ الشعر يُفضي للسام
نقذُ (عدنان) دواءً للسم
عالمٌ آراؤه ليست تُذم
هو حسبُ (العدن) قيومٌ حكيم!
من شدا بالشعر فواح الرنم
إنه الدر الرصينُ المنتظم
وتلا من شعره ، ياكم وكم!
إنما (النوبي) من قوم كُرُم
فبدا ما فيه من حُسن وذم
حصصَ الحق ، وخيرُ الشعر عم
عندها أمرُ التداعي ينحسم
ثم بالتصبير نورُ الشعر تم!
غرةٌ تحتال باللفظ الوخم
وكلامي عنه لا ، لن ينصرم

هذه الأشعارُ لم يرضوا بها
صفتها ، لم أستشِرْ من أعرضوا
لم أكن أصغي إلى أحقادهم
لكن (النحويّ عدنان) انبرى
خصني بالنصح ، هذا طبعه
قرأ الشعر الذي أهديته
بيّن الأخطاء فيما قلته
لم يكن يرفعُ من شأن دنا
شاعرٌ لم ينحدرُ في شعره!
ناقذ ، والنقذُ علمٌ يشتهى
كاتبٌ في كل فن نافع
لا أركيه على الله الذي
وكذا (النوبي) أعني (سالمًا)!
كم نهلتُ النور من أشعاره!
ودعاني الخل ، كم ، في بيته!
ثم وفى بوعدٍ قالها
خصّ شعري بانتقادٍ منصفٍ
وتجاذبنا حديثاً بعدده
ورجعنا للقمي وامييس التمي
فبدا شعري رهيفاً ضوؤه
ثم تأتي أيها اللاغي على
أه من قولك هذا ، رجني

سوف أروي للورى ما جكته	من هراءٍ في جحيم المُصطدم
سوف أبدي ما طمستم نوره	من معين الحق من خلف السخم
سوف أحكي بقريضي قصة	بدوها خافٍ ، ويخفى المختتم
سوف أعطي ليراعي فرصة	ليعيد الحق ممن قد ظلم
ذهب الصبرُ بحلمي ، فارتقب	ثورة الشعر ، يُزكيها القلم
وعلى الله جزاء المفتري	من بغى في الأرض ، أو خان الذمم!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

العم: اللعاب. التقريع: هو شدة اللوم والعتاب. يغتال: يقتل. الوغى: الحرب. جُرْم: جمع جريمة. غشم: جمع غاشم. لعاب. اللسم: السكوت إما عن حياء أو عيا. ادرا: أسقط. شواظ محتدم: هو اللهب لا دخان له ولا لون. الحمق: الغباء. عقدة العمر: هي الكبر الناشئ عن الاعتداد بالسن. جُعرها: الجعر ارتفاع الصوت. لم تغم: لم تغم الشمس أي لم يعلها الغيم فتختفي. عَلم الشعر على العود: يفتخر الساقط المرتزق المرذول الجاهل أنه تعلم علم العروض على دندنات العود ، وكأن الغاية تبرر الوسيلة! القحم: هي الشدائد العظيمة. سبرنا غورها: عرفنا حقيقتها. تنبهم: تخفى. حُرمة المسلم: هذا البيت بتمامه وكمالهِ إشارة إلى حديث النبي - صلى الله عليه وسلم : (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه). القريض: الشعر. الألباب: العقول. الرنم: هو الترنم بالغناء أو بالشعر. الإزم: جمع أزمة وهي الداهية العاتية. منهاج لقم: أي مستقيم. عَوَج: اعوجاج وميل. يدحض: يهزم. النجم: النجوم. مفصاح قصم: يقصم من يجادله. الشمم: الإباء. العرم: الشدة. أزهار فغم: أي فائحة الرائحة ، جمع فغوم ، من فغم الطيب فلاناً أي أنه ملاً خياشيمه بالعطر تماماً. السيم: جمع سيمما وهي العلامة الدالة على شئ ما. العلم: الجبل. الحسام: السيف. الديم: الأرياح ، جمع ديمة. حسان: هو حسان بن ثابت الأنصاري الصحابي الجليل المعروف - رضي الله عنه - . صمصام: سيف. خذم: ماض شديد الطعن. الفقم: الذكي العبقرى. الدعم: جمع دعامة وهي أساس الشئ. النسم: بني البشر. الشكم: جمع شكيمة وهي الحديدية يُلجم بها الجواد من فيه. جحفل: جيش. معتلّم: ذو معالم وأبعاد واتجاهات. القسم: اليمين. النهم: رهبان النصارى ، جمع نهام. الجسم: أي الجسيمة. الأعاريب: الأعراب. معرب: مسفر مبين لا غموض فيه. الحبر الشيم: كناية عن لطافته وجماله. المداد: الحبر. الرخم: الرحمت. حُمم: جمع حميم. الرجم: القبر. العصم: المعصومات الحصينات. عُجم: جمع عُجمة وهي الغموض. السخم: السواد. القواميس: مراجع ومعاجم اللغة العربية. أما كلمة الدواوين الشعرية: أعني بها دواوين شعري السبعة إلى يوم كتابة القصيدة.

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

(لم يكن ينوي فاعل الخير هذا - من فعله ، وبإذل المعروف من بذله - سوى الإصلاح بين هذا الزوج وزوجه المسكينة المبتلاة (أم نبيل) وبناته وأبنائه. ولكن الزوج العرييد السكير لم يفهم هذا القصد ولم يع ذلك التوجه. فراح يكيل التهم ويشنع على ذلك الرجل الباذل معروفة والفاعل خيره والداعي إلى الحق والعدل والإنصاف قدر الوُسع والطاقة. وتبدأ القصة باختصار عندما انحرف الزوج بلا عودة ، وانساق لأرباب الفجور والفسق والإفساد في الأرض بغير الحق ، فهان عليه الهوان. ولم يعد يهتم ببيته ولا بزوجته ولا بأبنائه. وفي الماخور يتعرف الزوج - ذو البنات الأربع والولدين والزوجة والبيت والوظيفة - على صلوكة نادلة من بنات الهوى وبغايا الليل. وانزلت ساق هذا الزوج الخائب الفاشل في الرذيلة ، وأصبح يرى الحق باطلاً والباطل حقاً ، وزين له الشيطان العواهر والمومسات ، فراح يأخذ حظه من الحرام. مثله في هذا مثل كل ضحية من ضحايا الرذيلة التي يغرق فيها المجتمع برؤمته. ولا يكون وحده الضحية. بل بيته وأبناؤه وزوجه. وعندما طفح الكيل وكأنه أتى بعشيقته إلى بيته أمراً الكل باحترامها ومعاملتها برفق ، أتتني زوجه بوصفي الجار الأول لهم. ورأيت أنها - باستقراء الأحداث والأقوال والشواهد والبراهين والقرائن - مظلومة ممتحنة ممتحنة للغاية. وليس يحس بالمظلومين المهضومين إلا من كان مثلهم يحترق بنيران الظلم. وأخذت في موعظة العاشق الفاجر ، ولكنه أعرض ونأى بجانبه وأشاح بوجهه عني. فاستعنت بأصحاب التأثير عليه من ذوي قرابته ومعارفه والراسخين في معرفته ، وأقرّ واعترف وأخذنا عشرات الوعود بالتوبة والندم والإصلاح والاستقامة ومراجعة النفس. ولكن دون جدوى! فأوصيت الزوجة بالصبر والاحتساب عندما قررت ترك البيت والأولاد ، والبحث عن حياتها تحت رجل كريم لبدء حياة جديدة واستئناف معيشة طيبة عزيزة نقية طاهرة! وناصحتها بأن تتولى زمام الأمور وتصون بيتها وبناتها وولديها وإن الله واجد لها مخرجاً إذا هي صبرت واحتسبت واسترجعت! وأخبرتها بأن الأولاد أمانة تسأل عنها في موقف الخمسين ألفاً بالعدد! وأنه إذا كان الزوج قد تخلى وأعرض ونأى بجانبه ، مستغنياً بحرام الله عن حلاله قانعاً بعيش الفجور والتحلل والسفول والسقوط ، فإنه لا ينبغي معاقبته بترك البيت والأولاد ، فإن هذا ليس حلاً وخاصة إن علمنا أنهم صغار فأعمارهم ما بين الثامنة عشرة إلى السبع! وأخذتُ أبحث عن حل لهذه المشكلة العويصة ، وأحاول الوصول فيها لمنظومة ترضي الجميع! فعجزتُ في أول الأمر! ثم اتفقتُ مع الزوج الخائن الغادر هذا وعشيقته على قسمة هذه الشراكة إلى قسمين متساويين! فليتزوجا على كتاب الله ورسوله وليذهبا حيث شاءا ، وليبق للزوجة الأولى وأبنائها ما يقتاتون به (نصف مكافأة نهاية الخدمة والبيت) ووافق الزوج! وتم الزواج ثم أتى يساومني على تقطيع العقود التي أبرمتُ وأشهد عليها وأنها في طريقها إلى التوثيق في المحكمة الشرعية فقط. فعرض عليّ ما أريد من المال مقابل ذلك! فأبيت وفي اليوم التالي ذهبنا جميعاً إلى المحكمة للتوثيق وانتهى الأمر على ذلك! فعمد ذلك الأفك الأثيم لطريقة الطواغيت في التشنيع على الخصم والتشهير به زوراً وبهتاناً! وراح يُخبر الناس أن ذلك الوسيط أفسد عليّ زوجي وأولادي وخرب بيتي! وزاد حبات الطين بلة بأن قال لأحد الناس: إن بينه وبين امرأتي وبناتي علاقة مشبوهة! الأمر الذي لم يخطر ببال الوسيط البرئ ولم يدر بخلده طرفة عين ولا أقل من ذلك. فرحّتُ أذكر الجميع قاتلاً: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟) ولكن لا طائل من وراء النذير والتذكير ، حيث اشتعلت نار الفتنة وتلظى الجميع بسعيرها وشواظها. ولكن الشئ المهم هو أن

الأسرة عاشت في سلام: فبيئت لا يدفعون له إيجاراً ولا مصاريف كهرباء ولا ماء ، وراتب شهري من خزينة المحكمة يُصرف تبعاً من نصف مكافأة نهاية الخدمة! فلا منة لمخلوق عليهم بدرهم ولا دينار! أما العاشقان فقد ذهبا إلى جبال القوقاز ، وهناك صُرفت الدراهم والدنانير وعاد الزوج المعتوه بخفي حُنين! عاد بعد ضياع المال والكرامة ، عاد يعض أصابع الندم من حيث لا ينفع الندم ، عاد يجر أذيال الخيبة والفشل. فلم يكن من قبلة إلا بيته وبنياته وزوجه والأبناء! تلك الأشياء التي حرصت أن أبقياها له ابتغاء وجه الله ، وذلك لعلمي أنه سوف يرجع خائباً خاسراً من بلاد القوقاز! وكنت أوقن أنها نزوة عابرة وشهوة ماضية ، ولقد استغرقت القصة المريرة هذي سنوات ست! ولم أفكر في الكتابة عنها ، لأن الأحداث كانت أكبر من أعبء عنها ، والشاعر عندما تكون الأحداث أكبر من تجربته ومشاعره وأحاسيسه لا يوفق في الكتابة بصورة دقيقة وموفقة! ولكن بعدما دارت رحى التشهير ، ووجدت نفسي في خضم الإشاعات والفضائح تكونت في نفسي مجموعة انفعالات كانت هذه القصيدة ترجمة لها! ثبت في الحديث الصحيح في البخاري ومسلم وفي غيرها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع يوم عرفة: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام» إلى آخر الحديث ، فعرض المسلم على المسلم حرام بعامه ، فكيف إذا كان بين المسلم والمسلم أخوة عامة وعقد خاص من الجيرة ، كيف لا يحفظ عرضه ، وقد قام بينهم من الأخوة والمحبة الخاصة ما ليس بينه وبين غيره ، إذا كان المسلم مأموراً أن يحفظ عرض أخيه الذي هو بعيد عنه ، أي ليس بينه وبينه صلة ولا محبة ، فكيف بالذي بينه وبينه موادة ، وتعاون على البر والتقوى ، وسعي في طاعة الله ، وفي العبودية لله ، واكتساب الخيرات ، والبعد عن المآثم؟)

طفح الكيل ، واعتدى السفهاء	وعليها يستأسد البهائم
طف صاع - من طينة الحقد - أخزى	وتوارى - خلف الستور - البلاء
واحتوتنا قوارع الكيد عمداً	وتمادت - في أخذها - البرحاء
وظفقتنا - مما نلاقي - نعاني	والينا يطوي الخطا الجهلاء
هكذا الدنيا: تارة نتغنى	وصدانا تغول له الأجواء
فنناغي ، وتارة نتعنى	وتسود الأهات والبأساء
أيها الكيد ، قد كفى ما أقاسي	زال شأنني ، واجتاحني الأشقياء
لم أدنس عرضاً ببعض كلامي	لم تشقني - بين الورى - الخيلاء
لم أنل نفساً بالسباب ، لأنني	مسلمٌ يحيى في مداة الحياء
لم ألوث بالطعن من عاملوني	ذاك قبح يعافه الفضلاء

ليس من خلق المتقي الازدراء
ليس من طبع المهتدي الافتراء
ذاك طيش يرنو له الأغبياء
ليس مني الهتافة الأذعياء
ففي قطيع أربابه لوماء
يأخذ العف للرشاد الإباء
وبدا لي الأتذال والنجباء
كم يعاني - من هولته - الحكماء!
وتردى الأشرف والأكفءاء
ميزته - بين الورى - الفحشاء
ليس تأتي ما قد أتى الحرباء
كم يعاني - في العيشة - الكرماء!
ويني من طموحه العلياء!
فاتتني مكروبة (حواء)
ضاق ذرعاً - بظلمه - الأبناء
نال منها ما يشتهي ويشاء
مثل هذا هل يفعل الآباء؟
يشهد الله أنها شامطاء
برئت منها - في القياس - النساء!
وقوام أودى به الندماء
وعظام من رجسها عجفاء
والثنيات ما لها استقصاء

لم أحقر سعي الألى أكرموني
ما افتريت يوماً على من جفاني
ما اجترأت على الذي باع ودي
ما ادعيت الأخلاق لم أدن منها
وجميل من الفتى عز نفس
عندما تستعصي الأمور ، وتقسو
قد خبرت أهل الزمان مراراً
عالم الأضداد التي ليس تحصي
قيمة الإنسان الشريف تدنت
وعلا فوق الخلق كل رقيع
كل لون أجاده في البرايا
وكريم الأقوام - في التيه - جاث
كم يقاسي من للمبادئ يحيا
كنت - في بيتي - أستعد لنومي
تطرق الباب ، تشتكى ظلم زوج
جرفته دنيا الملائدات حتى
أفسدته الأهواء حتى قلاهم!
هجر الكل في محاباة أفعى
لا تساوي فلساً إذا ما اشترؤها
بنيمة أردى الفاسقون صباها
وجهها تغزوه التجاعيد طراً
جيدها من رشف الخمور تلوى

وعيونٌ - عن الهدى - عمياء
فهَي - مِن سعي للهوى - عرجاء!
مَن رآها يغتاله الإغماء!
لكنة - عن أعرابنا - عجماء
جمعتها - في جوفها - البيداء
ماله - فوق الوجنتين - استواء
نفشت - ترعى - في ثراه الشاء
حياة تلك - بيننا - رقطاء!
إن هذي لمن يرى عنقاء
والضحايا - في وكرها - شركاء؟
فاحتواني - بالعاشقين - لقاء
قال: كلا ، روعي لتلك الفداء
وحضيضٌ كم عافه الرفقاء!
يارفريقي الزناة والوضعاء!
هل دريت يا عاذلي ما السبأء؟!
إن هذي مقبوحاة رغناء
وهي من آثار الخناشمطاء
وشهودٌ - في بهوه - القرناء
والعبيدٌ - مثل الثرى - والإماء
خبِت سعيًا ، وخابت البطحاء!
ثم طالتنا فتنة شعواء

ويداها جلدٌ - على العظم - باد!
والعراقيبُ شوهت قديمها
ورموشٌ - على العيون - تدلت
ولسانٌ - عن أي نطق - تخلي
وإذا بالأسنان بعرض صخور
وإذا بالأنف المشوه وجهاً
وإذا بالشعر المُجعد عشب
والتقاطيبُ - في الجبين - استغاثت
كيف يهواها مُعجبٌ بالصبايا؟
كيف يرضاها - للفراش - خليل
أضجرتني أم البنات ملياً
قلت: أقلع ، وادرس أمورك ، واعقل!
قلت: طينٌ: كم لأكه كل نعل!
هي مرحاضٌ ، كم تغوط فيه
قال: حازت قلبي ، وبعذ سبتي
قلت: أين الجمال فيها؟ أجبني!
وعجوز أدمى المشيبُ حلاها
واسأل الماخور المدنس عنها
سيلة هذي ، كم تباع وتشري!
وعلى بطحاء النخاسة حطت
هاجمونا كمثل سرب جراد

وأقول: أما لها إطفاء؟
إن تكن داءً عز هذا الداء!
تلك زاداً لمهجتني وغذاء
أنا أرض عطشى ، وتلك الماء
تلك نور تجلى به الظلماء
وشذاها - للهائمين - دواء
وصدى الصوت رقعة وغناء
نصح مثلي - ياطيبون - غباء
تُمس فذاً يسعى - إليه - الهناء
وليكن - في عوني هنا - الأصدقاء
إن أمري مصيبة كآداء
لـيعم الحليتين رخاء
وكتبتنا كيلا يكون ادعاء
وجنان الرحمن نعم الجزاء!
إن يوفوا - صدقاً - هم السعداء
وتبدي - في ناظريك - المرءاء
من يبيع الأعراض كيف يشاء!
ومحل التقوى يحل البغاء
وأطعني يُصنّبك مني العطاء
أن قلبي يشع منه الوفاء
واحتمل لا تذهب بك الغلواء!
ستعود - إذا جفأك - الرخاء!

أحرقتنا نيرانهم ، فاصطلينا
قال: مهما أفصحت تلك نصيبي
تلك حبي وقبّاتي وشبابي
تلك عشق أحيا به وغرام
تلك أكسير العيش ، تلك حياتي
بسمة منها تغمر القلب شوقاً
صوتها أنغام تشقق نشوى
وفر النصح ، لن تُغير شيئاً
قلت: فانكح - على الشريعة - زوجاً
قال: فابذل - من المعونة - قسطاً
فالتمس لي فيمن عرفت ظهيراً
قلت: كلا ، فسوف أبذل جهدي
واتفقتنا ، والعدل كان بساطاً
والنوايا صفت لرب خبير
وتزوجت بالشروط ، وقلنا:
وأتيّت عصراً تساوم غدرأ
قلت: سُحقاً لمن يخون الأيامي
ويريد بناتيه كالباغايا
قال لي: اغضض من صوتك الخر هذا!
قلت: كلا ، وإن تخنهن فاعلم
فلنوثق يا غر كل عقود
وامض - في درب التيه - شرقاً وغرباً

ففي نعيم تلفه السراء
فيه مجد تحيطه النعماء
يوم تأوي لجحرها النافق
ومرار يفري الغرى ودماء
وشقاء - من خلفه - البغضاء
ودمار شدا به الأعداء
وانفجار ينهار فيه البناء
قص ذلك اليوم ليس فيه خفاء
والخبايا قد زال عنها الغطاء
ويضم المستأنسين الخباء
لم يكن - في ألفاظها - استحياء
والرزايا تلوكها الأحشاء
والغرام - بمثل هذي - شفاء!
والغريم تحببه العذراء!
هو فيك ، والقلب - منه - براء
وشهودي الجيران والشعراء
أنت نذل ، لكنهم عقلاء
إن هذا تجاوز واعتداء
أنت ميت ، لكنهم أحياء
تعس الكذب يفتريه الغثاء!
واسأل الناس ، إنهم شهداء

سوف تلقى زوجاً وولداً وبنياً
وساتلقى بيتاً تحن إليه
يوم أن ترمى دون أدنى اعتبار
نزوة تمضي في خيال سراب
ومصير صانت أنت دجاءه
وضياع أودي بكل عزيز
وانحراف عن كل أمر صواب
قال: دعني أحيأ طليقاً وأهلي
أنت ذنب تسعى لصيد سمين
إن ترحمني فسوف تخلو بأهلي
لهجة أتقنت التخفي وراها
نية من أعمالك الدون خاست
خطر أنت ، فالحلياة تكلى
شبق أنت ، والبنات عذاري
قلت: كلا ، فقد حكمت بطبع
برئت - مما قد ذكرت - خلالي
أهلك اليوم يعلمون إبانتي
كيف ترمي العفيف دون دليل؟
أهلك - الآن - قدموا لي اعتذاراً
تعس الجهل ، كم أضل نفوساً!
فالبنات والأم في العين قطعاً

أَوْ نَزَلْنَا ، فَإِنَّا خُفَاء
وَعَلَيْهِنَّ إِنَّا الْأَوْصِيَاءُ
وَنَذُودُ ، كَأَنَّا كُفْلَاءُ
إِن عَفَوْا الْمَلِيكَ نَعَمَ الرَّجَاءُ
وَتَمَثَّلْنَ مَا يَفْعَلُ الشَّرْفَاءُ
فَالهَوَى دَجْوٌ ، وَالتَّخَرَّى ضِيَاءُ
إِن شَكَرَ الْمَعْرُوفَ مِنْكَ ثَنَاءُ
حَقَّقْتَ قَصْدًا خَطَاهُ الْفَقْهَاءُ
مَالِهِنَ - فِي غَرْبَةِ - أَوْلِيَاءُ
وَتَأْمَلْنَ يَغْسَلْنَ جَوَاكِ الصَّفَاءُ
وَاجْتِهَادِي قَدْ صَاغَهُ الْعِلْمَاءُ
لِتَصِيحَ - بِدُونِهِ - الْأَعْضَاءُ

إِن أَتَوْنَا ، فَنَحْنُ - لِلضَّيْفِ - أَهْلٌ
سَأَلْتُمْ مَا كُنْتُمْ قَصَّيْتُمْ فِيهِ
سَنَجِيرُ مَنْ يَسْتَجِيرُ ، وَنَحْمِي
نَبِيذَ الْخَيْرِ نَرْتَجِي عَفْوِ رَبِّ
خَفِيفِ الطَّعْنِ ، أَنْتَ - بِالصَّدَقِ - أَحْرَى
وَتَبِينُ قَبْلَ التَّخْرِصِ ، وَافْهَمُ
وَاشْكُرِ الْإِحْسَانَ الَّذِي صَانَ عَرْضًا
مُرَّةً كَانَتْ صَيِّغَةَ الْعَقْدِ ، لَكُنْ
بِكَ ضَحِينًا كَمَا يَعِيشُ أَيَّامِي
فَارِضٌ وَاصْفَحْ وَأَقْبَلْ وَأَجْمَلْ وَخَفَّفْ
قَدْ فَعَلْتُمْ مَا لَاحَ لِي بِاجْتِهَادِ
يُبْتَرُ الْعَضْوُ دُونَ أَدْنَى اِكْتِرَاثِ

تذكروا الجميل!

(عندما يُضحّي إنسانٌ ما بجزء كبير من حياته ووقته وبيته وماله وسعادته لأوباش سفلة أو غاد أراذل لا يراعون جميلاً ولا يعرفون معروفاً ولا يجزون الإحسان إحساناً ، تكون حقاً كارثة كبرى وأزمة نفسية لا يعلم إلا الله مداها. وهذا الإنسان ضحّى بالكثير وبذل الكثير ، وسخره الله تبارك وتعالى لأناس فعلاً بُنيانهم في الأرض وأصبح لهم به بين الناس شأن ومكانة ما كانوا ليحلموا بها لولا أن من الله عليهم به. فإذا بهم يقابلون معروفه بالتكر التام وبالإساءة البينة الدالة حقاً على فساد التصورات فضلاً عن فساد الضمائر. وكلما واجههم قالوا له: الفضل والمنة لله وحده. فيعقب قائلاً: نعم الفضل لله والمنة له وحده ومنه العون والسادات والتوفيق ، ولكنه سبحانه سخرني لكم أيها الأراذل الأوباش ، وجعلني في يوم من الأيام سبباً في الذي أنتم فيه من النعيم. فكان من وقاحتهم ردّ هو أقبح من التعقيب الأول: نحن أصحاب منة وجميل عليك! وهنا انقلب الحياء بقايا عُهر وأصبح الحق باطلاً ، وانقلب ظهر المِجَنّ. فرحّت أعيش في أعماق داخل هذا الإنسان وأتألم وأرثي لحاله. فكانت قصيدة (تذكروا الجميل) ترجمة لهذا الإحساس! وأجعلها ناقوساً يدق في عالم قلب الحقائق وإنكار الفضل والتكر لأهل الإحسان والجمال. إنه لا يشكر الله من ليس يشكر للناس. والله تعالى يقول في كتابه: (ولا تنسوا الفضل بينكم) ، وفي الأثر: (أحب العباد إلى الله عبدٌ قضيت على يديه حوائج الناس) ، ومما يؤثر أيضاً: (لقد خلق الله للخير خلقاً ، وخلق للشر آخرين! ففريق هم مفاتيح للخير مغاليق للشر نسأل الله أن نكون منهم ، وفريق هم مفاتيح للشر مغاليق للخير والعياذ بالله!) والله تعالى يقول: (ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً). والنبى - صلى الله عليه وسلم - يقول: (من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه). وفي الصحيح من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على مُعسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله به طريقاً إلى الجنة). إنني أعزي بهذه القصيدة كل صاحب معروف من أهل المروءات والفضل والإحسان ، من الذين يبذلون الجميل تلو الجميل ويصنعون المعروف تلو المعروف ، من الذين هم أصحاب الشهامة والنجابة والبذل والجود والعطاء والتصدق ، فأقول لهم جميعاً: احتسبوا عند الله كل معروف ، فإن الله تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة. وإن كان الناس يقولون: (اصنع المعروف وارمه في البحر!) ، فنحن نقول: (اصنع المعروف وأسد الجميل وافعل الخير واحتسب كل ذلك عند الله تعالى!) وإذن فأهل المروءة والجود ينبغي أن يترفعوا عن انتظار رد الجميل من الخلق ، بل عليهم أن يحتسبوا الأجر عند الله عز وجل. وأما الأوباش والأراذل والسفلة وردالة الناس وحثالتهم فإنني أدكرهم بأن نعم الله تدوم بالشكر والاعتراف لأصحابها بالفضل والجميل والمعروف. يقول الله تعالى: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد). روى الإمام ابن عساكر في تاريخه ص52 ج269 ما نصه: (روى عبد الرحمن بن حاطب قال: كنت مع عمر بن الخطاب بضعجان ، وهو جبل على مسيرة بريد من مكة وقيل على مسافة 25 كم منها بلغتنا المعاصرة ، فقال عمر: كنت أرعى أحياناً وأحتطب أحياناً. وعن سعيد بن المسيب قال: حج عمر بن الخطاب ، فلما كان بضعجان قال: لا إله إلا الله العلي العظيم المعطي ما شاء لمن شاء ، كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي في مدرعة صوف ، وكان أبي فظاً يتعبنى إذا عملت ، وكذا

يضر بني إذا قصرت ، وقد أمسيت ليس ببني وبين الله أحد ، ثم تمثل عمر – رضي الله عنه –
قول أحد الشعراء يصف حال زوال الملك عن الملوك وتغير الدنيا وتقلبها بأهلها فيقول:-

لا شئ مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ، ويُردى المال والولدُ
لم تغن عن (هرمز) يوماً خزانه والخلد - قد حاولت عاداً - فما خلدوا
ولا (سليمان) إذ تجري الرياح له والإنس والجن فيما بينها برد
أين الملوك التي كانت نواهلها من كل أوب إليها راكبٌ يفد؟
حوضاً هنالك مورودٌ بلا كذب لا بد من ورده يوماً كما وردوا

فله دَرَّ عمر! لقد كان واعياً فطناً لصنيع الدنيا بأهلها).هـ. وأما ابن سعد في الطبقات ج3ص293 فيقول ما نصه: (حدثنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عن نفسه ، وقد أصبح أميراً للمؤمنين عندما حدثته نفسه يوماً ، فلما يعرفها قدرها وقف بين المسلمين يعلن أنه لم يكن إلا راعي غنم ، يرمى الغنم لخالات له من بني مخزوم ، يقول محمد بن عمر المخزومي عن أبيه: نادى عمر بن الخطاب بالصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس وكبروا ، صد المنبر فحمد الله بما هو أهله ، وصلى على نبيه – صلى الله عليه وسلم – ثم قال: (أيها الناس ، لقد رأيته وأنا أرى على خالات لي من بني مخزوم فيقبض لي قبضة من التمر أو الزبيب ، فأظلم يومي وأي يوم) ، ثم نزل! فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين ما زدت على أن فمات نفسك أي عبتها! فقال عمر: ويحك يا ابن عوف ، لقد خلوت فحدثتني نفسي فقالت: أنت أمير المؤمنين ، فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها من هي!).هـ. والإمام الدارمي في كتابه (الرد على الجهمية) ص45 يقول ما نصه: (خرج عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – من المسجد ومعه الجارود العبدي ، فإذا امرأة برزت على الطريق ، فسلم عليها عمر بن الخطاب ، فردت عليه السلام وقالت: يا عمر لقد عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تدع الصبيان بعصاك! فلم تذهب الأيام حتى سُميت عمراً ، ولم تذهب الأيام حتى سميت أميراً للمؤمنين ، فاتق الله في الرعية ، واعلم أنه من خاف يوم الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشى الفوت. فقال الجارود لها: أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين! فقال عمر له: دعها ، أما تعرف هذه؟ هذه خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات ، فعمر أحق أن يسمع لها. وجاء في رواية أخرى: فوالله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا إلى الصلاة ثم أرجع إليها. وجاء في رواية ثالثة أن عمر قال: هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله فيها قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ، فحريّ بعمر أن يستمع لها وينصت!).هـ. وأما الدمشقي في مصنفه البديع (محض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب) ص590 ج2 فيقول ما نصه: (لما قدم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الشام راكباً على حمارة ورجلاه من جانب قال له أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين الآن يتلقاتك عظام الناس. فقال عمر: نحن قوم كنا أذل الناس فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله).هـ. هكذا ضرب لنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أحلى وأروع الأمثلة على عدم نسيان الماضي ، وأن الحمد والشكر يزيدان النعم ، واعترف عمر على جلاله وهيبته بالفضل لأهله. هذا ويروي البخاري ومسلم –

رحمهما الله تعالى - من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن ثلاثة في بني إسرائيل ، أبرص وأقرع وأعمى. فأراد الله أن يبتليهم. فبعث إليهم ملكاً. فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قدرني الناس. قال فمسحه فذهب عنه قدره. وأعطني لونا حسناً وجلداً حسناً. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الإبل (أو قال البقر. شك إسحاق) - إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما: الإبل. وقال الآخر البقر - قال فأعطى ناقه عشراء. فقال: بارك الله لك فيها. قال فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قدرني الناس. قال فمسحه فذهب عنه. وأعطى شعراً حسناً. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأعطى بقرة حاملاً. فقال: بارك الله لك فيها. قال فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس. قال فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطى شاة والدأ. فأنج هذا ولد هذا. قال: فكان لهذا واد من الإبل. ولهذا واد من البقر. ولهذا واد من الغنم. قال ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين. قد انقطعت بي الحبال في سفري. فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك ، بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ، بغيراً أتبلغ عليه في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأي أعرفك. ألم تكن أبرص يقدرك الناس؟ فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً ، فصيرك الله إلى ما كنت. قال وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا. ورد عليه مثل ما رد على هذا. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل. انقطعت بي الحبال في سفري. فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك ، بالذي رد عليك بصرك ، شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري. فخذ ما شئت. ودع ما شئت. فوالله! لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته الله. فقال: أمسك مالك. فإنما ابتليتكم. فقد رضي عنك وسخط على صاحبك". وفي هذا الحديث دلالة على أن تذكر الماضي نصب الأعين جديرٌ بأن يجعل المرء لا ينسى فضل الله عليه! وأخيراً ذكر المحب الطبري (وهذا الأثر في فقه السنة باب الحج والعمرة) أن وكيعاً قال: قال لي أبو حنيفة النعمان - رحمه الله - : (أخطأت في خمسة أبواب من المناسك فعلمنيها حجام! وذلك أنني حين أردت أن أحلق رأسي وقفت على حجام ، فقلت له: بكم تحلق رأسي؟ فقال: أعراقي أنت؟ قلت: نعم. قال: النسك لا يُشارط عليه. اجلس! فجلستُ مُنحرفاً عن القبلة. فقال الحجام لي: حرّك وجهك إلى القبلة. وأردت أن يحلق رأسي من الجانب الأيسر. فقال: أدر الشق الأيمن من رأسك! فأدرته ، وجعل يحلق ، وأنا ساكت. فقال لي: كبر. فجعلتُ أكبر حتى قمتُ لأذهب. فقال لي: أين تريد؟ فقلت: رحلي. قال: صل ركعتين ، ثم امض! فقلت: ما ينبغي أن يكون ما رأيت من عقل هذا الحجام. فقلت له: من أين لك ما أمرتني به؟ قال: رأيتُ عطاء بن أبي رباح - رضي الله عنه - يفعلُه). هـ. والشاهد من هذه القصة الطريفة هو اعتراف أبي حنيفة - على علمه وفضله - للحجام بما كان عنده من العلم والفقّه! وأكتفي بهذا لأدلل على أن الطغام الأراذل الأوباش الذين ينسَوْنَ فضل من تفضل عليهم كما ينسون ماضيهم لا يمكن أن يبلغوا الفهم الذي أريد! ألا إن نسيان الماضي وجحود نعمة الله تعالى صنوان لعملة واحدة! وأذكر أن رجلاً قال لي ذات يوم متهمكماً ساخراً: لا تنس أنه كانت عندك دراجة هوائية وقد اتخذت لها قفص دجاج من جريد لتضع فيه ما تشتريه وتحمله على دراجتك الهوائية! فقلت له: والله الذي بعث محمداً - صلى الله عليه وسلم - بالحق ما نسيتهها ولا نسيته أيامها! وكيف لي

أن أفعل وقد كتبت في هذه الدراجة من الشعر ما الله به عليم؟ أما أنت يا فلان فقد نسيت عربتك التي كانت يجرها الحمار إلى حيث تريد! وأصبحت تتكلم بلغة الدولارات والبيوتات والمدينة الفاضلة وتناسيت أو نسيت حياة الفلاحة والأرض والطين التي كنت أتمنى لي ولك أن تظل هذه الحياة البسيطة الطيبة المتواضعة المباركة! وأعلم أن عندي اليوم سيارة متطورة حديثة وهي من نعمة الله علي! وأضع أمام عيني الدراجة الهوائية والسيارة معاً! وفي هذه كتبت شعري وفي تلك كتبت شعري! وأحمد الله وأشكره على ما خصني به من نعم! وعجباً للغربيين النصارى كيف يقدرون الجميل؟! يقول أيسوب: (عرفان الجميل شيمة الأرواح النبيلة). ويقول أنطون دو سانت: (لا تقلل الحسنة من شأن من يستفيد منها ، ولا تلزمه بروابط الشكر والامتنان بما أنها ليست مدفوعة من أجله ، وإنما من أجل الله للتقرب منه). ويقول بريان تريسي: (طوّر سلوك العرفان وقدم الشكر عن كل شيء يحدث لك ، علماً أن كل خطوة إلى الأمام تشكل خطوة باتجاه تحقيق شيء أكبر وأفضل مما أنت عليه حالياً). ويقول سوفو كليس: (عرفان الجميل دائماً ما ينتج عنه عرفان الجميل). ويقول ويليام آرثر وارد: (الشعور بالعرفان وعدم التعبير عنه كتغليب هدية وعدم تقديمها). وتقول كارمين سيلفا: (الصداقة المبنية على العرفان بالجميل فحسب كالصورة الفوتوغرافية التي تضحل مع الزمن). ويقول فرانسوا دو لا رشفوكو: (عرفان الكثيرين من الرجال ليس إلا رغبة سرية بتلقي المزيد من اللطف القيم فيما بعد). ويقول لقمان الحكيم: (اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك ، فإنه لا بقاء للنعمة إذا كفرت ، ولا زوال لها إذا شكرت). ويقول نيتشه: (العرفان جوهر كل فن رائع وعظيم). ويقول آر ثي بينديكت: (مديونية الإنسان ليست فضيلة ، وإنما السداد فضيلة. وتبدأ الفضيلة عندما يكرس نفسه بنشاط للعرفان بالجميل). ويقول شكسبير: (قد تنسى من شاركك الضحك ، لكن لا تنسى من شاركك البكاء). ويقول جون كينيدي: (بينما نعبّر عن عرفاننا ، علينا أن لا ننسى أن أقصى درجات التقدير لا تتمثل بنطق الكلام وإنما بتطبيقه). والله در من قال: (إن الاعتراف بالفضل خلق رفيع تعرفه النفوس الكريمة ، وتنكره الطبائع المتمردة اللئيمة ، فهو لونٌ بهيٍّ من ألوان الحياة الهانئة المستقرة ، من دونه ستنزل أيامنا ولياليها كلها سوداء قاتمة مكفهرة ، فلا مكان فيه للأخضر والأزرق والأحمر ، فالكل فيها شيء واحد ، لونه واحد ، وشكله واحد ، وطعمه واحد ، يتساوى فيه الأبيض والأسود ، والشجاع بالجبان ، والجواد بالبخل ، وبناء عليه فلا قيمة إذن للجمال ، ولا معنى حينئذ للجلال ، ولا فائدة في معرفة معادن الرجال! وهنا يحق لنا أن نتساءل: ما هو الاعتراف بالفضل وما هي منزلته؟! وكيف نرسّخه في سلوكياتنا اليومية؟ إن الاعتراف بالفضل هو الإقرار بفضل من يصدر منه الفضل دون جحود أو نسيان ، جحود يغمط الحق ، أو نسيان يستر الإحسان ، ويكون الاعتراف بالفضل قلباً وقالباً ، فهو أشبه بوردة سقيت بماء العيون ، وتفنن خادمها في العناية بها ، ثم أهداها لحبيب له ، فازدانت الوردة وتعطرت وتجملت أملاً في شكر جميل صاحب الصنائع! أيها الموفقون في الدنيا والآخرة كونوا وروداً ورياحيناً لمن ملأ قلوبكم وعقولكم ، ووقف معكم وأخذ بأيديكم زمن الأزمات والملمات التي كادت تعصف بكم وتقصم ظهوركم! كيف ننسى فضل من أحسن إلينا يوماً؟ إن الاعتراف يكون ثناء عاطراً باللسان ، وعرفاناً للجهود المبذولة بالجبان ، وحفظاً للجميل بالأركان على مدى الدهور والأزمان. الاعتراف بالفضل هو معرفة صاحب الفضل في الأولى والآخرة ، وهو المولى- تبارك وتعالى- فهو الممتن على الجميع ، مسلمهم وكافرهم بما أسدى من نعم ، وأولى من كرم ، فنعمه لا تعد ولا تحصى ، وكرمه لا يجحد ولا ينسى ، قال

سبحانه وتعالى: (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ). والله- سبحانه وتعالى- يدخل عباده الصالحين دار المُقامة ، ويسبغ عليهم من الخلد والكرامة ، وهذا تفضل منه وكرم ، فهو ذو الآلاء والنعم! والدليل ما قاله صاحب الفضل الجزيل: (تَمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ). والاعتراف بالفضل هو سمة رجال الآخرة ممن يرجون اليوم الموعود ، فهم – حقيقة – أهل المروءة والجدود ، بخلاف ما يقوم به أصدادهم من الأعراض والصدود ، وهم دعاة النكران والجحود ، من إنكار للنعمة ، وتناسٍ للفضل ، ألم يقل الله تعالى عنهم: (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا). وليس أشجع من أن يتنكر الإنسان لعطاء خالق الأكوان! ومن هنا ينبغي الاعتراف بفضل الآخر ، فبهذه السجية الكريمة عُرف الفضل بالمكانة الشامخة ونفاسة القيمة ، وفُهمت العلانق التي تجمع المتفضل والمتفضل عليه بالنوايا السليمة. مجتمع يترابط أفراده بالتعارف والتآخي والتعاون ، والتناصر في غير تباهٍ ولا تهاون ، مجتمع يعترف كل فرد فيه بقيمة الآخر ، وينزله منزلته ، فهو مجتمع مؤمن ، تعيش بين أعضائه العفة وتتربى فيه الفضيلة ، وتهرب منه الفحشاء وتموت عنده الرذيلة. فكيف لو اعترف بعضنا بفضل البعض الآخر ، ماذا يحدث؟! إنه سؤال وجيه ، ولا يطرحه إلا لبيبٍ نبية! فبالاعتراف بالفضل نقوم ونرتقي ، ومن دونه نقعد ونحني. بالاعتراف بالفضل يزيد العطاء ويكثر البذل ، وبالنكران تنكمش الأيدي ويسود الجفاء والعذل. بالاعتراف بالفضل للآخرين يسمو الإنسان إلى درجات الإحسان ، وكتوضيح مهم ، لأجل الفهم الملم ، فإن الاعتراف بالفضل يبدأ من شهود النعمة وذكرها ، ورؤية التقصير في حق شكرها فيستحي الإنسان من نفسه ويخجل ، فيعترف – أولاً – بنعم الله – عز وجل – التي لا حد لها ولا مد ، قال عز من قائل: (وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ). ثم يتجه العبد بعدها إلى شكر ربه - سبحانه وتعالى - بقلبه ولسانه وجوارحه ، ولا ريب فالرب هو المنعم الأول ، ثم يشكر بعد ذلك من يستحق الشكر من البشر ، إذ المؤمن الحقيقي لا تبطره النعمة ولا تطغيه ، بل هو عبد شكر من الطراز الأول ، ويهش ويبش لمن أسدوا له معروفاً ، ويحمد صنيعهم ما عاش في الدنيا ولهذا قال الله تبارك وتعالى: (ولا تنسوا الفضل بينكم) ، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم-: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله». بالاعتراف بالفضل يتشجع كل ذي فضل ، فيستمر عطاؤه ، ويزداد نماؤه وتتواصل بذلك حركة المتطوعين والمبدعين والمنتجين في حياتنا ، فالشكر لهم أعظم محرك ودافع ، وغمطهم حقهم قد يكون أكبر مثبط ومانع! وفي الآونة الأخيرة ظهر على الساحة أقوامٌ سذج في فكرهم وسوقة في تعاملهم ورعاع في منهجهم ، قد تنكروا لأولي الفضل الكرام وجحدوا مكانة السابقين الأعلام ، فناصبوا هؤلاء النخبة- جهلاً وغيره وحقداً – العداء ، ورمؤهم بمنجنيق الغدر ، فضاع بذلك عقد الوفاء ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المشتكى! فلنتأمل هذا الإرشاد النبوي إذ فيه مكافأة لأصحاب الصنائع على ما تقدم من إحسانهم فلقد روى النسائي وأبو داود عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من استعاد بالله فأعيدوه ، ومن سأل بالله أعطوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به ، فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه». وللاعتراف بالفضل أقسام: منها ما كان من العبد لربه ، وهذا أعظم الاعتراف بالفضل ، قال الله

تعالى: (ألم نجعل له عينين ولساناً وشفقتين وهدينا النجدين). وعلى العبد أن يملأ قلبه بشعور الشكر والامتنان ، ويكثر من الاعتراف بالفضل لصاحب الإحسان ، وذلك بالقلب والجوارح واللسان ، لما رواه مسلم عن عبد الله بن الزبير – رضي الله عنه - أنه كان يقول في دبر كل صلاة حين يُسلم: «لا إله إلا الله له الملك والحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» وقال: «كان يهتل بها رسول الله دبر كل صلاة». ومنها ما كان من العبد للعبد ، وهو على درجات بحسب درجة المتفضل عليك ، وقربه منك ، من ذلك فضل الوالدين على الولد عموماً ، وفضل الأم الرؤوم ، والقلب الحنون بصفة خاصة ، ولما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – الأسوة في الأقوال والأفعال والأحوال ، فله مواقف تدل على الاعتراف بالفضل ، وتحث الناس عليه ، نذكر منها – على سبيل المثال لا الحصر – ما كان في حق الزوجة ، ومنها ما كان في مقابلة الأصحاب ، بل وصل الأمر حتى مع الأعداء من الكفار. فقد اعترف النبي – بفضل زوجه خديجة بنت خويلد في حياتها ، وحتى بعد مماتها ، فكان يكثر من ذكرها وشكرها والاستغفار لها ، ويقول: إنها كانت وكانت ، وربما ذبح الشاة فقطعها ثم أرسلها في صدائق خديجة. ومن الأحاديث التي تدل على فضل خديجة بنت خويلد المثير ما رواه الطبراني في المعجم الكبير عن عائشة – رضي الله عنها - قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله فعرف استئذان خديجة ، فارتاع لذلك وقال: اللهم هالة ، قالت: فغرت ، وقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قريش ، حمراء الشدين ، قد هلكت في الدهر ، قد أبدلك الله خيراً منها ، فتمعر وجهه ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة فقال: ما أبدلني الله – عز وجل - خيراً منها ، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبتني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء ، فقالت عائشة: «والذي بعثك بالحق لا أذكرها إلا بخير». وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يحفظ الجميل لأصحابه ، ويعترف بالفضل لأهله ، إذ ثمن النبي – صلى الله عليه وسلم – جهد جميع أصحابه المهاجرين منهم والأنصار ، فقد روى أبو داود والنسائي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تسبوا أصحابي ، لا تسبوا أصحابي ، فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه). وبين أيدينا وثيقة حب نادرة فيها اعتراف نبوي بالفضل الكبير لأحد المهاجرين الكرام ، وشيخ الصحابة العظام أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – البطل الهمام! فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي الدرداء – رضي الله عنه - أنه قال: كنت جالساً عند النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم -: «أما صاحبكم فقد غامر» فسلم وقال يا رسول الله: إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي ، فأبى علي ، فأقبلت إليك ، فقال رسول الله: يغفر الله لك يا أبا بكر (ثلاثاً) ، ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا فأتى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فجعل وجه النبي يتمعر ، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه ، فقال يا رسول الله: إني كنت أظلم (مرتين) ، فقال رسول الله: إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟ قالها (مرتين) فما أودى بعدها. ومما يدل على اعترافه - صلى الله عليه وسلم - بفضل الأنصار ما قد رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن زيد بن عاصم المازني – رضي الله عنه - أنه لما أفاء الله

على رسوله يوم حنين ، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم في المؤلفة قلوبهم ، ولم يعط
للأنصار شيئاً! فكانهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار أم
أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، عالة فأغناكم الله بي ، كلما قال
شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن ، قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله! ثم قال: <ألا ترضون أن
يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي - صلى الله عليه وسلم - في رحالكم؟ لولا الهجرة
لكنت امراً من الأنصار ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلك وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار
شعار ، والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدي أثرة ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض>. فيما له
من كرم نبوي! ويا له من خطاب عاطفي! رسم فيه الرسول النبي - صلى الله عليه وسلم -
معالم المنهج في الاعتراف بأصحاب الفضل والكرم الجلي. ومما يدل على حفظه الجميل للكفار
ما رواه البخاري عن جبير بن مطعم بن عدي - رضي الله عنه - أنه قال: إن النبي - صلى الله
عليه وسلم - قال في أسارى بدر: < لو كان المُطعم بن عدي حياً ، ثم كلمني في هؤلاء النتنى
لتركتهم له>. وهذا الحديث يشير إلى اعتراف النبي - صلى الله عليه وسلم - بجميله لما أدخله
في جواره بعد أن رده أهل الطائف>.هـ. أعود لقوم يجعلون جزاء الإحسان الإساءة فأقول:

إن الجميل - لدى الأوباش - مُدجر	لأنهم - لمدى المعروف - ما قدروا
أعماهم الطمع المقبوح ، فانتكسوا	وبالتنكر - للمناقب - افتخروا
فما لهم همهم تسعى لمكرمة	وما لسعيهم - إن هم سَعَوْا - ثمر
ولا تراهم إذا عنيت مواجهة!	هم التخاذل ، إن غابوا وإن حضروا
يسمتعون إذا سادت بلهنية	دوماً ، وإن عاهدوا في جهرهم غدروا
والخلف ديدنهم - عمداً - إذا وعدوا	وإن تعددت الآيات والنذر
والكذب طابعهم - صدقاً - وإن نطقوا	لفظاً ، وإن خاصموا مؤحداً فجرؤوا
والغش درب لهم يفدون تربته	وبالمعاصي - أمام الخلق - قد جهروا
أما إذا أوتمنوا خانوا أمانتهم	وللعواقب - في الأمور - ما نظروا
إن استعان بهم مضيق ظلموا	وبالذي يرتجي جوارهم مكرؤوا
هم الغفاة ، وتغشى الأرض غفاتهم	وفي الوجوه الأسى والجهل والقتر
هم الغتاة ، وقد شط الغتوب بهم	والظلم طف ، وغمط الناس والبطر
هم القساة ، وخلق الله ما رحموا	والدار - من جورهم - تشقى وتستعر
هم الجفاة ، فلا عطف به عرفوا	والقلب - من قسوة الأوباش - ينفطر

فوق الجسوم ، فبئس الحجبُ والسُّتْرُ!
بئس الجلود! وبئس الشَّعر والوَبير!
مالُ الزكاة ، وإن حَجَّوا أو اعتمروا
وكل منتسب للعير مُحْتَقِر
هُمُ السقوطُ بدا ، واللؤمُ والدَّبر
وسالكُ دربهم يُودي به الغرر
وما لهم مبتدا - كلا - ولا خَبْر!
أما إذا شَبَعوا مِن الغنى بطروا
لأنهم لكتاب الله قد هجروا
وإن تلوها فما انصاعوا ولا اعتبروا
فهل تَحَرَّكهم - في الغفلة - البُشْرُ؟!
غالوا ، وإن غلطوا والله ما اعتذروا
وما لهم مِن لظى التشكيك مزدجر
والسافكون دماء الصَّيْدِ إن نفروا
والهادمون لَمَّا أسياذهم عمروا
وظالبُ الحق منهم سوف ينتحر
وجمعهم - لِسْنَا الأخلاق - مُفْتَقِر
وحشُدُهم - بسواد الجهل - مُشْتَهَر
وكيف يُسدي الهنا من ليس يبتشِرُ؟!
لذا دواؤهمُ الهنديَّة البُثْر
وكل وقتي وأموالي ، وما شكروا

هُمُ العُراة ، وإن أثوابهم برجت
هُمُ الحُفَاة ، وإن نعالهم لبست
هُمُ التَبَنُّل ، إن صلوا وإن بذلوا
هُمُ الأراذل ، لا يعطو بهم أحد
هُمُ السفولُ ، فلا شأن ولا شرف
هُمُ الضياعُ تمطى في مهالكه
هُمُ الوضيعون بين الناس أجمعهم
هُمُ الأذلة إن فقروا تعقبتهم
هُمُ الأَخْسَة - بالإيقاع - قد عُرفوا
لا يفقهون - من الآيات - موعظة
المُعرضون إذا صاح النذير بهم
المُفترون إذا قالوا ، وإن صامتوا
المُمترون وإن الشك قاتلهم
المُعتمدون بلا حقيق يُبرئهم
المُهدرون دمياً حقت خصانته
المُسقطون حقَّ الغير دون حيا
لا يرعون لدين - عز - أو خلق
لم يعلموا لنقول القوم قد علموا
لا يحملون بشاراتٍ ، فنغبتهم
لا يرفعون لواء السلم إن رتعوا
منحتهم ثقتي وجُبل تجربتي

وكنت أحتقر الإنسان يدخر!
وكنت بالخير - للأوباش - أبتدر
نفسى لأجبر كسراً ليس ينجبر
والببر ينفق ما إليه يفتقر
بنس المعارف والأهلون والزمير!
وكم تحملت ، والكريم يصطبر!
فخاب ظني ، وما قد كنت أفكر
وفي الشغاف لهم كم حيزت الدرر!
هو الأمانى زهت ، والسمع والبصر
وذات يوم - من العلياء - تنحدر
كيلا يزيل صياني الخسر والضرر
من المخاطر لو قد حل بي الخطر
نور المليك ، وبالإفلاس قد ظفروا
نعم الرفاق ، وهم كرامتي نحروا
وفي البرايا بهم كم كنت أفتخر!
وهم لخيرى ورب الناس ما نشروا
وفي البوادي ، وزيف كل ما ذكروا
بنس القبيلة والأحلاف والنفر!
من هولهن شغاف القلب تعصر
من بأسها عزمي الشهباء تحتضر
كلا ، وما نالني منهم ولا العشر
وغصب حقي أمر باسلاً عسير

وجئت لم أدخر شيئاً لنايبة
أعطيت ما خصني رب الأنام به
رغم الخصاصة كم آثرت ، ما بخلت
رغم افتقاري إلى الأموال جئت بها
ضحيت بالكل كي يرضى حثالتهم
فتحت قلبي وبيتي كي أقربهم
قربتهم أبتغي أهلاً أسود بهم
أدخلتهم في شغاف القلب مغتبطاً
وفي السويداء كم وقرت أكبرهم!
ولامني الناس أن هذي مبالغاة
وأشهر القوم - في وجهي - نصائحهم
وأعلموني بعقبى ما أمارسوه
لكنني كنت مأخوذاً بمن نبذوا
أوليتهم خاطري المتنازع ، أحسبهم
أحببتهم حب من يرجو مودتهم
وكنت أنشُر في فخر مناقبهم
بل شوّوها صورتى في كل حاضرة
وأفهموا الناس أنني من قبيلتهم
وقد أعانهم ما عشت من مكن
لم يبذلوا جهدهم في حل مُعضلة
ما خصني نصف ما أسديت من كرم
تذكروا حقي المغصوب من زمن

إن اعتـرافكم بالجـود مُعتبـر
فإنما النفس - بالتذكير - تزدجر
والعاقـل الفـذ - بالتاريخ - يذـكـر
عن العطاء ، ألا غالتكم الغيـر
لو كان تنفعكم - في الغفلة - السير
مستأنسين ، ولي - بين الوري - سقر
والدمع يلسعها ، كأنه الشرر
إذ لم يفارق حياض المقلـة النظر
فجله كدر ، من فوقه كدر
والجو من عفن التليق معتكر
وإن باطلكم - في اللحن - يستتر
وفي ثناياه وعظ بعضه عبـر
يحلو الحديث بها ، ويعذب السمر
ماذا يصدق - من قيل - وما يذر
فما لإفككم - في قلبه - أثر!
فجلها عجر تغول له بجر!
وليس ينفكم مهـل ولا حذر
وفوق رؤسكم تهاتت الدرر
أستم بشراً يأوي له البشر؟!
على الدروب ، فلا مأوى ولا وزر؟
أم أن أعينكم أودى بها العور؟

تذكروا جود من في الله أكرمكم
تذكروا - إن جهلتم - بعض منقبتني
عودوا إلى صفحات حبرها ألمي
عانيت وحدي ، وأنتم في ترفعكم
هيا اقرأوا ما مضى من عطب سيرتنا
أشقيت نفسي ، وأنتم في تنعمكم
لما تزر مقلتي - في ليلة - سنة
والعين تبصر ما تاتون من كـرب
إنني تمرست - في تاريخكم - دهشاً
خلانق الله من تلفيقكم برئت
إن الحقيقة - بين الناس - معذرة
تبدون للناس حقاً ناصعاً ألقاً
وتطرحون عبارات منمقة
يـحـار - في قولكم - من كان يشبهكم
والفذ يعرفكم في لحن نبرتكم
مهما صنعتم - من التزوير - ملحمة
ألا تحسون بالدمير يدهمكم
ألا ترون جميع الناس تهجركم
فكيف تحيون في ذل وفي غصص؟
ألا تحسون - بالدنيا - تبعثركم
ألا ترون كرام الناس تلفظكم؟

والدارُ تشهدُ ، والأحداثُ والحَجَرُ
وفي قريضي صَحَّ الخُبْرُ والخَبْرُ!
منها تطايرت الجمراتُ والسُّعْرُ
عند المليك ثوابُ الشِّعرِ مدخر
إن المليك - على نصري - لمقتدر
هدى ، وإنني - بكل الحب - مصطبر
ولستُ أعبأ إن قلوباً ، وإن كثروا
والمؤمنون إذا ما ذكروا ذكروا
تَعافُ من ذكرها الحميرُ والبقر
لأنهم كـابروا ، وخاطري قهروا
شِعراً تبايغُه السيوفُ والسُّمُرُ
والغاصبون الأخابوا الأخرى!
وإن هُزمتُ لِي الأَشْعارُ تنتصر
وطاب منه العطا والورْدُ والصَدْرُ
على العَرين يهيم الوَشْيُ والحَبْرُ
يد العدا وبالدناوة اشتهروا
كما يُنيرُ الدجى - في ليله - القمر
من بعد ما هدّه في كربهِ الضجر
هي الكرامة والإقدامُ والظفر
والزروُ والعشبُ والأشجارُ والزهر
تحيا به ولهياً ، كأنه المطر
يُطيل نثر الجوى ، وليس يختصر

إنني لأسأل ، والأيامُ تشهدُ لي
وأنسجُ الشِّعر ، أنوي فضح باظلمكم
نارٌ هو الشِّعر في دنيا تدسُّكم
أسطر - اليوم - ما قاسيتُ مُحْتسباً
جل المهيمُ من آوي لنصرته
كان ابتلاءً من الرحمن ذدتُ به
أواجه - اليوم - أوباشاً بليتُ بهم
إنني أذكركم أرجو مَثوبتهم
أتوا فعلاً - من الأخلاق - قد برئت
وحدي أقرعهم - دوماً - وأكبّتهم
وحدي ألقنهم درساً وموعظة
شِعراً يُعيد حقوقاً ظالماً غصبتُ
شِعراً يرد هجوَ العير منتصراً
شِعراً هو البحرُ يهدي الخير مبتسماً
شِعراً هو الليثُ لا تمسّ لبدته
شِعراً هو السيف يمحو بأس من رفعوا
شِعراً يُنيرُ دروباً ظالماً حلكتُ
شِعراً يُزيلُ الأسى من قلب مُبتئس
شِعراً يُرَجِّع لحنَ النصر أغنية
شِعراً به تزدهي الورودُ يانعة
شِعراً به الأرضُ تعطي كل زخرفها
شِعراً يُفصل ما لاقيتُ مُعترباً

حتى يَطِيبَ مساءَ الفرح ، والسهر
 بوخ القوافي ولحنٌ مطربٌ عطر
 تسعى تعضدها الألوخ والدسُر
 وليس - في لجج الأهواء - ينحصر
 تغنو البروج له ، والأنجم الزهر
 بين القريض ، كما في شعبة (عمر) !
 فيه تنوعت الألوان والصور
 فيه تعطرت الأبيات والفقر
 وذنبه - عند من يتلوهُ - مُغفَر
 والشعرُ بالعُري مَجَنُوز ومُنَدحر
 صيغت ، وبالعظم شعرُ العفّ مُوتزر!
 نعم الثواب! ونعم الفضل والأجر!
 ومَن يُناوئهُ فهو السهمُ والوتر
 والود - بالخسة الرعاء - منكسر
 إن المَحَجَّة - بالتدليل - تزدهر
 كما يجود - بأثمار له - الشجر
 وما استبد به - في المحنة - الخدر
 كفّ البرئ ، وأضنى عزمه الصبر
 عساه يوماً - على الأصقاع - ينتشر!
 وغاصبوه - على التوهين - قد فطروا
 إن زارني الشيب ، أو غالى بي العُمر

شِعراً يُبَدد نوماً كله شَجَنُ
 شِعراً هو الفل والريحان ، فاح به
 شِعراً سَفِينُ المضا - في البحر - مَرَكْبُه
 شِعراً طليقاً له الآفاقُ شاخصة
 شِعراً له فلكُ الجوزاء مملكة
 شِعراً يفيضُ ترانيماً ومعدلة
 شِعراً يشع بياناً من ترائبه
 شِعراً مقاطعه طابعت لطاعمها
 شِعراً هو الفصل ، لا هزلٌ يُخالطه
 شِعراً حشيمُ الروى ، لا عُري يَذخره
 شِعراً عباةته من لحم كاتبه
 شِعراً مثوبته - عند المليك - غداً
 شِعراً يُسامح من يسمو اليسارُ به
 شِعراً يُعالج كسرَ الود يجبرهُ
 شِعراً يُقيم - على الباغين - حفته
 شِعراً يجود بخير في سرائره
 شِعراً - على خوخة التفهيم - منفتح
 شِعراً هو الحيلة المثلى إذا عجزت
 شِعراً يُبين ما الأوباش قد فعلوا
 شِعراً يردّ اعتباراً بعد غيبته
 شِعراً أراه عزائي إصرَ نائبي

إن طالبت الرحلة العصماء والسفر
في قوم سوءٍ عتوا دهرًا ، وما طهروا
وأهله الصيّد لا عُزْبٍ ولا حَضْر
ما غاله بآلة يُزْري ولا سَكْر!
حُباً يتيه به النصيبُ والقدر
بما جنت عُصبة الأوباش والتتر
عن العطاء ، فما آووا وما نصروا!
فحبّذا النصُّ والموضوعُ والفكر!
ومن - على جُنتي - للعز قد عبّروا
والنصرُ أوشك ، والأقْدارُ تختبر
بئس الجُناة طغوا! ونعم محتضرا!
لأنني رجلٌ قد زارني الكبّر
ورفقة مالها - في خاطري - أثر
وليس - في الصحب - لي نفعٌ ولا وطر
أن ليس وازرة وزرَ أختها تزر!
وفوق قبري تراب الخذل قد نثروا!
ممن يُعدّد معروفِي ويفتكر
كأنني وقحّ ، أو أنهم عجر
وقبر تكرمتي - يا ويحهم - حفروا
ومن على ذلتي - في الخلق - يأتّم
سبحان ربك - للمظلوم - ينتصر
من ذا على نصرتي سواه يقتدر؟

شعراً هو المرفأ الأسمى لمركبتي
شعراً هو الظهر إمارمُتْ مطهرة
شعراً معينُ التقى والبر دولته
شعراً أفاقث - على التوحيد - ثورته
شعراً يُحب قضاء الله خالقه
شعراً يردّ جميل العف تبصرة
شعراً هو الصحبُ إن ضنّت معارفنا
شعراً شمانله تُقري مناقبه
وحدي أواجه - بالأشعار - من هزلوا
وحدي أجابهم ، والله يطفف بي
عقدٌ ونصف ، وهم نازّ تحرّقتي
ما عدتُ أحتملُ الإذلال يسحقني
صداقة مالها كبيرُ فائدة
وصحبة جدعتُ أنفي وأنف أبي
تقاسم الصحبُ ميراثي وقد علموا
وقد جعلتُ لهم غنماً ونافلة!
وقد أماتوا سنا ذكراي ، وانتقموا
وأوسعوا الاسم تشويهاً وتشفية
وأشبعوا الأهل تحقيقاً وتصفية
رباه أنت على من نالني بأذى
الله بيني إذن وبين من ظلموا
وحسبي الله ، إن الله مطلع

ونعم ربي وكليلاً ليس يُعجزه شئٌ ، تبارك - فوق العرش - مُقْتَدِر!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

الأوباش: مفردها وبُش وهم سفلة الناس وأخلاقهم. مندحر: ضائع مهذور غير مدرك. المعروف: كل فعل أو قول حسن. قدروا: علموا قدره وأدركوا قيمته. عنت: ظهرت. بلهنية: رغد العيش وسعته. ديدنهم: طبيعتهم. النذر: جمع نذير. طف: زاد. فجروا في الخصام: استمروا فيه طويلاً. تربته: ترابه. العواقب: مغبات الأمور ونهاياتها. مضيق: إنسان مظلوم مقهور. جوارهم: الدخول في حمايتهم وجناهم. غفاة: جمع غافٍ وهو الغافل. القتر: قتام الوجه. العناة: جمع عاتٍ وهو الظالم. العنوت: الظلم. غمط الناس: أكل حقوقهم بلا وجه حق للآكل. البطر: التعالي على الخلق أيضاً بغير الحق. ينفطر: يتوزع أشتاتاً. برجت: ظهرت. الجسوم: الأجسام. الأراذل: جمع رذل وهو الخسيس الوضيع الحقير من الناس وهو من لا يتورع عن إتيان النقائص والمعائب. العير: الحمير. اللؤم والدبر: كناية عن الخسة والدناوة. السفول: السفالة. الغرر: التعرض للتهلكة. البُشر: جمع بشرى أي بُشريات. الممترون: الشاكون المرتابون. مزدجر: أي رادع أو زاجر. الصيد: جمع أصيد وهو الشريف الأصيل من الناس. نفروا: فروا للقتال. حصانته: من الدم المحصون أي المصون الذي لا يهدر إلا بحق الله - عز وجل - . عمروا: شادوا. لا يرعون: لا ينصاعون. مفتقر: أي محتاج. نغبهم: نحسدهم الحسد المشروع والذي لا يوجد فيه تمنى الحاسد لزوال النعمة من المحسود. يُسدي: يعطي. الهندية البُثر: السيوف الماضية. نائبة: مصيبة. أبتدر: أبادر وأسرع. الخصاصة: الفقر الشديد. آثرت: فضلتُ جداً. البر: المحسنُ الخير الذي يبذل المعروف. يفتقر: يحتاج. حثالثهم: وُضعواهم. الزمر: جمع زمرة وهي الجماعة من الناس. الدرر: جمع دُرّة وهي الشئ الثمين الغالي النفيس. أسودُ بهم: أصير بينهم سيئاً كريماً. شغاف القلب: أي سويداء الفؤاد. صياني: كرامتي. عُقبى: خاتمة وجزاء ونهاية الشئ. الملتاع: المكروب الحزين. سنة: أول النوم أي إغفأة سريعة. مناقبهم: مزاياهم. معضلة: مشكلة. تحتضر: تشرف على الموت. غالتهم الغير: أي أَلَمَتْ بهم قوارع الدهر وريب المنون. يستتر: يختبئ ويختفي. الإفك: القول الكذب الصراح. العَجْر: ثنايا الجلد كناية عن التشويه. البَجْر: العيوب أو الأحزان والكروب التي أَلَمَتْ بصاحبها. الدرر: جمع دِرة وهي العصا. غصص: جمع غصّة وهي المرارة. لا وزر: لا مفر ولا مهرب. مثوبتهم: ثوابهم وأجرهم. تعاف: تتعاطم وتأنف وتتورع. أقرعهم: أعنفهم باللوم عل واحدا منهم يُصيخ لما أقول. السمُر: هي الرماح. الورد والصدر: أما الورد فهو الإشراف على الماء ، وأما الصدر فهو الرجوع عن مورد الماء بعد الشرب والسقيا. الحبر: جمع حبرة وهي العبادة الجميلة. حلكت: أظلمت. الظفر: النصر والفوز. تزدهي: تتجمل وتتزين. الجوى: أنين القلب وحزنه وهي كناية عن شدة الألم والأسى. شجن: حزن. تعضدها: تقويها. الألواح: ألواح الخشب التي في السفينة. الدسر: جمع دِसार وهو خيط من ليف تشد الألواح به. البروج: الكواكب. كما في شعبه عمر: أي مثل عمر بن الخطاب في رعيته. الفَقْر: جمع فِقرة وهي أحد فقارات الظهر. مؤتزر: مرتديا الإزار. أجر: جمع أجر وهو الجزاء. المحجة: الحجة. بالتدليل:

أي بإقامة الأدلة على قضية ما. خوخة: هي الكوة تؤدي الضوء إلى البيت ، أو هي الباب الصغير يكون في آخر أكبر منه. الصبر: هو الصبر المر وهو أشد الأنواع لأنه مشتق من الصبار. الأصقاع: جمع صقع وهو المكان الصغير من البلد أو المحلة. التوهين: الإضعاف من قيمة الشيء أو الإضعاف من جدوى المطالبة بشئ ما وهو من أخلاق أكلة حقوق الناس. المرفأ: الميناء الذي يطل على البحر ، وفيه مرسى السفن والعبارات والبواخر. بلة: جنون. يزري: أي يحقر الإنسان بين الناس. العف: العفيف. التتر: هم التتار. ضنت: بخلت. شمائله: محاسنه. الفكر: جمع فكرة. نعم محتضر: أي أنعم بمن أشرف على الموت ، ورغم ذلك يطالب بحقه ويدين الجناة والغاصبون. جدعت أنفي: أي قطعته مئلة وهو هنا كناية عن الذل بين الناس. وطر: حاجة ومطلب. تزر: تجزي. نافلة: واحدة الأنفال وهي الزيادة. عجر: هم رذالة الناس وسفهاؤهم ووضعواهم. وأعتقد أنني لم أسم أحداً منهم لتستوعب الكل!

الاعتراف العقيم

(نذلّ خسيس ظلّ يلبس عباءة الصديق ، ثم انكشف بعد نكران الجميل والمعروف. والأصل أنه مهما عاش إنسان في غير ثوبه ، وتكلم بلهجة غير لهجته ، ومارس أخلاقاً غير أخلاقه ، فإنه سرعان ما يعرف في زلة أو هنة أو لحن قول أو سقطة! ومن هنا كان هيتا علينا اكتشاف المنافقين الأراذل الذين يتصنعون ويدهنون! وهذا الرذيل واحد منهم ، وعند مواجهته بحقيقته اعترف بالخسة والدناوة في أقواله وأفعاله! وراح يبرر لنفسه ما قال وما فعل ، ويخلق المعاذير لما سلك من دروب التصنع والمداهنة! وكان الأحرى به أن يتوب إلى الله من صنيع المنافقين هذا ، وينأى بنفسه من أن يكون على شعبة من النفاق ، وكأنما تتلمذ على يد الملعون عبد الله بن أبي بن سلول! فأهديته هذه القصيدة أصف فيها شعوري بكل حيدةٍ وموضوعية!)

اعترف يا نذل ، أو لا تعترف
واعتراف الغر قد يُزري بنا
كم خُدعنا في خُدول مقرفٍ
والتمسنا فيه خِلاً مُخاصاً
لم نكن نعرف ماذا ينتوي؟
فتنة عمّت ، وشبّت نارها
كم بذلنا ، واحتسبنا بذلنا!
لم تكن آمنا الآمناء!
لم تكن آماننا آماله
أشمت الصرعى بما يهذي به
أشهر السيف ، يريد طعننا
كان بالأمس جباناً خانراً
لم يكن - للغر - مأوى ، أو قري
غرّه أننا كظمننا غيظنا
أيها الغر وداعياً إننا

نحن - في الدنيا - عشيرٌ مختلف
إنه - من كل قبج - يغيرف
وعلى المخدوع ينصب القرف!
وهو - في تيار غدر - منحرف
وكذا لم ندر ماذا يقترف؟
دون ذنب قد أصبنا أو جنف
واحتسابُ الجهد - في الأخرى - شرف
وبنا هذا الفتى لم يأتلف
وبهذا كان - دوماً - يعترف
وعن الأعداء لَمّا يختالف
فارسٌ - بالظلم - أمسى يلتحف
من خيال الظل - جهراً - يرتجف
فغدا يختال في شتى الغرف
وطوانا القهر من بعد الأسف
من حياة النذل - حتماً - ننصرف

إنهم إلا كالأنعام

(الإعراض عن العلم والتعلم يُفضي إلى الضياع ومخالفة أوامر الله! وهو أكبر وأعظم في جانب النساء ، وخاصة المتعلمات منهن للأسف! يقول الأستاذ حمدي شفيق في كتابه (شبهات حول المسلمات) ما نصه: (لقد أثارت حدة الحملات الرعب الشديد الذي عصف بالخصوم ؛ بسبب تزايد معدلات انتشار الإسلام في كل أنحاء العالم ، حتى في قلب أوروبا وأمريكا. ولأن معظم الذين يعتقدون الإسلام هم من النساء يحاول الحاقدون بكل قواهم تخويفهن من الدين الحنيف بنشر سيول من الأكاذيب والشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام. ولا يقتصر التطاول على الإعلام الغربي وحده ، إذ يسانداهم في ذلك فئة قليلة ضالة من العلمانيين والملحدون في بلادنا. وكل من جرّب التهاوؤ مع أحد من العلمانيين أو غير المسلمين يعلم جيداً أن من أخطر الشبهات التي يثيرونها تلك التي تزعم أن الإسلام ينتقص من حقوق المرأة ويجعلها مخلوقاً من الدرجة الثانية إلى آخر هذه الافتراءات. إن هناك من سقطوا في فخ التشكيك في بعض الأحاديث الشريفة أو تحريف معانيها لاستنباط نتائج تُرضى الغرب ، ظناً منهم أن تفرغ النص من محتواه كفيل بالقضاء على الشبهة وحل المشكلة وإرضاء الأسياد! وهناك من أصدروا فتاوى خطيرة تخالف نصوصاً قطعية في الكتاب والسنة! ومنهم رجل من العلماء - غفر الله له - أفتى بجواز إصدار تشريع من الحاكم يمنع تعدد الزوجات! وزعم أنه لا يمكن تربية أمة تفسد فيها ثقافة تعدد الزوجات! وكان صاحبنا يتوهم أن الأمة التي يُمكن تربيتها هي تلك التي يفسد فيها تعدد العشيقات أو الشواذ! وزعم آخر أن النقاب عادة فرعونية أو تركية ، ولا أصل له في الشرع! وتمادى ثالث في المجاملات على حساب دينه فأفتى بأن على المسلمة في الغرب أن تخلع حجابها امتثالاً لقوانين البلد الذي تعيش فيه! ولعل أبلغ ردّ على هؤلاء وأمثالهم أن نحيلهم إلى آراء بعض كبار المفكرين من غير المسلمين الذين حملتهم النزاهة الفكرية والأمانة العلمية على إنصاف التشريعات الإسلامية بشأن الحجاب وتعدد الزوجات والحقوق المالية وغيرها. ويكفي العلمانيين ومشايخ السلطة خزيًا أن فحولاً من علماء ومفكرين الغرب كانوا أكثر إنصافاً للإسلام منهم ، رغم أنهم لا يدينون به!). هـ. والفضل ما شهدت به الأعداء!)

الغواني يوزهن الفناء	ويعاني - من صدهن - البلاء
ولهن سئلت سيوف الخطايا	وبهن تمن ردا الأعداء
كم جالبن - بعريهن - البلايا!	فاحتوانا - بما جالبن - الشقاء
كم صنعن - بجهلهن - الرزايا!	ولهن - بين الورى - إغراء
كم هبطن إلى قعور الدنيا!	ولهن - في الهزل - طاب الثواء
كم رتعن - في حمأة التيه - دهرأ!	غرهن الإمهال والإملاء
كم خلعن جلباب كل حياء!	ما الغواني إذا تولى الحياء!؟
كم رمين وحى المليك احتقاراً	وامتثالاً لما يرى الخبثاء!

بمصير بَاءَ بِهِ الأشقياء!
وانعدام الأخلاق فيه الفناء
فكوتهن الفتنة الشعواء
كيف تحيا - وفق الهوى - حواء؟
ثم طالبت مسيرة كأداء!
بنس سعي هذا! وبنس الإماء!
ثم يشكو خرابهن الماء
وعليه تُردى الرشاد النساء
كيف نيل التشريع والأنبياء؟
داهمتنا الأوحال والفحشاء؟
بنس حال هذا! وبنس اعتداء!
ويدي - في نشر الهدى - بيضاء
كل عين - عن دعوتي - عمياء
كل أذن - عن صرختي - صماء
وبكيت لو كان يجدي البكاء
وتعثمت - أن لي - ما أشاء
وتداوى - بصيحتي - الأدواء!
ولهن - من الحياء - رداء
وكثير - منهن - الاستهزاء
هل يكون - في الهزاء - نعم جزاء؟!
تُهت فيه ، وانتابني الإعياء

كم زهذون في الشرع دون اعتبار
كم لفظن الأخلاق في كل شأن!
كم طرخن المنهاج خلف ظهور!
كم تبغن الأزياء من كل لون!
كم مشين - خلف اليهود - تباعاً
كم سعين - خلف النصارى - أيامي
القوارير تحتفي بي بالتردي
كيف أمسى الضلال درب رشاد؟
كيف غابت معالم الحق ردحاً؟
كيف ضاعت معالم الطهر حتى
كيف سادت شريعة الغاب هذي؟
كنت أهديت العلم سطرأً وصوتاً
فإذا بي ألقى صُوداً وصداً
وإذا بالإعراض يطوي بياني
فرجعت صدقاً بخفي خنين
وحزنت أني أضعت اجتهادي
قلت: علي أظنى بأجر جزيل
وأرى الغيد في احتشام رفيع
فإذا بي ألقى احتقاراً لفعلي
قد جعلن عقبى النصيحة هزءاً
كان درساً - والله - جدّ عظيم

والغواني - على الهوى - قابضات	ولهن - إلى التردى - انتماء
والتمسث عُذراً لهن وجيهاً	فرجعتُ وهمتي عجفاء
رُمْتُ شيناً ، والله خط سواه	قد هدانا ، وذلك نعم العطاء!
ليس يهدي الإنسان من كان يرجو	والمليءُ يهدي الذين يشاء
والنوايا عند الذي ليس يخفى	أي شئ عليه ، حتى الهباء!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

يستأسد: يأتي أفعال الأسود. البلهاء: جمع أبله. قوارع الكيد: كوارثه. البرحاء: المشقة الشديدة. يعافه: يأنف منه. الازدراء: الاحتقار. الهتافة: المهرجون. اللؤماء: جمع لنيم. الأضداد: المتناقضات. الأكفاء: جمع كفاء. يني: يكد ويتعب ، ومنه (ولا تنيا في ذكري). ينتوي: ينوي ويريد. الندماء: جمع نديم وهو ساقى الخمر. التجاعيد: التواءات الجلد. جيدها: عنقها. الشاء: جمع شاة. حليل: زوج. السبء: الأسر والسبي. رعناء: فيها رعونة وغلظ طبع. الماخور: الخمارة. القرناء: جمع قرين. مُهجتي: روعي. أكسير: أساس ودعامة. الهائمون: العاشقون ، والهيام هو شدة العشق والتوله. كأداء: عاتية. البغايا: بنات الليل. البغاء: الزنا. الغلواء: المبالغة. النافقاء: هو اليربوع الجبلي ، ومنه أخذ اسم النفاق. يفري العرى: أي يهدم الدعائم. تزيحني: أي تبعثني. الأعمال الدون: الدينئة القبيحة. خاست: أي تدنست واتسخت. ثكلى: من عدت عزيزا عليها. شبق: من يشتهي النساء. الغريم: المنافس على الحبيب أو العشيق الصفي. خلال: صفات كريمة. الغشاء: القوم الكثيرون لا خير فيهم ، والكلمة مأخوذة من غشاء السيل الذي هو زبد الماء. حنفاء: مسلمون يتبعون شريعة الله بدون ميل ولا انحراف. نذود: ندافع. كفلاء: جمع كفيل وهو المتولي شأن زيد أو عمر من الناس. التحري: التحقيق. جواك: حزنك وأنين قلبك. لاح: ظهر. يبتتر: يقطع. العضو العطب: أي المريض مرضاً لا يرجى برؤه. اكرثا: مبالاة. الهباء: رذاذ التراب الذي يرى سابحاً في شعاع الشمس.

وافق الاسم المسمى

كتبت هذه القصيدة هدية للأستاذ أحمد قيش ، بمناسبة صدور معجمه (الفيصل) والذي هو غريبة حذرة للقاموس المحيط والجاسوس على القاموس والمنجد والصاح ومتن اللغة والوسيط ، جعلت منه معجماً رصيناً هاماً ، له مكانته بين المعاجم القديمة والحديثة! وإنه لسبق كبير وإنجاز عظيم أن نرى معجماً يكاد يغنينا عن كثير من المعاجم! وإن معجماً بحجم (المعجم الفيصل) لجدير بأن يستغرق من صاحبه ربع قرن! ولجمال هذا المعجم - الذي لا يدرك مدى الجهد الذي بذل فيه إلا من ألف وكتب ورتب ونظم ونقد - أسأل الله أن يُثيبه عليه ، ويجزيه عن العرب والعربية خير الجزاء! كتبت قصيدتي على البحر المنسرح!

أبشُرُ بخير ، فضاءنا تُقري
من يجتبيها ، وفي الورى يُطري
أنت الذي تريح الغلا ذُحراً
فابذل رزقت التقى مع الأجر
إن المعاجم منه لَعَدْبُ
ونورها - في دروبنا - يسُري
وكل سيفر له مدى سام
وزبدة ترتقي ، وتستشُري
تبيدُ بأس الدجى ، وتستعلي
إن حل ضيفاً فعاجلاً تُقري
و(قبشُ) الضاد ساهراً يحمي
إن يخدم الضاد فالهُدى تبع
وليس يسأل في صدى المكر
لله المناقبُ ليس يُحصيها
والأمرُ في ذروة من اليسر
كم عاند الضاد من أعاديها!
غِرٌّ ، ولكن تراثها يُزري
كم شوّهتها شرانم حادت
وكم تجشمت العنا يفري!
حتى غدت من صنائع الحمقى
عن ساحة الحق في صدى يغري!
طالبت معاجمها قوى تردى
كسيرة القلب من نظى القهر
من شأنها ، إنه بها يدري
لَم الشئات ، وأعلم الدنيا
طراً بما للسان من قدر
لساننا الضاد ، والتقوى زاد
في اليسر نلغو بها ، وفي العسر

(غادة اليمن)

كتب الشاعر محمد حافظ إبراهيم قصيدته المشهورة (غادة اليابان). وهي قصيدة محبوبكة مسبوكة. أهداها الشاعر لفتاة يابانية أعجبته في تلبيتها نداء وطنها الذي تحبه ، وذلك برغم العز الذي كانت تعيش فيه بعيداً عن وطنها. وكانت قصيدة حافظ 18 بيتاً من بحر الرمل بدأها مثنياً على غادة اليابان المخلصة لوطنها بقوله متحدثاً بلسانها:

لا تلم كفي إذا السيف نبأ صخ مني العزم ، والدهر أبى

مرحباً بالخطب يبـلـوني إذا كانت العلياء فيـه السببـا

واستمر حافظ في مدح الفتاة وسلوكها الوطني متحدثاً على لسانها ، إلى أن ختم بقوله يحكي عنها مبيناً ما للوطن في قلب غادة اليابان من الحب:

أنا إن لم أحسن الرمي ، ولم تستطع كفايَ تقيب الطبا

أخدم الجرحى ، وأقضي حقهم وأواسي - في الوغى - من نكبا

هكذا (الميكاد) قد علمنا أن نرى الأوطان أما وأبا

ونالت قصيدة حافظ إعجاب الكثيرين. وتحت عنوان: (معركة بورآتور الخالدة) يقول الأستاذ عبد القادر القادري ما نصه: (ظهر القرن العشرون والشرق يغط في سبات عميق ، حيث جُل أقطاره وقتذاك ترزح تحت نير الاستعمار الأوربي الغاشم ، فيما عدا تركيا التي كانوا يلقبونها بالرجل المريض ، واليابان التي كانت منكمشة على نفسها. وفجأة نشبت الحرب في فبراير سنة 1904م بين روسيا القيصرية واليابان ، فتعاقبت أيام تلك الحرب سراعاً ، وحل اليوم الثامن من شهر يبرابر عام 1904م ، وإذا اليابانيون يضربون ضربتهم الحاسمة المباغته. فقد هاجم الأسطول الياباني بقيادة الأدميرال - هوجو - الأسطول الروسي المرابط أمناً مطمئناً في ميناء بورآتور الواقعة في شرق آسيا. وفي اليوم التالي نزلت فرقة يابانية إلى ميناء - شيلفو - عاصمة كوريا في ذلك الوقت. ولم يخطر ببال القيادة الروسية أن اليابان غيرت خططها الحربية - المعروفة للروس - بمثل هذه السرعة. ولهذا مضت القيادة العليا الروسية في تنفيذ خطط الدفاع والهجوم على نطاق واسع فكانت النتيجة أن جيوش القيصر مُنبت بانحدار ساحق! فتراجعت تلوذ بالفرار عبر الأراضي الكورية ، وفي نفس الوقت كانت تدور بين الأسطول الروسي والياباني معركة بحرية هائلة ، كان لها أثر جلي في نتيجة الحرب الروسية اليابانية التي وقعت في يبرابر سنة 1904م ، ذلك أنه لم تمض ثلاثة أيام على هجوم الأسطول الياباني على الأسطول الروسي المرابط بميناء بورآتور ، حتى سحقت أكثر القطع الروسية ، وما بقي منها فر والتجأ إلى جزيرة سكالين التابعة لروسيا. وبعد هذه المعركة البحرية الفاصلة في تاريخ الشعب الياباني ، استطاع هذا الشعب العظيم - بقيادة اميراطوره - في غضون سنوات قليلة ، أن ينهض نهضة سريعة ، فيصبح في مصاف الدول الراقية ، ولولا القنبلة الذرية الأمريكية التي ألقيت عليه سنة 1945م لما استطاعت أمريكا وروسيا وفرنسا وانجلترا معاً قهر اليابان. ومما هو جدير بالملاحظة ، أن روسيا السوفيتية لم تتجاسر في

الحرب العالمية الثانية على شن الحرب على اليابان ، إلا بعد إلقاء الأمريكان القنبلة الذرية على هيروشيما في سنة 1945 م ، وطلب اليابان الصلح بدون قيد ولا شرط ، حيث وجدت روسيا الفرصة سانحة إذ ذاك لتأخذ بثأرها من اليابان التي هزمتها في فبراير سنة 1904م ، ولتغسل العار الذي لحقها في معركة بورآتور ، ومع ذلك فيعتبر المعلقون الحربيون معركة بورآتور من المعارك الفاصلة في تاريخ الشعوب. وقد أشاد الشاعر حافظ إبراهيم بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها وبين روسيا سنة 1904م ، فقال فيها قصيدة له دعاها "غادة اليابان" ضمنها غرامه بغادة يابانية! حقاً إن معركة بورآتور أنهضت الشرق فهز الغرب ، ومحت خرافة أن قوة الغرب قوة لا تقهر).هـ. وتحت عنوان: (حافظ إبراهيم والقصة الشعرية) يقول الدكتور جابر قميحة ما نصه: (والقصيدة ذات هدف وطني واضح ، وقد ساقها الشاعر - كما قال - لأمته لتأخذ منها درساً وعبرة ، في وقت كانت أحوج ما تكون فيه للجد والعمل والكفاح ، وسواعد الشعب شبيهاً وشباناً ، فتيناً وفتيات. و"غادة اليابان" تذكرنا بقصة "فتاة الجبل الأسود" لخليل مطران ، ولا نستبعد أن يكون "حافظ" متأثراً فيها بمطران في الموضوع والتناول ، مع اختلاف في التفاصيل وبعض المواقف ، وإن كان مطران أبعد من حافظ خيالاً ، وأعمق فكراً ، وأدق تصويراً. على أن "فتاة الجبل الأسود" تمثل قصة استوفت كل عناصرها ، وخصوصاً "العقدة" التي تكونت بتصاعد المواقف وتأزمها ، وانتهت بحل طبيعي لا افتعال فيه. في حين تبقى "غادة اليابان" أقرب إلى "القصيدة القصصية" منها إلى "القصة الشعرية" وإن كانت - في نظرنا - أرقى ما نظمه حافظ من شعره القصصي.....وعوداً على بدء نقول إن "حافظ إبراهيم" قد منح العربية عطاء ضخماً بشعره الوطني القومي ، وشعره الاجتماعي ، ووجدانياته في الرثاء بصفة خاصة ، ولا يعيبه أن لا ينظم "القصة الشعرية" بأبعادها وملامحها الفنية الدقيقة ، فالشاعر - أيّاً كانت مكانته وبراعته الشعرية - غير مطالب - ضربة لازب - أن ينظم في كل الأغراض الشعرية ، أو يكون كل إبداعه الشعري في الأغراض المختلفة على قدم المساواة في القوة والبراعة والإتقان).هـ. شكر الله تعالى للدكتور جابر قميحة هذا التحليل العميق الطيب المبارك! والحقيقة أنني كنتُ عام 1414هـ - 1994م حاجباً ، وتعودتُ أن أتجول حول الحرم بين الصلوات: أبحثُ عن صاحب من هنا أو من هناك ، أو أقارن بين ماضي مكة حيث حراء وأحوال دار الأرقم والمستضعفين من المسلمين في مكة ، مقارناً صراع الحق والباطل ، وبين الحال اليوم. وكان معي رفيقان من أهل فلسطين (غسان وماهر) ووقفنا سوياً نتناول كأساً من الشاي المعطر بالقرنفل قد أعدته فتاة يمنية تسمى (رضوى). وهذه الفتاة لم تتجاوز السنوات العشر ، وقد أحضرتُ أنبوب غاز صغيرة وموقداً وبراداً أو غلاية شاي ودلة تحضر فيها الشاي وتصبه بعد ذلك في الأكواب لمن يشترى. وكان من نصيبي أن أسألها مجموعة من الأسئلة التي كان من بينها: لم لا يقوم أبوك بهذا الدور بدلاً من سعيك بين العامة والدهماء؟ فكانت الدموع هي الجواب! فأشفقتُ عليها ، وأخذتني الرقة ورحتُ أبدي إعجابي بورشة العمل المتواضعة النظيفة التي اعتادت أن تعد الشاي والفطير فيها هناك في نفق الملك عبد العزيز. وأخذتُ أعاود أسئلتني ، فعلمتُ أنها تلميذة من أسرة في غاية الفقر ، فلها خمس أخوات وأربعة إخوة مات أبوهم الذي كان يعمل سائقاً لسيارة أجرة في حادث فظيع أودى بحياته وبسيارته. وكان من قدر (رضوى) أن تدرس وتعمل في آن واحد ، لتكفي حاجات هذه الأسرة المنكوبة الحزينة. وصيرتها بقولي: لا بأس يا بنية فلقد عاش نبينا - صلى الله عليه وسلم - يتيماً ، فكان أسعد يتيم سعدتُ به الدنيا والخلانق أجمعين! فلا تحزني يا بنية. ورحتُ

أزيدها في الريالات ، فأصرت على أنها لن تقبل مني إلا ريالاً واحداً هو قيمة الشاي والفطيرة. فلما أن قلت لها سوف لن ترد هذه الريالات أبداً وحلفت لها فقبلتها! فقلت في نفسي: إن عادة اليمن أولى من عادة اليابان بملايين المرات أن تكتب فيها مئات الأبيات. وأنا وإن لم أبلغ مستوى حافظ (والحكم للتاريخ وللنقاد) فيبقى لي شرف المحاولة. فرُحْتُ أسطر (عادة اليمن) ، ولكن بعد عودتي إلى دار غربتي ببعض الوقت. ولا تكاد تفارقني عادة اليمن بكدها ونشاطها وتفانيها وإخلاصها! وصورتها نصب عيني بمُحياها المُشرق ووجهها السمرأوي الباسم ، فلها مني التحية والتقدير! وهي أفضل بكثير من عادة اليابان! فغادتنا اليمينية مسلمة موحدة ، وسعيها على أسرتها واجتهادها في تحصيل الرزق بما أنها كبيرة إخوتها وأخواتها يجعلني أشفق عليها في هذه السن المُبكرة! وبرغم أنني كتبتُ فيها ما يجاوز المائتين من الأبيات على البحر الخفيف ، إلا أنني أشعر أنني ما وفيتها حقها من التقدير والاحترام! سترها الله في الدنيا والآخرة ، وحفظها وأدام عليها طاعته ، ووقاها معصيته وسدّد على الخير خطاها!

صَحَّ ظَنِّي ورؤيتي ومرامي	لا تذق شعري نبرة اللوام
طيبات الأخلاق والإنعام	عادة هذي اليتم أضفى عليها
فاق - في الحُسن الغضّ - بدر تمام	هي نور - فوق البسيطة - يسعى
ويُعاني من قسوة الأرحام	هي طهر في عالم يتردى
من جفاء الأخوال والأعمام	هي تكلّى ، أمسّت ثقاسي جراحاً
فنراه عُوداً بلا أكمام	هي نبت يجني الصراغ عليه
فيساوي الإنجاز بالإقدام	هي إقدام يأسر اللب قسراً
كم عجبث من بأسه المُتسامي!	هي عز يطغى الهوان عليه
لم يذوقوا حلاوة الإكرام	وشموخ يهدي الكرامة قوماً
قد تناعى في قمة الأعظام	واباء - في عزه - لا يُبارى
تلك ليست من عالم الأيتام	وتحد - للعائدات - تسامى
لا تبين في محنةٍ وخصام!	في خلّي النسا تُنشأ هذي
أو تباع - في السوق - بيع سُوام	لا يليق بأن تزاجم فحلاً
بين صقر يلهو بها ، ورهام	تتهادى في خفيةٍ ودلال
أهلها في شوق ونار أوام	والعيون - على الفتاة - سيهاّم

أو أطاعت تجالبت بسُخام
قلبُ هذا قطنٌ ، وذا من رُخام
وفؤادٌ كم ضاق بالأختام!
قلبُها - في العفافِ - كالصمصام
وأراه من أغلظِ الأقسام
ولهادِيانِ البرايا الحامي!
فلسوف يُبالي بمسوتِ زوام
ليس قسط كدرة الغمام
سيف (رضوى) بوركت من مجدام!
ويرد - للطيبين - التسامي
إن (رضوى) قد اقتدت بأدام
ثم راحت تجيدُ حصدَ الهام
لا تكوني خصمي مع اللوام
كيف أحيا فريسة الأوهام؟
يبعث الحزن في الفؤاد الدامي
وصِماتٌ يجتاح كل ملام
كم عقاب يكون باستفهام!
إفكُ عاص يؤذي ، ورَمِيّة رام
والعدا من خلفي ، ومن قدامي
وجوادي أمسى بغير لجام
وبقايا الأصفاد في الأقدام
والقيودُ - خابت - تدقّ عظامي

إن عصمتهم عَضُوا الأنامل غيظاً
والقلوبُ في الحس لا تتساوى
وفؤادٌ تقواه زادت وفاضت
فاعلموا يا أوباشُ قيمة (رضوى)
كنت أقسمتُ ، والمليكُ شهيدي
أن (رضوى) حقاً حصانُ رزانٍ
من يُبيتُ سوءاً وظلماً - (رضوى)
حملت للمحتال - غدرًا - حساماً
يغسل العارَ دون خوف البرايا
ويعيدُ حقاً تناعى بعيداً
في يدِ سيفٍ ، ثم في النفس عزمٌ
وكروبٌ - مثل السيوف - استشاطت
إيه (رضوى) ، خففي اللوم ، رقي
لُمت حتى تعقب القلبَ وهمٌ
دمعك الحاني في فؤادي جهيرٌ
عبراتُ أمضى - من اللوم - أخذاً
إن سُؤلي لغيرتي وانشغالي
كم لقيتُ - في العيش - مُرّ بلاءٍ
واغترابٌ يكوي الشموخ مريزٌ
وانطراحٌ - فوق الرمال - وحيداً
في يدي الأغلالُ تكبحُ عزي
كيف أسعى؟ بل كيف أصنعُ فجري؟

كل يوم يرجو بلوغ السام
كم تعاني تكالب الأثام!
واكتتابٌ يُفني العرى بسهام
واحتمالٌ أهديته استسلامي
وهو يهوى قطيعتي وخصامي
قد يراني في سيئ الأحلام
يتمطى في حُلّة الإجرام
سار فيها مسيرة الأنعام
نكره يُردي مُهجتي بسقام
باع ودي ، يا خيبة النمام!
لم يُحققْ لو بعض حفظ نمام
ومصابي أبكيه بالمرسام
واهتمامي بنسجه وغرامي
كي تربي عن رجس الخطايا صيامي!
أنت مثلي على مدى الأيام
وترين الأحزان خيرَ طعام
يصطفينا من شدة الأضام
وترين النمرورَ بعضَ يمام
وترين (الكذاب) كـ (ابن سلام)!
وترين الأعرابَ كالأعجام
وهو عاتٍ في سورة الضرغام

وشعوري في الغل أمسى أسيراً
وأحاسيسي في انكسار رهيب
وابتناسٌ منه المشاعرُ كَلَمى
واصطبارٌ خفت الركونَ إليه
وعشيرةٌ تكلف القربَ مني
وصديقٌ عنه الصداقة ولت
ورفيقٌ: الخذل ثوبٌ عليه
وشقيقٌ رأى التجني سبيلاً
وقريبٌ أمسى عدواً لدوداً
وزميلٌ عينٌ عليّ ، وسيفٌ
وحميمٌ باع الإخاءَ زهيداً
إنني - في هذي المتاهة - وحدي
يعرفُ الشِعْرُ حُرقتي وعذابي
وادرسي إن شئتِ القريضَ ملياً
إيه يا (رضوى) ، كفاكِ عتاباً
تمضُغين الأشجانَ دون اكتراثٍ
وترين الدنيا بقلب رحيم
وترين الأوباشَ أطيّبَ قوم
وترين (أميمة) كـ (سجاح)!
وترين الأمورَ تمضي اتفاقاً
وترين الإنسانَ برأ عطوفاً

وهو - عند الضلال - كالأكام
وترين الذوبان بعض حَمَام!
بجهود للمحسنين الكرام
ويلاقي من ينبري ويحامي
وترين تعفف الأقسام
هل ترين التصريح غير لزام؟
بين صيد وآخرين طغام؟!
من هوان مستقدر هدام؟
يعتليها - في الدار - كل همام؟
وتلاحجني الولاية والخكام؟
عبدوا جهراً ظلالة الدرهم؟
لا يصاغ الإذلال بالأرقام!
كل جرح أودى بكل دعاء
ويُعاني الفؤاد بعض ضرام
بقصيد ما فيه أي هيام
لم أعرض بوجنة ، أو قوام
لم أهتم في رضاها ، والوشام
مستفيداً من نفحة (العوام)
مثلما قد باهى (أبو تمام)!
لم أداعبك (عروة بن جزام)!
وضميري أضناه جمر السجام
وبكاء العينين بعض اعتصامي

وترين الدينار شيئاً يسيراً
وترين الخيرات تعرو قرانا
وترين الإحسان فينا مُصاناً
وترين المعروف يغشى النوايا
وترين - في الناس - كل جميل
أنت أين؟ وأين نحن؟ أجيبني!
أولست تحيين بين البرايا!
أولست ترين ما نحن فيه
أولست ترين بأس الخطايا
أولست ترين قهر اليتامي
أولست ترين قومك صرعى
أولست ترين ذل اليتامي
أنا إن سطرقت القصيد أدوي
إيه يا (رضوى) قد سكنت ضميري
إنني قد حييت فيك حياءً
لم أشبب بطفلة أشتهبها
لم أغازل صبية بابتذال
بل نقشت بريشتي وقريضي
وأباهي بغادة أعجبني
وقصيدي - بالحب في الله - شاد
مذ رأيت رضوى وعيني دموع
عين جودي ، فما عن الدمع صبر

كيف تهنا - عين جفت - بمنام؟
فاغتمت البكاء خير اغتنام
وابتناساً خل الدموع ، ونامي!
وأنا - في ودادها - متسامي
وشذاها مُستعذب الأنعام
رغم بُعد في ملتقى وأسام
وتراها ذخراً مدى الأيام
ولها مجدٌ شامخ بسنام
وهي تزهو بسعيها المقدام
يحتويها - في الناس - بعض زحام
وإذا نليت كالت بحدّ حسام
ما يلاحى ترنيمّة النظام
سبقت هذي ضفوة الأعوام
فيصل بين الغمز والإعجام
عاطر الذكرى لخير نظام
كل وقع مُستظرفٍ مبسام
باتنادٍ في منزر الإحرام
وقريضي وافى بشهر حرام
كان يتلو من سورة (الأنعام)
تلك أحلى طعاماً من الدمدم
وفئام كم رحت بفئام!

وجفاء العينين يُردي ارتياحي
كم لمست - في الدمع - غمماً ويُسرّاً!
عين إمانهت - بالدمع - حزناً
إن (رضوى) في عُمر بنتي ، وأدنى
حبها يسبي كل قلب رؤوف
ليس عندي بنت ، وهذا نصيبي
غادة (صنعا) تزدهي بحلاها
غادة تُهدي النفس حب السجايا
غادة تشتري العيون صداها
غادة - في هذي الجزيرة - حيرى
غادة ليست تعرف اليأس درباً
غادة فيها من أصل المعالي
غادة والأعوام تزكي حلاها
غادة فيها قد تجلى غموض
غادة شعري يستقي من سناها
و(الخفيف) الفينان يُضفي عليها
ويراعي أهدي التصاوير صدقاً
طاف حول البيت العتيق شعوري
كان يسعى - عند الصفا - دون كليل
(زمزم) دفت عندما اشرفت منها
وحوالي بيت المليك جُموع

ذِي الْجَلالِ وَالْعِزِّ وَالْإِكْرَامِ
فَخِرُّ (صَنَعًا) وَ(مَكَّةً) وَ(الشَّامَ)!
وَأَرَاهَا قَدْ فَاقَتْ (البَسَامِي)!
لَمْ تَطْلُنْ فِي الإِقْدَامِ وَالْإِحْجَامِ
ثُمَّ جَالَتْ تَحِيزَ بِالصَّمَامِ
فَاسْتَمَاتَتْ كَالأَسَدِ فِي الأَجَامِ
لَيْسَ خَيْرٌ يَأْتِي بِهِ النُّوَامِ
وَابْتَلَاهَا - صَدَقًا - بِجَيْشِ لِهَامِ
مَسْتَجِيبًا لِلوَاحِدِ العَمَامِ
فِي سِرَابِ مُبْطِنِ البَاخِيَامِ
قَدْ تَسَاوَتْ فِي الدُّونِ بِالإِعْدَامِ
وَمُحَالٌّ أَنْ يَنْعَمُوا بِمَنَامِ
لَمْ يَذُوقُوا حَالَةَ الأَدَامِ
ثُمَّ لاذَتْ بِنَيْبَةِ بَقِطَامِ
وَحَيَاةٍ قَدْ لَطَخَتْ بِسُخَامِ
كَقُبُورٍ قَدْ سُئِنَتْ بِرِجَامِ
مَزَقْتَهَا بِقَطَاعِ وَأَزَامِ
وَخِيُولُ الدُّنْيَا أَتَتْ بِرُعَامِ
وظُرُوفٌ شَادَتْ ذُرَى الأَطَامِ
وَغَوِيٌّ يَأْوِي إِلَى النُّجَامِ
هَلْ تَسَاوَى - قَل - حَنْظَلٌ بِجُرَامِ?
أَفَحَمَّنِي ذِي أَيْمَانِ إِفْحَامِ!

وَحَجَجْتُ ، وَالْأَجْرُ عِنْدَ إلهِي
إِيهِ (رَضَوِي) ، أَسْتَوِدِعُ اللهَ (رَضَوِي)
تَلَّكَ فَاقَتْ - فِي زَهْدِهَا - كُلَّ حِي
لَمْ تُعَوِّدْ - عَلَى التَّسْوُولِ - كَفَاءً
حَمَلْتُ لِلْفَقْرِ الحِرَابَ ، وَصَالَتْ
نَاضِلَتْ فِي قَوْمِ تَحَدَّوْا صِبَاهَا
كَافَحْتِ لَمَّا تَغْتَنِي بِنِعَاسِ
وَأَبُوهُمَا أَلْقَى السَّلَامَ عَلَيْهَا
ثُمَّ وَأَلَى - عَنِ الحَيَاةِ - بَعِيدًا
تَارِكًا (رَضَوِي) وَالْأَشْقَاءَ غُزْلًا
عِيشَةً لَا يَسْعَى إِلَيْهَا لَبِيبٌ
لَمْ يَذُوقُوا طَعْمَ النِّعَمِ بِتَاتَا
لَمْ يُحَسِّنُوا يَوْمًا بَعْدَ شِرَابِ
سَبْعَةَ جَاعُوا ، فَالطَّوِي يَحْتَوِيهِمْ
خَلَفَ الكَلَّ فِي شِقَاةٍ وَبِوَسِ
أَسْرَةٍ قَدْ شَدَّتْ عَلَيْهَا خِيَامُ
أَرْجَحْتَهَا الحَيَاةَ: شَرْقًا وَغَرْبًا
طَحَنْتَهَا سَنَابِكُ العُمُرِ جَبْرًا
رُبَّ بَنَرٍ قَدْ عَطَلْتَهَا ظُرُوفًا!
مَا اسْتَوَى عَبْدٌ بِالتَّقَى يَتَحَالَى
صَاحٍ فَكَّرَ فِي ذَا التَّنَاقُضِ ، وَاعْقَلَنَ
عِنْدَمَا قَدْ سَاءَلْتُ أَيْنَ أَبُوكِ؟

فأق حُسناً فرائدَ (الخيام)
وتهاوت قواعد الأهرام
ليس فيه من راحةٍ ، أو نيام
يوم غارت إقبالة القوام
مستبيناً ، ما فيه من إبهام
وجواهر الحاجرة الأجسام
من يجودُ بالمال والإطعام؟
ثم - عند المولى - جنى الإمام؟!
من يجير الهلكى سوى العلام؟
زوجة ، أو رعاية الأيتام!
لا يُعاني التلويحَ أي غلام
وقصيدٌ يُودي بكل همام
تستجيشُ الآهاتِ في الرسام
مترعات الأوزار والآلام
عن قريضي الملتاع كل لثام
فاجأتنا بالجرح شرّ ختام
شاخصاً ، حتى عابني استخدامي
قد علت في السحّ غيث غمام
وأحالت عواطف لخطام
لم أدع من روم ولا إشمام
واجتنيث تفكك الإدغام

كان صمتُ الفتاة أبلغ ردٍ
فأبوها قضى ، وباتوا يتامى
موته قد خط الدروب لعيش
فاليتمامى والأم كل صريع
ومصيرُ الأولاد يطفح ذلاً
والقلوب انداحت تلوك أساها
من يواسي؟ ومن يعول اليتامى؟
من يُلمّ بأمرهم ، ويُوفي!
أسرة - بالله الرحيم - استجارت
وأمام الأم الخيام ، فإما
فاستقرت على الأيومة حتى
قصة تستعصي على كل شهم
لوحة بالألوان من كل فن
والمّت رتوشها بشجون
صاح هذي حكاية اليتم شجّت
بدأت بالأحزان واليتم حتى
كلما استخدمت الخيال تآبى
لا تلمني إذا رأيت دموعي
حبكة المأساة الرعيبة طمّت
إنني ضمنت الحقيقة شعري
ودمجت شعري بأنات (رضوى)

وجعلتُ من القصيدة حكماً
شاب حزني ، والشعرُ أمسى شاباً
لم تزل أبيات القصيد جنودي
دمُ جرحي أمسى مُراقباً بشعري
ذكرتني (رضوى) بأختٍ تناءت
إيه (رضوى) تشجعي ، واستمري
من تعامى عن كل حق ، وحاكى
وتمادى في الغي ينشد طوقاً
صرفته عن حقل الغيد حتى
وقضى العُمَرَ خلف (ليلى ولبنى)
فنهاز في الجري خلف البغايا
لم يكن مجبوراً على فعل شيء
إنما قد خط الدروب النصارى
واليهود الأوباش مَدّوا شِباكاً
كم شباب في عُهره قد تردى!
كم شباب زلاته ليس تُحصى!
يدعون الإسلام دون التزام
يقطعون الأميال شرقاً وغرباً
تاركين النور المبين مكثاً
هاجرين الحلال خلف ظهور
يشربون الخمر في كل ملهى
يرفعون شعار أهل المخازي

دون نقص فيه ، ولا إبرام
وكروبي قد آذنت بثغام
وأراها من أنبل الخدام
كدماءٍ في آلة الحجام
إن (رضوى) كأختنا (إكرام)!
لا عليك من عابدي الأزام
رغم علم مرثية (البلعام)
لنجاة مشوبة الأرام
مرغ المحيا في دجى الأصنام
ثم أضحى ضحية الأفلام
ومبيت في متعة ومُدام
إن عذراً يُنال بالإرغام
تبعوا في التضليل كل نهام
فاستكانوا لإمرة الحاخام
لست أدري كثافة الأرقام
أصبحوا بالعصيان مثل رُكام
ويعيشون في رهيب فصام
من فيافي (ضبا) إلى (الدمام)!
باحثين عن ثرّهات الظلام
لاهثين وراء كل حرام
ويحهم من مستهترين ندام!
فوقهم - في الساحات - كالأعلام

بُعِدُوا مِنْ مُسْتَهْتَرِينَ لِنَام!
بَلْ لَهُمْ - فِي الْحَانَات - شَرُّ مَقَام!
مِنْ بَلَا الْمَوْلَى مَا لَهُمْ مِنْ صِيَام
فِي مَذَاق - كَلَا - وَبَيْنَ الشِّدَام!
فِي اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَ(ابْنِ حِزَام)!
لَيْسَ مِنْ ثَغْرِ - فِي الْعِنَا - بِسَام
كَمْ نَعَانِي مِنْهَا عَتَىٰ اخْتِصَام!
وَأَرَى - قَطْعًا - لَيْسَ يُجِدِي التَّعَامِي
سُفْهَاءَ الْأَلْبَابِ وَالْأَحْسَام
وَتُرِيهِ الْأَنْوَارَ كَالْإِظْلَام
بَاتَ فِيهَا الشُّبَابُ كَالْأَغْنَام
كَشُورًا مِمَّا فِيهِ أَيَّام
ثُمَّ بَاتَ الْأَسَادُ كَالْأَقْرَام
مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ هَبَّةٍ ، أَوْ قِيَام
وَكَذَا كَمْ قَدْ حَارَ مِنْ أَفْهَام!
وَأَصَابُوا - فِي مَقْتَل - بِجُذَام
فَأَصَابُوا - فِي دِينِهِمْ - بِأَنْهَام
أَعْظَمُ وَهُمْ نَهْيَةَ الْإِعْظَام
ثُمَّ عَاشُوا وَأَنْفَهُمْ فِي الرِّغَام
وَلَهَذَا تَقَلَّبُوا فِي الْحَرَام
وَحِبَالُ التَّقْوَىٰ بَدَتْ فِي أَنْصَرَام

خَبِيثُوا ، وَاللَّوْمُ الْمَشِينُ طَوَاهِم!
مَا لَهُمْ - فِي الْبَيْتِ الْعَتِيقِ - مَقَام
بَرَأُوا مِنْ كُلِّ صِيَامٍ لِأَمْن
لَا يَرُونَ - بَيْنَ الْحَالَوَى - فَرُوقًا
لَمْ يَرُوا - خَابُوا - بَيْنَ (عُتْبَةَ) فَرَقًا
فَتْنَةٌ لَا تَلْقَىٰ بِهَا مَحْبُورًا
فَتْنَةٌ عَمَّتْ فِي الدِّيَارِ ، وَطَمَّتْ
لَيْسَ يُجِدِي تَعَمُّدُ الْخَوْضِ فِيهَا
فَتْنَةٌ وَالْأَغْرَارُ فِيهَا وَقُودٌ
فَتْنَةٌ بِالْإِنْسَانِ تَعْصِفُ عَصْفًا
فَتْنَةٌ لَا تَقْوَىٰ الرُّوَسَىٰ عَلَيْهَا
فَتْنَةٌ كَمْ قَدْ حَارَ فِيهَا لَبِيبٌ!
بَدَدُوا كَمْ مِنْ طَاقَةٍ وَنَقُودٍ!
رَقَدُوا فِي التِّيهِ الْبَغِيضِ ، وَضَلُّوا
حَارَتِ الْأَلْبَابُ الْوَضِيئَةَ فِيهِمْ
وَانْطَلَبَتْ أَفْكَارُ الْيَهُودِ عَلَيْهِمْ
وَنَصَارَى الْأَفْئَاقِ قَدْ فَتَنُواهُمْ
وَاقْتَفُوا أَثَارَ الْأَلَىٰ ضَيَعُواهُمْ
رَضَعُوا مِنْ لَبَانِ هُودٍ ، فَضَلُّوا
لَمْ يَكُونُوا لِيَعْلَمُوا عَنْ حَلَال
قَطَعُوا أَسْبَابَ النَّجَاةِ ، فَضَاعُوا

لم يخافوا حيّات وادي (أثام)!
فتدنى الشموخ بالإفحام
كان أحرى أن لم يمت بصدام
لا ترى فيهم لو بعيض شهم
واستحالوا - من صحوّة - لخطام
والوجوه فيها وفيه قتام
بل تماذوا في لوك أعتى السمام
ليس يحوي انتفاضة الإسلام
ثم عانى من معضلات ضخام
وتلاشوا في المغريات العظام
لغناء عمّ الدنا ودمام
مالبؤس - ياطفتي - من دوام!
يانضالاً يسعى بكل احترام
وعليك - من المليك - سلامي

لم يُبالوا بالمُوبقات ، فزالوا
أقحموا - في قعر الدنيا - خطاهم
صدموا في صخر الخنوع إباءً
وانظمت أفسار الكفار عليهم
لعبوا - بالنيران - حتى تلاشوا
في القلوب - للمهلكات - أواراً
أمهأوا ، لكن دون عودٍ وتوب
مُدلهمت تترك القلب رهوا
بل أسير في التيه ، لاذ بصمتٍ
والشباب تاهوا ، ولم يستدلوا
إيه (رضوى) ، فاستبشري برحيل
واصبري ، إن العيش هذا كفاح
ووداعاً ياطهر كل الصبايا
واقبلي عذري ، إن نكأت جراحاً

بعض معاني الكلمات المطروقة

مُرّامي: هدفي. غادة: المرأة الجميلة. أضفي: أسبغ. البسيطة: الأرض لانبساطها. الغض: الطري. بدر تمام: كامل النور. تكلّي: من فقدت ولدها. اللب: العقل. المتسامي: الشامخ المرتفع. تناءى: تباعد. العاندات: المصائب. ضبحت الخيل: أسرعت الجري. الأجياد: الخيول. الأرام: الظباء الخالصة البيضاء غير المشوب. خصام: مواجهة الحياة والتفاعل معها. فحلاً: رجلاً مكتمل الرجولة. بيع سوام: عرض البضاعة. اللام: جمع لامة وهي درع المقاتل. رضوى: اسم الفتاة اليمنية التي التقيتها في نفق الملك عبد العزيز في مكة كرمها الله في رحلة الحج عام

1414هـ. الإنجاد: الإتيان إلى نجد. الإتهام: الإتيان إلى تهامة. ما اعتلاه: ما بلغه. الإيلام: الألم والمعاناة. أنكى: أقوى إيلاماً ووجعاً. حسام: سيف. جواها: أنين قلبها وشدة حزنها وكرهها. بنام: بنان. الصمات: الصمت. النحيب والنشيج والأئين والبث: كلها صفات تصاحب البكاء وتواكب الحزن وتزامن الألم. يُزري: يتضاعل مقارنةً بكذا. الحمام: الموت. يودي: يذهب. الوجيب: شدة اضطراب القلب كناية عن شدة الحزن والألم. سأم: جمع سأم. الوجد: شدة الحزن. أغفى: أصابت كيانه إغفاءة. الجرسام: السم الزعاف. رهام: هو الذي لا يصيد من الطيور. أوام: العطش. سُحام: سواد. أختام: جمع ختم والكناية هي الختم على القلوب فلا تدعن للحق. الصمصام: السيف. الأقسام: الأيمان. حصان: محصنة. رزان: أي رزينة حكيمة عاقلة. ديان البرايا: الله تبارك وتعالى. الحام: أي الحامي لها. درة الغنم: عصا راعي الغنم. سيف مجذام: أي قاطع فيصل. ابن سلام: هو عبد الله بن سلام الصحابي. كروب: أحزان. الهام: جمع هامة وهي الرأس. عبرات: دموع. سؤلي: سؤالي. السام: الموت. تكالب: تزاحم. كلمى: جريحة. العرى: جمع عروة وهي أصل الشيء. عشير: أي عشيرة وقرابة. تكلف المودة: ادعى القرب والحب معاً ، وهو في حقيقة أمره على خلاف ذلك ، فلا محبة ولا ود. حلة: بزة. الأنعام: البهائم والعجماوات. سقام: مرض. لدود: شديد العداء. يُردى: يفضي إلى الردى وهو الموت. مهجتي: روعي. عين: جاسوس. حفظ ذمام: رعاية الذمة. المرسام: القلم. اكرثا: اهتمام. يصطفينا: يختارنا من بين الناس. الأضام: الأحقاد والضغائن. الأوباش: أراذل الناس وسفهاؤهم. يمام: صغار الحمام. حدث اتفاقاً: موافقة لأقدار الله تعالى ، والناس يقولون: صدفة وهذا خطأ عقدي. الأعجام: الأعاجم من غير العرب. سورة: انفعال. الضرغام: الأسد. الآكام: جمع أكمة وهي التل أو المكان المرتفع. تعرو: تملأ. الذوبان: الذناب. مُصاناً: محمياً. ينبري: يتصدى. يُحامي: يدافع. لزام: واجب جد حتمي. قوم صيد: كرام الناس وشرفاؤهم ونجباؤهم ، جمع أصيد. عير: حمير. طغام: أوغاد الناس وأراذلهم ووضعائهم. الخطايا: الذنوب. تلاح: أي منازعة وخصام واختلاف. ظلّة: أي ظل. الدرهم: هو الدرهم. الأيامى: جمع أيم وهو الرجل أو المرأة لا زوج له أو لها. دعام: دعامة وأساس. ضرام: نار الشوق. هيام: هو شدة العشق والغرام. أباهي: أفاخر. عروة بن حزام: شاعر غزلي من بني غنزة مات سنة 30هـ. أبو تمام: هو الشاعر العباسي المعروف بحبيب بن أوس الطائي. ودادها: مودتها. متسامي: مترفع. شذاها: أي عطرها ورائحتها. أسامي: أسماء. صنعا: عاصمة اليمن. السجايا: مكارم الأخلاق. سنام: أي سنام البعير. تشري: تبيع. أميمة: هي أميمة بنت رقيقة الصحابية الجليلة. سجاج: مدعية النبوة مع مسيلمة قديماً. الكذاب: هو مسيلمة مدعي النبوة قبّحه الله. الجزيرة: هي جزيرة العرب. حد حسام: حد السيف. النظام: هو من ينظم الشعر. ضفوة: وفرة الشيء. يتجلى: يظهر للعيان. اللغز: الشيء المبهم غير المعروف. الإعجام: عدم الإفصاح وعدم الإبانة. يستقي: يستلهم. الخفيف: هو البحر العروضي المعروف. مبسام: كثير التبسم. يراعي: قلبي. باتناد: بهدوء وسكينة. منزر: هو إزار الإحرام. البيت العتيق: البيت الحرام. قريضي: شعري. شهر حرام: هو شهر ذي الحجة. دفت: فرحت فرحاً شديداً. اشتف: شرب فتضلع من ماء زمزم. الدمدم: جمع دمدامة وهي عشبة لها عرف كالجزر تؤكل ، وهي حلوة المذاق. فئام: جماعات من الناس. البسطامي: هو أبو يزيد البسطامي المولود في بسطام وهي من أعمال خراسان ، الزاهد المعروف. تحز: تطعن وتقطع بالسيف. الآجام: الجزء من الغابة تتخذها الأسود مأوى لها. تغتدي: تتدوق. النوم: جمع نائم. جيش لهام: أي عظيم الجنود والبأس. الآدام: جمع أديم

وهو الطعام المأدوم. سبعة جاعوا: أعني إخوة (رضوى). الطوى: الجوع الشديد. لاذت: أنفردت وفرت. السخام: السواد. أزام: جمع أزمة وهي الناب. رجام: هي الحجارة توضع على القبور تشبه الأسنمة. سنابك: أرجل الخيل. رُعام: مخاط الخيل. الأظام: جمع أطم وهو القصر الشاهق. النجّام: المنجم. جرام: هو التمر اليابس. فراند الخيام: أي رباعيات عمر الخيام. قضى: مات. نيام: النوم. الأيومة: عدم الزواج ، ومنه التأييم. الروم والإشمام: من أحكام تجويد القرآن ، فالروم هو حركة مختلصة مختفية تسمع ، والإشمام هو إذاعة الحروف ضمة أو كسرة بحيث لا تسمع قط. ثغام: بياض الشعر كناية عن الشيب. الحجام: من يقوم بعمل الحجامة. إكرام: هي أختي من أبي (إكرام بنت علي سليمان عبد الرحيم) رحمها الله رحمة واسعة. البلعام: هو عالم بني إسرائيل الذي لم يعمل بعلمه. الآرام: العلامات المميزة. مدام: خمر. نهام: راهب النصرى. حاخام: عالم اليهود مثل الحبر. إيام: الأيام هو دخان النار. جذام: هو مرض الجذام الذي يصيب الإنسان. دمام: هو السحاب لا ماء فيه. نكأت: أعني خمشت الجروح. الشذام: الملح. العوام: هو العوام بن جهيل الهمداني (صحابي) ذو شعر ، وفد على النبي - صلى الله عليه وسلم - من اليمن وأسلم ، ورجع وحطم الأصنام. أدام: هي أدام بنت الجموح أخت عمرو بن الجموح سيد الخزرج ، ذكرها ابن حجر في الإصابة. حكيم بن حزام: هو الصحابي المعروف. سجام الدمع: هو قطره وتسكابه منه مرا. رضابها: الرضاب ريق المحبوب. الوشام: جمع وشم.

أريج اليراع الشاعر

(قصيدة نبطية كتبها إحدى الصالحات - فيما نظن ونعلم عنها - ، فلما أعجبت بفكرتها ومعانيها رحّت أحولها إلى العربية الفصحى! هذا وإن أغلب أبياتها في الاعتراف بالذنب والخطيئة والابتهاال إلى الله بالمغفرة! وغيره على اللغة الفصحى من جهة ، ولحد من شيوع العامية والنبطية رأيتُ أن أفعل ذلك بدقة وإتقان! وذلك بعد أن استأذنتها في ذلك! فلما وافقت وانتهيتُ من كتابتها ، أرسلتُ منها نسخة لها لتقرأها ولتوافيني بالرد! فلما وصلتها القصيدة على ظهر ورقها التي خطتها بيمينها أثنت على قصيدتي خيراً ، وأدركتُ ما للعربية العالمية الفصحى من جمال يفوق النبطية الإقليمية! وأيدت مبدأ التمسك بالعربية الفصحى تحدثاً وكتابة! واعتبرت معي أن هذا شعيرة من شعائر الإسلام وليس من نافلة القول أو الفعل أو العمل! والحقيقة أنه في تلاقي أو صراع الحضارات الراهن لا بد من لغة لنا تصمد في المواجهة في مقابل اللغة الإنجليزية العالمية ، فلتكن العربية الفصحى هي لغة التحدي! فكان لهذه الخاطرة أريج تتوق إليه الأنوف ، فأسميتها: (أريج اليراع الشاعر) لنستروح أريجها كل حين!)

دموعي - في القلب - تشكو الخطايا	ذِي ذُنُوبِي تَكَاثَرَتْ ، وَالرِّزَايَا
فتغمد من عرقلتها الشكايا	رَبِّ ادْعُو ، وَأَنْتِ خَيْرُ مُجِيبِ
وأرى العفو من عظيم العطايا	فِرْضَا رَبِّي بُغِيَّتِي ، وَرَجَائِي
وخبير ربي بكل الخفايا	إِنْ رَبِّي - بِكُلِّ جَهْرِي - عَلِيمٌ
ولطيف ربي بكل البرايا	وَكَرِيمٌ يَعْطِي بَغِيْرَ حَسَابِ
دون قصدٍ حتى طوتها المنايا	رَبِّ فَا رَحْمَ عَزَلِي تَرَدَّتْ ، وَخَابَتِ
وكذا حوض المصطفى والبقايا	إِنْ أَمْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُؤْلِي
في جنان تطيب فيها التحايا	رَبِّ وَاجْعَلْ ذُرِيَّتِي فِي جَوَارِي
واصطحاب الحبيب يشجي الطوايا	إِنْ رَوِيَا الْمَلِيْكَ أَعْظَمُ شَيْئِ
ولأهل الإيمان كم من هدايا!	إِنْ هَذَا النِّعَمِ لَيْسَ يُبَارَى
وانتويست ترك الهوى والدنيا	قَدْ تَرَكْتِ الدُّنْيَا لِمَنْ عَبَدُوهَا
وحديث الرسول يشفي النوايا	إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ فِيهِ شِفَائِي
رب أصلح جهري ، وبعذ الخبايا	رَبِّ فَا قَبْلُ مَنْ مَنِي الدِّعَاءِ ، وَزِدْنِي
وشفيعي يوم اندلاع الرزايا	وَصَلَاةِ عَلِيِّ النَّبِيِّ حَبِيبِي

التلون أخو النفاق من الرضاة!

(كان يلبس لكل شخص لباساً ويحبك الدور ويأكل على كل طاولة ويرقص على كل طبله حتى سقط القناع فاحتقره الكل! وتحت عنوان: (النفاق والمنافقون) يقول الأستاذ أحمد بن حسين الفقيهي ما نصه: (لقد ظهرت فئة المنافقين في المدينة على عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم فتكاثر عددها وتناسل أبنائها ، وامتد نسلهم لا كثرهم الله إلى زماننا هذا ، فرأينا أحفادهم في زماننا لا يختلفون في مظهرهم عنا ، وهذا مكن المصيبة فهم وللأسف من بني جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، وينتسبون لديننا ، وينتمون لأوطاننا. والحديث عن النفاق والمنافقين سواءً في السابق أو في اللاحق ، حديث يبدأ ولا ينتهي ، فقد جاء الحديث عنهم في أكثر من نصف سور القرآن المدنية ، إذ ورد ذكرهم في سبع عشرة سورة مدنية من ثلاثين سورة ، واستغرق الحديث عنهم ما يقرب من ثلاثمائة وأربعين آية من كتاب الله العزيز ، حتى قال ابن القيم رحمه الله: كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم. لقد صدر ربحم سبحانه أطول سورة مدنية في القرآن - سورة البقرة - بذكر صفات المنافقين والتحذير من خطرهم ، فذكر سبحانه في المؤمنين أربع آيات ، وفي الكفار آيتين ، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية وذلك لكثرتهم ، وعموم الابتلاء بهم ، وشدة فتنهم وبليتهم على الإسلام وأهله ، فهم كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: منسوبون إليه - أي الإسلام - وهم أعداؤه على الحقيقة ، يخرجون عداوته في كل قالب حتى ليظن الجاهل أنهم على علم وإصلاح ، فبما لله كم من معقل للإسلام هدموه ، وكم من حصن قد قلعوا أساسه وخرّبوه ، وكم من علم قد طمسوه ، وكم من لواء مرفوع وضعوه ، وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها ، فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية! ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية ، ويزعمون بذلك أنهم مصلحون: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ}. اليهود أعداؤنا ، والنصارى أعداؤنا ، والرافضة أعداؤنا ، ومع عداوة هؤلاء وكيدهم لنا إلا أن المولى سبحانه حصر العداوة في المنافقين في قوله تعالى سبحانه: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ}. وذلك لإثبات الأولوية والأحقية للمنافقين بهذا الوصف ، ولا يراد منه كما يقول ابن القيم رحمه الله: (لا يراد منه أنه لا عدو من الكافرين سواهم ، بل المعنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدواً من الكافرين المجاهرين بكفرهم ، فإن الحرب مع أولئك ساعة أو أيام ثم تنقضي ويعقبها النصر والظفر ، وهؤلاء - يعني المنافقين - معكم في الديار والمنازل صباحاً ومساءً ، يدلون العدو على العورات ، ويتربصون بالمؤمنين الدوائر ، ولا يمكن بل يصعب مناجزتهم). هـ. فلنحذر النفاق والمنافقين والتلون والمتلونين! وفي محاضرة عنوانها: (النفاق ضد الإيمان) للأستاذ الفاضل الدكتور عبد الرحيم الطحان يقول ما نصه: (النفاق هو أول الصفات الخبيثة التي إذا اتصف الإنسان بها يخشى عليه سوء الخاتمة - فإنه ضد الإيمان ، والإيمان هو التصديق ، يعني: أن تصدق الله في جميع أحوالك ؛ في نيتك وفي جناتك ، في مقالك وفي لسانك ، في أعمالك وفي أفعالك ، فإذا تغيرت عن هذا ففك صفة من صفات المنافقين ، وأمرك إلى رب العالمين. يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (الإيمان بضع وسبعون شعبة ؛ أعلاها: قول لا إله إلا الله ، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان). وهذه الشعب تتعلق بالجنان واللسان ، والعمل بالجوارح والأركان ، وهذا هو تعريف الإيمان ، فهل حققت ذلك على وجه الكمال والتمام؟ إن كنت كذلك فأنت مؤمن ، وإلا ففك خصلة من خصال المنافقين ، فكيف سيكون حالك عند الاحتضار وحضور الشياطين؟ نسأل الله حسن الخاتمة بمنه ورحمته ، إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين. نعم! إن النفاق

يضاد الإيمان ، وحقيقة النفاق كما قرر أئمتنا الكرام: اختلاف السر والإعلان ؛ اختلاف سر ك
 عن علنك ، وتغاير واختلاف القول عن الفعل والعكس ، وتضاد المدخل والمخرج ، أمام الناس
 بصورة لكن إذا خلوت مع ربك جل وعلا في بيتك أو في غيره فأنت في صورة أخرى ، هذه هي
 حقيقة النفاق ، ولذلك قال العبد الصالح يزيد بن الحارث: من استوى سره وعلنه فذلك النصف!
 أي: هذا قام بالعدل وهو منصف ، وإذا كان السر خيراً من العلن فهذا هو الفضل ، وإذا كان
 العلن خيراً من السر فهذا هو الظلم والجور. فتأمل حالك ، هل استوت سريرتك وعلانيتك؟ إذا
 فأنت الآن منصف عادل أم هل كانت سريرتك خيراً من علانيتك؟ فأنت إذاً على خير عظيم ، أم
 أن علانيتك خير من سريرتك؟ فأنت بلا شك إذاً من المنافقين ، فانتبه على نفسك! والإنسان
 على نفسه بصيرة).هـ. ومن هنا كان التلون أخطر النفاق من الرضاة! فإلى منافق - ظل يتلون
 ويخدعني كثيراً ، إلى أن ظهرت حقيقته وححص الحق في شأنه - أقول:

كيفما شئت تلونُ ليس - للدهقان - مأمُنْ

أنت ، ما أنت؟ مُراءٍ شرّ ما في الناس تبطنُ

كيفما شئت تذابُ وتغيّرُ ، وتقاُبُ

أنت معروفاً لدينا لم يعدْ أمرك أصعبُ

كيفما شئت فمثّلْ قد يكون التوب أجملْ

لكن الشيطانُ أقوى وعلى مثلي التحمّلْ

كيفما شئت تقفْ إنمّا نفسك تخدعْ

وخرن العهدَ مِراراً عنك إن البعد أنفَعْ

كيفما شئت تكبّرْ وتعلّلْ ، وتبطلْ

إنني زایلٌ غِراً لم أعُدْ فيه أفكّرْ

كيفما شئت تحمّلْ ثم بالغْ در تخالقْ

قَد قَلَاكَ الْقَلْبُ حَتَّى

كَيْفَمَا شِئْتِ تَرْنَمُ

قَد جَفَيْتِ لِحَنِّكَ رَوْحِي

كَيْفَمَا شِئْتِ تَفَايَتْ

لَا تَعْرِ شُرَّ شَأْنًا لِمِثْلِي

كَيْفَمَا شِئْتِ تَرْنَحُ

بَيْنَنَا الصَّلْحُ مُحَالٌ

كَيْفَمَا شِئْتِ تَوَقِّدِي

لِن تَرْدِ النَّارُ عِزْمِي

كَيْفَمَا شِئْتِ فَدَلِّسِي

قَد طَرَحْتِ النَّذْلَ أَرْضَاءً

كَيْفَمَا شِئْتِ فَشَوْسِي

لِوَمَا كَبَتِ الْمَاءَ عَذْبًا

كَيْفَمَا شِئْتِ تَأْفُفِي

بِبِكَ لِمَ يَتَعَلَّقُ

رَجَّعِ اللَّحْنَ ، وَنَغْمُ

وَفِوَادِي قَد تَعَلَّمُ

مَنْ كَشَمَلِي كَمْ تَشْتَتِي

وَأَنْتِ صَاحِبَةُ ، لَا تَتَأَفَّفِي

وَإِكْشِفِ السُّتْرَ ، وَجَرِّحِي

وَالْمَسَارُ - الْيَوْمَ - صُحْحِي

قَلْبِي الْجَمْرَ وَصَعْدِي

فَأَنْخَرِسِي ، لَا تَتَوَعَّدِي!

وَلِمَا شِئْتِ تَحْمَسِي

صَحْبَةَ النَّذْلِ تَدْنِسِي

أَنْتِ عَنِ نَصْحِي أَطْرَشِي

فَلِمَا لَسِي أَنْ تَعْطَشِي!

مَنْ كَلَامِي ، أَوْ تَخْوَفِي

لَمْ أَعِدْ أَهْوَكَ صَدَقًا

كَيْفَمَا شِئْتِ تَشْتِئِينَ وَقِي

إِنِّي أَبْصُرْتُ رَشِي نَدِي

كَيْفَمَا شِئْتِ فَكُفِّي عَارْفًا

لَا تَخْفِ بِأَسَنِ النَّدَامِي

كَيْفَمَا شِئْتِ تَحَامِقِي

وَعَلِي الرُّوحَ قِي وَوَدِي

كَيْفَمَا شِئْتِ فَضْحَاكِ

وَأَمْسِحِ الْجُوحَ ، وَجَامِلِي

كَيْفَمَا شِئْتِ تَمْرَغِي

طَائِقَةَ عَزْتِي عَلَيَا

كَيْفَمَا شِئْتِ تَحْرِكِي

وَأَسْحَرِ الْأَبْيَابَ ، وَاهْزَلِي

كَيْفَمَا شِئْتِ تَوْلِي

عَلِي النَّاسِ الْخَبَائِي

عَنْكَ إِنِّي مَتَعْفِي

بِالْقَوْلِ لَا تَتَعَلَّقِي

وَكَفِّي هَذَا التَّمْزِينِ

أَنْتِ أَدْنَى لِلْمَعَارِفِ

إِنَّهُمْ أَخْزَى الْمَعَارِفِ

فِيكَ غِلُّ الْقَلْبِ حَانِقِي

وَعَلِي الْعَقْلَ مَطَارِقِي

إِنْ لِي لِيهِ زَلْ حَالِكِي

وَأَسْعِ فِي أَشْقَى الْمَسَالِكِ

فِي ثَرَى الْغَبِينِ ، وَأَفْرَغِي

وَالرِّيَاكَ مَانِ الْمُسْوَغِ

وَإِخْذِي النَّاسَ ، وَفُجْرِكِي

إِنْ عَقَلِي الْفِي ذِمَّتِكِي

إِنَّمَا الْفَكَرُ مَشْوَةٌ

وَلَهَا لَا تَمَّوَةٌ

كل ما في الجوف ، واخسأ
وكُل العُشب لتهـدا

واسكب الجهل المُذابا
أجعل الحمقى صـحـابا

إن لـونَ الزيتـف باهـت
وفحـيخ الصـل خافـت

وتتـرسـب النواذخ
إنهـ - في الـذل - راسـخ

وانشـر - الـآن - الفضـائـخ
ضـائـع غـث الملامـخ

وتـرنـج بالحقائـذ
وترهـل في الشـدائد

واركـب - الـيوم - المخـاطـر
غـبت عن كل الضـمانـر

كيفما شـئت تقـيـأ
ظبيـة أنـت ، فأقصـر

كيفما شـئت تغـابى
إنني آليـت أن لا

كيفما شـئت تهافـت
ولظيـ الحـرباء وليـ

كيفما شـئت تشـامخ
بـغـيـك - الـيوم - كسـير

كيفما شـئت تصـايخ
أنـت فيـها مسـتـكين

كيفما شـئت فحايـذ
واسـتفـذ من كل غـل

كيفما شـئت فغـامز
قـد قـلاك النـاس حتـى

وتكَبَّرُ ، وتَعَبَّرُ
لَهُمْ فُقَّةٌ وَعَالِمٌ

واشْهَدِ الزُّورَ ، وهَادِنُ
غَادِرٌ فِي ثُوبِ خَائِنِ

كُلُّ إِنْسَانٍ ، وَجَابِلَةٌ
وَتَرَى أَنَّكَ تَأْفِكَةٌ

وَكَمَا تَهْوَى فُخْطِطِ
وَابْتَعَادِي عَنكَ أَحْوَطِ

وَمِنَ الصَّدَقِ تَخْلُصُ
مِنَ عُرَى التَّقْوَى تَمْلُصُ

قَوْلِكَ الْغَيْثِ مَلْوُثِ
عَنْ خَبِيئِ الدُّودِ يَبْحَثِ

وَلِكُلِّ الزَّيْفِ رَوْجِ
وَبِدَائِي - مِنْكَ - مَخْرَجِ

كَيْفَمَا شِئْتِ تَعَاظِمِ
فِيكَ لَنْ يُخَدَعَ قَوْمٌ

كَيْفَمَا شِئْتِ تَهَاوِنِ
أَنْتِ ، مَا أَنْتِ؟ غُرُورٌ

كَيْفَمَا شِئْتِ فَوَاجِلَةٌ
كَيْ يِرَاكِ الْكُلُّ نَذْلًا

كَيْفَمَا شِئْتِ تَخْبَطِ
أَنْتِ تَحِيَا فِي سِرَابِ

كَيْفَمَا شِئْتِ تَخْرُصُ
أَنْتِ خَدَاعٌ كَذُوبٌ

كَيْفَمَا شِئْتِ تَحْدَثِ
أَنْتِ - فِي الدُّنْيَا - ذُبَابٌ

كَيْفَمَا شِئْتِ تَغْنَجِ
فَتْنَةٌ أَنْتِ ، وَنَذْلٌ

وتمسك لَمْ ، وتمشك يَمْخُ
ثم دونته وأرخ

وبمها تهذي تلذذ
واجب منك التعود

وجيك الحبوب ، وطرز
وإن ارتبت فتعزز

واجمع الجنيد ، وحرص
وأنا أمري مؤوض

وتعصب ب ، وتغيط
وانمحي لو كنت تلحظ

وبما ترجو وتذرع
والعمى أعتى وأفظع

وتلاع ب بالركبانز
وعن الأخلاق عاجز

كيفما شئت تمشك
واقتر الزور ، وزيف

كيفما شئت تشعذ
أنت إبليس مريد

كيفما شئت تجوز
سوف لن تخفى علينا

كيفما شئت تعرص
وانزل الهيجا بجيش

كيفما شئت تلمظ
شأنك - اليوم - تديني

كيفما شئت تقفع
أنت ذو وجهين ، فاعلم

كيفما شئت تجاوز
أنت مطعون لدينا

واسع دوماً في الحنادس
يرتدي زي المشاكس

وتغذى بالحشاش
ساقط تغشى الفواحش

وتريح ، وتمايل
مجرم تأتي الرذائل

وتعال بالذرائع
واسـ تكانت للفجائع

وتجـ بالناقص
يتهادى في المراقص

إنما زيفك دامغ
إنما خاوا وفارغ

كيفما شئت تهامس
أنت - عند الناس - وغد

كيفما شئت تجاحش
أنت رعديد خسيس

كيفما شئت تتأق
أنت ، ما أنت؟ سلفية

كيفما شئت تراجع
همة أنت تدنت

كيفما شئت تخامس
أنت عريديد رقيع

كيفما شئت فراوغ
ليس يحوي من أمان

كفى يا أخية!

(أخذت تحكي بأسى للشاعر عن صراعها مع التلفاز وما فيه من القبائح ، وذكرت رغبتها في اتباع السنة. ثم استزادها عن هذا الصراع ، فأضافت ما يندى له الجبين. فقال لها: كفى يا أخية! ذلك أن الأمر كان قد زاد عن مجرد المشاهدة العابرة إلى الإدمان الذي جعل من التلفاز وثناً يُعبد وصنماً تؤدى له الطقوس ، فصرف - عن الله - امرأة كان ينبغي أن تكون مؤمنة به مسلمة له! وصرف أبناء وبنات عن صلواتهم وواجباتهم! وفي نهاية الحوار أوصاها الشاعر بالتمسك بالعقيدة والتوحيد ، وعمل الصالحات ، واللجوء إلى الله تعالى ، والندم على المعاصي ولزوم التوبة ، وقيام الليل ، والدعاء والتضرع لله تعالى ، ريثما يأتي الله بأمره!)

اذرفي الدمع على جمر الأنين
واندمي الدهر على عمر مضى
واملئني القلب التياغاً وجوى
واعزمي أن لا تعودي لحظّة
أين كان العقل في درب الهوى؟
كيف غاب النور عن روح غفت
عندما شجك أحسست به
ليتني ما قلت زيديني ، ولم
بالذي قلت فوادي قد ثوى
شاعراً أودعت ما قد قلت به
قلبه لئلا يمت في داركم
إنني أوصيك أن لا تياسني
الزمي الشرع ، وعودي للهدي!
واقري القرآن كي تسترشدي
شرف الدنيا ، وأخرى تزدهي

واسكبي الحزن على الجرح الدفين
في متاهات الضلال المستبين
ليس يكفي الدمع صباً والأنين
للذي كنت بجهل تفعلين
أين كان الرشد في الهزل اللعين؟
فمضت تختال في درب الدجين؟
ثم أرداك بسكين الحنين
أنكأ الجرح الرهيب المُستكين
غيره كانت على علم ودين
حبّه للشرع يسري في الوتين
رغم أن القلب من ماء وطنين
إن بعض اليأس يُودي باليقين
واتباع الوحي سمّت الصالحين
إن - في تطبيقه - الكنز الثمين
ربنا ارزقنا سبيل الفانزين

همومٌ كبيرة

(إن الهموم تتراكم في القلب مثل كثبان الرمال على التلال ، وذلك لما يرى المرء ويعاين من الفتنة العارمة الضارية بالعري البهيمي العجموي النسائي في هذا الزمان! والحقيقة أنه قد تم لأعداء الإسلام ما أرادوه وخططوا له من قرون مضت! ولئن كان أجداد الأعداء قد هلكوا في الدهر إلا أن أحفادهم يجنون اليوم ما زرع هؤلاء الأجداد بالأمس! على من مضى منهم ومن حضر لعنة الله إلا من تاب من الأحياء وآمن وعمل عملاً صالحاً! ولا شك أن هجمة الغرب قوية وشرسة وعاتية ، ولكنها كان ينبغي أن تجد عقيدة صافية وتوحيداً خالصاً ، يواجه ويتحدى ويصر على الانتصار مستعيناً بالله وحده ، وساعتئذ ينصر الله عباده الذين هذا شأنهم! وصدق الله تعالى إذ يقول: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)! وإذن فلا سبيل إلى الهزيمة إن نحن اعتصمنا بربنا ، وتمسكنا بديننا ، واتبعنا سنة نبينا!)

تمّ للأعداء صدقاً ما أرادوا
آدم يعصي نسياً بعضَ أمر
وتلقى من مليك الناس قولاً
لكن الفتنة عادت في البرايا
أغلبُ النسوان ودعن المعالي!
كيف فضلى تهتك الستر اعتداداً
كان أحرى أن يرى الغربُ جباباً
نحن - بالإسلام - كنا خير قوم
كم لفظنا العُريّ في كل صعيد!
وإذا بالقلب في هم كبير
أنفقوا الأموال حتى يفتنوننا
نجحوا في كل مضمار حقيـر
أفسدونا برحى الإعلام تجني
فانجرفنا في دهاليز المعاصي
وكتابُ الله منجى كل شـهم

قصة الأمس على الناس تعادُ
ثم تبدو سَؤْأة ، هذا الحصاد!
تاب عن عصيانه ، والتوبُ زاد
فتنة ضجج - لمرآها - الجَماد
وبغري الغيد كم ضل العباد!
بسُفور الغرب ، قد خاب اعتداد
يسترُ الحُرة ، يُسديه اعتقاد
وبصيد الناس كم تعلقو البلاد!
وكذا الأجدادُ - بالطاعات - سادوا
عندما قد تم للأعداء المُراد
ففتننا بالذي الكفار شادوا
وإذا بالأسد أطيّارٌ تُصاد
كل قلب قد نأى عنه الرشاد
وعلى العاصين كم يجني الفساد!
وعلى الرحمن يطلو الاعتقاد

عجلة الحياة

(الحياة بغير دين لا قيمة لها. والعيش بعيداً عن العقيدة والتوحيد والمنهج الرباني جحيم لا يطاق! وإذا كان ذلك كذلك ، جلبت الحياة للأحياء خزي الدنيا وعذاب الآخرة! وكان باطن الأرض خير للناس من ظاهرها!)

إن الحياة - بغير الدين - كالذهب
ما قيمة العيش إن حلّ الشقاء به
والشرع يعطي حياة الناس رونقها
وسائلوا كتب التاريخ كم حفظت
تدلكم عن ذرى الأمجاد فاز بها
ممالك السلم - بالأمان - كم نعمت
والسلم وحّد بين الناس قاطبة
وحرّر الخلق من طغيان من ملكوا
لا يقهرون على دين تخيّرهم
إن أسلموا يُصبح الإسلام عاصمهم
والسلم يكفل عيش الناس في سعة
واليوم عطّله عن دوره زمراً
تغلب الآن ما في الغرب من نظم
وما استكانوا ، ولا عادوا لخالقهم
وكم على الأرض بين الناس من نذر!

والناس فيها كمثل الزيت والخطب
وعاش أهله بين الضنك والعطب؟
يمدّ بالعلم والأخلاق والأدب
من الوقائع والأحداث والخطب؟
من طبقوا الشرع من عجم ومن عرب
بالحب والعطف قبل السيف واليخب!
على أساس التقى ، لا الجاه والحسب
ليُصبح الكل أحراراً بلا رهب
بعض الطواغيت كم فيه من الريب!
من الدماء أراقتهارحى القضب
فلا يعانون من ضيق ولا كرب
تميل راضية للدير والصلب
شتان شتان بين الترب والذهب!
واستمرأوا الادعاء المحض بالكذب
ولا اعتبار ولا ذكرى لمعتجب

أعرض عن هذا!

(كلما قابلني لا حديث له إلا عن الماضي وما كان فيه من مجد كريم قد مضى ، وشرفٍ مَروم عليه الزمان عفى ، وعزٍ عظيم أصبح في ذمّة التاريخ غفا! فَرُحْتُ أقول له: يا صاحبي ، لقد حوى الماضي سلبياتٍ كثيرة وإيجابياتٍ قليلة! فلماذا لا تحاول اتباع الخير واجتناب الشر؟ هلا تحدثت عن اليوم وما فيه؟! ونصحتَه بأن يحقق اليوم من الخير والمجد الكريم والشرف المَروم والعز العظيم ما حققه أجداده بالأمس! ولن يكون ذلك إلا باتباع هُدى الله - تعالى - بالنتزام أمره واجتناب نهيه! ليس الفتى من قال كان أبي إن الفتى من قال ها أنذا!)

لماذا تـكـرر هـذي القـضـية	وتفجع - بالكرب - نفسي الأبيّة؟
لماذا البكاء على ما مضى؟	وأغلب ما قد حوى جاهليّة!
ألا تخلعُ اليوم عنك الأسى؟!!	ألا تهجرُ الذكريات الدنيّة؟!
أليس يروقك حُبُّ الهُدى	لتحيا بنفس تسامت رضية؟
نصحتك لو كنت تسمع مني	وإن النصيحة أغلى هديّة
فأعرض عن الهزل ، كن مؤمناً	لقد تقرعُ البابَ كفّ المنية!
فحتى متى النفسُ في قبجها؟	وحتى متى الذاتُ تكلى سببية؟
تمسّكُ بـدين المليك تفـز	بنفس - على الموبقات - قوية
ودع عنك يا صاح حب الخنا	لكيلا تبوءَ بأعتى رزية
وزايل رفاقك من أعرضوا	عن الحق والخير ، هذي وصية!
فصنْ ما أوتمنتَ عليه ، وكنْ	من المؤمنين خيار البرية
وماضيك ولى ، ولمّا يُعقبُ	فلا تكُ - للترهات - الضحية
وحاضرُك - اليوم - مستبسّلٌ	يُطل عليك بعين حافية
يُريدُك أن لا تطلّ عليّ	هـ بقلب يُعاني خراب الطوية
توكلْ على الله واعملْ ، وأحسنْ	عسى أن يكون - لدى الروح - نية

هُبِلَ القرن العشرين

(إن تسمية التلغاز بـ (هبل القرن العشرين) ليست من عندي! بل هي لرجل كان من أهل العقيدة والتوحيد ، ثم ما لبث أن عبثت به ألعيب الإرجاء وأراجيف الفرق وأضاليل الإرجاف ، فتنازل مقتنعاً راضياً عن بضاعة الوحي مفضلاً عليها آراء الرجال ، ليعيش في سلام وونام وليربي أولاده وبناته بعيداً عن المحنة والفتنة والابتلاء. والحقيقة أن الفتنة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد! وأيما داعية لم يمتحن ولم يُبتل ولم يُحصّ ولم يُمتحن ولم يختبر ، فاعلم أنه لا يقول شيئاً ولا يدعو إلى شيء! ذلك أن الآية لم تستثن أحداً من عوام المؤمنين فضلاً عن الدعاة! (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون؟!) ، (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن المنافقين) ، (ليميز الله الخبيث من الطيب) ، (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين؟!) ، (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا)! وإذن فهي سنة ماضية لا تتبدل ولا تتخلف! ولقد صدقت تسمية الرجل للتلغاز بأنه هبل (وهبل صنم عبده الناس في الجاهلية الأولى)! أما لماذا المماثلة؟ فالجواب أن الصنم - في أصله اللغوي ومنه اشتق الاصطلاح الشرعي - هو كل ما شغل عن الله تعالى. وأقول إن صنمية ووثنية التلغاز قد فاقت الشيء ذاته في هبل الجاهلية الأولى! إذ صنم هبل لم يقدم للناس العهر ولا الرذيلة ، ولم يروج للفحشاء ولا للمنكر ، ولم يضل الناس بنفائيات المزابل الماسونية الصهيونية تلك التي سهلت للناس السبيل إلى جهنم وبئس القرار. ولم يزين صنم هبل للناس الشهوات عن طريق التمثيليات كما لم يصرف الناس عن الدين الحق بتحريف الدين عن طريق المرتزقة من العلماء العملاء الخونة أتباع ابن سلول وبلعام بن باعوراء ومسلمية الكذاب من الذين يحلون للناس الغناء والربا ومشاهدة الأفلام والمسلسلات والمسرحيات الماجنة الساقطة بحجة أنها جميعاً من قبيل اللهو البرئ. إن صنم هبل الجاهلي كان قطعة من الصخر المنحوت على هيئة إنسان فقط. فلم يقدم راقصة ولا عاهرة ولا فاجر من فجرة أهل الفن والتمثيل. ولم يقدم لآعباً من لاعبي السومو العراة. فكم من جريمة ارتكبت! وكم من مصيبة وقعت! وكم من حق اعتدي عليه! وكم حرمان انتهكت! وكم من بلايا ورزايا وقعت! كان التلغاز سبباً مباشراً فيها! لقد أدرك اليهود كيف يؤتى أهل الإرجاف من هذه الأمة: من شهوتي البطن والفرج. فركزوا جل جهودهم على هذا الطريق. وأفلحوا لعنة الله عليهم في الانتصار على هذه الفئة التي ركنت إلى اليهود والنصارى ، ونسيت قول الله فيهم: (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) وقوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) ، وقوله: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتقلبوا خاسرين). ومن ولاية الكافرين اتباع إعلامهم الفاجر الملعون الذي يأمر بالفحشاء والمنكر وينهى عن الفضيلة والمعروف. إن كل تربية للأجيال والناشئة (والتلغاز في البيوت والمحال والمنتديات وغيرها بالصورة التي ذكرت) لهي تربية محكوم عليها بالفشل! إن التلغاز بهذه الطريقة يبدد الجهود ويهدر الطاقات ويثير الشهوات ويؤجج الغرائز! وأنى لأمة تريد أن تنهض والتلغاز يصنع بشبابها وشاباتها - الذين هم عصب الحياة - هذه الطوام والموبقات؟! وأحيل لكتاب اسمه: (المتهم الأول) للأستاذ وحيد عبد السلام بالي. والذي يناقش بكل موضوعية وحيدة آراء العلماء الربانيين في القطع بتحريمه بصورته التي ذكرت! وسبقه إلى ذلك العالم الفذ عبد الله ناصح علوان رحمه الله. حيث ذكر ذلك في موسوعته: (تربية

الأولاد) وكتابه: (التربية الجنسية)! وما نزل ببعض الناس ذلك كله إلا بسبب اتباع الهوى وتغليب الشهوات! يقول الدكتور إبراهيم بن عبدالله الزهراني في تعليقه على أمر اتباع الهوى: (قال تعالى: {فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}. إن اتباع الهوى - وهو "ما تميل إليه النفس مما لم يبيحه الشرع" خلاف مقصود الشرع ؛ لأن "المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه ؛ حتى يكون عبداً لله اختياراً ، كما هو عبد الله اضطراراً. صاحب الهوى لا حكمة له ولا زمام ، ولا قائد له ولا إمام ، إلهه هواه ، حيثما تولت مراكبه تولي ، وأينما سارت ركائبه سار ، فأراؤه العملية ، وفتاواه الفقهية ، ومواقفه العملية ، تبع لهواه ، فدخل تحت قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}؟ قال عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام: "ما ابتدع رجل بدعة إلا أتى غداً بما ينكره اليوم". وقال عبد الله بن عون البصري: "إذا غلب الهوى على القلب استحسنت الرجل ما كان يستقبحه). هـ. ويقول ابن القيم رحمه الله مبيناً أهمية تخلص الأعمال من الهوى ، مبيناً شأن القلب وحال الإنسان: (ولا تتم له سلامته مطلقاً حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد ، وبدعة تخالف السنة ، وشهوة تخالف الأمر ، وغفلة تناقض الذكر ، وهوى يناقض التجريد والإخلاص. وللإنسان مع الهوى ثلاثة أحوال كما يقول أحد السلف: الحالة الأولى: أن يغلبه الهوى ، فيملكه ، ولا يستطيع له خلافاً ، وهو حال أكثر الخلق ، وهو الذي قال الله فيه: {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}. الثانية: أن يكون الحرب بينهما سجالاً ، فتارة له اليد وتارة عليه اليد ، تارة يغلب الهوى ، وتارة يغلب الإنسان هواه. الثالثة: أن يغلب الإنسان هواه فيصير مستولياً عليه ؛ مستولياً على هذا الهوى لا يقهره بحال من الأحوال ، وهذا هو الملك الكبير والنعيم الحاضر ، قال عليه الصلاة والسلام: (ما من أحدٍ إلا وله شيطان) أي: يأمر بالشر حتى الرسول صلى الله عليه وسلم يأمره بالشر ، ثم قال: (إلا أن الله أعانني عليه فأسلم)! قيل: إن هذا الشيطان أسلم أي: صار مسلماً ، وقيل: المعنى: فأسلم أنا من شره. فصار الرسول صلى الله عليه وسلم لا أحد يأمره بالشر. فإذاً هذا منتهى النعيم العظيم! أن الإنسان يسيطر على هواه فلا يدخل الهوى عليه ، ولا يجد عليه سبيلاً). هـ. ومع هذا أقول بأنه إذا أمكن الاستفادة من التلفاز في البرامج المفيدة والكرتونيات الإسلامية المنضبطة بأدب الكتاب والسنة والأناشيد الطيبة الهادفة وتعليم اللغات بما لا يحل ولا يعرض شيئاً حرمه الله فالحل منهجنا! أما الإباحية والألف قناة فإن هذا منهج الذين ليس في قلوبهم لله وقار! ومن أجل ذلك كله أنشدت مُندداً بالاستخدام السيئ المسيئ للتلفاز!

لكل زمان طواغيتُه	وطاغوُث - هذا الزمان - الصنم
تعاظم - بين الـورى - خطبُه	وسادتُ به - في الديار - الظلم
وأغرى القطيعَ باغوائِه	فأمسى القطيعُ له يحتم
وأفسد - في الأرض - مستهزئاً	من الحق ، ثم أباد القيم
ففي كل يوم به سهرة	تقدم للناس أقدى المرم

تردى ، فأهدر كل الخرم
وقاد المفاليس نحو العدم
وحب الضلال وعشق الجرم
وزج بهم في اللظى المضطرم
إلى أن تداعت عليها الأمم!
بها المجرمون كمثل السدم
ولطخ بالوحل نور الهمم
ويشعل في الخلق أعتى الحمم
ويخنق بالغهر كل الغنم
وكم خآفت - في الورى - من غمم!
غزتهم - على الرغم - غزو إرم
و(دوري) النوادي كمثل السديم
تصور كيف تباع الذمم!
تمطى على دندنات الرنم
وفي مخالبها تزل القدم
عن الحق ، ثم اتبعوا العمم
ومعنى الصعود لشم القمم
وسيف النصارى لنسف القيم
فلا يشعرون بوخز الألم
تدلك أن القطيع انهزم
فليس له - اليوم - أن يحترم
فأمسى بإفلاسه ينسجم

أشاع الفواحش في عالم
وقام بنشر الخنا والزنا
وروج - في الناس - حب الغنا
وساق الخزايا إلى ح تفهم
وأودى بدار تسلفت به
وأوقد ناراً لحرب الهدى
ودمر عيراً تحن له
يميناً يقدّم أخزى الهرا
وينشر نيرانه في الغنا
أغانيه فاقت سيوف الردى
وأفلامه أذهبت ريحهم
و(ماتشاته) أزهدت وقتهم
وحتى الدعايات لم تستج!
وتعرض حسناً على من غوى
تأجر في الدعر وفق الهوى
وتعقر أذواق من أعرضوا
وتقتل في الناس معنى الإبا
سبيل اليهود إلى دورنا
يزخررف - للناس - تدميرهم
وفوق البيوت له شارة
وديسنت كرامة أفراده
تضمخ - بالغهر - تلفازه

ومما رده مبدأ أو ندم
وأمسى - بإفساده يعتصم
ومَن خلفوه كمثل الأكم
ومَن ألقوه بأشقى التهم
فبالأذنين استبد الصمم
ففي فمه يستطيل البكم
فظل يُردد أخزى نغم
ليكفر ملياً بهذا الصنم
ولا يكتثر بفساد النظم
ولا يفترض فيهم من حكم
نعيم الجنان ونار الجحيم!
وعيش تعزز وفق الدعم
وهدي النبي فنور تمم
وعيش يعيش فيه السخم
وجنبنا الله حتى اللمم

وتابع أفلامه لاهيياً
تمرغ - في الموبقات - سُدى
فبشري لمن أفسدوه إذن
ومَن جعلوه صريع الفنا
فلا يسمع الحق من أهله
ولا ينطق الحق إماغا
قطيع تعرق ل في غيّه
فمن كان يرجو بلوغ الندى
وبعد يُعادي مصاريعه
ولا يلتمس - في الندامى - هدى
نقيضان ما اجتمعا أبداً
فإما عبادة رب الورى
يوافق ققرآن قيومنا
وإما عبادة تلفازهم
حمانا المليك مهأوى الردى

حللت أهلاً ، ونزلت سهلاً يا يوسف الخير

(تأتي هذه القصيدة بعد انقطاع عن الكتابة دام سنوات. وأكتبها اليوم هدية لولدي (يوسف الصديق) ، وهو الولد الرابع الذي رزقنيه الله عز وجل من غير حول مني ولا قوة! فالحمد لله تعالى على نعمة الولد. وكان يوسف قد ولد في اليوم السادس من شهر سبتمبر للعام الألفين من ميلاد المسيح! (ألا شكرنا الواهب وبورك لنا في الموهوب ورزقنا بره وبلغ أشده)! وأسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك فيه وعليه وحواليه ومن فوقه ومن تحته ومن أمامه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله! والدعاء ذاته لإخوانه: عبد الله وعبد الرحمن وعمر الفاروق ، وأن يجعلهم الله - عز وجل - سلماً لأوليائه حرباً على أعدائه ، وأن يجعلهم وأبناء المسلمين أجمعين ذخراً للإسلام والمسلمين. والواجب على كل أسرة مسلمة يرزقها الله الولد أن تشكر نعمة الله شكراً لفظياً وآخر فعلياً عملياً! يقول الأستاذ أحمد الفراك في وصف نعمة الأبناء ما نصه بتصريف: (وتختلف الأسر المسلمة في طريقة احتفالها بالمولود الجديد ، ويتقرب الصالحون إلى الله بإحياء سنة "النسيكة" ، (أي العقيقة) ، يشكرونه سبحانه على أن وهبهم الذرية ، ويسألونه صلاح وسلامة أبنائهم. (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا). والولد الصالح ذخراً للأمة في الدنيا ولوالديه في الدنيا والآخرة. ولكن هلاً سألنا أنفسنا: ما الشروط ليكون العمل الإيجابي صالحاً ، ولتكون الكثرة مما يبهج نبينا في معرض مكاشرة الأمم؟ ما معيار الصلاح في حساب الدنيا والآخرة؟ والله وحده بلا شريك هو الذي خلق ورزق وأنعم على الإنسان بالولد ، فمطلوب من الوالد شكر المنعم الذي له الخلق والأمر ، فمن يؤمن بأن الله أكرمه وأعطاه ولو شاء لحرمه ، يدرك قيمة إنعامه سبحانه ، ويدرك وجوب شكر الله الواهب الكريم على ما وهب وتكرم. إذ تقيد النعم بالشكر ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها. وإن الشكر أمن للغير ، ونماء للنعمة ، واستجلاب للزيادة". والنعمة تستوجب الشكر لله تعالى! (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) ، والحق سبحانه لا يريد منا سوى شكره على كرمه ومنه وأفضاله! (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون). والشكر عمل! قال سبحانه: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ). اعملوا ، إذ دوام العمل برهان الصدق. وقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، ولما سُئل قال: (أفلا أكون عبداً شكوراً؟) والشكر يستوجب المزيد كما أن الكفران يستجلب العذاب: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) ، وفي الدعاء المأثور عن أبي الدرداء ، وروي مرفوعاً: "اللهم لك المُلْكُ كله ، ولك الحمد كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، أسألك من الخير كله ، وأعوذ بك من الشر كله". وجديرٌ بالتذكير أيضاً أن نعمة الولد والنعمة عموماً تُنسب حقيقة إلى المنعم لا إلى المنعم عليه. (وما بكم من نعمة فمن الله) ، ومن أوتي نعمة ولم يشكر ذهبته منه وهو لا يشعر. فاللهم ذكّرنا النعم بدوامها لا بزوالها. والشكر عبودية ، قال الكريم الوهاب سبحانه: (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ، وقال أيضاً: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون). وعبودية الشكر لا تساويها عبودية. فالحمد لله على وجود النعمة ، والحمد لله على التوفيق لتحصيلها ، والحمد لله على توفيقنا لشكره عليها. فله تمام الحمد وتام الشكر. اللهم أوزعنا أن نشركك على نعماتك التي لا تحصى ، وأن نحمدك أن وفقنا لشكرك ، فالشكر نفسه نعمة منك سبحانه. اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأعز أمتنا واستخلفها ، إنك

ولي ذلك والقادر عليه. ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربي غنيّ كريم).هـ. أشكر للأستاذ الفرك هذه الدرر الغالية في الحث على شكر نعمة الله عموماً ونعمة الأولاد بوجه خاص! ألا وإن هذه القصيدة على طولها إلا أنني كنت قد كتبتها جملة واحدة إلا ما تتطلبه الصياغة الشعرية من التحقق أحياناً ومراجعة المصادر والمراجع للوقوف على مدى حقيقة نص أو لفظ أو فكرة. وأما عنوانها فهو اسم صاحبها والمهداة إليه! وهو اليوم في المهد ، وغداً عندما يعي من أفاظها وإيحاءاتها ما يريده والده اليوم وغداً! ولقبناه بهذا الاسم (يوسف) وبهذه الكنية (الصدیق) تيمناً بأن يجعله الله كالصدیق يوسف بن يعقوب - عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء والرسل من نعلم قصصهم ومن لم نعلم صلوات الله وتسليماته - . وأن يحقق الله على يديه اليوم ما تحقق على يد يوسف الصدیق النبي بالأمس من الفرج والعزة لهذه الأمة عامة ولأسرته المنكوبة خاصة! وأشدتُ بالدور الذي قامت به ابنتنا (عائشة بنت حمد آل خدوم) إحدى الجارات لنا في الحميدية - عجمان ، وهي بالمناسبة من بُنَيَات البادية ، فلقد كانت تتابع يوسف الصدیق حملاً فجنيناً فوليداً فصبيّاً في المهد ، متابعة المحبة المشفقة والجارة التي ترعى الذمار وحق جاراتها والأخت التي تحقق معاني الأخوة. وعرجتُ على دور الأخت (أم عبد الله الشرقاوي) وهي إحدى صويحبات أمه! ثم سطرْتُ مجموعة من الوصايا الطيبة التي أسأل الله أن يوفق ابننا يوسف للعمل بها!

فأح الأريحُ ، وفاض النورُ والعطرُ	وحلّ ضيفاً - على أرواحنا - الخيرُ
وغرد السعدُ يسري في جوارحنا	وجاء مُتحملاً - بالبهجة - البشر
وزغرد الفرخُ مُختالاً بنشوته	وداعبَ الهمة المُلتاعة الشعر
واستبشّر الأملُ الحاني يُجامنا	وعنّ - من ليله المُخلولك - الفجر
وزيتت بسّامات الأنس مؤكبننا	وفاض بالعز - في آفاقنا - اليسر
وزخرفت نسّامات الشوق خاطرنا	وقد سَما - فوقنا بنوره - البدر
وأشرقت شمسنا في كل حاضرة	وهامَ وجداً بها التحنانُ والزهر
ورفرفت في صدى الذكرى مشاعرنا	وانساب دمعُ الهنا ، كأنه النهر
ففي القلوب - من الترجيع - هينمة	وفي النفوس صدىً يحلّو به العمر
في هجعة الليل ، والصدیقُ موقظنا	بكل رفق ، ففي إيقاظه صبر
و(يوسف الخير) في هذا الدجى قمرٌ	وللمليك على ما خصنا الشكر
شرعتُ أشكرُ من جادت تبشّرني	بفارس الحق من يقوى به الأزر
فقلتُ: يهدي ملكُ الكون من همستُ	بذي البشارة ، والتقوى هي الأجر

فأشفت ، وطفأ - فوق الجوى - العُذر
وتلك سُنته ، وشاهدي الذكر
وبالحنيفة والتوحيد لي الفخر
لا يستوي الدرّ - في الميزان - والحبر
على الوجوه ، فذي خيرٍ وذي شر
وذاك يقبغ - في ألفاظه - الجمر
وليس يُجدي - إذا حلّ القضا - الجذر
من عالم داؤه الأحقاد والغدر
فعاش يذبّخه الخذلان والقهر
حتى الصليب له في وخذه مكر
والمجهزون - على خيراته - كثر
ومن أنيستهم - في السهرة - الخمر
من الذين من التوحيد قد فروا
رغم الأنوف سُدىً راياته الغر
مع الذين - على إفلاسهم - قرّوا
من الطرائق حتى مسّنا الضر
فأين (عبس) مضت؟ وأينها (فهر)؟
حتى غدونا لما صاغوه نجتز
عمادها الغش والتدجيل والخسر
ومن ترانينا الأقالم والحبر
وبات مُنتجعاً نسعى له الأسر

وزدت: أسمع من أم الفتى خيراً
فقلت: يشفي إله الخلق علتها
سجدت شكراً لمن عمّت فواضله
وحولنا الناس ، مسرورٌ ومكتئبٌ
سبحان ربك من جأى سرائرهم
وذاك فرحته تعلقو ابتسامته
(يوسف الخير) من هذا على حذر
إني أعيذك - بالرحمن - يا ولدي
أودى بعزته هجرانٌ شرعته
أسمى يهان بما أوغاده اجترحوا
غدا يُداول - بين المجرمين - ضحى
يكرّم اليوم من غنوا ومن رقصوا
أضحى يحكم قانون الذين طغوا
نعيش يا ولدي في عالم سقطت
مع الشعوب ندور - اليوم - في فلك
ضاعت مهابتنا في وحل ما رسموا
حتى العروبة ذابت في تغربنا
وأفسدت حيل الماسون صحتنا
وللنصارى - على ألباننا - سُبُل
يسطرون ومننا من يتأبغهم
ويشهورون رحى الأغلال مُشرعة

وليس يسلم من أهوالها شبر
على التشفي ، وفي أصقاعه كروا؟
وشخص الداء ، أنت الدرغ والذخر
كيف الكرامة والإخلاص والنصر؟
وكيف يستر حسنا صقعنا الخدر؟
رصيده الطبل والأرغول والزممر؟!
وقوده السحق والتشريد والجور؟
قوامه الفن والتضليل والغهر؟
ومن - إلى جوقه المستهتر - انجروا؟
ومن بصولتهم - بين الوري - اغتروا؟
كأنهم - بكتاب الله - ما مروا؟
وهل تفيد الروى - من ضل - والذكر؟
فلا يكون بها فسق ولا كفر؟
وكيف نبطل سحر (الجاز والنجرو)؟
وكيف نغلب جيشاً قاده (نهرو)؟
تلك التي سلبت ، والغرب لم يدروا؟
فالنصب ضاع ، وضاع الضم والجور؟!
كيف استبيح هدى الإسلام والجسر؟
من اللغات ، فذي شين وذي ختر
وهل يكون لكم - في جيشنا - مهر؟!
ترد - بالعدل - ما أودى به الجور؟
نراك في صف من - لربنا - خروا؟

ويوقدون لظى التنصير في صائف
وكيف يسلم من أعداؤه درجوا
يا (يوسف النور) فاعلم حال أمتنا
فهل نرى فيك نبراساً يبصرنا
وكيف نرجع أمجاداً تجملنا؟
وكيف نوقف طوفاناً يدمرنا
وكيف نخمد بركاناً يحطمنا
وكيف نقمع زلزالاً يدهدنا!
وكيف نسحق من بالباطل ادعوا
وكيف نقتصم من حاربوا غدنا
وكيف ندحض ما دسوه من شبه
وكيف ندفع ما ساقوه من حجاج؟
وكيف نمحو - من الدنيا - قلاقلهم
وكيف نوقد - في (الهيبيز) - شعلتنا؟
وكيف نشدخ (لكاوبوي) نعرتة؟
وكيف نرجع - للأعراب - شوكتهم
وكيف نرجع ضاداً أصبحت خيراً
بعد الشريعة كانت جسر قوتنا
ثم ابتلينا بما الأعاجم ابتدعوا
فهل تُعيد لنا ما الهزل بدده؟
وهل نراك - على ساح الوغى - بطلاً
وهل إذا صفت الهيجا جحافلها

وتستمي ألقياً ، كأنك النسر؟
فليس للكفر إلا السحل والعقر
وفي مراتبها يحلو لك النحر
همُ النعاجُ غوثٌ ، وإنك الصقر!
والله يشهدُ ، ثم الناسُ والدهر
وأنت سيفُ الهدى والرمحُ والثأر
لقد يكون له - بين الورى - قدر
فيه العفافُ ، ففي ظلاله الطهر
من الأراذل من من ديننا فروا
نهج البغاة ، فبئس النهج والفكر!
ومن يُخلدُ ذكرى مجده الذكر
نعم النبي! ونعم الآل والخبر!
فخرأ ، وتغبطه في عزة (مصر)!
وقادها - بعد حين بالهدى - (عمرو)
مرارة العيش إذ إقدامه مُر
ولست أدرك يا محبوب ما السر؟
تفضي إليك بما قد احتوى الصدر
وباركتك ، فزال الهم والكُذر
وغردت مثلما يُغرّد الطير
وليس يعرف ما في قلبها الغير
وليس يحجب ما في قلبها ستر

تجز بالسيف من راموا هزانمنا
لا تستكين إذا هزتك خذمة
فأنت بالحق تغشى كل ملحمة
إنني أريدك ناراً فوق من ظلموا
وأنت أهل لما أزجيه من طلب
أنني ادخرتك للإسلام عدته
ولا أزكي على رب الورى ولدي
أسميته (يوسف الصديق) مُتمسأً
لم أعن - بالكنية العصماء - مُرتزقاً
لم أعن - بالإسم - أهل الفن منتهجاً
لكن قصدتُ بها الصديق أسوتنا
ذاك (ابن يعقوب) في القرآن مخبره
يا (يوسف الخير) يا طفلاً أتية به
مصرُ التي قادهما الصديق في زمن
يُحبك الكل شيبلاً ليس تغلبه
يكاد حبك يسبي قلب (عائشة)
وقد أتتك بمستشفى وُلدت به
عافت صحناتها حتى تزوركما
وأغدقت خيرها ، وأنت مقصداها
قلب أحب ، وقد شط الوداد به
تريدُ خيراً لأهل الحق قاطبة

ووجهُكَ الغَض - بالتدليل - يَحْمِر
كَم جَاد كَفِكَ كَم؟ كَأَنَّهُ البَحْر!
فكسُرُ دينِكَ والتقوى هو الكسر
وكل علم له يا أختنا سفر
لكن لربك ، هذا المنطقُ الخير
وزايلي ما به يستفحل الضير
وإن واعظنا - في الغفلة - القبر
فلا يكون من الذكرى ولو نذر
ومن له الخلقُ والأملكُ والأمر
يقول ذلك - قبل الخاطر - الثغر
وأخلصي الدين ، نعم السعي والسير!
أبصارُ عليتها ، وفي الخطا إصر
لكنما جمعهم من الحيا صفر
وهكذا يفعل الأندال والعير
حتى استوى - عندها - الرمان والبسر
أهل الأراجيف ، بنس الكذب والهجر!
هم الفروع انزوت ، وعزمك الجذر!
شمسٌ وما قد بدا - في ذي السما - بدر
روض عظيمُ السنا في الساح مخضر
ولن يموت سدىً جود الألى بروا
بوابل الشعر في سر وفي جهر
وجل مدح الفتى فيمن هوى شر

ودلتك لها - في عطفها - أرج
جوزيت خيراً أيا أندى مداللة
يا (عائش الخير) صوني الدين تنتصري
تعلمي الحق من أسفار من صدقوا
تعلمي العلم لا للمنصب ، اعتباري
وجملي النفس بالتوحيد ، لا تهني
واستحضري الموت في سر وفي علن
وهذه الدار تُنسي منتهى غدنا
إننا نحبك ، والرحمن شاهذنا
ولم نحب بوادينا (كعائشة)
فأدركي الحب كي تزكو نضارته
إن (الحميدية) الرعاء شاخصة
وأنت - في أعين الأقوام - جوهره
لا يقدرون لذات الدين قيمتها
تنكرت - لهدى الرحمن - جوقتهم
فلا عليك من التشويش يُطلقه
أنت الملاك ، وهم - في غيهم - رتعوا
فاستعصي بعري الإسلام ما طلعت
وأكرمي صحبة (الصديق) ، أنت لها
(عجمان) يوماً يميث الدهر نضرتها
وبعد أرجع - للصديق - أغمره
كيلا يقول: ثوى في مدح (عائشة)

أسمتك (يوسف) ، يا ذا الطيبُ البر
وأنت في المهد لم يُسرغ بك الطور
لأن خيرك لا عَدُو ولا حَصْر
من بعد أن بخل الأقبابُ السُمر
وأنتِ واحدة ظل ما بها حر
يداكِ حتى سباً يراعتي الشكر
فلا تطالع كتاباً خطه (النضر)
فهؤلاء عبادة الله كم غروا!
جمع إذا يُذكر الفرعون يَحْتَر
ولا عليك بمن قد ضمهم دِير
وروض النفس ، لا يعصف بك الكبر
واصبر ، فإن شفاء المؤمن الصبر
ولا تصاحب غويًا ، إنه غر
قل للسان: إذا أفشيت فالبتر
واصمذ لها رجلاً ، كأنك النمر
خير الإله ، فما يأتي به الخير
لا تنس ما صدعت فينا به (الحجر)!
رسول ربك من في قوله اليسر
ولا تقل أبداً في نظمه عسر
واستحقت وغوث ، واستعظم السكر
صنوان من جحد الإيمان والثور!

يا يوسفَ الخير لا تنسَ الجميل لمن
فأذكرُ بخير لها فحوى زيارتها
فقل: جزاكِ مليكُ الخلق مكرمةً
أعطيت حتى رأيتُ الجودَ يغمزنا
أنت الوفاء بدنيا لا وفاء بها
شكرتك - اليوم - عرفاناً بما بذلت
يا (يوسفَ الخير) أبصر نورَ شرعتنا
ولا تعر أذنًا يوماً لمرتزق
كم طوعوا الدين - للطاغوت - دون حيا!
فحسبك الشم أهل العلم من صدقوا
فاقرأ كتاباً يريك الحق منبجاً
واعمل لأخراك ما قد عشت مُحسباً
واصحب تقيًا يكن عوناً تجل به
وكن مسيراً إذا أودعت سير أخ
وكن عزيزاً إذا رجتك قاصمة
وظن بالله ظنَّ الخير مرتقباً
وأنت - في ساحة القرآن - خير فتى
فاتل الكتاب وما قد قال أسوتنا
وقصد الشعير سيفا في ملاحمنا
وادحر به جوقة في دارنا سكرت
واستفت قلبك إن أفتاك من جهلوا

فقد يبوءُ بخل صالح سفر
فقد يبيتُ رياضاً تنتشي قفر
ومتعة العيش ذات المنهج البكر!
وقول خير الوري للغادة المهر
ويسـتـبين الخطا ، كأنه القصر
كيلا يسودَ به التدجيل والدعر
مُبرقاً ، ما به فسقٌ ولا فجر
ولا يُزلزلها مَمدٌ ولا جَزر!
خبز الشعير ، وبعد الماء والتمر
حتى وإن مرَّ أسبوعان أو شهر
نيرانُ شدته ، يا حبذا الفقـر!
بالزيف ، إن مَخاك الزيف مغبر
واللفظ مُنـتـفخ الأوداج مُصفر
وقد أتيتُ بما قد احتوى القدر
كأن زبدتها للمشـتهـي تبـر
فإن قرأت أفاد النظم والسطر
فيها الحياة ، فبئس الترك والهجر!
تزكي الجنان ، فبئس الرد والزجر!
ترطب الشعر ، خاب الفعل والنهر!
مات القريضُ ، وطم الخوب والوزر!
فيها الجواهر والياقوت والدر
وذنتُ ، لكن طوى يراعتي الكسر

وإن عـدمت تقاة فارتحل أبداً
وإن دعوت فعلم ، ثم تضحية
وإن نكحت فذات الدين ليس سوى
والبيت بيت تقى ، فالذكر ديدنه
بيت يسير - على القرآن - مهتدياً
وليس فيه من التضليل خرداة
ولا تدار به آهات مُطربة
كأنه الفلك تسعى في بلهنية
والأسودان هما مطعموم ساكنه
وليس يشكو - لخلق الله - شدته
يُرحب - اليوم - بالفقر الذي اندلعت
ولا يُرقع أحلاماً مُطهمة
يا (يوسف الخير) قد طالت قصيدتنا
عتقت رونقها في قدر ذاكرتي
باتت كخلقك ، حازت كل واردة
إنني لأسـطر ، والأيام ماضية
وإن هجرت وصايا والدي نبضت
وإن زجرت أحاسيساً بها شحنت
وإن نهـرت قلوباً طالعنت دُرراً
وإن مسخت قراطيسي وتجربتي
يا (يوسف الخير) إن الشعر مركبتي
كتبتُ ، لكن قلوب القوم ما فقهت

لكن دواوين شعري أزها القسر
لكن يهددها النكران والثبر
وقد فعلت ، وتم الوعد والنذر
من الخطوب ، فمالي سفه الشعر!
إخوانك الصيد ، ثم استهلك العشر
حتى يتم لشعري الطبع والنشر
ودربيه عسر مسر تثقل وعر
فبالدعاء يزول البأس والضر
فبالقريض طوى أمالي البور!
في عزة الحق ، فيم الخوف والذعر!
وإن تفتته علامن جوفه الجعر
خاب العميل! وخاب السعي والوفر!
حتى تمتعه غاداته الشقر
يوماً ليصبح مأوى الأحمق القبر
أنت اللبيب ، فلا يلعب بك الختر!
هم الظلام ، وأنت الساطع البدر
سيفاً وذخراً ، ونعم السيف والذخر!
فلا يجرك إرجاء ولا جبر
يغلب الحق ، ما في نهجه حجر
هم اللباب ، ومن هم دونهم قشر
ولا عليك بمن في سبه كروا

وكنت نافحت عن حق أدين به
تجوب أرضاً وأقواماً وجمهرة
وقد نذرت إذا وفقت أرخصها
فما ادخرت لما يأتي الزمان به
وكنت أبقى عشرأ كي أعول به
حتى استندت ، وأحنى الدين أشرعتي
وهكذا الشعر يُفني مال صاحبه
ولست أشكو - لغير الله - مظلمتي
لكن أصرخ أن الشعر أجهدني
وما حزنت على الأموال أنفقتها
غيري حريض على الأطيان يملكها
يوفر المال في (بنك) يدل به
غيري يتوق لتفاز يشاهده
غيري يكذل دنيا سوف يتركها
يا (يوسف الخير) فاحذر من ذكرتهم
إياك إياك أن تعيش عيشتهم
وأسأل الله أن تحيا لشرعتنا
وأن تكون لدين الله متبعاً
وأن تكون - لآراء الرجال - فتى
وأن تتابع أسلافنا رحلوا
واقراً لقطب دعاة الخير (سيدنا)

وبين مَنْ - في ثرى أهوائهم - قرّوا!
ومَنْ تمسّك بالتوحيد يا خمر؟!
هل يستوي الأسدُ الضرغام والهَر؟!
هل يستوي الليث - يا أنذال - والفأر؟!
عن الرشاد ، وبئس الكيذ والمكر!
وأكتفي ، فلقد ملّ الجوى الشعر!

شـتـان شـتـان بين القطب مُستمياً
هل يستوي مَنْ شرى - بالدون - آخرة
الله أكبر ، أين العقول يردّ عكم؟
والقطبُ ليث تخاف العيرُ سيرته
يا (يوسفَ الخير) أبصر ما يُعرقنا
وقاك ربك ما نحياه من فتن

الحنيفية السمحة حياة العروبة

(في شهر يوليو من عام 1996م كتب الشاعر الأستاذ حمد بن خليفة أبو شهاب قصيدته المشهورة (وقفه مع صادق الشعر) ، وأعجبتني القصيدة ، فقامت بمعارضتها في ديواني الثاني: (عزيز النفس)! وعندما أهديته ديواني الثاني أثنى عليه ومدح القصيدة ، ورحب بي بصحبة الأخ حسن عباس التيجاني في مقر عمله في: (لجنة التراث والتاريخ) في مدينة دبي ، حيث يعمل الأستاذ حمد مديراً عاماً لها ، ويعمل الأخ حسن وكياً له. وأذكر جيداً أنني طالعت في مجلة الضياء قصيدة لحمد بو شهاب عنوانها: (إن العروبة بالإسلام عزتها) ، وأعجبتني فلاح لي أن أعارضها على ذات بحرهما ورويتها وقافيتها! وكان أبو شهاب قد اهتم بها حيث لم يكتب بنشرها في الضياء وغيرها! بل نشرها في ديوانه: (الهزار الشادي) ، يقول المطلع:

قبل الرسالة قل لي: من هم العرب؟ وأي مجيد بنبت أم لهم وأب؟
تعال فاستقرئ التاريخ أمثلة تر الحقائق فيما تحمل الكتب!
كان التفخر بالأنساب رائدهم في كل نادٍ ، فماذا حقق النسب؟
هل استطاعوا به توحيد أمتهم؟ كلا! ففاقد ملك الشيء لا يهب

واستمر الأستاذ في استعراض تاريخ العرب وسيرهم وأيامهم ومواقفهم مذ كانوا ممالك ممزقة يتقاسمها الفرس والروم ، مروراً بالبسوس وداحس والغبراء ، ومروراً بأحوالهم قبيل بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - . ثم جاءت البعثة والنبوة فأمنوا فباتوا خير أمة أخرجت للناس ، وزالت عبادة الأصنام والأوثان ، واختفى وأد البنات وغيره من عادات الجاهلية وأعرافها وتقاليدها! واستمرت الأمة ما شاء الله لها أن تستمر! وينعي أبو شهاب أحوال الأمة المعاصرة وقد احتلت بعض أراضيها شرادماً من الكفار! ويصفُ ضعفها وهوانها على أعدائها بعد أن تداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها! ولا يسترسل أبو شهاب في الشجون طويلاً. بل اتسمت القصيدة بالتوازن والإيجابية فوصفت الطريق لعودة الأمة إلى سابق عهدها ، وذلك باتباع الكتاب والسنة: الأصلين اللذين صلح بهما أمر الأوائل ، ويصلح بهما أمر الأواخر! فيختم أبو شهاب فيقول باكياً على الإسلام الحنيف والأقصى السليب:

واليوم يذبح (أهل العجل) قدسكم ويستبيحون ما شاؤوا متى رغبوا
ولم يهّب (أبو جهل) لنجدتكم ألا ترون أبا جهل هو السبب؟
يا شعرُ قف بعد أن طوّفت بي حِقْباً قف حيث أنت ، فقد أضناني التعب
وما وجدتُ - بغير الدين - معركة للعرب فيها - على أعدائها - الغلب
(إن العروبة بالإسلام عزتها) فإن تولت فلا عز ولا عرب!

ومن أراد مطالعتها كاملة فليقرأها في ديوانه ، أو في مجلة الضياء ، أو في كتاب (الهزار الشادي)! وطبعاً لم أشأ أن أورها هنا كاملة على عادة بعض الشعراء ليظل السبق للأول ولمثلي المحاولة وكفى به من شرف! والله الفضل أن يقدرني على معارضة شاعر هو قامة في شعر العرب الحديث! وإن رجلاً بوزن حمد بن خليفة أبو شهاب لأفخر أنني أعارضه في هذه القصيدة. أنشدت من شعري معارضاً له! والأصل أن الأمة المسلمة معنية بمواجهة التحديات دائماً! يقول الأستاذ أنور الجندي في بحثه الرائع: (تحديات في وجه المجتمع المسلم) ما نصه: (منذ كانت البشرية والشرع الرباني في صراع مع الفكر البشري. وعلى مدى التاريخ ولما جاء القرآن نسف هذا الفكر كله وصيره ركماً وكشف زيفه وضلاله وفساده ، ودعا البشرية من جديد إلى التوحيد بوصفه المنطلق الوحيد إلى إقامة المجتمع الرباني الأمثل. فهزم الإسلام العبودية البشرية في حضارات اليونان والفرس والهند والفراعنة ، وأقام حرية الإنسان متطوعاً إلى الإخاء البشري ، وجعل عبوديته لربه وحده دون الخلق جميعاً. ثم هزم العبودية الوثنية لغير الله وحرر العقل البشري وأطلقه ليجد طريقه إلى معرفة سنن الله في الكون ، ومن هذه النقطة أنشأ المسلمون المنهج التجريبي الذي هو قاعدة الحضارة المعاصرة. غير أن محاولات الهدم لم تتوقف وتجددت مرة أخرى ، وأخذت تصوغ من ذلك الركام القديم مذاهب جديدة عرفت في العصور السابقة بأسماء كثيرة منها الغنوصية والتناسخ والدهرية وإخوان الصفا والسبئية والحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، ولقد حطمت أعمال الشافعي وابن حنبل والأشعري والغزالي ثم ابن تيمية وابن القيم هذه الأعمال الزائفة التي كان لهما زخرفٌ ولمعانٌ يخطف الأبصار الساذجة. حتى جاء عصرنا عادت مرة أخرى عن طريق القوى الثلاث التي تواجه عالم الإسلام اليوم: الاستعمار والصهيونية والماركسية وتحمل لواءها دعوات: التبشير والاستشراق والتغريب والغزو الثقافي. ومنذ جاء الاستعمار وهو يعمل على هدم 3 قيم: (التعليم – الشريعة – اللغة). ومن هنا فإننا ينبغي أن نواجه هذا المخطط بقوة وعزم وتصميم).هـ.

- | | |
|----------------------------------|------------------------------------|
| قبل الرسالة ماذا كانت العرب؟ | وأي مجدي لهم يرجى ويطلب؟ |
| وأي عز لهم في كل بائية؟ | وأي معرفة شادات بها الحقب؟ |
| وأي خير أتوا يرجوه راغبه؟ | وأي علم لهم بالنور يعتصب؟ |
| وأي منقبة تزكي مآثرهم؟ | وأي حق به تستأصل الريب؟ |
| وأي مسككة عقل في ضمائرهم؟ | وأي رُشد إليه العُرب تنتسب؟ |
| وأي بأس لهم – في الحرب – يرفعهم | فوق الأتنام إذا ما غولبوا غلبوا؟ |
| وهل هناك لواءً كان يجمعهم؟ | وهل سما – في دنا أجدادهم – أدب؟ |
| وهل توحد صفّ ضمّ ساداتهم؟ | هل وحدت – بينهم – في المحنة النوب؟ |
| أم أنهم – في دجى أهوائهم – غرقوا | ومن سراب أسى أصنامهم شربوا؟ |

باع طويلاً - على شاراته - طربوا!
وليس تحوي الذي قد أحدثوا كتب!
وأمة العُرب في ثاراتها تجب
ونار كيدِهما - في العُرب - تلتهب
أجفانها بعد أن أودى بها الرهب
وأرضهم - رغم أنف الكل - تغتصب
مع المعاتيه من في شركهم ضربوا
وعن سنا شرعة الإسلام قد رغبوا
وكعبة الحق - مما ساد - تضطرب
فما تبقى لهم عز ولا نسب
وقدموا النذر والقربان واحتسبوا
وأحرقت بأسهم - في الملتقى - الشهب
لها بعيش ، فما سادوا وما كسبوا
فلا يبين لها - بين الورى - جلب
فيها يزول الأسى والوجد والنصب
حقاً يؤول لها ، والإرث ذا سبب
وكان فيه العطا والجود والطرب
والخمر يسكبها - في كأسه - اللهب
لقد يهزك - مما تنظر - العجب!
فليس عندهم رُشدٌ ولا لبب
وقد أعدت لذا الهديّة القضب
وإن تمسّ إنن قاموا بما يجب

وفي التذرع بالإفلاس كان لهم
ضاعت ممالكهم ، وزال سُودُهم
فالروم والفرس عاثوا في حواضرهم
كسرى وقيصر مَدًا كَفَّ من تقم!
ودارهم في أتون الصمت مطبقة
وخيرهم زمرُ الباغين تحصُّده
هم حرّفوا دين إبراهيم ، فانجرفوا
وبدلوا ملّة التوحيد في صلف
وأصبح الشرك ديناً في تصوّرهم
وعظم القوم أصناماً وأنظمة
وسبّحوا بغير الأوثان في وله
وأمعنوا - في دجى الغارات - صيحتهم
وأهدروا حق حواء ، فما اعترفوا
بل شرّعوا الواد قبراً كي يُغيبها
وأقنعوا الكل أن الواد بوتقة
وحرّموا الإرث للأنثى ، فما أخذت
حتى القمار لهم مُدت موائدُ
والميسرُ المُر يمكو في مجالسهم
ولو تراهم - على الأنصاب - قد جثموا
وعند قاعدة الأزلام قد ركعوا
وقاتلوا دون ما دانوا وما اعتقدوا
وبالقبيلة - في أنسابها - افتخروا

خمسين عاماً وهم - في مكرهم - دأبوا
وهم عبيدٌ لها من بعد أن نكبوا
وصينَ دمّ - على البطحاء - ينسكب؟
هل زال ذعرٌ به قد كان يُرتكب؟
وإن خبا عُرفهم أغراهم الغضب
وبعدُ كانت لهم - في شركهم - خطب!
فزالَتِ الغمُّ الرِّعَاءُ والكُرب
وعاد حقُّ ثوى قد كان يُنتهب
طريقتين ، فذي صدق ، وذي كذب
وكان للحق - رغم الكافر - الغلب
لا يستوي الشيخ - عند الذوق - والعنب
والكافرون - أمام القوة - انهزموا
والخيرُ عمّ ، وولى القحط والجذب
والمجرمون بما قد أجرموا ذهبوا
خيرَ الأنام ، وفي التقى رغبوا
تؤوي الجميع ، فما في الأرض مغترب!
للسيف - في ساحها - نيلٌ ولا أرب
حصناً يلوذ به إن أزه التعب
وأسدَّ البشرُ من قد كان يكتب
وعيشُنا - في ذرى التقوى - له لقب
هو الحياة لها ، والعزمُ والعصب

وأعلنوها على العادي مُدوية
والجاهلية تحو كل صولتهم
فهل بها اتحدوا داراً وجمهرة
وهل رأيت سلاماً زار عالمهم؟
لا يغضبون إذا ضاعت ممالكهم
وهم لغير المليك الحق كم ذبحوا
حتى أتاهم على حين (محمداً)
وكان خيراً - على الأعراب - مبعثه
دعا الجميع إلى الإسلام ، فانقسموا
وبلغ الحق يسمو في مدارجه
عروبتان: فذي سعد ، وذي كدر
توحد العُربُ في قفر وفي حضر
والدارُ عادت ، وللإسلام قد فتحت
وساد من كان - في الأوحال - منجدلاً
واستسلم الكل للرحمن ، واتبعوا
وأصبحت أمة الإسلام مملكة
خريّة برجث في الاعتقاد ، فما
تكفل الدين بالإنسان ، كان له
تحرر الناس من فوضى ثمزقهم
أكرم بدين رأيت النور منهجه!
أعطى العروبة روحاً كي تعيش بها

فالسلم أم لها ، وبعد ذاك أب!
يدعون لله ما قرّوا ، وما هربوا
ومن إلى سالف السواى قد انقلبوا
شادوا الهزائم ، إذ أهواهم ركبوا
فهم على الوحي في هذي الدنا رُقب
هو النماء لها ، والعلم والأدب
وإن قلته سرى - في قلبها - العطب
من نظرة صاغها بالحق من كتبوا
إذ سطورة فما غشّوا ولا كذبوا!
وكيف هم بعدما - إلى الهدى - انتسبوا؟
فيهم ، وتشهذه الأجيال والحقب
وأنطقتهم ، وهم - لمن يعي - خشب!
شرع المليك لدنيانا هو الشهب
وضمنا بالنبي المصطفى نسب!

قد صاغها صيغة شهباء ناصعة
عز الأعراب بالإسلام ، فانطلقوا
وجاهدوا في سبيل الله من كفروا
وحزروا الأرض من أضغان شرذمة
وطبقوا الشرع - للإيمان - ترجممة
هذي العروبة بالإسلام نابضة
إن حققته سمت في الأرض ، واحترمت
ولا أقل على ما قلت أمثلة
من الذين سنا التاريخ يشكرهم
ما العرب قبل مجيئ السلم يصنعهم؟
يا صاح فانظر إلى ما السلم أحدثه
تلق الحنيفة أحييتهم ، وقد أسنوا
وهكذا السلم يحيي من يدين به!
ونحمد الله أن كنا له تبعاً

الزوجة الثانية نعمة لا نقمة

(كتب الكثيرون عن تعدد الزوجات. فمن منصف محقّليم ، ومن مبطل مجحفٍ ذميم. وكادت القضية أن تضيع بين عُرف موروث ، وشرع منزل لا يعمل الناس به ولا يقفون عند حدوده إلا من رحم الله. وأقول: الزوجة الثانية نعمة لا نقمة. وكثيراً ما قرأت وقرأ غيري في كتب الأدب العربي إحدى القصائد العجيبة في النصح بمنع تعدد الزوجات واعتباره كأنه والجريمة صنوان وكأن الزوجة الثانية ذنبٌ سوف يأكل الزوج والعياذ بالله ، وكأن السابقين الأولين ابتداء من الأنبياء المبجلين والرسل الأكرمين – عليهم الصلاة والسلام أجمعين - ومن عداهم من الأتباع والأصحاب والصالحين ممن عدوا الزوجات ، أقول: كأن هؤلاء كانوا يعيشون مع نساء من عالم الغاب لا من عالم الإنس. ولا شك أن هذا ضلال بعيد وإفك قديم. وقصتي مع قصيدة ، الزوجة الثانية نعمة لا نقمة ، بدأت منذ إعجابي ببعض أبياتٍ أوردتها مُطليلاً بها المقدمة هذه عامداً لفائدتين: الأولى أن أثبت للقارئ الحبيب أنها كانت السبب في ميلاد قصيدي ، والثانية لأثبت أنه لم يستطع أحد - فيما أعلم - أن يرد على الأعرابي صاحب الأبيات الآتية إما لاعتقاده بإثم تعدد الزوجات والعياذ بالله وإما لخوفه من غضب زوجه والناس والرأي العام عليه. والقضية احتاجت شاعراً فحلاً قوياً لا يخاف في الله لومة لائم. وكما استطاع الأعرابي أن يجهر بقصيدته التي لم تتجاوز الأبيات العشرة ويكون لها ذلك الصدى وردة الفعل الكبيرة ، لدرجة أنه ما من كاتب اليوم يجمع نواذر الشعراء العرب من كتب التاريخ والأدب إلا ويوردها فيما يورد هذه الأبيات في إثبات أن التعدد نقمة ، مثلما يورد الأبيات والمواقف التي يسخر بعض أصحابها من الكتاب والسنة والفقهاء الإسلامى والعياذ بالله! أقول: كما استطاع الأعرابي أن يجهر بأبياته العشرة في ذم هذا الأمر وهو التعدد في زمان كان السميت العام فيه هو التعدد ، وأما الاستثناء فكان الاكتفاء بالزوجة الواحدة ، فإنه يتعين الآن أن يوجد شاعر من أعراب القرن الخامس عشر الهجري والقرن العشرين الميلادي يتعين أن يوجد شاعر من الأعراب المسلمين الموحدين اليوم ، يرد الحق إلى نصابه والقوس إلى باربيها مبيناً خطأ الأعرابي الأول موضعاً بالدليل الواضح والحجة البالغة والبرهان القاطع والقريض المترنم الحادي أن التعدد هذا ، هو شعيرة من شعائر الحنيفية السمحة ، شاء الجاهليون الحمقى والعلمانيون الملاحدة والمنافقون الزنادقة والحداثيون أذئاب الاستشراق والشيوخيون والرأسماليون وعبيد النساء المعاصرون ، أم أبواً جميعاً. يتعين أن يوجد شاعر يرد الحق إلى نصابه في زمان صار فيه الزواج من الثانية جريمة شنعاء وداهية دهياء وإثمًا عظيمًا: (ومن أظلم مما افترى على الله كذباً أو كذباً بآياته). ولقد جعل الله القول عليه بغير علم مرادفاً للشرك به ، يقول الله من سورة الأعراف (...وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون). وأعرف ابتداءً أن هذه المقدمة طويلة وتفصيلية ، ولازلت مصرّاً على إيضاح هذه القضية نثراً قبل تناولها شعراً ، وإن أريد الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله. أورد أبو علي القالي ج 2 ص 38 في كتابه الأمالي ، وابن عبد البر في بهجة المجالس ج 3 ص 42 حدثنا أبو بكر قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: قيل لأعرابي: من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش ، فتزوج امرأتين ثم ندم وتاب وأتاب ، وأدرك ما يعانيه من يتزوج امرأتين ، فقال حاكياً عن نفسه وناصحاً غيره:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي بما يشقى به زوج اثنتين

فقلتُ أصير بينهما خروفاً أنعم بـين أكـرم نعتين

فصرت كنعجة تُضحى وتُمسي تداول بين أخبث ذنبتين
 رضا هذي يُهَيِّج سُخْط هذي فما أعرى من احدى السخطين
 وألقى في المعيشة كل ضر كذاك الضرب بين الضرتين
 لهذي ليلة ، ولتلك أخرى عتابٍ دائمٍ في اللياتين
 فإن أحببت أن تحيا كريماً من الخيرات مملوء اليدين
 وتدرِك مُلك ذي يزن وعمرو وذي جـدنٍ ومُلك الحارثين
 ومُلك المنذرين وذي نواس وتبـع القديم وذي رُعـين
 فعش عزباً ، فإن لم تستطعهُ فضرباً في عراض الجفـلين

ولأمانة النقل أقول بكل موضوعية وحيدة: لقد عثرت على رواية أخرى لبيتته الأخير ، ألا وهي:
 فعش عزباً ، فإن لم تستطعهُ فواحدة تكفّي عسكرين!

وها نحن أولاء نردّ على الأعرابي نثراً وشعراً ، بما نعتقد أنه الحق ، وندين الله به ، وأجرنا وحسابنا على الله. يقول الله: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا). ويقول: (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً). ومن خلال هاتين الآيتين نستطيع أن ندرك أن العدل في الآية 3 من النساء التي ذكرناها أولاً يختلف عن العدل في الآية 129 من السورة ذاتها والتي ذكرناها أيضاً. فالعدل في الآية 3 هو القسمة الدنيوية في أمور العيش وتبدير أمور الحياة والنفقة واللباس والطعام والشراب وتقسيم الوقت! وهذا فيه مواخذه وحساب لأنه مستطاع ومقدور عليه ، فإن الله لا يكلف إلا بما هو مستطاع: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ، (لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها). وأما العدل في الآية 129 فهو ميل القلب وغلبة العاطفة واتجاه الشعور ، وهذا غير مستطاع ، كما أنه لا مواخذه فيه ولا حساب عليه إذ لم يستطعه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فكيف بمن هم دونه في الأفضليه والحق والقيام بأمر الله تعالى؟ روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم إن هذا قسمني فيما أملك فلا تلمني فيما تلك ولا أملك). فلقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يميل إلى السيدة عائشة أم المؤمنين – رضی الله عنها – أكثر من غيرها من نساءه. وإذن فالعدل بمعنى ميل القلب والعاطفة لا يؤاخذ الله فيه ، لأنه إذا كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يُعذر إلى الله تعالى بهذا الابتهاال الذي رواه أبو داود في سننه. فما بالناس بمن هم دونه: (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ، (والله يريد أن يخفف عنكم) ، (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ، فلا يدعّين مدع اليوم أنه وقد عدّد زوجاته ، قد استطاع العدل الذي هو ميل العاطفة والقلب والوجدان والخاطر والروح بين زوجيه! لأنه إن قال ذلك ، فيكون قد حقق ما لم

يستطعه النبي. وهذا زعم مجرد زعم ، وافتراء مجرد افتراء. فما عبد أحد رب العالمين من الناس أجمعين عبادة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم -! هذا ولقد عدّد كثير من الأنبياء والرسل نساءهم. ونبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – تزوج من اثنتي عشر امرأة. وأصحابه الكرام عددوا نساءهم ، ولا تزال كتب التراجم والسير والتاريخ تذكر عن كثير من الذين ذكرت تراجمهم وسيرهم ، أن فلاناً كان تحته أربع نسوة ، وفلان ثنتان ، وفلان ثلاث ، إلى غير ذلك. وقضية التعدد فيها كتاب جميل بديع رحم الله صاحبه هو (تعدد الزوجات) للعلامة / عبد الله ناصح علوان. وإذن فالأمر مأخوذ على أصل الإباحة شرعاً وتاريخاً ومنطقاً ، ومن هنا أدركنا جُرم من ينظرون إلى الموضوع في زماننا. فالتعدد في زماننا سُمي خيانة زوجية عظيمة ، وظلماً للمرأة وجوراً على حقوقها وحيافاً على إنسانيتها وكرامتها. وكثير من النساء الجاهليات في زماننا يُرْحَبْنَ بأن يكون لزوج الواحدة منهن عشيقات وخليئات والعياذ بالله على منهج أهل الفن والتمثيل والغواية والعهر والرذيلة ، ولا يكون له زوجة ثانية على كتاب الله وسنة رسوله ودين الحق الذي يزعمن أنهم من أتباعه! وكثير من النساء يتوفى عنهن الأزواج ، وتعتبر الواحدة منهن أن من الإخلاص للزوج الميت هذا أن لا تتزوج بعده أبد الدهر! وهذا تنطع كبير ولا شك. ويُستثنى من هذا الباب من تأيمت لتربي أولادها إن هي استطاعت ذلك. والحقيقة أن هذا الموضوع بحاجة لدراسة في كتب مثل: تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والنصرانية والإسلام ، للأستاذ / أحمد عبد الوهاب. وكتاب: تعدد الزوجات في الإسلام ، للأستاذ أحمد محمد القاسمي. ولا يجب الحكم فيه فقط بالأهواء. وأيضاً كثير من الناس يرى أنه لا يعدد على زوجته إلا رجل ابتلى بامرأة عاقر أو أخرى لا تطيعه أو ثالثة بها من العيوب ما الله به عليم ، أو يكون التعدد عنده من باب العقوبة للزوجة الأولى على ذنب ارتكبه في حق الزوج الفارس الهمام. والبعض يجعلون من تجارب التعدد الفاشلة قياساً على فشل التعدد كشعيرة من شعائر الإسلام! وإنه لمن باب السلامة الاكتفاء بواحدة فإنه أفضل. أقول: لو كان ذلك صواباً منهم لحكموا أيضاً على الزواج من الواحدة إن فشل كذلك على أن الغربة أفضل منه (وإن هي إلا الأهواء). وبعض المعددين يساعد أهل الجاهلية على هذا الاعتقاد من حيث لا يدري ، وكذلك بميله إلى الثانية وإهمال الأولى أو العكس. روى الإمام أحمد وأهل السنن عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال (من كان له امرأتان ، فمال إلى أحدهما ، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط). وبعضهم يتعلل بالآية خطأ فيقول: (وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) ، فنقول له: إن المعنى المراد والله أعلم وبعد مطالعة جمهرة من كتب التفسير: أي من خاف منكم ألا يحقق العدل الدنيوي الذي هو مستطاع من العدل والتسوية بين الزوجات في النفقة وكذا الطعام والشراب والغطاء والدواء والكساء والأيام فالأفضل لهذا النوع الاكتفاء بواحدة ، ولهذا الموضوع بسط مسهب طويل عريض متفرد في الصفحات العشر من 576: 586 من كتاب الظلال ، ذلك الكتاب الذي لا يعجب أهل التنطع والأهواء والزيغ لبعض الأخطاء والمزالق التي به والتي لا يسلم منها كتاب في الأرض اليوم مادام كتاباً في التفسير ، ورحم الله صاحب الظلال ، وتجاوز الله عن أخطائه ومزالقه وعثراته في الظلال وفي سائر كتبه ، ونفع الله بما قاله من الحق. وهناك أيضاً محاضرة في حكمة التعدد للأستاذ العلامة / محمد بن حسن الدريعي - حفظه الله - . وهناك تحليل للتعدد للأستاذ فوزي السعيد في تقديمه لتفسير سورة الحجرات المباركة. ويقطع كثير من المتنطعين بمنع التعدد لواقعة حدثت بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفاطمة ابنته وعلي زوج فاطمة - رضي الله عنهما - ، عندما أعلن علي عن

خطبته جويرية بنت أبي جهل بن هشام فعلمت فاطمة فغضبت وأخبرت أباهما - صلى الله عليه وسلم - وقالت فيما قالت: (يزعم الناس أنك لا تغضب لبناتك)! وهذا أبو الحسن قد خطب ابنة أبي جهل وأعد للنكاح. فقام رسول الله خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: (إنما فاطمة بضعة مني ، وإنني لأخشى أن تفتنوها. ولا والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله تحت رجل واحد أبداً) ، فعدل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن هذا الزواج وقال: لا آتي شيئاً تكرهه. ويكاد ابن حجر في الفتح أن يقطع بأن هذه كانت خصوصية لفاطمة فقط ، وليست تشريعاً يعمل بمقتضاه المسلمون. ونورد رواية حديث البخاري أولاً ، ثم نورد تعليق ابن حجر عليها: يروي البخاري في كتاب النكاح من الصحيح ، عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول وهو على المنبر -: إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب ، فلا أذن ثم لا أذن ، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فإنما هي بضعة مني ، يربيني ما أربها ويؤذيها ما أذاها. ثم يعلق ابن حجر في الفتح قائلاً: (والذي يظهر لي أنه لا يبعد أن يعد هذا في خصائص النبي - صلى الله عليه وسلم - خاصاً بفاطمة - رضي الله عنها - . وأيضاً أن فاطمة كانت قد أصيبت بأمها ثم بأخواتها واحدة بعد واحدة ، فلم يبق لها أن تستأنس به ممن يخفف عليها الأمر ممن تفضى إليه بسرهما إذ حصلت لها الغيرة).هـ. أقول: وعلى هذا فحديث فاطمة هذا فيه خصوصية لها ولأبيها - صلى الله عليه وسلم - وهو حديث له مناسبتة ومبرراته ولا يصح الاستشهاد به مطلقاً في منع التعدد ، لأن التعدد شرع الله لا ينسخ ولا يبطل العمل به إلا بدليل من كتاب أو سنة ، والتعدد هبة الله لعباده من أهل الإيمان والتوحيد ولا يعود العبد الكريم في هبته فكيف إذن بالله - عزوجل - والله المثل الأعلى في السماوات والأرض. ولا يجوز شرعاً ولا منطقالاً أن تشترط زوجة تؤمن بالله واليوم الآخر على زوجها الذي تزوج من أخرى أن يطلق الثانية أو الأولى. روى البخاري وأحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والطبراني عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - أن امرأة قالت: يا رسول الله ، لي جارة - أي ضرة - فكرهت أن تقول ضرة أفعلي جناح أن أتشبع من زوجي بما لا يعطيني؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور). وروى أبو داود في السنن وأخرجه النسائي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ليس منا من خيب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده) ، وأخرج البخاري والنسائي ومسلم والترمذي أن أبا هريرة - رضي الله عنه - قال - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (لا تسأل المرأة طلاق أختها ، لتستفرغ صحفتها ولتنكح ، فإنما لها ما قدر لها). وبعض الهارفين بما لا يعرفون والناعقين بما لا يعقلون يقولون: وهل طبق الناس ما في القرآن والسنة من أحكام ولم يعد غير التعدد أمامهم؟ وهذه كلمة حق أريد بها باطل. إذ لو سار الناس عليها في كل شرائع الدين ومتطلبات العقيدة ولوازم التوحيد ومقتضيات الإيمان لما آمن بالله أحد وما اتبع دينه أحد. وبعض النسوة يفضلن الطلاق على زوج تعيش معه إحداهن معدداً. وبعضهن تعتبر الزوجة الثانية عدواً ، وأن زوجها ما عدد إلا لأنه يكره الأولى وينشد اللذة والمتعة ، بعد أن كبرت وشاخت أم الأولاد ، ولم تعد قادرة بعد على عطاء اللذة الذي هو مطمح من مطامح النكاح وغاية من غاياته وفق الشريعة الغراء. أقول: لا مانع من الغيرة المعقولة المنضبطة بضوابط الشرع والمعتصمة بعواصم الكتاب والسنة ، ولكن أن تفقد الغيرة المرأة إلى أن تكره ما أنزل الله من التشريع فهذه ردة صريحة عن الإسلام ، عندنا من الله فيها دليل وبرهان (طبعاً

بعد قيام الحجة الرسالية التي يكفر تاركها! يعني المسألة مسألة توافر شروط وانتفاء موانع). فأمهات المؤمنين كن يغرن وما قادتتهن الغيرة يوماً (وحاشاهن) إلى كراهية الدين ، يقول الله: (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر). وصارت عقيدة عند كثير من النسوة اليوم أن الزوجة الثانية خيانة وافتراء وشهوانية وجريمة ، كما صار مثالياً من لم يعدد ، وإنما حافظ على زوجته الواحدة وأولاده وبيته وأسرته! وصار زوجاً خانناً من عدّد فتزوج من الثانية ، ولم يعد مقياس الحكم على الزوج المثالي الناجح الذي هو مطمح كل فتاة ، أنه الذي يحافظ على دينه وعقيدته ويحافظ على أهل التوحيد والإيمان ، ويأخذ أسرته بأوامر الكتاب والسنة ، ويتعهدا بالنصيحة والوعظ والإرشاد. يقول الأستاذ حمدي شفيق عن تعدد الزوجات في كتابه: (شبهات حول المسلمات) ما نصه: (من أكثر الانتقادات شيوعاً على السنة المُغرّضين أن الإسلام جاء بتعدد الزوجات لمصلحة الرجال على حساب النساء ، وهو بذلك يلبي شهوات الرجل بينما ينتقص من حق المرأة في المعاملة بالمثل ، ويهدر كرامة الزوجة التي يفترن زوجها بأخرى أو أخريات ، ولا يعبأ بمشاعرها ، إلى آخر تلك الادعاءات. وليس أيسر من تفنيد تلك الأقاويل الباطلة بحقائق التاريخ والعلم والواقع المشهود أيضاً. فمن الناحية التاريخية: نلاحظ أولاً أن تعدد الزوجات نظام عرفته البشرية منذ فجر التاريخ وقبل مجيء الإسلام بآلاف السنين. ولم تكن هناك أية ضوابط من أي نوع بالنسبة للرجل الذي يهوى إقامة علاقات نسائية ، لا من حيث العدد ، ولا معاملة الزوجات أو الأولاد ، ولا حتى التزام أي معيار من معايير العدالة بين نساها. فقد عرف الفراعنة تعدد الزوجات والمحظيات بلا حدود. وعلى سبيل المثال كان للفرعون الشهير رمسيس الثاني 8 زوجات وعشرات المحظيات ، وأنجب منهن أكثر من مائة وخمسين ولداً وبناتاً ، وأسماء الجميع منقوشة على جدران المعابد ، وأجساد بعضهن موجودة حتى الآن بالمتاحف. وكانت لفرعون موسى عدّة زوجات منهن السيدة آسية - رضي الله عنها - التي ربّت موسى - عليه السلام - وكانت قد احتضنته رضيعاً ومنعت فرعون من قتله لتتخذهُ ولداً. وكذلك كان تعدد الزوجات شائعاً على أوسع نطاق لدى الفرس والرومان والشعوب ذات الأصل السلافي مثل: الروس ، والصرب ، والسلوفاك ، والشعوب الجرمانية والسكسونية مثل: الألمان وسكان النمسا ، وسويسرا ، وبلجيكا ، وهولندا وإنجلترا ، والنرويج. وكان التعدد - وما يزال - منتشرًا عند طائفة المورمون بأمريكا وشعوب وقبائل غير مسلمة مثل: الوثنيين في أفريقيا ، والهندوس ، والصينيين ، واليابانيين (يمكن معرفة المزيد عن تعدد الزوجات والجوارى في الشعوب والممالك القديمة بالرجوع إلى الموسوعات التاريخية ومنها: "قصة الحضارة" ؛ وول ديورانت - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ترجمة زكي نجيب محمود ومحمد بدران وآخرين - مكتبة الأسرة). وفي كل شرائح الأنبياء قبل نزول القرآن الكريم على محمد - صلى الله عليه وسلم - كان التعدد مشروعاً وبلا حد أقصى لعدد الزوجات أو الجوارى. فقد تزوّج أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - سارة وهاجر ، ثم اثنتين أخريين هما قطور ابنة يقطان الكنعانية وحجون بنت أهيب وهي عربية أيضاً. وتقول مصادر أهل الكتاب أن يعقوب - عليه السلام - تزوج ابنتي خاله لابان وهما "ليا" و"راحيل" معاً ، ثم عاش أيضاً جاريتين لهما وأنجب من النساء الأربعة الأسباط وعددهم اثنا عشر ولداً. ولا يمكن لأحد إنكار ما أورده العهد القديم عن داود وسليمان - عليهما السلام - إذ تقول مصادرهم أن داود تزوج مائة امرأة ، بينما تزوج ولده سليمان ثلاثمائة امرأة وكانت له سبعمائة جارية بالإضافة إلى زوجاته (انظر التفاصيل في: "قصص الأنبياء" ؛ للإمام ابن كثير

وقصص الأنبياء المسمى "عرائس المجالس" ؛ للثعلبي و"تاريخ الرسل والملوك"؛ للطبري). وهذه الأرقام الهائلة لا يجدون فيها أية غرابة ، بينما يتصايحون لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - تزوج 11 سيدة معظمهن أرامل ومطلقات وبعضهن كن أكبر منه سنًا! لماذا تقبل عقولهم أن يتزوج نبي ثلاثمائة زوجة وسبعمائة جارية - أي ألف حليلة - بينما يستنكرون زواج أخيه محمد بإحدى عشر؟! إنه الحقد على نبي الإسلام فقط لا غير! كما ذكروا أيضًا أن ربحعاص بن سليمان تزوج 18 وكانت له ستون جارية أي كانت له 78 حليلة! وكذلك كان تعدد الزوجات منتشرًا في جزيرة العرب قبل الإسلام. وعلى سبيل المثال أسلم غيلان الثقفي وعنده عشر زوجات فأمره النبي - عليه السلام - باستبقاء 4 وتطبيق الباقيات ، والحديث رواه البخاري. وروى أبو داود أن عميرة الأسدي أسلم وعنده 8 زوجات ، فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له: "اختر منهن أربعاً". وفي مسند الشافعي أن نوفل بن معاوية الديلمي كانت له خمس زوجات قبل الإسلام ، فلما أسلم قال له النبي - عليه السلام - : "اختر أربعاً أيتهن شئت وفارق الأخرى". ولا يوجد نص في الإنجيل على تحريم التعدد ، وكل من يزعم ذلك من النصارى فإنه يكذب ، بل يكفر بدينه الذي يوجب عليه الإيمان بأنبياء العهد القديم ، وكلهم كما رأينا أباحوا التعدد وطَبَّقُوهُ بأنفسهم عليهم السلام أجمعين. وقد أجازت الكنيسة للملك شارلمان الزواج بعدة نساء في وقت واحد وأنجب منهن. وحتى الآن تمارس طائفة المورمون المسيحية في أمريكا - كما قلنا - تعدد الزوجات بلا حصر ولا عدد ولا ضوابط من أي نوع كان. ومن الناحية العلمية فقد أكد علماء النفس والاجتماع في الغرب أن الرجل بطبعه وتكوينه مفضل على حب التعدد. ولذلك أكدوا عدم صلاحية نظام الزوجة الواحدة للبقاء والاستمرار. والواقع يثبت أن كثيرًا من الرجال لا يكتفي بامرأة واحدة. والدليل القاطع هو ما نراه في الغرب من فوضى جنسية عارمة. فإذا كانت القوانين هناك تمنع تعدد الزوجات ، فإنها تبيح تعدد العشيقات والشذوذ الجنسي بشتى صورته وأشكاله وأنواعه! وتكفي نظرة عابرة على ما تنشره وسائل الإعلام في أوروبا وأمريكا عن فضائح الزعماء هناك وعشيقاتهم. وعلى سبيل المثال أحصى الصحفيون الأمريكيون مائة عشيقة للرئيس الأسبق بيل كلينتون طوال مراحل حياته المختلفة. واضطر الرئيس الفرنسي ساركوزي إلى تطليق زوجته بعد انتخابه رئيساً لفرنسا والزواج من عشيقته حرصاً على منصبه ، بعد أن فجرت الصحف الأوروبية فضائحه معها! وكذلك كان الحال مع معظم قادة أوروبا وأمريكا والصين. (وللمزيد من التفاصيل عن عشيقات زعماء الغرب في كتاب "زوجات لا عشيقات التعدد الشرعي ضرورة العصر" طبعة القاهرة 1995م. ويمكن تنزيله مجاناً من شبكة الإنترنت من عدة مواقع إسلامية على رأسها الموقع الممتاز صيد الفوائد وموقع المكتبة الإسلامية ، وموقع المنشاوي للبحوث وموقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وموقع ابن مريم وموقع مكتبة النبع الصافي وغيرها). فأين هذا الدنس والانحلال من طهارة ونقاء الإسلام الذي يضبط التعدد بعدم جواز الزيادة على أربع زوجات؟ وبشروط مشددة هي: القدرة على إعالتهم والعدل بينهم في كل شيء وإلا كان عليه الاكتفاء بواحدة فقط. وتثبت كل الإحصائيات في العالم الآن عظمة التشريع الإسلامي في إباحة التعدد بشرط العدل. ففي معظم دول العالم هناك زيادة خطيرة في أعداد النساء بالمقارنة بأعداد الرجال. والفجوة تزداد بين أعداد الجنسين عامًا بعد الآخر بسبب الحروب المجنونة التي تفتك بملايين الرجال سنويًا في مختلف أنحاء العالم. ففي الولايات المتحدة الأمريكية يزيد عدد النساء على عدد الرجال بأكثر من 10 ملايين امرأة. وفي بريطانيا

5 مليون امرأة زيادة على أعداد الرجال. وفي ألمانيا بلغت النسبة 3 نساء لكل رجل بعد الحرب العالمية الثانية. وفي لبنان الآن نسبة عدد النساء إلى عدد الرجال هي 5 إلى 1 بسبب الحروب الطاحنة ، وهجرة الذكور للعمل والاستقرار بالخارج وغالبًا ما يتزوج الشاب في البلد الذي يهاجر إليه ويستقر به. ويزيد عدد النساء على عدد رجال الهند بأكثر من 50 مليون امرأة. وفي روسيا يزيد عدد النساء على عدد الرجال بعشرين مليون امرأة مما دعا رئيس الحزب الشيوعي الروسي المتطرف إلى المطالبة باستحداث تشريع هناك يسمح بتعدد الزوجات لعلاج الخلل الاجتماعي الخطير. لاحظ أن هذا الرجل مُلحد ، ولكنه لم يجد حلاً آخر أفضل مما جاء به الإسلام! وأصدر رئيس الشيشان قرارًا جمهوريًا يسمح بالتعدد للتغلب على مشاكل النقص الحاد في أعداد الرجال. وهو ما فعله أيضًا برلمان جمهورية أنجوشيا - إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق - إذ أقرَّ قانونًا منذ بضع سنوات أباح تعدد الزوجات هناك ، للتغلب على الخلل الخطير في العدد بين الجنسين الذي بلغت نسبته 3 نساء لكل رجل. وذات الخلل موجود أيضًا في الفلبين وأفغانستان والبوسنة والهرسك التي كان الصرب يذبحون الرجال فيها ويتكون النساء لاغتصابهن. وفي العراق أظهرت آخر الإحصائيات الرسمية أن النسبة هي رجل واحد لكل ستة نساء ، وبلغ عدد الأراامل هناك أكثر من 3 مليون أرملة بسبب الحروب الطاحنة المستمرة منذ ما يقرب من 30 سنة ، فضلاً عن 5 ملايين من الأيتام. وفي هونج كونج النسبة هي رجلان لكل خمس نساء طبقاً للإحصائيات الرسمية. ونسأل كل من يعارض التعدد: كيف يمكن حل هذه الكارثة الاجتماعية في العراق مثلاً بدون التعدد؟! ثلاثة ملايين أرملة معظمهن في سن الزهور ، وبحاجة إلى رجل بأسلوب مشروع نظيف ، كما يحتاج أطفالهن إلى رجل صالح يلعب دور الأب الشهيد ويعوضهم ما فقدوه من حنان ورعاية ودفع الأبوة التي لا غنى عنها مطلقاً من كل النواحي النفسية والاجتماعية والاقتصادية أيضاً لأي طفل. وتشير الإحصائيات كذلك إلى ارتفاع خطير في معدلات العنوسة المتزايدة في الدول العربية والآسيوية والإفريقية. وتتراوح النسبة بين 35% إلى 50% في دول الخليج وشمال إفريقيا. كما تتزايد معدلات الطلاق بصورة خطيرة. وكل هذا من شأنه ارتفاع أعداد النساء الوحيدات اللاتي بحاجة إلى الزواج. وقد نُشرت مؤخراً أبحاث عملية متواترة في الغرب أجمعت على أن كروموسوم يتسبب في إنجاب الذكور في تناقص حادّ مستمر جيلًا بعد الآخر. وهذا يتسبب - كما هو مُشاهد الآن - في تزايد أعداد المواليد من الإناث ، وتناقص أعداد المواليد من الذكور. وهو دليل جديد على عظمة تشريع الإسلام في إباحة التعدد للتغلب على مشكلة تناقص الذكور. وهو ما يثبت أيضاً صدق ونبوة خاتم المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي أخبرنا منذ 14 قرناً بهذه الظاهرة في حديث صحيح عن علامات الساعة ، ذكر منها تناقص أعداد الرجال وتزايد أعداد النساء ، حتى يكون للرجل الواحد خمسين امرأة (رواه البخاري ومسلم) وهو ما تؤكد كل الشواهد والحقائق العلمية والواقعية أننا في الطريق إليه بالفعل! ولو سألنا أية امرأة شريفة عاقلة: هل تفضلين الحياة كزوجة ثانية أو ثالثة مع العدل وكفالة حقوق متساوية لك ولأولادك مع الأخريات وأولادهن أم كعشيقة في الظلام لا حقوق لك ولا لأولادك؟! أعتقد أن الجواب بالقطع هو تفضيل الزواج ولو مع أخريات. بل أكدت نساء كثيرات في إحصائيات واستطلاعات جرت في مصر ودول عربية أخرى أنهن يفضلن الاقتران برجل متزوج بشروط العدل ، على حياة العزوبة الموحشة البائسة. وهناك ملايين من الزوجات العاقرات غير القادرات على الإنجاب وكذلك المريضات والطاعنات في السن. وليس من المروعة في مثل هذه الأحوال أن

يطلقها الزوج بعد سنوات طوال من العشرة. والأكرم والأنبل أن تظل هذه العاقر أو المريضة أو العجوز زوجة مُعززة مُكرّمة ، وأن تأتي إلى جانبها أخرى للإنجاب وتلبية رغبات الزوج المشروعة وخدمة الأسرة مع حصولها على حقوق مساوية للأولى. ويقرر كبار علماء الاجتماع والمؤرخون من غير المسلمين – مثل وسترمارك وهوبهوس وهيلير وجنبرج – أن التعدد ينتشر فقط بين الشعوب التي بلغت قدرًا كبيرًا من الرقي والحضارة وليست الشعوب البدائية. فقد عرفت تعدد الزوجات كل الشعوب التي استقرت في وديان الأنهار ومناطق الأمطار الغزيرة ، وتحولت إلى الزراعة المنتظمة بدلاً من صيد الحيوانات وجمع ثمار الغابة. ويؤكد هؤلاء العلماء أن نظام تعدد الزوجات أخذ في الاستمرار ويتسع نطاقه كلما تقدمت البشرية خطوات إلى مزيد من التحضر والتطور والتقدم العلمي ، خلافاً لما يظنه بعض الحاقدين على الإسلام الذين يزعمون أن التعدد ظاهرة متخلفة انقضى زمانها وفات أوانها. ويرى المفكر الفرنسي الكبير جوستاف لوبون أن نظام التعدد الذي أقره الإسلام هو أفضل حلّ ممكن لضبط العلاقات بين الجنسين. وذكر لوبون في كتابه "حضارة العرب": أن التعدد كان موجوداً قبل الإسلام ، وأن أحوال المسلمات أفضل كثيراً من أحوال الأوروبيات". وقال المفكر الإنجليزي لايتنر: أن التعدد يقلل قطعاً من أعداد البغايا والمواليد غير الشرعيين وتندر معه الأمراض الجنسية المنتشرة في الغرب. وأشاد المفكر الفرنسي رينيه بتعدد الزوجات الإسلامي لذات الأسباب ، ونظن أن شهادات هؤلاء العلماء والمفكرين - وهم من غير المسلمين - هي أكبر دليل على بطلان دعاوى المغرضين. لقد جاء الإسلام ليضبط العلاقات بين الجنسين ، ويقضي على الفوضى الجنسية والاجتماعية ، فمنع الزيادة على 4 زوجات في وقت واحد. وتظهر عظمة الإسلام في وضع حدٍّ أقصى على ضوء ما نراه عند الآخرين مثل طائفة المورمون المسيحية الأمريكية التي لا تضع أي ضوابط على تعدد الزوجات. ويكفي أن نشير إلى ما نشرته وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية مؤخراً من ضبط رجل أمريكي من المورمون لديه تسعون امرأة ، ولم يكتفِ بمعاشرة نساءه التسعين بل اغتصب ابنته أيضاً! ولولا ارتكابه جريمة اغتصاب ابنته ما قبضت عليه الشرطة! (والقصة منشورة في موقع شبكة سي إن إن على الإنترنت باللغة العربية. وقصص المسلمين والمسلمات الجدد يوجد آلاف منها في عدد من - وهذا مكفول لكل! المواقع الإسلامية الجيدة عبر الإنترنت مثل موقع

القرآن الكريم هو موقع (www.todayislam.com) وموقع (www.islamway.com) الكتاب السماوي الوحيد الذي نص على حظر التعدد في حالة "مجرد الخوف" من عدم تحقيق العدالة بين الزوجتين. قال - تعالى - : {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِلُوا فَوَاحِدَةً} ، والأمر الإلهي في الآية الكريمة صريح في وجوب الاكتفاء بزوجة واحدة إذا خاف من عدم العدل. وأكدت كل الإحصائيات في أوروبا وأمريكا أن الإسلام هو أسرع الأديان انتشاراً في العالم. ويعتقد الملايين من الناس الدين الإسلامي كل عام عن اقتناع تام بعد دراسات عميقة متأنية. والطريف الذي ذكرته وسائل الإعلام الغربية أن أكثر من 80% من هؤلاء الذين يعتقدون الإسلام هم من النساء. ويعني هذا بوضوح أنه مقابل كل رجل يعتقد الإسلام هناك أربع من النساء المسلمات الجدد. ومن المعلوم من الإسلام بالضرورة أنه لا يجوز للمسلمة أن تتزوج بشخص غير مسلم. فإذا كانت المسلمة الجديدة لا تستطيع الهجرة أو الانتقال للحياة في بلد إسلامي ، فإنها تكون أمام عدة خيارات أحلاها مريع شديدة المرارة. فإما أن تظل وحيدة وتدفن شبابها وأحاسيسها ، وتعاني كل أنواع الأمراض النفسية والعصبية والبدنية الناجمة عن العنوسة والكبت والحرمان

طوال حياتها ، أو تقع في الحرام بمعاشرة جنسية خارج إطار الزواج ، وهو ما يحظره الإسلام تماماً ، أو تسقط فريسة للشذوذ وهو محظور كذلك. وهكذا فإنه لا يوجد حل نظيف طاهر أمام ملايين من المسلمات الجدد في الغرب أفضل من قبول تعدد الزوجات مع العدل وكفالة كل الحقوق المتساوية لهن ولأطفالهن. والله وحده أعلم بما يصلح حال خلقه أجمعين. ولقد بدأت الكثيرات من المسلمات في الغرب يدركن أهمية التعدد الإسلامي وتُبل مقاصده وضرورته المتزايدة ، وهناك حالات كثيرة قبلت فيها مسلمات جدد الاقتران بمسلم متزوج بالفعل ، بعد أن أدركن أن هذا هو أفضل وأكرم الحلول لهن(5). ويحاول المشككون النيل من نظام التعدد بادعاء أن تحقيق العدل بين الزوجات مستحيل ، ويقتطعون جزءاً من الآية 129 من سورة النساء ، ويتجاهلون الباقي على طريقة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ} ، دون ذكر باقى الآية: {وَأَنْتُمْ سَكَارَى} فتكون النتيجة قلب المعنى تماماً وتفسير الآية على خلاف ما أراد الله - تعالى - بها ، والله أعلم بمراده. يقولون: لقد قال القرآن صراحة: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} ، ويتجاهلون بقية الآية: {فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} (انظر تفسير الآية 129 من سورة النساء عند ابن كثير، والطبري، والظلال ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، والجصاص ، والنسفي ، والبيضاوي، والشوكاني ، والسعدي ، وغيرهم). والمعنى كما قال المفسرون: أن العدل المطلق بين الزوجات في الميل القلبي مستحيل ، فالقلوب بيد الله يُصرفها كما يشاء ، فيكفي الزوج أن يبذل قصارى جهده في العدل بينهما في كل الأمور المادية بما فيها النفقة والمبيت وحتى القبلة والابتسام. أما الميل القلبي فيمكنه أن يحاول التحكّم فيه حتى لا يؤدي به إلى ظلم إحداهن وهجرها تماماً ، فتكون كالمُعَلَّقَةِ لا هي بمُطَلَّقة يمكنها الزواج من آخر ولا هي بزوجة تحصل على حقوقها. هذا الميل الكامل بشكل ظالم لإحداهن هو المنهي عنه ، وليس معنى الآية أن التعدد ممنوع ؛ لأن العدل التام مستحيل ، فكما قال صاحب الظلال - رحمه الله - في الظلال: "شريعة الله ليست هازلة لتأخذ بالشمال ما أعطته باليمين". ونضيف إلى ما قاله: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقسم بين زوجاته فيعدل في كل الأمور المادية ، وكان الجميع يعلمون أنه يحب عائشة أكثر لكنه لم يظلم الأخريات ، وكان يسأل ربه العفو وعدم المواخذه بالميل القلبي ، لأنه ليس بيد الإنسان. ألا تلاحظ أن الإنسان يميل قلبه إلى بعض أولاده أكثر من بعض رغم أن الكل فلذات كبده ، فهل نادى أحد بمنع الإنجاب خشية عدم تحقيق العدل بين الأولاد؟! وباقي الآية الكريمة يثبت ذلك ، فقد نهى الله - تعالى - عن "الميل" بشكل كامل إلى إحداهن ، وأرشد الزوج إلى مقاومة هذا الميل إلى إحداهن ، وكبح جماحه حتى لا يتسبب في تحويل المرغوب عنها إلى مسجونة أو مهجورة ، لا هي تحصل على حقوق الزوجة، ولا هي مُطَلَّقة فيمكنها الزواج بأخر يعطيها ما حرّمها منه الأول المشغول عنها دائماً بأخرى. ولو كانت الآية تحظر التعدد لعدم إمكان تحقيق العدل المطلق حتى في المشاعر ، لما وعد الله - سبحانه - في آخر الآية من يصلح ويتقي بالمغفرة والعفو عن بعض الميل القلبي الذي لا يملكه الإنسان: "وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيمًا". ونلمس في هذه الآية العظيمة تهدئة لروع الرجل وإخباراً له أنه لا سبيل أمامه إلى تحقيق العدل بين زوجاته بشكل كامل. والمعنى هو: لا تخف وابذل ما في استطاعتك لإسعاد زوجاتك والعدل بينهما بقدر ما تستطيع ، وسوف يتجاوز الله بكرمه وإحسانه عن القدر الذي ليس في وسعك ويغفره لك. ومن الثابت أن العدالة المطلقة هي الإلهية ، أما العدالة البشرية فهي دائماً ناقصة ، لأن الناقص لا يمكنه الإتيان

بالكمال ، والله أعلى وأعلم. وعلى كل حال تملك الزوجة الحق في طلب التطلاق لعدم العدل ، وعلى القاضي أن يحكم لها بالتطلاق إذا ثبت وقوع ضرر عليها خاصة في حالة ثبوت ظلم الزوج لها بعدم المساواة بينها وبين زوجته الأخرى. كما يحكم لها بالخلع - وهو طلاقه بانة - طالما ردت إلى زوجها ما دفعه لها من مهر ، لأنه ليس من العدل أن تحتفظ هي بالمهر رغم إقدامها على هدم الزوجية بالخلع. والفرض هنا أن الزوج لم يرتكب خطأ ما بل هي التي تريد الفراق وتسعى إليه كما سيأتي عند الكلام عن الخلع. ونرد على من يستنكرون عدم السماح للمرأة بتعدد الأزواج أيضاً بسؤال: من سيكون الأب لأطفال تلك المرأة التي تضاجع عدة أزواج في وقت واحد؟! وما هو الحل إذا كان كل واحد من أزواجها يريد لها نفاسه في ذات اللحظة؟! ومن هو الذي سيدير دفة الأمور في مثل هذا المنزل الذي لا يعرف له قائد أو مدير لشؤونه؟! ثم يأتي العلم الحديث ليثبت دوماً عظمة الإسلام ، وصواب منهجه الإلهي المحكم. فقد أثبتت أحدث الأبحاث الطبية في الغرب أن المرأة التي يعاشرها أكثر من رجل في وقت واحد تُصاب غالباً بسرطان المهبل أو سرطان الرحم بسبب اختلاف الحيوانات المنوية وتنافرها. ولا نطن أننا بحاجة إلى الكلام بعد هذه الأبحاث المؤثقة التي أجراها علماء من غير المسلمين. وقد رفض علماء النصارى تعدد الأزواج للمرأة الواحدة. وعلل القديس أوجستين ذلك بأنه "لا يكون للمرأة سيدان". وليس صحيحاً أن التعدد يتم ضد إرادة المرأة ولا ضد مصلحتها. فإن الزوجة الأولى إذا لم تضع شرطاً في عقد الزواج يمنعه من الزواج بأخرى ، فإن هذا يعني ضمناً قبولها ما هو معلوم بالضرورة من إباحة الزواج من أخرى مع العدل ، فيجب عليها احترام ذلك بموجب العقد الذي وافقت عليه. ولو كانت حريصة على رفض التعدد لوضعت شرطاً يمنعه من ذلك ، ويكون عليه احترام هذا الشرط إن وُجد. وأما الزوجة الثانية - أو الثالثة أو الرابعة - فمن الواضح تماماً أنها تقبل الزواج من رجل تعلم أنه متزوج بالفعل ، والزواج الثاني - أو الثالث أو الرابع - يكون باطلاً إذا تم بدون رضاها وموافقته كما ذكرنا في فصل "مودة ورحمة". فلماذا يلومون الرجل ولا يلومون المرأة التي وافقت على الزواج منه مع علمها بأنه متزوج بالفعل؟! ثم إن هذه الزيجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة إن كانت تضر - بعض الضرر - بالزوجة الأولى ، فإنها بالطبع تحقق فوائد مؤكدة للمرأة التي تقبل الزواج من رجل متزوج ، فهي تضمن عائلاً لها ولأطفالها إن كانت أرملة أو مطلقاً ، وتضمن زوجاً يحقق لها المقصود من الزواج بالسكون النفسي والعاطفي والجنسي ، ويعفها الله به عن العلاقات المحرمة. والقاعدة المعلومة هي ارتكاب أخف الضررين. ولا شك أن شعور الزوجة الأولى ببعض الغيرة والألم النفسي يظل أخف بكثير من ضياع أرملة أو مطلقاً أو عانس فاتها قطار الزواج ، ومهددة بالحرمان من الحلال إلى نهاية العمر. وعلى ضوء ذلك نسأل الخصوم: ألا يحقق التعدد مصالح مؤكدة للزوجات الجدد وهن نساء أيضاً؟! وقد أدركت بعض النساء الصالحات الذكيات هذه المصالح العظمى التي يحققها نظام التعدد الشرعي للملايين من بنات جنسهن الوحيديات في كل مكان ، فقمي بتبني الدعوة إلى تطبيق تعدد الزوجات على نطاق واسع. ومثال ذلك جمعية أسستها في مصر الإعلامية المصرية السيدة هيام دربك - وهي متزوجة - واختارت لها شعاراً طريفاً يقول: "امرأة واحدة لا تكفي!". لاحظ أن الجمعية أسستها امرأة وليست رجلاً ، وأن معظم أعضائها من النساء! وأكدت السيدة هيام ضرورة تطبيق نظام تعدد الزوجات كما جاء به الإسلام للقضاء على مشكلة العنوسة في المجتمعات العربية التي تهدد عشرات الملايين من الفتيات بفقدان الفرصة في تكوين أسرة والحرمان من الأمومة إلى الأبد. وتأسست في الأردن

جمعية نسائية مماثلة تناشد الرجال ممارسة تعدد الزوجات رحمة بملايين العوانس والأرامل والمطلقات. وفي الكويت أرسلت منات الفتيات اللاتي تجاوزن سن الـ30 و35 بدون زواج خطابات بريدية إلى منات الزوجات يناشدنهن فيها التكرم بقبول زواج رجالهن من أخريات مع العدل للقضاء على مشكلة العنوسة التي استفحلت لدرجة خطيرة في الكويت. والطريف أن نساء أمريكيات أسلمن مؤخراً قمن بتأسيس جمعية مماثلة تدعو إلى تطبيق ونشر ثقافة تعدد الزوجات في أمريكا ، وبلغ عدد عضوات الجمعية حتى الآن أكثر من 900 امرأة! وبناء على هذا نقول لخصوم التعدد: هاكم شهادات من النساء على عظمة الإسلام في تشريع التعدد رحمة بهن وحلاً لمشاكلهن ، ومن لا يعجبه ما نقول فليتوجه إليهن وليجادلهن ما شاء ، وأظن أنه لن يكسب المعركة بأي حال! (تفاصيل أخرى عن تعدد الزوجات في الإسلام في كتاب: "زوجات لا عشيقات ، التعدد الشرعي ضرورة العصر"). وليس صحيحاً ما زعمه البعض من أن الأصل في الكون هو وحدة الزوجة لأن آدم - عليه السلام - لم يتزوج سوى حواء. ونرد عليهم بأن الأصل - بهذا المنطق غير الدقيق - ليس الزواج بوحدة بل العزوبة. لأن آدم - عليه السلام - خلقه الله أولاً ، وظل فترة من الزمن وحيداً. فهل نقول بناء على ذلك أن الأصل هو عدم الزواج؟! وقد أباح الله لآدم أن يزوج أولاده من بناته ، فكان ابن آدم يتزوج أخته التي ولدت في بطن آخر وليست معه في ذات البطن. فهل نقول أيضاً استناداً إلى ذلك أن الأصل هو إباحة زواج الأخ من أخته الشقيقة؟ أم أن هذه كانت حالة ضرورة فقط لعدم وجود بشر غيرهم ، ثم حرم الله - تعالى - زواج الأخت بعد أن تكاثر البشر؟! بل إن الاستدلال هنا لمصلحة أنصار التعدد وليس خصومه. لأن هذا يؤكد أن تعدد الزوجات جاء في سياق التطور الطبيعي للبشرية وكلما تقدمت الحضارة الإنسانية وازدهرت وتكاثر البشر سوف تزداد الحاجة إلى التعدد ويتسع نطاق تطبيقه بمرور الزمن. وأخيراً فإن الأصل عندنا هو ما كانت عليه الأغلبية الساحقة من الأنبياء والمرسلين وهو تعدد الزوجات. ومن لا يعجبه أسلوب حياة سادة البشر فلا فائدة من الكلام أو الحوار معه أصلاً! أم يظن أولئك أن الرسل - وهم خير خلق الله - قد فعلوا خلاف الأصل (أو خلاف الأولى). هـ. وأخيراً أهدي القصيدة برمتها: مقدمتها ونصها الشعري للأستاذ والداعية الفاضل والمربي الكبير ومن أصحاب الفضل علينا بعد الله الأخ / أبي إسحاق الحويني السلفي الأثري حفظه الله ، إذ أكاد أقطع أنه من الأساتذة المعدودين الذين عالجوا قضية التعدد من الناحية التبليغية والوعظية ومن الناحية الواقعية العلمية ، وكنت قد تأثرت به في أكثر من موقف وهو يعالج مسألة تعدد الزوجات ، وكان مما أثلج صدري وأظن صدور من سمعوا مثلي حديثه عن تجربته الشخصية الناجحة في التعدد! ومن هنا جعلت من النص الشعري حكاية تدور على لسانه ، إلا ما كنت أخاطبه به مما تتطلب ضرورة التأليف الشعري والحكمة الموضوعية التي هي حتمية في أي قصيدة. فكما دارت قصيدة الأعرابي على لسانه وكأنه يحكي لنا حاله مع التعدد الفاشل! كان أبو إسحاق الحويني يحكي تجربته مع التعدد الناجح شارحاً لنا موقفه من الزواج الثاني يرجع معنا الحق إلى نصابه والقوس إلى بارئها ، في مسألة زلت فيها أقدام وضلت فيها أفهام! وأعتذر عن طول المقدمة ، وكل قارئ منصف الآن أظنه أدرك لماذا هذا الطول المتعمد. إنه لتفصيل المسألة وتأصيلها علمياً! ولنلا يقول قائل إنني أخوض في دين الله بغير علم ولا هدى ، حتى إذا ما طالعنا النص الشعري فهمناه!

تزوجت اثنتين لفرط علمي بما يهنا به زوج اثنتين

فَقَلْتُ: أَعِيشْ بَيْنَهُمَا أَمِيرًا
لَهُ فِي كُلِّ مَمْلَكَةٍ رَعَايَا
مَهِيَبَ الْجَاهِ ، مَحْبُورَ السَّجَايَا
بِهَيِّ الْعِزْمِ ، وَضَاءَ الْمُحْيَا
شَبَابًا عُدْتُ بَعْدَ الشَّيْبِ صَدَقًا
وَزَارَ الْحَبُّ بَعْدَ الْهَجْرِ قَلْبِي
وَأَحْبَبْتُ الْحَيَاةَ لِمَا أَلْقَى
وَأَدْرَكْتُ الْمَقَاصِدَ بَعْدَ حِينِ
وَأَعْطَيْتُ الْأَنْبَامَ لِبَابِ نَصْحِي
وَبَيْتُ الْحَقِيقَةَ لِلْبِرَايَا
إِذَا مَا كُنْتُ ضَعِيفًا عِنْدَ هَذَا
تُسَائِلُ عَن رَفِيقَتِهَا فَوَادِي
وَمَقْرُونٌ رَضَاهَا بَابِتْسَامِي
ثَلَاثَتْنَا تَحَابِينَا جَمِيعًا
وَأَلْفَ بَيْنِنَا قَرَانَ رَبِّي
وَكُنْتُ مَشْرَدًا فَالْتَمَّ شَمْلِي
تَسَامِينَا عَن الدُّنْيَا فَقَالُوا:
فَقَلْتُ: أَلَا صَدَقْتُمْ ، ذَاكَ أَمْرِي
كَأَنِّي نَحْلَةُ تُضْحِي وَتُمْسِي
فَتَمْتَصُّ الرِّحِيقَ بِلا عِنَاءِ
وَتَعْدُو غَضَّةً ، وَتَعُودُ نَشْوَى
وَتَبْدَأُ رَحْلَةَ الْمَسْعَى مِرَارًا

يُكْرَمُ بَيْنَ أَسْخَى حُرَّتَيْنِ
وَشَمْسُ الْعِزْبَيْنِ الْخَافِقَيْنِ
لَهُ ثَغْرٌ تَلَالُأُ كَاللَّجِينِ
سَعِيدَ الْحَالِ بَيْنَ الزَّوْجَتَيْنِ
وَوَدَعْتُ الْكُهُولَةَ مَرَّتَيْنِ
وَزَغَرْدُ لِلْأَمَانِي ضَوْءٌ عَيْنِي
وَزَايَلْتُ النُّوَى ، وَوَأَدْتُ بَيْنِي
وَجَاهَدْتُ الْأَسَى ، وَطَعَنْتُ حَيْنِي
أَوْفَى بِالْوَصَايَا بَعْضَ دِينِي
وَأَمْسَى مُسْتَبِينًا كُلَّ زَيْنِ
فَلَسْتُ أَرَى مَلِيًّا أَيَّ شَيْنِ
وَمَا فِي قَلْبِهَا مِنْ ظِلِّ رَيْنِ
وَرُوحِي عُلِقْتُ بِالْمُهْجَتَيْنِ
وَزَادَ الْكُلَّ بَعْضُ الْأَسْوَدَيْنِ
فَقَدْ أَزَكَى زَهَاءَ الْوَرْدَتَيْنِ
وَرَبَّ النَّاسِ أَصْلَحَ ذَاتَ بَيْنِي
مَكِينٌ ذَاكَ فَوْقَ الْقَمَتَيْنِ
وَأَحْمَلُ لِلشُّقَا الرَّمْحَ الزُّدَيْنِي
تَدَاوُلُ بَيْنَ أَحْلَى زَهْرَتَيْنِ
وَتَشْرِبُ سَلْسَبِيلَ الْجَدُولَيْنِ
نَمَاءً دَائِمًا فِي الرَّحْلَتَيْنِ
وَإِنْ مَلَيْتُ تَعْيِدَ الْكُرَّتَيْنِ

وتُفَعِّم بِالْخُبُورِ الضَّرَّتَيْنِ وَتُخْرِجُ لِلوَرَى أَحْلَى شِفَاءٍ
 نَعِيمٍ زَاخِرٍ فِي اللَّيَالِي لَهُذِي لَيْلَةٍ ، وَلِتِلْكَ أُخْرَى
 رَفِيعُ الْقَدْرِ ، عِنْدَ الْفَرَقْدَيْنِ وَلِلْأَوَّلَى مَقَامٌ لَا يَبَارَى
 أَوْدِيهَا عَلَى رَأْسِي وَعَيْنِي وَلِلْأُخْرَى حَقُوقٌ وَفَقْ شَرَع
 يُحِيرُ الْعَقْلَ حَسَنُ الْخُلْتَيْنِ لَهُذِي خُلَّةٍ ، وَلِتِلْكَ أُخْرَى
 لِأَشْرَبِ مِنْ طَهْوَرِ الْفَلْتَيْنِ لَهُذِي قَلَّةٍ ، وَلِتِلْكَ أُخْرَى
 وَأَصْحَبُ لِلْقَاءِ شَهْبَتَيْنِ لَهُذِي أَكَلَةٍ ، وَلِتِلْكَ أُخْرَى
 وَلِي بَيْتَانِ مِثْلُ الْجَنَّتَيْنِ فَلِي بَيْنَ الْأَنْبَامِ رَطِيبُ عَيْشِ
 بَلَّغَتْ الْيَوْمَ آفَاقَ (الْجَوِينِي) فِي الْبَيْتَيْنِ جُبْتُ الْعِلْمَ حَتَّى
 خَطِيباً فِي الْوَرَى لَقَبُ (الْحَوِينِي) وَلَكِنْ جِيئَهُ طَمَسَتْ لِيرْقَى
 بِأَرْضِ الْعُرْبِ وَالْأَمْرِيكَتَيْنِ فَمِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ فُقِيهاً
 يُعِيدُ عَلَى الدُّنَا ذِكْرِي (الرَّدِينِي) وَمِنْ صُقْعٍ إِلَى صُقْعٍ رَحِيلٌ
 هُدَى الدُّنْيَا ، أَوْ أَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَمِنْ مِصْرٍ إِلَى بَارِيسَ يَبْغِي
 وَمِنْ (نِيقُوسِيَا) حَتَّى (الْبَوِينِ) وَمِنْ (عَمَّانَ) لِلصَّوْمَالِ يَدْعُو
 (أَبُو إِسْحَاقَ) فَذَكَ (بُنَيْنِ) وَمِنْ (طَنْطَا) إِلَى الْحَرَمَيْنِ سَعِيّاً
 وَسِيرَتَهُ كَسِيرَةَ (ذِي الْبَطْنَيْنِ) وَأَحْسِبُهُ كَذَلِكَ ، لَا أَزْكِي
 وَسَيْفُ الْعِلْمِ يَبْرُقُ كَاللَّجِينِ يَقُودُ الْجَيْشَ ، لَا يَخْشَى الْمَنَايَا
 وَجِلْمِ (أَبِي عَبِيدَةَ وَالْحُسَيْنِ) لَهُ تَقْوَى (عَلِيٍّ وَالْمُنْتَهَى)
 وَلَا يَخْشَى أَدَى صِلٍّ وَعَيْنِ يُذَكِّرُ بِالْحَنِيفَةِ كُلِّ حَيٍّ
 مِنْ الْخَيْرَاتِ مَمْلُوءِ الْيَدَيْنِ فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيداً
 شَجَاعاً ، ثُمَّ مُلْكُ الْحَارِثَيْنِ وَتُدْرِكُ مُلْكُ ذِي الْقَرْنَيْنِ شَهْمَاً

وملاك المنذرين وذوي رعين
 تُعزّك فاتخذ ذلك زوجتين
 لتملك في ديارك جحفاًين
 ومن هذي رزقت بابنتين
 وأمست ابنتاك كذرتين
 تنل يا عف أجر السنتين
 ولا تك كرهين المحبسـين
 وأقبج بهما من خصلتين!
 وهيهات التقا المتناقضين!
 بفتيلا لا تساوي درهمين
 لماذا الخوف من جمع اثنتين؟
 تُطالعها كثيراً كل عين
 تُكذب ما افتري المستشرقين
 وبعض الصحب ، فوق المرأتين
 تقول: أذل ربي النعجتين؟
 فأقصر يا عشيق الذنبتين
 ولكن عيب زوج الحيتين
 بمدح العيش وسط الضرتين؟
 وصارحني ، وبينك ذا وبينني!
 وملاك الفرس والروم عزيزاً
 فعش زوجاً لواحدة ، فإن لم
 وحقق في المعيشة كل عدل
 فمن هذي لك الأولاد تترى
 لك الأولاد في الهدي ليوثاً
 فإن لم تستطع صم ، لا تعربذ
 وإن أغناك ربك لا تسوف
 فتعشق عذبة ، وتعيش فرداً
 تساوى عنده ظلّ وزوج
 فعاش (أبو العلاء) لذا وحيداً
 وقرآن المليك بدا بمثنى
 وآيات (النساء) لك شاهدات
 وأقوال النبي وما أتاه
 وعدد أنبياء الله ، فاقراً
 أنزل اختيارك في الولايا
 تعيب الدين؟ بل أنت معيب
 وليس العيب في الإسلام قطعاً
 ألسنت ترى بقولي بعض حق
 أجبني الآن عن سؤلي ، أجبني

بعض المعاني لبعض الكلمات غير المطروقة

البوين: اسم بعيد متناء. ذو البطين: هو أسامة بن زيد - رضي الله تعالى عنه - . بنين: هو
 بنين بن إبراهيم القرشي المحدث المعروف. الدريني: هو ثقة الدولة علي بن محمد الدريني أحد

المحدثين الرواة كذلك. الرديني: هو ابن مجلز المحدث ، روى عن يحيى بن يعمر. الجويني: هو إمام الحرمين أبو المعالي الجويني صاحب غياث الأمم في التياث الظلم ، وبالطبع الأستاذ أبو إسحاق أعلم بمثل هؤلاء من علماء الحديث منا فليُعرف بهم من بعدي من سأل. السجاياء: الخلال والصفات الكريمة. رعايا: جمع رعية. ثغر: فم ، والمعنى المراد من لفظ ثغر في البيت الرابع هو نصاعة الكلمة والبسمة. المُحيا: الطلعة. مرتين: مرة بالزواج من الأولى والأخرى بالزوج من الثانية. النوى: البعد والفراق. البين: هو الفراق. الحين في البيت التاسع: هو الاكتئاب والجزع. لباب: جوهر وأصل ومعين. بعض ديني: أي بعض الأمانة الملقاة على عاتقي كأحد طلبة العلم بالبنان ، وهذا نقوله تحدثاً بنعمة الله على أبي إسحق ، لا من باب تزكيته وإن كان لها أهلاً ، بل نقول نحسبه ولا نزكى على الله أحداً. زين: ضد شين. الرين: مرادف الران وهو قيح يجسم على قلب العبد العاصي ، وهو مستمد من قول الله تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون). المهجة: الروح. ثلاثنا: أي الزوج وزوجاه. الزاد: الطعام. الأسودان: كناية هنا التمر والماء. الوردتين: أي الزوجين وأعني ما يتركه القرآن من أثر على العامل به الملتزم بأحكامه أمراً ونهياً. زاخر: أي وافر لا توصف كثرته. حلة: أي ثوب. قلة: وعاء عندنا في مصر يشرب فيه الماء. المستشرقين: هما ماسينيون وروجرز حيث حاربا التعدد واعتبراه ظاماً للزوجة! وحديثي عن أب إسحق ليس من باب فتنته بل جعله الله خيراً مما نظن وغفر له ما لا نعلم عنه من الخطايا والذنوب. كما وأسأل الله أن لا يكون حديثي عنه من باب إخراج سر الأستاذ ، إذ هو الذي قال جانباً كبيراً من ذلك عن نفسه للناس وكنت واحداً منهم ، كما وأنه قد حكى عن الشيء ذاته لحضور كنت بينهم ، والله من وراء القصد.

إليك وحدك يا حمزة يا أسد الشعر

رسالة شعرية للشاعر الكريم الدكتور / حمزة أبو النصر
بمناسبة محاضراته القيمة عوامل الهدم والتدمير في الأدب المعاصر

(أهدي هذه الرسالة الشعرية تحية مشاعرية للأستاذ الدكتور الشاعر الكريم سماحة الوالد المحترم / حمزة أبو النصر ، وذلك مكافأة مني له على محاضراته العظيمة التي ألقاها هنا في دار غربتنا. ولم يكن لي شرف سماع المحاضرة حية تولد ، بل من خلال أحد أشرطة الأدب والذي ساقه القدر سوقاً إلي ، والمحاضرة بعنوان: عوامل الهدم والتدمير في الأدب المعاصر. وقد قام الأستاذ المحاضر بكل صدق وأمانةٍ بالتحليق في سماء النقد الأدبي من زاويةٍ شرعية ، يضع الحق في نصابه ويعيد القوس إلى باريها. ويبين جناية الأدب المعاصر في معظم مواده على الحس والإحساس ، والدار والناس ، والشعر والشعراء ، والحياة والأحياء ، وكان من ثمراته التحلل من الدين ، بل ومن فطرة الإنسانية العامة ، حيث هدم فيما هدم بنية الإنسان الحقيقية ، وعاش الناس زماناً تتأجر فيه المرأة مثل الدراجة أو السيارة أو البيت ، وحدثني من أتق في قوله ، والله حسيبه ، والعهددة على الراوي ، أن عرفاً شاع بين بعض الشباب وهو أن يستأجر الشاب غرفة تشاركه فيها شابة أو امرأة. ويكون قسطها في الإيجار أن تعمل عنده بمثابة الزوجة! وكلٌّ منهما لا علاقة له بالآخر ابتداءً إلا علاقة المخادنة التي نهى الله عنها في كتابه: (غير مسافحات ولا متخذات أخدان) ، (غير مسافحين ولا متخذين أخدان). وعشنا زماناً أصبح الشاب المنحل الضال يجد المرأة ويقدر على ثمن إيجارها ، ولا يستطيع أن يشتري ما يعرف بـ (ساندوتش وكوب آيس كريم)! كما هي التسمية الأوروبية الدخيلة على لغتنا الحبيبة! وما ذلك كله وغيره الكثير إلا بسبب الأدب المنحرف المتمثل في تيارات الإباحية والإلحاد واللاذنية في الأدب والانحلال الخلقي الأدبي. ناهيك عن الحدائث الأدبية والتي من مصطلحاتها الجاهلية: اللامحددة واللانهاية ، واللاحقية واللاواقع ، الهيام الهارب. وإنني لأتعجب من هذه المصطلحات الثلاثة الملعونة ، التي إن دلت على شيء ، فإتما تدل على فساد أذواق وعقليات من ابتكروها. ما معنى اللامحدود؟ وما معنى اللانهاية؟ ومفهوم اللاحقية أو اللاواقع؟ ومن أي شيء يهرب الهيام؟ يقولون: (الهيام الهارب) ويصفونه بأنه المنطلق من المحدود إلى المطلق والانعقاد من كل القيود ، مهما كانت أنواعها وأوصافها والبواعث عليها ، والمرئية والتموضع الزمكاني والثنائية الضدية الأساسية ، والرؤية ، والعمل المغلق واعتباطية الإشارة ، والنحن والأنا ، والفحص بكل أنواعه الاستبدالي والتخيلي ، والحركة الدائمة والتغير سواء المستمر أو المطرد أو الانعكاسي ، وإلغاء القديم والثبات على الثنائيات والضدية والبنوية والتعارض الثنائي ، والتنوير الجذري ، والممكن والتقليد الثباتي... إلخ ، وأسأل عن العبث الذي لا معنى له في اللغة ولا في الواقع ولا حتى في الخيال ، اللهم إلا في عالم المعانيه والمجازيب والنبله! ولقد نقد الحدائث في الأدب المعاصر أستاذنا الدكتور / عدنان النحوى ، في كتبه النقدية عن الحدائث وأهلها نقداً منصفاً موضوعياً محايداً! فلقد تتبع الحدائثيين ، وتعقبهم وكشف عوراتهم ، وجلاهم لكل أعمى ، وفضحهم بالحق ، وبيّن للناس مؤامرتهم الخبيثة لهدم الأدب (ولا ينبئك مثل خبير). وإن كنت أهمس في أذن أستاذنا الدكتور / حمزة أبو النصر أن يعد كتاباً في النقد الأدبي تكون شواهدُه وتحليلاته أكثر من هذه المحاضرة التي يتحدث فيها عن الهدم والتدمير في الأدب المعاصر ، ولكن بصورة أوسع وأشمل وأكبر ، فيتناول كل فنون

الأدب وشعره ونثره ونقده ، وعسى الله أن يكون ذلك قريباً. وأخيراً أقول: إن من آثار الهدم والتدمير في الأدب الأفلام الإباحية المنحلة السافلة والتمثيلات الجاهلية والأغاني العُهرية والمسرحيات الهازلة التي سخرت من كل قيمة ومن كل مبدأ ومن كل اعتقاد ولا حول ولا قوة إلا بالله! وأسأل الله أن يُعجل بهداية ما يسمى اليوم بالفن ، ويهدي من يُسمون اليوم بالممثلين والممثلات والمطربين والمطربات والمسرحيين والمسرحيات والراقصين والراقصات ، فإن كان علم الله أن منهم من سيهتدي (عَجَلَ اللهُ عز وجل بهدايته) ، وإن كان في علم الله أن منهم من لن يهتدي حتى يلقي ربه الجبار القهار (فأسأل الله الجبار المنتقم العزيز الذي لا يُرد بأسه عن القوم المجرمين أن ينزل بهم وبمن وضعوهم في الصدارة ومكَنوهم من إغواء الخلق ، أن ينزل بهم عجائب قدرته ، وأن يسلب عليهم جميعاً سيف انتقامه ، وأن يرينا فيهم يوماً أسود كيوم قارون وفرعون وهامان ، وأن يجعلهم وما عندهم من المال غنيمة باردة سهلة ميسورة لأهل الحق). فلقد أضلوا أمة وأفسدوا جيلاً بل أجيالاً ، وأضاعوا داراً فتحت للإسلام يوماً ما! والحقيقة أن الأرض عاشت فساداً لا يوصف قبيل بعثة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، فأصلحها الله سبحانه وتعالى ببعثة خاتم الأنبياء وإمام المرسلين النبي الأمي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، فعاش الناس في هدايةٍ وصلاح وتوفيق ما شاء الله لهم أن يعيشوا! فمن دعا إلى غير هدى ذلك النبي الخاتم - صلى الله عليه وسلم - ، فهو من المفسدين في الأرض! والله نهانا عن الفساد فقال: (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها). وأكتفي بهذا المقدار وأترك القارئ الحبيب مع هذي القصيدة ، وأعتذر عن أي خلل أو خطأ أو مزلق فيها. إذ لا يسلم أي إنجاز بشري من العيب والزلل ، مهما أتقته صاحبه ، وأبدع وأجاد فيه!

يا حمزة الشعر ، حرّك ساكنَ الأمل	وداعب الشعر بالمُجْتَثِ والرميل
وعطر القول بالمديد مُرتجلاً	أو بالبسيط على ترنيمه الحَجَل
أو الطويل ، فهذا بحرٌ من سبقوا	أو الخفيف ، وحاذرٌ سَطوة الزل
أو المضارع ، واحقنْ دمعة ذرفتْ	أو السريع ، وخففْ فورة العِل
خلّ الكسورَ لمن أشعارهم خبلٌ	ولا تسائل متى يمضي أسى الخبل؟!
فالشعر سام ، ولا يرقى له خرفٌ	وكيف يصعد غرّ ذروة الجبل؟
كم ذا قرأتُ لكم يا صاحبي زبداً!	فأيقظتني ، وأحييت ميّتَ الأمل
ففي (الأريج) لكم شعرٌ به (سَمَرٌ)	وكم بكيت على ترنيمه الطلل!
وكم لمسيت به آهاتِ فرقتنا!	وكم عزفت على تفعيله الغزل!
وكم طرحت لنا حلاً لمازقنا!	وكم رسمت لنا بحبوحه المثل!
وكم ذكرت لنا أيام عزتنا	ثم انبريت تُعاني هوة النقل!

مكانها القلبُ ، أو محاجر المُقل
مذاقُ جذوتها أحلى من العسل!
تعقبْت جوقة التدمير والخلل
وبالضلالة نادوا دونما خجل
وكم أجادوا - لذبح الشعر - من حيل!
إلى الحضيض ، وذاقوا وَهْدَةَ السَّفل
ثم استساغوا بها معيشة الجعل
يا ويحهم ضربوا في التيه والخطل!
بعد الشهداءات والألقاب والرفل
وما استجابوا لـوحي الله والرسل
لذاك صاموا ، وقد صلوا لدى (هبل)
لكي ينالوا الغلاف في جوقة الدجل
وفي (الرفيرا) بقايا الكيد والفشل
وما استكان الورى للرب من وجل
عن العقيدة والتوحيد والنبيل
وقد غدا علمهم ضرباً من الختل
ويزعمون بأن حطوا على زحل
حادوا عن الحق فانساقوا إلى الضلل
عن الرشاد فجبل القوم في الميل
فلا تغرّنك أنباءً من الرتل
وكم لهم في خراب النثر من نحل!

(مساجلات) لكم أهديتها (حمداً)
وكم سمعتُ لكم في الحق من خطب
ثم استمعتُ إلى أندى محاضرةٍ
يا حمزة الخير أحرصن كل من هزلوا
كم خربوا الشعر والأخلاق قاطبة!
تنكروا لهدى الإسلام ، فاحذروا
تعلموا في دننا الإفرنج ، فاحرفوا
رأوا (فرنسا) بهذا الغهر مملكة
لذاك نالوا من (السوربون) أوسمة
عموا عن الحق ، فانصاعوا لباطلهم
على عيون يهود الأرض قد صنعوا
وحرفوا أدب الأعراب ، ويحهم!
و(مون بيايه) تدري كل ما صنعوا
وعند (إيفيل) كم من همّة دفنت!
تعلمنوا في ديار الغرب ، فاغتربوا
عادوا إلينا يقص الناس خيباتهم
تفرنجوا ، فغدت آدابهم عبثاً
بضاعة الغرب جاءت في رحالهم
يا حمزة الحق لا تسألن فطاحلهم
ولم يكونوا على شيء فمدحهم
هم دمروا الضاد تطويعاً لساداتهم

هذي الجموع (عميدُ) الشر رائدُها
صناعة الغرب ، لا دينٌ ولا خلقٌ
وسل عن الوغد باراتٍ تأبطها
حتى إذا لعبت بعقله شـمخت
لما انتهى دورها أرغى: سأكملة
كفيف رؤيا ، وكُف القلب عن بصر
وتابعته على الأهواء شـردمة
و(هيكل) البين يحكي كل ما اجترحوا
واسأل (نجيباً) لماذا (نوبل) مُنحت؟
واسأل (لويساً) و(شكرياً) ومن كتبوا
واسأل (سميحاً) و(إلياء) ومن نظموا
واسأل (أدونيس) و(الخوري) من نقدوا
كذلك (جورجي) ومن من حمقهم جعلوا
وسُنة الله كانت فضح باطلهم
ثم انبرى جمعهم ، واهتاج منفعلاً
حتى تصدى لهم من آمنوا زمراً
فأصباحوا ونفوس الصيـد تحقـرهم
واليوم جلى كرام الناس لعبتهم
لكن رب الورى أوهى عزائمهم
ولا يُغـرّ بهم إلا من انحرفوا
فيطبغ القوم أفكاراً مُعلمنة
وسل (نزاراً) عن الأوهام يكتبها

من كل مرتكس الأخلاق مُبتذل
يغط في دنس التغير والتأمل
يداعب الراح في دغر وفي نهل
بأنفها بطراً تزيح في البطل
وصوته هدد الأفاق بالصهل
وفي الضلال جثا يحيا بمعتقل
دقوا الطبول على تعويذة التـول
فذاك راع لهم قد ساد في الرسل
(موتُ الإله) مفاتيح لمنتحل
يُدنسون جياض الدين بالخبـل
شعر الضلالة والإفلاس والـدجل
أقبح بنقـد على الأوحال مكتمل!
من الحنيفة ما يُفضي إلى الجدل
فاستسلموا لقضاء الله من خجل
يُعارض الحق ، ، يُطفي شـعلة النبـل
فخبيـبوا سعيهم من غير ما وجل
ولا تراهم سوي حشد من الجـعل
وإن مكرهم يُردي رُبا الجبل
فكل ما كتبوا في ذمـة الطلل
عن الصراط ، وراموا ظلة الزل
ويشتري الناس سُم الموت في الأكل
شعراً يقود إلى التدمير والتلل

ديوانه صُـبِغَتْ بِالْقَبْحِ أَسْطَرُهُ
يُـدْرِكُ الْعُـهْرَ - فِي الْأَشْعَارِ - صَانِعُهَا
صَارَتْ لَهُ - فِي انْدِحَارِ الشَّعْرِ - مَدْرَسَةٌ
تَعْقِبُ (الْأَنْوَرَ) الضَّرْعَامَ فَيَلْقَهُمْ
يَا (أَنْوَرَ) الْخَيْرِ عَرَفْنَا بِخُدَعَتِهِمْ
وَابْنِ (الْحُسَيْنِ) لَهُ فِي فَضْحِهِمْ كِتَابٌ
كَذَاكَ لِلْفَارِسِ (النَّحْوِيِّ) مَلْحَمَةٌ
وَأَنْتَ يَا (حَمَزٌ) فِي كَشْفِ الْخَفَالِبِقِ
تَبَصَّرَ الْجَيْلَ بِالْأَوْغَادِ فِي وَضْحِ
بَدْيِكُمْ فِي نَفْسِ الصَّيْدِ مُنْبَلِجٍ
يَا حَمَزُ ذُرِّ شَهِي النَّقْدِ فِي أَلْقِ
عَرَّ الْحَدَائِثِ وَالتَّنْوِيرِ وَالْخَبِيثَا
فَمَنْ سِوَاكَ لِهَذَا الْأَمْرِ يُبْرِزُهُ؟
وَلَا نَزْكِيكَ ، بَلْ هَذَا تَفْضَاكُم
فَاكْتَبْ كِتَاباً أَصِيلَ النَّقْدِ مِنْهُجِهِ
لَا تَتْرِكَنَّ لَهُمْ سَيْفاً يُذَادُ بِهِ
وَحَرَّقَ الْغَرْقَدَ الْمُلْتَفَّ حَوْلَهُمْ
وَيَا (أَبَا النَّصْرِ) لَا تَعْبَأْ بِجَحْفَلِهِمْ
مَنْ سَبَّحُوا بِعَطَا الطَّاغُوتِ ، وَارْتَكَسُوا
وَاسْتَعَذَّبُوا الْعَيْشَ فِي اللَّذَاتِ ، وَانْجَرَفُوا
وَلَنْ يَدُومَ لَهُمْ كَأْسٌ وَلَا رَغْدٌ

وَرَاجَعُوهُ ، فَأَبْدَى ذِرْوَةَ الدَّعَلِ
لَكُنْ (نَزَارٌ) عَلَا - فِي الْكَيْدِ - بِالْأَسَلِ
وَكُلَّهُمْ أَوْغَلُوا فِي الْقَبْحِ وَالْحَوْلِ
فَأَصْبَحُوا فِي حَضِيضِ الْوَحْلِ كَالْمَهْلِ
أَنْتَ الْجَنُودُ ، وَأَنْتَ السَّيْفُ ، فَاثْتَمَلِ
(وَأَلْ قَطْبِ) لَهُمْ بَاعٌ مِنَ الْفُضْلِ
تُرْدِي الْخُصُومَ ، وَتَمْحُو حَمَاءَ الْجَدْلِ
تُنَقِّحُ النَّقْدَ ، تَنْفِي سَـوْرَةَ الدَّعَلِ
وَبَعْدُ تُتَحِفُ أَهْلَ الشَّعْرِ بِالْبَدْلِ
وَالصَّبْحِ أَسْفَرَ ، فِيمَ الْمُكْتِ فِي الزَّعْلِ؟
وَأَظْهَرَ الْحَقَّ ، وَاقْمَعِ جَوْقَةَ الدَّخْلِ
وَكَشَفِ تَأْمَرَهُمْ وَبَاطِلَ الْمَلِ
إِنَّا نَتَوَقَّ - إِلَى هَذَا - عَلَى عَجَلِ
عَلَى الْجَمِيعِ ، لَذَا فَايْذُلُهُ فِي نَفْلِ
وَافْضَحِ دَهَائِقَةَ الْإِفْلَاسِ وَالذَّعْلِ
عَنِ الْهُرَاءِ ، وَحَادِرِ ثِقَالَةِ الْكَسْلِ
وَرُشِّ عَوْسِ جَهَمِ بِالْحَقِّ يَنْجِدِلِ
سَيَهْزِمُ الْحَقُّ أَهْلَ الزِّيغِ وَالزَّجْلِ
وَمَنْ تَسَلَّوْا بِسُكْنَى التِّيهِ وَالْقَلْلِ
سَيَعْلَمُونَ غَدًا تَقْلِبُ الدَّوَلِ
كَلَا ، وَلَنْ يُدْرِكُوا بُحْبُوحَةَ الْمَهْلِ

ولن يذوقوا ربيع العُمر والأجل
كم من ستار - على المقدور - مُسدل!
نحنُ النماءُ ، وهم في رقدة الفشل
أكرم بأحمد والأصحاب من مثل
والموت - في الله - أسمى غاية النبيل
وواعظ الحق لا يرضى بمُختبل
إننا نتوق إلى الجنات والنزل
ولا نميل إلى التلويين في العمل
ولا نريد به شيئاً من الدقل
أقبح بشعر ثقيل الظل مُفتعل!
أبئس بشعر غليظ الطبع مُرتجل!
بالشعر يُطفئ نور الشمس بالوشل
كالشمس تُردي سريعاً أجبُل الظل
والناس من نظرةٍ للبيت في مل!
ولاحتواهُ الأسي من لوعة الكل
فأغلبُ الشعر في الآهات والقَبَل
وكم بجيدِ ثوى من شعر مُبتهل!
(ليلى) الحنين يُعاني ذابل البائل
والرأس مثل سِنام البُخت والإبل
كي تستميل فواد الشيخ والرجل
أو في التبرج خلف العطر والخال
يا ويح شعر - بوصف النهد - مُحْتفل!

أمرُ المليك سيأتي رغم عُدتهم
إذ إنها سنة - في الخلق - ماضية
يا حمزة النور ، إن النصر موعدنا
والله غايتنا ، والمصطفى مَثَلُ
كذا القرآن لنا نور يُبصرنا
نبغ الحق ، لا نخشى الذين طغوا
ولا نخاف على دنيا تموج بنا
ولا نرقع دنياننا بشيرعتنا
ونكتب الشعر ، نركي أزر عزمنا
فلاننا فاق طاغوتاً ليرفعنا
إن التكسب بالأشعار منقصاة
إن الذي يكتب الأشعار مُرتزقاً
إذ الحقيقة لا تخفى معالمها
وكم مُراءٍ بشعر بات يلغنه
وإن يُطالعه مجنونٌ لضاق به
دار الزمان ، وعشنا ضيعة الشعرا
وفي العيون ، وفي الشعور مُسدلة
وفي القدود ، وفي الرضاب تبعثه
وفي ابتسامه (رضوى) أو تكسرهما
وفي الملابس شفت عن مفاتها
أو في السفور يُجالي وجهه غانية
أو في النهود رياض الشعر مرقدها

أَوْ فِي النُّحُورِ قَلَّتْهَا كُلِّ مِلْحَفَةٍ
أَوْ فِي الْجُيُوبِ قَلَّتْهَا الْيَوْمِ أَمْرَةٍ
أَوْ فِي الْمَسَاحِقِ - فَوْقَ الْوَجْهِ - مُشْهَرَةٍ
إَوْ فِي الْأَصَابِعِ قَدْ طَالَتْ أَظْفَرُهَا
أَوْ فِي الشَّفَاهِ - عَلَيْهَا (الرُّوْجُ) - مُنْطَبَعٌ
أَوْ فِي الْخَضُوعِ بِقَوْلِ يَشْتَهِي طَمَعاً
أَوْ فِي الْخُصُورِ تَدَلَّتْ مِنْ كَوَاعِبِنَا
وَالْأَمْسِيَّاتِ - لِهَذَا الشَّعْرِ - قَدْ فَتَحَتْ
وَقَدْ أَعِدَّتْ لِهَذَا الصَّنْفِ أَوْسَمَةَ
كُلٌّ يَظُنُّ بِأَنَّ الشَّعْرَ صَاحِبَهُ
وَالشَّعْرَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ دَائِماً أَبَدًا
بَرِيءٌ الشَّعْرُ مِنْ نَذْلِ يُلُوْثِهِ
يَا حَمْرَةَ الشَّعْرِ ، إِنْ الشَّعْرُ يَأْمُرُنَا
نَعِيدُ لِلْحَقِّ ثَوْباً كَمَا يَلْبَسُهُ
وَيَعْتَلِي أَدْبُ الْأَعْرَابِ مَنْزِلَةً
أَعَدَّ نَفْسَكَ ، وَالْحَقَّتِي عَلَى عَجَلٍ
وَلَا تَدْعُنِي - بِجُرْحِي - أَشْتَكِي أَلْمِي

بعض المعاني والتعريفات الهامة

الأسل: الرماح. الثلل: الهلاك. الثمل: السكر. الزعل: الخداع. النهل: أول الشرب. الميل: العوج.
الدعل: الإقرار بعد الجحود. الرتل: حسن تناسق الشيء. الرسل: القطيع من كل شيء. الضلل: ضد
الهدى (الضلال). الصهل: حدة الصوت (من الصهيل). وأما الشخصيات: أنور: هو الأستاذ

الفاضل والباحث العملاق أنور الجندي. ابن الحسين: هو الأستاذ / محمد محمد حسين ، صاحب كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. محمد جلال كشك: غني عن التعريف به ، وكان المعول في قصيدتنا على كتبه وبخاصة كتاب / قراءة في فكر التبعية. النحوي: هو الأستاذ الدكتور سماحة الوالد الشاعر / عدنان علي رضا النحوي ، وكتابات في الأدب والنقد والشعر مشهورة. حمد: هو حمد بوشهاب ، أحد شعراء دولة الإمارات العربية المتحدة. نجيب: هو نجيب محفوظ أحد كتاب الجاهلية المعاصرة صاحب رواية موت الإله (أولاد حارتنا) التي زعم فيها أن الله جبار وطاغية ، تعالى الله عما قال نجيب محفوظ علوا كبيرا وسخر من الأنبياء والدين والعياذ بالله. هيكل: كاتب معروف غير الكاتب الإسلامي محمد حسين هيكل. أنيس: هو أنيس منصور. لويس: هو لويس عوض. شكري: هو الشاعر عبد الرحمن شكري. سميح: هو سميح القاسم. إيلياء: هو إيليا أبو ماضي. الخوري: هو الأخطل الصغير أو بشارة الخوري. وكلهم من شعراء تلك الجاهلية التي نعيش. جورجى: هو جورجى زيدان. أودنيس من كتاب الجاهلية المعاصرة. واني لأبصر بالناس يعلمون عن هؤلاء أكثر مما يعرفون عن أبي بكر وعمر وعثمان. المجتث والرمل والمديد والبسيط والطويل والخفيف والسريع والمضارع: هذه كلها أسماء بعض بحور الشعر العربي الأصيل. الكسور: أي الكسور الشعرية الناتجة عن خلل فى الوزن. خبل: ضرب من العزيف والهراء لا يؤدي إلى شئ كما أنه ليس بشئ. سام: أي من السمو والرفعة ، والمعنى المراد أن الشعر العربي عالي المقام. خرف: أي متخرف أو أفاك أثيم. ذروة: أعلى الشئ. زبد: أي فحوى الشعر وهنا إشارة إلى أنني أحببت الأستاذ الدكتور حمزة ، وأعجبت بنقده للأدب وتناوله لقضاياه دون أن أراه. وإنما الذي جمعني بحبه الأدب ، وتلمذت على محاضراته: (عوامل الهدم والتدمير في الأدب المعاصر ، دون أن أكون واحداً من الحضور ، ودون رؤية المحاضرة من قبل في حياتي ، واستمر ذلك الحب قرابة الأعوام التسعة ، وجمعنا الله بالأستاذ في مستقر رحمته وظله يوم لا ظل إلا ظله. ليلي ورضوى: إسمان قصد من ورائهما الرمز إلى شعراء المرأة الذين عروها من دينها وشرفها.

أبلغت يا عدنان وأوجزت!

رسالة شعرية للأستاذ الدكتور / عدنان علي رضا النحوي

بمناسبة كتابه النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء والرد على المسمى بـ (ابن جني)

(إن الحديث مع الدكتور النحوي ذو شجون وذو شؤون. وإن الناس يبارك بعضهم لبعض على تجارة دنيوية في صورة مال أو عقار أو ما شاكل ذلك. ولكن الأدباء وأهل القريض والعلماء والفقهاء علام يبارك بعضهم لبعض؟ أعلى تجارة من مال أو عقار؟ بالطبع لا. بل تكون المباركة على كتاب بديع ، أو على كُتيب ، أو على محاضرة قيمة ، أو على ديوان ، أو على مناظرة! ذلك أنني وجدت أنه في جُل الأحوال يعيش أهل العلم والفقهاء الأدب أغلبهم على الكفاف ، وهذا لحكمة يعلمها الله. وإنني لأبارك للدكتور عدنان كتابه المتألق (النقد الأدبي). ورب ضارة نافعة! وربما لم يعد هو إلى تأليفه إلا بعد تطاول (ابن جني) النكرة عليه (أي على الدكتور عدنان) وعلى أخويه (عبد الرحمن رأفت الباشا) رحمه الله ، و(الدكتور عبد الرحمن العشماوي) حفظه الله. أهدي هذه الرسالة الشعرية الرقيقة لعميد النقد الأدبي العربي الأستاذ الدكتور الشاعر القدير سماحة الوالد / عدنان علي رضا النحوي ، حفظه الله. والمناسبة أنه بعد اطلاعي على كتابه الرائع: النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء ، وذلك في طبعته الأولى سنة 1995م ، وكنت قد عزمت على تسجيل انعكاس قراءتي لكتابه اللذين هذا الكتاب أولهما ، والثاني كتاب: الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته! وكم قرأت في النقد الأدبي مُشرقاً ومُغرباً فما ألفت ناقداً أعطى الموضوع حقه من الحيطة العلمية والموضوعية والربط بالشرع المطهر كما فعل الدكتور عدنان فيما أعلم. ولعل هذا ما يُميز الكتابين عند غيري من أهل الأدب ، ولكن أغلبهم لا يصرح بذلك ، إذ لهم من قول الله تعالى الآتي نصيب: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) ، وكان سبب ميلاد هذا الكتاب للدكتور عدنان في النقد الأدبي هراءات عزفها المدعو ابن جني في جريدة (الجزيرة) معلقاً على قصيدة الدكتور عدنان: (غربة ودمعة) في تأبين ورتاء سماحة الأستاذ / عبد الرحمن رأفت الباشا – رحمه الله تعالى – رحمة واسعة. ورب مقالة لا يفقه صاحبها شيئاً يا دكتور عدنان تكون سبباً في إخراج كتاب من أروع المراجع في النقد الأدبي الحديث من منظور شرعي أصيل منصف عادل وظريف ، ومن هنا ندعو لابن جني بأن يهديه الله للحق ويهدي أمثاله من الذين يهرفون بما لا يعرفون ، أولئك الأقوام الذين قد زين لهم الشيطان فعلاً سوء أعمالهم فأروها حسنة. ورب كتاب كان سبباً في إخراج قصيدة يا دكتور عدنان ، هذه القصيدة لما قرأتها على الأستاذ الوالد الشاعر سالم محمد سالم النوبي ، موجه أول اللغة العربية بالإدارة التعليمية بعجمان صبيحة عيد الأضحى قال وبالحرف: هذه القصيدة لو كان الزمان زمان المعلقات ، لكانت من أروع المعلقات. ونحن نسجل هذه الملاحظة هنا ، لا من باب الفخر بالذي نكتب ، بل نسجلها فقط للإشارة إلى المدى الذي نحب الحق وأهله عنده. ونحسب الدكتور عدنان من أهل الحق ، ولا نركي على الله عز وجل أحداً ، ورزقنا الله وإياه التقوى وحسن الخاتمة: ألا طالعوا هذين الكتابين للدكتور عدنان ، بُغية الوصول إلى الحق من منظور إسلامي ، ذلك أن نقاداً جهابذة في النقد لهم من المراجع ما يزيد على السبعين وقد خلا نقدهم الأدبي وللأسف من الانطلاق من قاعدة شرعية أصيلة ، ومن هنا فقد نقدهم روحه وحياته ، وخرج للجيل مسخاً مشوهاً وادعاءً باللفظ وتلاعباً به أجوف لا يزيد ، وعزيفاً عن عزيف الجن لا يختلف. نعم ، تميز كتاب: النقد الأدبي ، بانطلاقه في عالم النقد من قاعدة

شرعية ورؤية نقية للعمل الأدبي ، بعيداً عن لوثات عُهر الحداثة وندس العلمانية وهواجس العبثية وخرافة اللامعقول واضطراب الفاعلية وتخبط الإشكالية وفوضى السيريرية وتخرص الراديكالية وتصورات الجاهلية وعفن الكلاسيكية وسطحية الأفلاطونية ووسخ الأرسطية وتثليث الصليبية وردود أفعال الاستشراق وأذئاب الاستشراق وعبادة الحضارة الغربية المعاصرة! نعم ، هذا باختصار ما تميز به كتاب: النقد الأدبي بين الهدم والبناء ، للدكتور / عدنان علي رضا النحوي ، حفظة الله. ولولا خوفي من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (احثو في وجوه المداحين التراب) ، وكراهية الدكتور عدنان للمدح ، لقلت الكثير عنه. وأنا من الراسخين في معرفته ، والكتاب عظيم وقيم جداً. والسبب أن الكاتب ابتداءً وأشهد الله واشهدوا كان حنيفاً مسلماً ولا نزيه على الله ، إنما نحسبه هكذا ، فلم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا منافقاً ولا علمانياً ولا جاهلياً حاشاه ، بل كان حنيفاً مسلماً في عقيدته وسلوكه ، في تصويره وتصرفه ، وفي موازينه وقيمه ، وكان حنيفاً مسلماً في عاداته وتقاليده وفي أدبه: شعره ونثره ونقده ، وليس كالذين يكتبون في النقد الأدبي من منظور إسلامي بزعمهم وهم أعلم بأهل الاستشراق منهم بأبي بكر وعمر! بل جزا الله خيراً الدكتور عدنان على الذي قدمه للجبل من المنهاج القويم للدعوة إلى الله ، والمنهاج القويم للأدب نثره وشعره ونقده ، وجزا الله خيراً الدكتور/ محمد مصطفى هدارة ، والدكتور / عبد الباسط بدر والأستاذ / محمد حسين بريغش على ما سطره نثراً في الرد على ابن جني ، ولا حرماناً الله أجرهم ونحن نشاركهم ، فنرد شعراً عليه! وأعتذر لابن جني الحقيقي النحوي صاحب كتاب اللمع في النحو. ذلك الرجل الذي لا يعرف ابن جني الجزيرة شيئاً عنه بالمرّة ، وإنما كنية لاحت له فقط ، وهدانا الله وإياه. وكان على هذا النكرة الذي ينتحل اسم (ابن جني) ويكتب في جريدة (الجزيرة) أن يعرفه على الأقل ويلم بشئ من تاريخ حياته وغيرته على العربية نحوها وشعرها ونثرها! والآن مع القصيدة.)

ألا أيها النحوي صُبْحُكَ أسفرا	وليئـلـ اليواقيت انبرى ، ثم أمطرا
وشمسُ الأمانى أشرفت ، ثم أينعت	وبدرُ الهدى أهدى الغطاريف جوهرا
تأملْ ترَ الأنوار في كل ساحةٍ	ويُهدي شبابَ الخيرِ فكركَ عنبرا
مَعينٌ شدا في كل وادٍ هزارة	وبستاتن أزهار نما مُتبخرا
وزورق خيـر في بحار عميقة	تسامى عن الدنيا ، ولم يغش منكرا
وقمة فقهِه في التحدي ضليعة	وعلامَة كم شدّ – للعلم – منزرا!
وحبـلُ نجاةٍ للغريق ، ونجدة	وتنورُ فهم يُحرق المُتبطرا
تسامى - عن النيل المقيت - جميعه	لذا سلمت منه المخاليق والقُرى
وأعطى دعاة الحق من فيض علمه	وكان مثالا - في التناصح - خيرا

ولم يرم مقداماً ، ولم يشتك الورى
وكم ألبس الأشعار ثوباً مُعصفاً!
وكم دأل الأوزان يستنهض الكرى!
وكم عاش يبكي ثاوياً للذي يرى!
ويُبيدي - من الآلام - ما كان مُضمرا
ويُخرس من حاك الأغاليط والهرا
وهذا (ابن جنبي) يُطالع ما جرى
فقد ما قد حاك - في الكيد - وافترا
ولم يخترع عذراً ، وللفتنة انبرى
وميزانه - من معدن العدل - في الذرى
فأضحى - لأهل النقد - زاداً ومصدرا
وجلى المفاتيح التي تقتل المرأ
ولكنه قد حوّل الملتقى شرى
لأن (ابن جنبي) قد استهدف العرى
إلى الدس والفوضى عبودية الثرى!
فقد كنت من (اليوت) أدهى وأقذرا
وبت - بهذا الكيد - أشقى وأفجرا
وعشت بأوضار التحلل أبترا
وليس غريباً بعد أن تتقهقرا
فذا مستقيم جوهراً ، بل ومظهرا
فقد أصبحوا عيراً تحيص وبربرا
وأوجزت - يا عدنان - تُعذر مُبصرا

فلم ينتقد يشفي غليلاً بقالبه
وكم هام - في دنيا القريض - مُغرّداً!
وكم داعب الأشعار حتى تضاكت!
وكم أتحف الآداب ، لم يأل جهده!
يُدثر بالشعر المعنى جراحه
ويطعن بالأشعار أحقاد غادر
ويرمي - بوجه المفتين - نباله
تعقبه النحوى - بالنقد - مُنصفاً
وأشهر سيف النقد في وجه هازل
وسطر سيفراً يحتوي الأمر كله
وقعد - في هذا الكتاب - قواعداً
وبين أن النقد - حقاً - أمانة
ولم يلمتس - في ساحة النقد - مربداً
ولم يقتصد في النقد ، بل كان (حاتماً)
وكم غره حلم الليوث ، وجره
ألا يا (ابن جنبي) دهتك مصيبة
تقلبت في دنيا التشفى ، وجبتهها
تمرغت في وحل الحداثة والهوى
تأسيت عمداً بالمفالس والغثا
لهذا أتى (النحوى) يُدلي بدلوه
ولم يكتثر - بالمفلسين - دقيقة
فأبلغت يا عدنان ، لكنهم عموا

وأندى أداًء ، بل وأصفي تطهرا
وبينت حتى فاض نقدك أبحرا
لذلك لم يحو الحوار - تظمرا
وإليس لم يجرفك حتى تتبرا
كتابك ذا كالصحو ، إن هو أمطرا
على رده ، إذ كان أنكى وأوجرا
وكان كلام الفذ بدمراً مظهرا
أديباً له الشكر الوفير مقلطرا
وبرغش أذنباً له تعشق المررا
وإن له يوماً دجياً مكدرا
فقد صاغ نحو الضاد غضاً معطرا
فقد أصبحت أجواؤه اليوم منبرا
عن العلم أهداه الشباب منضرا
وماذا عن النقد الذي كان حبرا
شعار ابن جنى؟ وهذا من الفرى
وهل كنية عظمى تباع وتشترى؟
ولا تكثر السواى ، وخن التنبرا
فلما قرأت النص كنت المحقرا
ومن سؤد الغربان لن يتحضرا
مكانة (عدنان) ، فهاتيك في الذرى
يغار على الدور السلبية والغرى

رأيت (كتاب النقد) أقوى شكيمة
تبسطت حتى فندت كل شبهة
وأثرت صبراً - في الحوار - تطفأ
فأبلغت من حادوا ، وأوجزت حسبة
بلاغ وإيجاز وتقوى وعفة
(لهدارة) الشكر الجزيل وقبلة
فقد فند الدعوى بكل تحايد
ولست الذي ينسى (برغيش) عالماً
فقد برغش (الجنى) ، أودى بمسه
وأما (ابن جنى) فربى حسيبه
ألا و(ابن جنى) برى مبرو
ففي (اللمع) النحو المصطفى منارة
وأما ابن جنى (الجزيرة) فليقل
وماذا عن الآداب أركى أوارها
لماذا افتري إثماً عظيماً بأخذه
لماذا انتحال الإسم صيتاً وجنة؟
فلا تنتسب للأصل مادمت فارغاً!
حسبتك فذاً تتقن النقد صنعة
ومن أين للغربان يوماً بعزة؟
ألا يا ابن جنى لتعلم حقيقة
أديب أريب شاعر ليس مثله

وآدابُ به تُهـدي وروداً وأزهُـرا
وليس يحب الفخر ثواباً ولا المِـرا
ويبكي - على التوحيد والدين - أبحرا
ويَسْطرها شعراً ندياً مُعطـرا
ويسكبها في الكون شهداً مُقطـرا
ويطرح أرضاً من على الصخرة اجترا
يُذكَر هُوداً بالترانيم خيـرا
يريد لها نصراً مبيناً مُظفـرا
ويُرسلها ربحاً على الكفر صرّصـرا
تحدى العدا ، أمسى - على الكيد - عنترا
وقدوته أمسّت بلالاً وجعفـرا
فقد أصبحت - من سالف الدهر - مفخـرا
ودمع كئيب كعاد أن يتحجـرا
فقد أصبح الأقصى - من الشعر - أزهررا
وبات الذي يجري علينا مُقدّرا
يُعَلِّله كي يسستفيق ويجـأرا
ودقوا - على صوت الخداعات - مزهررا
وأن - لجنّد الكفر - يوماً مُتبررا
وإن كان لن يرضى الهوان ويعذرا
وعدنأً فيها يستجيش التفكـرا
وكيف ارتضى الأعفان من قد تبصرا؟
وكيف التقى الفذ - عمداً - تغيرا؟

يقدم للـدنيا حلاوة ديننا
ويعطي كثيراً من يودّ وصاله
يذود ، ورب الكون يحمي جهاده
ويبكي فلسطين الكسيرة والهـا
وينشدها فينا نشيداً مُزركشـا
ويعزفها لحنأً يئنّ ويشـتكي
ويكتبها نثرأً ثمينأً بدمعه
وينسجها درعأً لكل مجاهد
ويصنعها سيفأً بأيدي ظليعة
ويغزلها درعأً على كل فارس
ويصدقها بالروح نشوى ، ونفسه!
ويُرخص فيها كل شعر وفكرة
ويبكي - على الأقصى الأسير - بحرقه
ويلبسه من زاهر الشعر حلة
يُطمئنّه أن البلياقسائم
يُجفف دمعاً - في المحاريب - هاطلاً
ويُعَلِّمه أن الأشاوس جاهدوا
ويُشـهده أن اللقاء مكافئ
ويُعذّر للأقصى تخلف جُننا
ملاحم حادينأً تُعزي مُصابنا
يناشدنا فيها التحرك جملة
يذكرنا كيف استُبيحت ديارنا؟

وعاشت بأوروباً تُقارِف ميسرا
ولم تبك أشبالاً ، ولم تبك منبرا
فضلت ، وعن أنيابه الوغد كثر
وقد فاق أشقاهم هرقل وقيصرا
ولم يستمع نصحاً ، ولم يأو منذرا
نقدّم أسياًفاً تحز ، وعسكرا
يؤاسي جراحاتٍ - من الموت - أوعرا
ترجّع ألحاناً من الشعر أشعرا
وتجعل أقصاها - إلى النور - مغبرا
وتأسو جراحاتٍ - من السيل - أحدرا
فقد باتت الأحزاب مأوى ومحورا
فعانى لها ، وانبرى ، وتجمهرا
وهم قد أعدوا - للمغاوير - منحرا
وبعد انضوى - في الصف - كي يتصدرا
بها ، لا يراها - من لظى التيه - أحقرا
يتابعها حتى غدا متهورا
سراباً مهيناً من ثرى الظل أغبرا؟
وجهذ المعالي - في الدروب - تبعثرا
ونافق أقوام ، لكي يتأخرا
وجهذ اليهود اليوم غالي ، وأثمررا
وإن فاتت الأفلام أرغى تحسرا

وكيف تناعت عن ربانا رجالها
وكيف الطواغى في ربانا تذابوا
وكيف استذل الصيد - في الدار - جوقه
وحادت - عن الحق المبين - رعاتها
ولم يستفق - من فورة الظلم - مغرض
وفي (موكب النور) انطلقنا كتائباً
وفي (مهرجان الشعر) شعر وشاعر
وقيثارة (الأرض المباركة) انبثرت
تغني ربوع الخير أندى قصيدة
وتبكي على المسرى ، ويعلون نسيجها
ألا أيها النحوي أرشد شبابنا
فحزبية الأقوام صارت مراده
وأحرقه - فيها - جحيم دعائها
ويأبى شباب صالح أن يعافها
وتحرق بأس الجيل ، والجيل معجب
وكائن ترى - في الدرب - آلام هزله
فواعجباً كيف التردى أحاله
شباب تردى ، ثم ماتت رماحه
تطاول ليلى القهر ، حتى أذله
وتنفق أموالاً عليه غزيرة
شباب كثير - في الأباطيل - غارق

كثيرٌ - على قومي - تحدي عدوهم
فما طبقوا هدياً ، ولم يحرسوا الحمى
فيا أيها النحوي صدق مقالتي!
فلا تبتسئس أن المنايا تكاثرت
سـيـبـطـل رب الناس يوماً عناده
ودع سيدي نار البلاء زكية
ودعني أشاركك الذي أنت صغته
تنوع ما أسديت ، والجيل شاهد
جزا الله خيراً كل شـهـمـ مـنـافـح
وبوأ رب الكون عدنان منزلاً
ولست أزكي - في مديحي - معلمي
وهذا جميل ينبغي اليوم رده
ومهما بذلت الشعر غضاً مزركشاً
فعدنان صدقاً فوق شعري وما حوى
وعدنان ضيف في حياتي وخاطري
ولولا كلام - في الصحيح - مسطر
ولكنه الحـبـ النـزـيـهـ يـقـوـدني
ولولا الأحاسيس التي تختل النهى
وتصنع - من ظل الوداد - سحابة
لـمـا سـطـر المحررك ظل كليمه
ويزدان شعري ، إن تلا عنه نفحة
وكم كنت أرجو أن يعطر نادياً

فهم للذرى سعياً ، وقومي إلى الورا
وعما قريب يهرغ الخلق للعر
علينا ببذل النصح ، مادام مثمرا
وأن عدواً - في قرانا - تجبرا
ويبدو جلياً ما من الحق زورا
كفالك الذي أديت فينا منضرا
وضمد فؤاداً - من أسانا - تعكرا
كذا يشهد الأعداء ، إن هو أنكرا
ومن علم الدنيا الرشاد ، وبصرا
فقد عاش - بالإسلام - عفأ وخيرا
وأحسبه - بالمدح - أحرى وأجدرا
فإن عطا المقدام أصبح أكبرا
لأكبره ، فالشعر يغدو مقصرا
وعدنان ينبوع بخير تفجرا
وهذا قصيدي - من جنى الملتقى - قري
بإعلام من أحببت ما (عدن) بي دري
فأكتب - من شعري - الذي قد تيسرا
وتجعل - من قش المحبة - ممررا
وتجعل - من قطر التواصل - كوثررا
وما صاغ قرطاسي ، وإن هو أجبرا!
ويختال محبورا ، وإن هو حوصرا
وأمسية ، حتى يروج في الوري!

وأسواقه ، أما الهراء ففي الذرى
 وأمسى هماماً - من على الملة - افترى
 وذبان أحراش يُعنف أصقرا
 فليس لأفعى أن تُعذب أنمرا
 وأوقد لهم - بالشعر - جمرأ ومجمرأ
 ألا فاحرقن - بالشعر - صلاً وجيهرأ
 لذا فاتخذ - بين الورا - لك مجهرأ
 تدك به هزلاً يمج وأوكرا
 وتمحو دخاناً ساد ربحاً وأعصرأ
 ترد (ابن جني) ليسكن عبقرأ
 يلت عزيف الجن ، يعتاد ما يرى
 وكان الذي دسوه أعتى وأوعرا
 عموا - ويحهم - قلباً وعيناً ومججرا
 لكي تقصما حُمراً تحيصن وأظهرأ
 فلا تتركما ما قد يُحكك ويُفتري
 ألا بوركت ديناً وأرضاً ومشعرا
 فصدا الفقاع الدخيلة والهرا
 ألا ضيقاً الأنفاس كي يتضورا
 وينقد شعر العرب من كان أشعرا
 تمج لنا زيفاً ، وتخترع الفري
 ويرمي - على كل يعاريب - صعترا

ولكن زمان الشعر ولت عهدوه
 وقدم مردون ، ليسقط فاضل
 ويُطلق مجهال ، ويوسر عالم
 فليس لكم إلا الضواري أحبة
 ألا يا ابن عثماو تعقب ذبولهم
 معاذ المعالي ، يسحق الدين بيننا!
 وحقق ودقق كل لفظٍ وصورة
 فأنت بصير ، فاجعل الشعر معولاً
 وتستأصل العهر الذي ساد والخبنا
 ألا يا ابن عثماو سترجع ظافراً
 فليس له بين الأناسي منزلاً
 وأنداده الآن استبدوا بقليلهم
 فيا (عدن) أدبهم ، فهم كم تطاولوا!
 ويمناك ضعها في يمين (ابن صالح)
 تعقبتما في موقف واحد معاً
 ألا وابنيا مجد الجزيرة ، واصمدا
 ألا وانقذا الشعر الأصل من الفنا
 وذا عوسج التغريب في كل رقعة
 فلا يلتقي إلا الندامى رفاقه
 ألا شعرنا اليوم استكان لحفنة
 ويُعلن شعر العرب أن ليس راضياً

يذكرهم بالدين والضاد مُكِّرا
ويعبث - بالأشعار - مَنْ قد تنصرا
يُسَمِّيه أشعاراً وذوقاً مُبْخرا
وما شك عقلٌ فيهم ، أو تحيرا
بشعري ، وقد أصبحت - بالشعر - أخبرا
وكم كنت أرجو أن تباع وتشتري!
وتضليلُ خراصين - في الناس - يُفتري
يسُب الهدى حتى يُضاف ، ويُذكرا
وممن غوى أمسى أضل وأكفرا
فبالحس والإحساس ذا قد تستترا
وأفنى ، ولا ألقى عزيك يُمتري
شعار الخنا حتى تبين وتظهرا
إلهي أعن حتى أدود وأجهرا
ووجهي لما يأتي الخزايا تمعرا
فيا رب نصراً يحتويننا مُؤزرا
بذا حُق لي أن أستطيل وأفخرا
تشع نسيماً - من سنا النجم - أنورا
ومت عزيزاً مُقبلاً لست مدبرا
تسلي بها مثلي ، وإن كنت أصغرا
سلاماً على حبي أدل وأظهرا
وزاد سلاماً - من مدى الشمس - أكبرا

ويحمل قرآنا ، ويلبس جُبة
وباتت ليالي الشعر هزلاً ومسرحاً
فمن كل معتوه نهيقٌ على الملا
ولو حذفت ميمٌ وباءٌ لصدقوا
تمنيت لو كنت من ردّ صاعهم
وكنت أريد السوق تغشى بضاعتي
ولكن هراء يملأ اليوم ساحة
برئ قريضُ العرب من كل مفلس
ويرمي أصول الدين جهراً وعمداً
علمنا لماذا مثله اليوم شامخ
أموت ، ولا ألقى لمثلك رفعة
وأنت عزيز بالذي صاغكم هنا
وإني عزيز بالذي في السما علا
وأوقف عميلاً عند حدٍ وغايةٍ
وأنت - على ما قد جرى اليوم - شاهدٌ
نظمتُ ورب الناس قصدي وغايتي
وأهدي - إلى النحوي - أندى تحيةٍ
وعشت سعيداً ، أيها الشهم بيننا
ولا فض فوك العذب من كل نفحةٍ
تقبل سلامي من فوادٍ يُحبكم
وصلى على المبعوث ربي وآله

أفصحت وغيرك أزيد

رسالة شعرية للأستاذ الدكتور / محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم - 1996م
(بمناسبة نقده الموضوعي لمنهج صاحب الظلال)

(بعثت بهذه الرسالة الشعرية للأستاذ الكبير الكريم الفاضل / محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم ، صاحب / عودة الحجاب ، وعلو الهمة ، وحرمة أهل الإسلام. وذلك بعد أن استمعت إلى محاضراته الظريفة والتي هي بعنوان / نظرة في منهج صاحب الظلال - رحمه الله تعالى - مثنياً ومادحاً تارة ومواخذاً ومعاتباً تارة أخرى. وابتداءً لست أذهب في صاحب الظلال أو أذهب به إلى رياض الملايكة لأفترض جدلاً أنه لا يُخطئ - معاذ الله -! بل أشهد أن له مزالقه وعثراته وأخطاه وزلاته - رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين كل خير - وأناشد أستاذي محمد بن إسماعيل ، أن يشرع - منذ وصول رسالتي - في كتابه مجلد كبير منصفٍ عن صاحب الظلال ، يكون مبنياً على العدل الذي لمسنه ونلمسه وسوف نظل نلمسه في ابن إسماعيل - صدقاً إن شاء الله - فيطالع المراجع ، ويفندها أولاً ثم يُخرج الكتاب وأول هذه المراجع: المعالم والظلال والمقومات والخصائص والتصوير الفني وهذا الدين والمستقبل لهذا الدين ، وبعد ذلك تكون قراءة متأنية للذين نظروا قبله في منهج صاحب الظلال وهم أنواع ثلاث: مغرضون هدفهم التشويش استغلوا أخطاه للانتصار لدوافعهم الخبيثة ، وجاهلون لم يفهموا شيئاً من المراد من كلامه أصلاً ، وعلماء منصفون حللوا وجمعوا النصوص في الفكرة الواحدة ليبرز جلياً مُراد الكاتب بعد عرض ما ذهب إليه على كتابات العدول والثقات من أهل العلم سلفنا الكرام ومن هذا حذوهم ، وأحيل مثلاً إلى: كتابات الأستاذ السلفي الأصيل الجهد الذي لا نزكيه على الله عكاشة عبد المنان الطيبي ، وكتابات الأستاذ / محمد الفانز ، وكتاب الأستاذ / محمد توفيق بركات عن خلاصة حياة صاحب الظلال ومنهجه في الحركة والنقد الموجه إليه ، وهذا الأخير من أهم المراجع ، وكتابات أستاذنا / عماد الدين خليل عن المنظور التاريخي في فكر صاحب الظلال ، وكتابات الأستاذ الدكتور / صلاح عبد الفتاح الخالدي وقد أبدأ القول وأعاده عن صاحب الظلال. وقد أهديناه قصيدة تناولنا في مقدمتها الكثير عن سيرته ومشواره مع سيد رحمة الله عليه. ومن أراد المزيد فهو مسطر في هاتيك المقدمة. والخالدي كما بذل واجتهد في بيان حق كاد أن يضيع بين غلاة الحاقدين وعجز المحبين ، فإنني أبتهل إلى الله أن يبارك فيه ، وإن أسفاره العلمية عن سيد قد زادت على التسعة إلى الآن! ويعتبر هذا الرجل من القلة التي فهمت صاحب الظلال فهما لا إفراط فيه ولا تفريط فيما أعتقد. وأما السطور المغرضة التي ذهب إليها المغرضون من الذين لم يفهموا المراد ممن عمدوا إلى التشويش فإنني أرى إسقاط الاستشهاد بهم. وليتسم بحثك يا أستاذ محمد بالحيدة والموضوعية ودراسة الرأي والرأي المضاد ، كما رأينا منك في (عودة الحجاب) ، و(علو الهمة) ، و(حرمة أهل الإسلام) ، وأنت أهلٌ للإنصاف والعدل ، ومن المعدودين في زماننا من الذين لا يميلون حيث تميل بهم الرياح ، ومن الذين لا يتلونون أبداً تلوين غيرهم ، كما أنني لست أراك طرفة عين من أهل الزيغ والغفلة السطحيين أصحاب الأهواء كلا. فأنت علامة أحبه وأجله وأتبعه وأقرأ له منذ عقدين من عمري وأكثر علم الله. وأقول لك: إن أساء بعض الناس فهم النصوص التي ذكرها صاحب الظلال فليس الخطأ خطاه ،

بل هم الذين أخطأوا ، وإنما يعد الخطأ خطأ إذا كان النص ابتداء يصاد أو يخالف الكتاب والسنة صراحة ، أو يخالف اعتقاد أهل السنة والجماعة ، الذين لك ولي شرف الانتساب إليهم ، وتوفانا الله وإياك وكل موحد على دينهم واعتقادهم وأخلاقهم أمين. وإن صاحب الظلال مات - رحمه الله - وقد ترك تراثاً قوامه يزيد على خمسة آلاف صفحة فمن الإنصاف قراءتها والوقوف عليها وتقييمها. وقد لاحظت أن معظم الذين كتبوا عن هذا الرجل (أعني صاحب الظلال) لم يطلعوا على كل الذي كتب. بل راح أغلبهم ينقل عن غيره ، فخرجت تأليفهم تكراراً ليس إلا ، ونسخاً كربونياً لا يزيد! وكانت نسخاً يشبه بعضها البعض الآخر! وإنما الذي يتغير فقط هو أسماء المؤلفين ، وأسماء دور النشر والطبع والتوزيع ، وعناوين الكتب وألوان الأغلفة ، وأسعار الكتب!! فيا ابن إسماعيل ولا أذكرك على الله أبداً ، شمر عن ساعد الجد ، وشد منزرك ، وأخرج كتاباً منصفاً عن صاحب الظلال ، واستخر الله - عز وجل - وادرس الفكرة واقرأ ، ولا يكن كتابك تكراراً لمن سبقوك في هذا الموضوع. فإنما يتفرد الكتاب عندنا بموافقته للحق أولاً ، ثم بالجديد الذي يحتويه بين دفتيه. وإن صاحب الظلال اليوم في أمس الحاجة لأمثالك ، من الذين ينصفونه ويسلونهم فعلاً من أقول المغرضين والجاهلين وأصحاب الهوى ، كما يسئل الشعر من العجيين كما كان حسان بن ثابت - رضي الله عنه - يسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أقوال وأشعار أهل الشرك والكفر والجاهلية - طبعاً مع الفارق ، فليس ابن إسماعيل - حفظه الله - كحسان - رضي الله عنه - ، كما أن صاحب الظلال - رحمه الله - ليس كرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولكن لكما ولي ولكل مسلم موحد شرف الاقتداء بهما والتأسي والانتساب إليهما. أستاذي الحبيب / محمد بن إسماعيل ، أعجبتني محاضرتك على هنتين أو ثلاثة فيها ، وأتعشم أن يعجبني كتابك الذي تتحفنا فيه بذكر ما لصاحب الظلال وما عليه بمنهج علمي أصيل وبوضع الرجل وكلامه تحت المجهر السلفي الأصيل. وأرجو أن ينحسر الكتاب عن الهنات ، وعساك تدرك من قصيدي هذه التي كتبتها أهديتها لك عقيب سماعي للمحاضرة. وجعلها الله وسائر ما كتبت وقلت في ميزان حسناتك يوم تلقاه. عساك تدرك من القصيدة ما يتسع له مقام مقدمتي. وأعتقد أن هذا الموضوع بحاجة ماسة لكتاب علمي يضع الحق في نصابه ، ويرد القوس إلى باريها ، ويضع السيف في غمده. وخاصة في الآونة الأخيرة ، وقد رأينا أن كلاً قد أدلى فيها بدلوه: العلماني والصحفي والمستشرق والمتلون والمرتزق والسطحي والهامشي والقاروني والهاماني والفرعوني النزعة وبعض أهل العلم المنصفين وقليل ما هم ، ولا يزال الموضوع بحاجة ماسة لأيدٍ أمينة وأقلام نزيهة مدأها الحق وقوامها العدل والإنصاف ومنهجها الإخلاص والعمل لله عز وجل ، ووفق كتابه وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - . وعن أدب الاختلاف في الإسلام يقول الأستاذ الشيخ عبد الله بن بيه ما نصه: (أما عن أسباب الاختلاف فهي أسباب موضوعية ترجع إلى بلوغ الأخبار والآثار إلى العلماء ، والقواعد التي يلتزم بها العالم حقاً في تصحيح وتضعيف الأخبار! وبالتالي مسألة اختيار معايير التعامل مع السنة وقرانن نسخ الأخبار وإحكامها. وترجع كذلك إلى اللغة وضوحاً وجلاءً وغموضاً وخفاءً ، كما هو مفصل في كتب أصول الفقه في أبواب دلالات الألفاظ ، كعموم النصوص وخصوصها وظهورها وتأويلها ومجملها ومبينها. كما يرجع الاختلاف أيضاً إلى الأدلة المتعلقة بمعقول النص ومقاصد الأحكام ، كأنواع القياس والمصالح المرسلّة والاستحسان والاستصحاب وسد الذرائع. كذلك فإن الخلاف يعود إلى الأعراف المعتبرة ، وتغير الأحكام بتغير الزمان والمكان والموازنة بين المصالح والمفاسد ؛

فهذه العناوين الأربعة يرجع إليها اختلاف العلماء. وهذه هي الآفة الكبرى.. فاتباع الهوى يدخل الخلل في الموالاتة والمعاداة ، وحيثما وجد التفريق كان مبعثه الهوى ؛ لأن أصل الاختلاف الاجتهادي لا يقتضي الفرقة والعداوة ، وقد جعل الشاطبي هذا الأصل مقياساً لضبط ما هو من أمر الدين وما ليس منه ، فقال: "فكل مسألة حدثت في الإسلام فاختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنها من مسائل الإسلام.. وكل مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتنافر والتنازع والقطيعة علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء ، فيجب على كل ذي دين وعقل أن يجتنبها.. فإذا اختلفوا وتقاطعوا كان ذلك يحدث أحدثوه من اتباع الهوى". ووصف الشيخ تقي الدين بن تيمية من يوالي موافقه ويعادي مخالفه ويكفر ويفسق مخالفه دون موافقة في مسائل الآراء والاجتهادات ، ويستحل قتال مخالفه بأنه من أهل التفريق والاختلاف (الفتاوى 7-349). ويرى ابن تيمية ترك بعض المستحبات تأليفاً قانلاً: "لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا ، كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تغيير بناء البيت لما في إبقائه من تأليف القلوب ، وأنكر ابن مسعود على عثمان إتمام الصلاة في السفر ثم صلى خلفه متماً ، وقال الخلف شر". (الفتاوى 22-407). وكذلك فإن النووي يرى الطائفة المنصورة بهذه النظرة الموسوعية المبرأة من كل هوى فيقول: "ويحتمل أن هذه الطائفة تفرقت بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد ، وأمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى كثيرة من أهل الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض". هـ. وجزا الله خيراً أستاذنا الكبير / محمد بن أحمد إسماعيل المقدم. ويرحم الله الشهيد صاحب المعالم والظلال رحمة واسعة. وساعة نقول الشهيد فإننا نعني به ذلك اللفظ الدعائي وليس الجزم والقطع له بالشهادة ، كقولنا المغفور له فلان. وإنما عنى البخاري من يقطع لمُعَيَّن بالشهادة ، والفرق واضح. وعلى هذه القاعدة فإن كثيراً مما يقولون: المغفور له فلان والمرحوم فلان والشهيد فلان ، لا يعنون بالمرة القطع لأحد منهم بالمغفرة أو الرحمة أو الشهادة. لأن هذا يعد من قبيل القطع المرادف للتألي على الله - معاذ الله - (ويلحق أصحابه ما ورد في الحديث الإلهي: أكننت بي عالماً أم كنت علي متأهلاً؟!) ولكنهم يقصدون الدعاء والتمني فقط ، ذلك أن الحكم بالشهادة يحتاج إلى دليل ، فلا نشهد لمُعَيَّن بالشهادة إلا ما دل الشارع على شهادته في آية أو حديث للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، وعموماً الحكم على الوصف هنا ، وليس على العين هنا كما ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، وليس الحكم على القطع والجزم ، كالشهادة لمُعَيَّن بالجنة لكونه مؤمناً أو الشهادة لمُعَيَّن بالنار لكونه كافراً - على الوصف وليس على القطع - لأن أحدهما عُرْضة لترك ما هو عليه أو الفتنة في دينه فلا يكون من أهله ، ومن هنا يتبدل الجزاء بتبدل القصد والتوجه بعد قبول الله من العبد. وفقك الله يا ابن إسماعيل ، وسدد خطاك ، وأيدك بالحق ما أيدت الحق ، ونصرك ربي ما نصرت شرعه وأولياءه.)

نافع فقد عربدت في الدار أزيارُ واسـ تفحلت فتنة عمّت وأخطارُ
واطفئ النار في أجواء صحتنا فلا يرى عبرها في الدار مسعارُ
وأخمد الحرب ، وامحق بأس حائكها ومن له في اندلاع الحُمُر إصرارُ

وَمَنْ هُوَ الْيَوْمَ فِي التَّنْظِيرِ مِجْعَار
فَلَا يَكُونُ لَهُمْ رِقٌّ وَلَا طَار
فَإِنْ فَعَلْتَ فَلَا يَعْلُوكَ صُرْصَار
وَلَا عَلَيْكَ فَأَهْلُ الْبَغْيِ أَغْرَار
فَإِنَّهُ فِي اصْطِنَاعِ الْغَدْرِ دِيَار
هَمْ جَوْقَةٌ ، ضَمَمٌ فِي الْمَلْتَقَى الزَّار
وَأَلَّةُ الْحَرْبِ جِيْتَارٌ وَمِزْمَار
أَوْ كَيْفَ يَغْلِبُ طَبَالٌ وَزَمَار؟
مِنْ الْمَعَاتِيهِ مِمَّنْ تَلْفِظُ الدَّار؟
وَلَمْ يُمْلِهِمْ عَنِ التَّبْلِيغِ دِينَار؟
وَكَيْفَ يَلْمِزُهُمْ غَرٌّ وَسَخَّار؟
أَنْتِ الرِّشَادُ ، وَهُمْ وَاللَّهِ فَجَار
لَكِنَّهُ حَقَّكُمْ ، وَالنَّاسُ أَقْدَار
وَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالْإِسْلَامُ مَعِيَار
وَتَعَزَّفُ الْحَبَّ فِي الْإِحْسَاسِ أَوْتَار
وَقَوْلِكَ الْفَصْلُ فِي الْأَحْدَاثِ بَتَار
وَأَبْرَزْتُ حَسَنَهَا لِلنَّاسِ آثَار!
أَبْوَابُهَا لِكَسْبِ الْقَلْبِ سُومَار!
فِيهَا الدَّلِيلُ بِدَا تَرْجِيهِهْ أَخْبَار
جُوزِيَتْ خَيْرًا عَلَى مَا كُنْتَ تَخْتَار
وَخَلْفِكَ الصِّيدُ فِي الْبِسْتَانِ أَزْهَار

وَأَخْرَسَ الْخَصْمَ مَنْ أودى بعزمتنا
وَأَجْمَ الْبُلَاةَ ، لَا تَعْبَأُ بِهِمْ
وَاضْرِبْ بِفَأْسِ الْهُدَى أَفْعَى تَطَاوَلَهُمْ
وَارْمِ الْقِتَابِلَ فَوْقَ الْبَغْيِ مُحْتَسِبًا
وَاهْدَمْ غُرُورَ كَبِيرِ الْقَوْمِ فِي جَلْدٍ
وَحَطِّمِ الْجَهْلَ فِي أَحْشَاءِ مَنْ صُرِعُوا
تَجَمَّعُوا ، وَانْدَحَارُ الْحَقِّ مَطْمُحُهُمْ
وَكَيْفَ يَغْلِبُ أَهْلَ الْوُحْيِ مَنْ فَسَقُوا؟
وَكَيْفَ تَنْقُدُ أَهْلَ الْحَقِّ شُرْدُمَةً
وَكَيْفَ يُرْمَى بِقُوسِ الْكَيْدِ مَنْ عِلْمُوا
وَكَيْفَ يَنْبِذُ أَهْلَ الْخَيْرِ مَنْ سَفَلُوا؟
يَا ابْنَ الْمَقْدَمِ أَبْطَلْ سِحْرَ مَنْ فَجَرُوا
وَلَا أَزْكِي عَلَى الرَّحْمَنِ مِنْ أَحَدٍ
أَحْبَبُكُمْ ، وَرِضَا الْفِتْحِ لِي أَمَلٌ
وَأَعْلَنِ الْحَبَّ ، لِي فَخْرٌ بِهِ وَشَذَى
يَا مَنْ أَجَدْتَ فَنُونَ الْقَوْلِ فِي ثِقَةٍ
فَكَمْ كَتَبْتَ مَقَالَاتٍ لَهَا أَرْجٌ
وَكَمْ نَقَشْتَ تَأْلِيفًا مَبِيتَةً
وَكَمْ أَبْنَيْتَ مَنْارًا فِي مُحَاضِرَةٍ
يَا رَافِعًا رَايَةَ التَّحْقِيقِ سَامِقَةً
كَمْ نَدَدْتَ فِي اللَّهِ تَبْغِي نَصْرَ شَرِيعَتِهِ

فهل هؤلاء لهم نهى وأبصار
وأن موت الفتى على الخنا عار
لظالمنا استعبد المفتونَ دولار
شُم الأنوف ، على شرع الهدى غاروا
وغيرهم في اجتلاب الفليس منشار
رضا المليك ، فهم في الخير كُرار
لأنهم من فعال الشر فرار
ومثل ذلك لم تشهدهُ أعصار
وأصبحت عند بعض الناس أعذار
وأشعلت بيننا - رغم الإخا - النار
فرندقوه ، وبغادي الحرب مكار
لأنهم في حساب الحق أصفار
لدمروهم ، وإن الكيد غدار
فيها رجال الهدى في البأس أظهار
كنى ، فقطب الهدى في الصدع مغوار
فإنهم عنده نوق وأعيار
وكم تصدى لكي يستأصل الفار!
وعالم في بيان الحق مجهار
والسيف في يده يعلوه إشهار
بنصرة الحق ، جنذ الحق أبرار
وعزمه لمريد الخير تذكار
يرأغه في ذئوع الخير جرار

لم يرهبوا القهر في (بستيل) من كفروا
هم يُدركون بأن النذل مخبثة
لما يعيشوا لأموال ولا لثرى
لكنهم زهدوا في كل ما ملكوا
رأيت أغلبهم بالفقر مُفتخراً
أحسنّت تربية الأشبال فاستبقوا
ولم يُقيموا على سُوى ومعصية
وعمت الجيل فوضى لا رشاد بها
فأذهبت ريح قومي دون فائدة
واستثمرت في ديار الكفر جذوتها
حتى أتى الدور قطب الصيد سيدنا
لولا اليهود وأهل الصلب ما انطلقوا
إن اليهود إذا ما استدرجوا زمراً
وهم يردون صاع القطب ملحمة
فقد تعقبهم شيخ الظلال وما
لم يخش صولتهم ولا الذين طغوا
كم ناوا القطب في داري مصالحهم!
مجاهد عطر الدنيا بثورتته
وثائر لا يخاف الناس قاطبة
وسائر فوق هام السحب مفتخراً
وفارس يعرف الأعداء صولته
وكتاب في نرى الجوزاء همتته

ولم يصنع مثله من قبل (مهيار)
وليس يكتب هذا الشعر (بشار)
فإنها في رياض الشعر آبار
معيّن خير ، وفي الظلماء أعمار
له بشتى القرى في النقد أسفار
وليس للقطب في ذا النقد أوطار
له الإباء مدى والعزم أفكار
نجم على فاك التاليف سيار
وبعد تابعه في العز أختيار
وكم له اتجهت في الأرض أنظار
ولا تصور ما أسداه أشعار
وربنا حسبه ، والمدح أوزار
لما تطاول رهبان وأحبار
لما استطل على الرئبال أبعاد
تبارك الله منان وغفار
والله يغفرها ، فالرب سأتار
لكنما زادهما في الكيف أشرار
وسيد الخير صرّح ليس ينهار
عن الهمام ، ولم تصرفه أضرار
وهتكت في بيان الحق أستار
وابن المقدم فيها نعم هدار!

وشاعر شعره - بعد الهوى - جزل
لأنه صادق الفحوى له ألق
ديوانه نسخت أغلاطه (هبل)
كذا (أخي أنت حر) في تشامخها
وناقداً منصفاً ، فالنقد صنعته
وليس يملك ميزاناً بلا صنج
كذا أديب له بين الورى فكور
وكان قطب له في النصح مدرسة
قد جدّد الدين في أعماق صحتنا
وفضله شهت بكمه قمم
ولا تحيط بوصف القطب أخيلة
ولا نزكي على الغفار من أحد
لولا مزاللق في جلبابه علقث
لولا أغاليط في تأليفه سقث
ويغفر الله ما أزهاه من خطأ
مننا الخطايا ، لأننا كنا بشر
أخطاؤه غرقت في بحر ثروته
كانت وقوداً لمن في عرضه رتعوا
إذ قيض الله من يذود منتصراً
فأعلن الجد في التقويم مصطبراً
وبعد شبت بثوب الزيف معدلة

وليس يثنيه عند الصدع خوار
يحنو عليه فيشوي عطفه الثار
فما (مُحمَدُنا) في الحق سمسار
جميعهم شرقوا بالقطب ، واحتاروا
أذى الجميع وتشويش الألى ثاروا
ولم يشب عزمه في الذود إدار
يُصب فيها اللظى والكيذ والقار
باعوا الضمير سُدىً ، فبئس تجار!
كلّ له حول ذبح القطب إصدار
على القروح له نابّ وأظفار
لأن مكرهم بالقطب كُبار
فسوف تجمعهم يا صاح أوكار
وليس عندهم في النقد منظار
وينفخون الغشا ، والسدس غرار
عن العناد ، فبئس الجهل تيار!
وكم فقيه بهم ضمته أسوار!
وإن أراد حياة لفته الغار!
كي يستريحوا ، وذيعت عنه أسرار!
قد مزقوه ، وصيغت عنه أذار!
تعقبوه ، وفي أهوائهم ساروا!
ووزعت بينهم في الزيغ أدوار
يا بؤس من رجموا! وبئس أحجار!

يزيده حكمة ، والعلم عُدته
يرد حقاً إلى المظلوم سيدنا
ويسلم القوس للباري بلا ملق
وينصف القطب من أضغان شردمة
يادلهم لمعين الحق مُحتملاً
فناظر الخصم ، لم يعبأ بهجته
قطب ينافح عن قطب بمعركة
جنودها جوقة لا ترعوي لهدى
تعلمنوا ، فغدا الإرجاف مذهبهم
ماذا دهاهم غدوا مثل الذباب نزا
يا ابن المقدم كن سيفاً يودبهم
ولا عليك إذا فارت جحافلهم
لا يعمدون إلى التحقيق مذبرجوا
يُزندقون عبادة الله في شئبه
يا ابن المقدم أوقف جوقة هزلت
كم عالم في بقاع الأرض قد ذبحوا!
وكم أديب محو آدابه ليئت
وكم مُحَدَث ركب أهدروا دمة
وكم كتاب حوى للخير ملحمة
وكم مقال يخط الصدق قائله
تنوعوا فرقاً في كل خدمة
من كل مرتزق في كفه حجر

ويشربون الدما ، والصاغ مدار
وهل يطيب لعف الذوق صبار؟
إلى الهراء ، ومن على الهدى فاروا
كذلك قد أخذت عليك آثار!
لأنه الفهم مثل النجم سيار
بسرعة الأخذ ، والتعجيل قار!
عن الأمور فيحذو حذو من جاروا
ومن رأى رأيه ممن له ثار
وقوله عن أصول الفقه إقرار
شعب يوحّد رب الكون ، والدار
سفر الظلال ، ودع من في الهوى ساروا
كأنها في دجى التطويح أعمار
وأنت في صولة التحقيق صبار
ولن يضرك من في كيدهم حاروا
وهل تؤثر في المشكاة أعمار؟
وهل يخوف أسد الغاب أجفار؟
وهل تدنس هذا الطود أغبار؟
وإن علا عنه تحذير وإنذار
وسيرة القطب أطباق وأطوار
ولم تكن لصدى الأفعال أضرار
وللمعلم بالأخطاء إقرار

هم يأكلون لحوم الشّم تشفية
كيف استساغوا الدما واللحم أجمعهم
يا ابن المقدم أدب جوقة عمدت
فكم أخذت على الأستاذ مزلقه
فلا تصوب سهاماً في مناظرة
كذلك كم أخطأ الفهم الذين مضوا
وسوء فهم الفتى يزيد عجمته
رجحت رأي ابن إدريس ورفقته
فقطبنا لم يحارب فقهنا أبداً
لكنه قال: هذا الفقه يلزمه
واقراً مقالته بآي (يوسف) في
تلق العبارات في طهر وفي وضح
وارجع إلى خمسة الآلاف دون هوى
(محمد) الخير أبشر أنت منتصر
وهل ترد شروق الشمس زوبعة؟
وهل يُقيم أهل العلم من جهلوا؟
وهل ينال من الطود العظيم هبا؟
وسيد الخير نبراس بصحوتنا
أما مزلقه ، فالله يغفرها
من ذا الذي سلمت أقواله أبداً
كلّ يُصيب ويخطي رغم حيطته

فسوف يفضحُه في الخلق جبار
طال الزمانُ به ، أو طال مشوار
وكيف يكتب في التقييم أثار؟
من الظلال ، وللتبيين إسفار
هي الرياضُ ، وجيلُ الحق زوار
هذي العباراتُ للخطاب أبحار
هذه الأصول بليلى الزيف أسحار
ويقرون كذا (أضواء) من جاراوا
عوارها ظاهراً ما فيه إضمار
حديدهم مشهرٌ ، والسجنُ ، والنار
ولا يعيش مع العُبدان أحرار
وما استكانت لها بالفسح أقطار
ما لفقوا الزيف ، ما لفوا وما داروا!
وأن ألبابهم تيسة وأقذار
من الهُراء ، فليست فيه أثمار
وكل أمر له في الفهم مقدار
والحمقُ في البعض أبدالٌ وأغيار
سيسقطون ، وهذا الحالُ إشعار
ويُفحِم البلاءه ، إن البلاءه أغرار
مؤدبٌ من على الأعلام قد جاراوا
كانبت تحميه في البستان أشجار
بذا الكتاب ، فذا للبيد أنهار

ومن تتبع عورات الألى فقهوا
ومن بضاعته الإيقاعُ منهزمٌ
والناسُ تقرأ ، فيم الحيصُ يا حُمُرٌ؟
سيقرأ الجيلُ ما قد صاغ سيدنا
ويقرون رموزاً في معالمه
كانت عبارته سلوى تَضعضعنا!
ويقرون أصولاً في خصائصه
ويقرون زيوفاً في (مطاعنكم)
يا خيبة سطرته للورى كتب
ويكشف النقود للندنيا عمالتكم
وأغلبُ القوم عُبدانٌ لهم ركعت
لولا الطواغي لَمَا أهواؤكم طبعت
لو كان أصحابها في الجهل لم يقعوا
هم يحسبون بأن الناس في عمه
لا يقرون سوى ما خط مُبتدع
إن اللبيب له عقلٌ يدل به
ولا يصدق مافوناً سوى خرف
يا ابن المقدم أبشر ، طالما ارتفعوا
(علو هماتكم) يُهدي القلوب إبا
كذلك (حُرمة أهل العلم) في نظري
أكرم به مرجع في الانتصار لهم!
يا ابن المقدم قد أتجت خاطرنا

كأن أبوابه للقلب أذكار
كأنه بين كل الكُتُب نوار
كأن أفكاره للأرض أمطار
واسـتقبلته بكل الشوق أمصار
وابن المقدم في التصنيف مغوار
نزاهة البحث والإنصاف معيار
وما عليه بلا غش ، فذا عار
فقد سافين الفدا ، فنعم إبحار!
إن الرجال بتقوى القلب أطهار
ولا عليك إذا حاطتـك أخطار
لطالما رفـع الإنسان إثـار
ومطلبـي شانـك ، وفيه أوعار
وإن أفكاره في الجو أطيـار
وليس ينصره منهم ولا جار
ولا الفؤاد على التوحيد غيار
يُخيفه ، وارتعاش العزم ديار
وكيف ينصره شجب وإنكار؟
ومن نخيرتهم طين وفخار؟
تعباً بمن خنعوا ، والراحة اختاروا
والله ناصـركم ، والرب قهار

ما إن تصفحته حتى تملكني
ولم يجرح ، فذا يزيده ألقاً
سما عن النيل من أعراض من علموا
تلقفته أياد بوركت أبداً
هذا الكتاب بديع في مباحثه
فاكتب كتاباً عن القطب الشهيد له
قل ما له دون إفراط يشووه
فأنت أولى بهذا المجد يا بطلاً
وأنت أولى بأجر الله يا رجلاً
وأخرج القطب من أنياب مأسدة
وخصه بدقيق البحث محتسباً
وانقذ تراث الشهيد الفذ معتدلاً
فسيد الخير يوماً كان معجزة
والكل يُدرك أن القطب مهتضم
لأن أكثرهم لا علم في يده
ولا رجولة خلف الظل ، بل شبح
وكيف تنصر قطب الخير عاطفة؟
وكيف ينصف قطب الحق من جهلوا
ومن هنا فانطلق يا ابن المقدم ، لا
فالعلم عندك ، والإقدام مدخر

وصية والد لولده (هدية لولدي عبد الله)

(كتابة الشاعر عن أبنائه ولهم لا تنقضي. وإنني أكتب اليوم ليتبني هؤلاء الأبناء وأبناؤهم الذين هم أحفادي هذا الشعر تحقيقاً وقراءة ونقداً وتحليلاً مستقبلاً. حتى ينفعوا به غيرهم من بني الإسلام أو من بني الإنسان على حدٍ سواء. وأغلب أشعاري عن أولادي كانت عند ولادتهم. فبينما الواحد منهم في مهده ، لا يدرك من أمر نفسه فضلاً عن غيره أي شئ ، فإذا بالقصيدة بين يديه قد نسجت خيوطها. لقد عظمت الشريعة الحنيفية السمحة حق الولد على والده. فمن ذلك أن مال الابن لأبيه ، فلوالد أن يأكل منه. روى ابن ماجه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن أطيب ما أكلتم من كسبكم ، وإن أولادكم من كسبكم!) وللوالد أن يأخذ من مال الابن ما يريد. فلقد روى ابن ماجه كذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال للذي قد اشتكى أباه عنده: (أنت ومالك لأبيك)! واشترط أهل العلم في ذلك أن الأب يجب أن يأخذ بالمعروف ، ولا يتعمد مَصْرَةَ ولده بأخذ المال كله ، وألا يعطيه غيره من الناس أبداً دون وجه حق لهم. وأن الوالد ليس له حد على ولده مطلقاً لعظم حق أبيه عليه ، فمثلاً إن سرق من مال ولده لم تقطع يده ، وإن كان الأب عليه دين لابنه لم يُطالبه الابن به ، وإن قذف الأب ابنه لا يُجلد ولا يُحد ولا يُعزر ، وكذلك لو قتل الوالد ولده فإنه لا يُقتل به ، على حين لو قتل ابنٌ أباه يُقتل ذلك الولد حداً ، وما ذاك إلا لعظم منزلة الأب. ومزيد من ذلك في كتاب (المغني) لابن قدامة - رحمه الله - ج9 ص359 ، 365 ، 36 - ج1 ص2.8. هذا لمن أراد ولا نريد الإطالة. وتعليقاً على آية الإسراء: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) وتعليقاً لماذا هذه الوصية القرآنية المتكررة بالإحسان إلى الوالدين ، يتحفنا عميد الأدب العربي والإسلامي صاحب الظلال والمعالم - عليه شأبيب الرحمة ويواقيت المغفرة من ربه - فيقول: (إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأبناء إلى التضحية بكل شئ حتى بالذات. وكما تمتص النابتة هذي الخضراء كل غذاء في الحبة فإذا هي فتات ، وكما يمتص الفرخ كل غذاء في البيضة فإذا هي قشر ، كذلك يمتص الأولاد كل رحيق وكل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين ، فإذا هما شيخوخة فانية - إن أمهلها الأجل - وهما مع ذلك سعيدان. فأما الأولاد فسرعان ما ينسون هذا كله ويندفعون بدورهم إلى الأمام إلى الزوجات والذرية ، وهكذا تندفع الحياة. ومن ثم لا يحتاج الآباء إلى توصية بالأبناء ، وإنما يحتاج الأبناء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدرك الجفاف). الظلال ج 4 ص 221 ، ورحم الله الشهيد. وروى الترمذي وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ، والطبراني عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (رضا الله في رضا الوالد ، وسخط الله في سخط الوالد). وهناك استنباط من حديث (... وولد صالح يدعو له) يقدمه في (ملتقى أهل الحديث) الأستاذ أحمد العثيمين فيقول ما نصه: (في هذا الحديث: من صفات الولد الصالح الدعاء لوالديه! وفيه عظم حق الوالدين في الحياة وبعد الممات. وفيه أن الاعمال على قسمين: الأول ينقطع بمجرد أن يموت الإنسان ، والثاني: لا ينقطع ومنه بر الوالدين. وفيه الحث على تربية الأبناء تربية صالحة قائمة على القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه الحث على كثرة الولد وهذا جاء في حديث: (تزوجوا الودود الولود ، فإني مكثر بكم الأمم يوم القيامة). وفيه حث الوالد على تعليم أبنائه الدعاء للوالد وإن علا. وفيه أن الدعاء من الولد الصالح أفضل عند الله عز وجل ممن لم يكن كذلك. وفيه أن من الأعمال

الصالحة العظيمة القدر عند الله تعالى الدعاء للوالدين وخاصة بعد موتهما. وفيه فضل عبادة الدعاء عند الله تعالى ، حيث خصها النبي صلى الله عليه وسلم دون غيرها من العبادات. وفيه يُسر الدين وسماحته ، حيث حث على عبادة يسيرة يستطيعها كل أحد).هـ. وبينما كنتُ أسير مع ولدي عبد الله في أحد دروب دار غربتنا ، إذ رأى الولد عُرساً من أعراس الجاهلية القائمة ، فأدرك بحسه الطفولي المستقيم الفطرة أنه عرس جاهلي ، فقال مستفهماً: أليس هذا العرس جاهلياً؟ فأجبتُه: نعم! ألسنت تستمع إلى الموسيقى والأغاني؟ ألا يخطف ناظريك الاختلاط المستهتر بين الرجال والنساء؟ ومن هنا تولدتُ هذه القصيدة على الفور ، وأخذتُ شكل الوصية له وإخوانه الأشقاء ولأهل المروعات من أبناء ذلك الجيل بشيراً ونذيراً ، وعداً ووعيداً ، جرحاً وفرحاً ، فعسى الله - تعالى - أن ينفع بها! ومعدرة على هذه المقدمة الطويلة).

صغيري أنصت للذي يَسْطُرُ الفمُ
تذكر وصاتي ، إنها - اليوم - منهجٌ
يُخَيِّبِي الهُدى ، لا يسـتـطـيـلُ سـبـيـله
يُضْحِي لأجل الحق ، لا يرتضي الخنا
يُحِبُّ كثيراً والوداً كم أوداهُ
يُوقِرُهُ بين الـورى في مشـيـبهِ
ويَعْرِفُ حق الوالدِ المُحتَفِي به
ليأطِفَ به المولى ، ويحمي جنانه
تأمل ترى الأخلاق في كل مشهدٍ
فهذا كتاب الله أنعم به هُدى!
فشمّر بُني الشهم عن كل همّةٍ
ولا المهتدي يوماً يُضِلُّ بفعله
يُحِبُّ المليك البر ، يحيا لدينه
فأوصيك إنني عن قريب مُفارقٌ
وأنت لما أوصيك أهلاً ، فغاييتي
فأقصِرْ ، فإن العمر ماضٍ وراحلاً

ولولا أحبُّ الشبل ما كنتُ أنظمُ
يسير عليه ابنٌ وفي مكرم
وليس خذولاً ، إنما الخذل علقم
ولكن غلاماً طيب القلب قيم
عزيراً أيباً ، بأسه ليس يُهزم
ويعمل بالنصح الأريب ، ويفهم
ويحفظه ما جنّ ليلٌ وأنجم
كأنني به يدري الأمور ، ويعلم
يُذكَرُكُ الآباء ، هل ذاك مُبهم؟
وحكمة هادينا ، فداءً لها الدم!
فما المهتدي يوماً عن الشر يُججم
ولكنه - عند العزائم - ضيغم
وأفعاله - وفق الهُدى - تتكلم
ويحمل - ما أوصي - القريضُ المفخّم
سماحك لي ، ثم الرضا والترسم
وبين الورى أنت الأشمُّ المقدم

على سرده ، هل - في المنامات - مغمم؟
وداعبتُ أمالي ، وأمسيثُ أحلم
وبنيان أحلامي غدا يتهدم
ونارُ الأسى - في خاطري - تتضرم
وأحبال شوقي - للمنى - تتصرم
ودمغُ الجوى - فوق الأحاسيس - سيجم
تباغي فوادي العف - في الليل - أنجم
- على ما جنى قلبي من الوزر - أندم
وليلي - بشؤم الموبقات - مطلقم
وعُمري - بأوزاري مدى الدهر - مظلم
وقد كان يهدي للتي هي أقوم
وأسلمني نبي لمن ليس يرحم
لكيلا يقول الناس: هذا مُحطم
ولم يَدكر - صدقاً - فوادي ولا الفم
لأنك إن زلت مساعيك أسقم
وأنت سلاحي ، إن دها الدارَ مجرم
وأنت متاريسي وجيشي العرمم
وأنت نقودي إن قلا الجيبَ درهم
وأوزان شعري ، والشعورُ المتيم
وإنك للعلياء دربٌ وسُلم
فأرطبُ لسانَ العبدِ بالذكر تسلم

فلا تنتظرُ من أمنياتك ما انطوت
تمنيثُ ، حتى قيل أني شاعرٌ
إلى إن رمت قلبي الأمانى بعلةٍ
فلما دهاني الشيب أنسيثُ هاجسي
وأسعى ، وتسعى العائداتُ تحوطني
أراها ، فأبكي أني كنت قيسها
لقد كنت يوماً - في الخيالات - سابحاً
وفرطتُ في جنب المليك ، ولم أكن
وقصرتُ في ديني ، فأغضبتُ خالقي
شبابي أضعتُ - الأمس - في غير طاعةٍ
هجرتُ القرآن العذب ، لم أتل آية
فأمستُ كلاب الأرض تنهش عزمتي
فذكرتُ أيامي بماضي طفولتي
وجملتُ نفسي بادعاءات مُعرض
لذا لست أرجو أن أراك مضياً
وأنت حسامي ، إن دهنتني بليّة
لأنك - في دنيا البرايا - ذخيرتي
وأنت رفاقي إن قلا الناسُ ساحتي
وأنت قريضي ، واليراعُ ، وفكرتي
وإنك - بعد الله - عوني وناصري
أدمُ ذكر رب الناس ، هذي نصيحة

وفى ذاك خط الأحاديث (مُسلم)
وأكثر من الخيرات ، تُهدى وتُلهم
فهل خير من - بالطواغيت - يُغرم؟
وهل خير من شركه يترنم؟
يلوذ ويبيكي عندها ، ويُحجم؟
ويرضى بها ، حتى غدت تحكم؟
وأسمى يُحل العُهر ، ثم يُحرم؟
لأعدائه ، ثم انبرى يتمسلم؟
ولكن على أهل الحنيفة هيثم؟
ويصحب موسيقاه ، والرقص يُضرم؟
بخمر الهوى ، والقلب - بالغيد - مفعم؟
وما زال - في سمع الدنا - يتهجم؟
وكائن ترى - في الناس - من يتمعلم!
ومن يعبد الأموال غر ومجرم؟
من الفحش بين الناس ، هذا مُذم؟
على المؤمنين الصيد في السر مُسلم؟
وليس له - في ساحة العيش - مندم؟
ومن - من تكاليف الهدى - يتبرم؟
بغير هدى - كلا ، وهذا أم؟
ومن أمر تهويلاته ليس يُكتم؟
وللطيين والأوحال يحيا ويطعم؟
ويقطع في كل الأمور ، ويجزم

ووَحد إله الكون ، لا تُمس غافلاً
تعلم كتاب الله ، واعمل بما حوى
ولا تشركن بالله ، أنت موحداً
وهل خير من - بالشياطين - يقتدي؟
وهل خير - عند المزارات - جاثم؟
وهل خير من - للقوانين - راضخ
وهل خير من باع ديناً وملة؟
وهل خير من باع داراً عزيزة
وهل خير من لليهود حمامة
وهل خير من ذا يغني على الملا
وهل خير من كان يُترع كأسه
وهل خير من سب ديناً وشرعة
وهل خير يفتي بحل مُحرم؟
وهل خير من قد تعبَد ماله
وهل خير من صوته بلغ السما
وهل من سعى عند الطواغي يدلهم
وهل خير من عزمه - في الخنا - جثا
وهل خير من ليس يعرف ربه
وهل خير من دينه سبب عالم
وهل خير من يشتري الصيت بالهوى
وهل خير من باع - بالمال - دينه
وتلقاه ثرثاراً يؤز بقلبه

فإن اعتزال الفاسقين مُحتم
وإنك - في دنيا البرايا - بُرِيعم
وإنك - بالخيرات - حيّ ومُغرم
فلا تتبعهم طرفة ، أنت ضرعم
ولا ترجُ نوماً ، إنما النومُ أرقم
ولا تصحب المجهال ، هذا غشمشم
وفرَجُ كروبِ الأهل ، تسمو وتكرم
ولا تبقِ ردحاً - في الأسي - تتهينم
ورزقك - في جوف السما - يتبسم
وأنت بصيرٌ ، والطواغيت قد عموا
ورد عليهم صاح ما فيه أجموا
توافق ما قال النبي المُعظم
وهذا الذي - من شبلنا - أتعشم
ألا يومُ موتِ المرءِ حقاً لأيوم
فسوف ترى أطرافه تتلعثم
وقد كان لا يرضيه - في الناس - أبكم
وليت مآسينا - من الخلق - تُحسم
وفرْحُك - عندي - عنبرٌ مُتقوم
فإن انْفطارَ القلبِ يكوي ويُؤلم
وليس بلا قصدٍ ، كما تتوهم
لكي ينتفي - منه - البغيضُ المُذم

بني احترسُ ممن نصحتُ موجّهاً
وأنت التقىّ الفذُ ، فاصحب موخّداً
وأبشُرْ ، فإن الخير عُقبى من اتقى
وجيلُ المخازي - في الأباطيل - غارقٌ
بني تمسكُ بالكتابِ وسُنّةِ
بني تخلُقُ بالتسامي فضيلةً
ولا تقطع الأرحامَ ، هذي مُصيبة
ولا تجتنب إنكار منكر مُعلن
فعمرك رب الناس مالِكُ أمره
وأنت رفيع القدر - صدقاً - ومؤمنٌ
فخذ من جميع الخلق ما فيه أحسنوا
على شرطِ شريعة الله لا شهوة الهوى
وتخلصُ - في شأن النوايا - لربنا
أخافُ عليك الموت يأتي مُباغتاً
وإن يدركِ المرءَ المُقَصَّرَ حتْفَه
وينخرس الحرفُ المريضُ مجنّداً
تخاف الأذى رُوحِي عليك من الورى
وإني لَمَا يُضنكِ آسى ، وأشتكي
فلا ينفطرُ - منك - الفؤادُ على البلا
وإن ابتلاء الله - للخلق - سُنّة
فلا بد من تمحيص صفٍ موخّدي

وهذا الذي - في صاحبي - أتوسم
فكل الذي - بالدار - وردّ مُعْندم
وصنوان فيها ذو ريش ، ومُعْدم
كما ينزوي تيسّ ، ويذهب ضرضم
فللعز أقوامّ ، له تترسم
وظني بأن العز - بالجهل - مآثم
ولو أن أهل الأرض - للمال - يَمَموا
وناقشت أقواماً ، فضجوا وأحجموا
ولا كان لظفي - في الجدال - يُقْدم
وهاج كبير القوم - كالليث - يهجم
ولكن غسنت العار - عمداً - ليعلموا
وأظهرت كيدا لفقوه ، وأبرموا
بنصر المليك الحق ، إن هم تشرذموا
وليس انتصاراً - للمهازيل - يبسم
وإن معاناة الأقبارب أشأم
وإن لبيب الناس - في التو - يحزم
ويعرفك من يسمو ، ومن يتأقلم
ولكنني - في غربتي - أتنعّم
وما كنت - من أشواكها - أتظلم
ومن هم - وأجناد الفراعين - توأم
فقد كان شعري - للمآسي - يُترجم
وكيف يُدسى من - له الله - يعصم

فإن تصطبّر ، تلق الجزاء مُضاعفاً
تمرّست في دنياي ، حتى خبزتها
وسرعان ما ترميه بعد ذبوله
ويمضي قويّ القوم ، مثل ضعيفهم
فلا تبتنس ، إن فاتك العز يا فتى
وما قيمة العز الذي يُذهب الهدى؟
وما قيمة المال الذي يُذهب الإبا؟
وطالعت أفاكراً وعثها قريحتي
وما كان حلمي - في النقاش - بنافع
حلمت كثيراً ، فاستحالوا أوابداً
فلم أنتحب كيلا يقولوا بنصرهم
وأطفأت غيظي في مغاني غرورهم
وأعلمت قومي ، أنني اليوم واثق
وكابدت ، حتى جاعني النصر باسماً
وعانيت - في داري - تحدي أهلها
وكان اعتزامي حزم أمري وخرقتي
بني اغترب تلق الحياة لذيدة
كثيرون ذموا غربّة وتغرباً
نعم أحرقتني غربتي دون رحمة
وأثر - في قلبي - نفاق أحبتي
ولكنني - عبر الدجّنات - لم أهن
فكنت عزيزاً ، لم تمس كرامتي

وأقوال أهل الحق نورٌ ونعمة
لقد صغت أشعاراً تتاغى أوارها
وكانت مناراً - في اغترابي - مُغرداً
وكانت صُيودي من بحار عميقة
فلما رأيت الصَّيْدَ يُلقِي طيوفه
نظمت قريضِي ، وادَّهنت بعطره
فإن القريض العفت داري ، ورفقتي
هو الشعر لا يحيا بغير مَرارة!
عذابٌ وأفراخٌ ، وجرحٌ وموئل!
ونخلٌ ورمانٌ ، وشيخٌ وكندر!
وليلي وقيسٌ وابن عوفٍ رسوله!
ويومٌ كحيلٌ الطرف صافٍ غديره!
هو الشعر - كالدنيا - يُضحك تارة
وإن ينفعل ، يعصف بحشدٍ يحوطه
وإن يرض ، فالدنيا جميعاً عشيره
بني احترف شعر اليعارب ، إنه
وجاهد - به - أهل التحلل والخنا
ونقح قريضاً قلت له دون عدة
وخصمك مهزوم ، فعدتك الهدي
ومن يرتزق بالشعر يكسر يراعه
بني التمس - في الناس - زوجاً حصينة

تنير - من الهدي - الذي بات يعجم
وكانت حُساماً نصله ليس يُثلم
وكانت رماحاً ، إن دهى الدار ديلم
طرحت شباكي ، ثم في العين مرقم
ويُرسل أنساماً حياءً تتم
وفيه تخذت الكوخ ، فالشعرُ قمقم
وزورقٌ أشجاني - به - متهميم
قروحٌ وأدواءٌ ، رياضٌ ومأزم
رماحٌ وأسيفٌ ، وطلحٌ وشبرم
وموزٌ وتفاحٌ ، وسلقٌ وحصرم
ونوقٌ وأكواخٌ ، وبيدٌ وشيهم
وليلٌ كسيرٌ القلب ثاوٍ وأسحم
وأخرى يوز النفس أزاٌ وينقم
وإن يتبسم ، فهو الرباب المرحم
كأم رؤوم تمنح العطف ، ترحم
إذا حاطك الأعداءُ درعٌ وصيلم
عسا هم بما أنشدت أن يتفحموا
فإن القريض العذب تمرٌ وغيلم
وشعرك - عبر الحرب - سهمٌ ومخدم
ومن يتأدم - بالشعر - أمسى يُخمم
تصون الوفا ، تسمو ، ولا تتمسلم

فلا ينظر العصماء ذي متجرم
وجلبابها كث القماشة أيهم
ودمع لترتيل التقية مسجم
وعز عليها ، ما رأى ذاك (رستم)
وزايل مقاماً فيه صرعى وخوم
عسير - على الأندال - أن يتفهموا
وقوم - على الأعفان - عاشوا ورمموا
فليل الكسالى مكفهز وخكهم
وإن اجتهاد المرء - للخير - يلزم
صريع جهول ، ثم آخر غيشم
فبئس الورى والمنطق المتوخم!
إذ المال إن ولى ، لقد تتدمدم
وأغلبها - في حماة النذل - يبصم
لديناهم ، والعز إذ تتوحم
ولم تتخذ خوفاً - لديهم - جهنم
سأمضي ، ويبلي الجسم دود وكجم
ونصحي غداً يعلوضحى ، ويعمم
بأن ينزوي خلف الدجى ، ويؤم
وكم - عن شعوري - دفقة النور تنجم!
وأطياف شعري - من سنا العطر - هيم
ولكن قومي - من أسى القهر - سؤم
وأصرخ وحدي ، فالمشاليل نؤم

عليها حجاب الخير عفاً وسابغ
تسير وسربال الحياء يلفها
تصلي ، فتكويها دموع ذنوبها
لها روح صديق ، وتقوى موحدي
بني اصطحب - في كل حال - مقاله!
فإن لم تفصلهم مائت سقالة
نفوس - على الأوهام - أرغت وأزبدت
وإياك والهلكى ، فقاطع جموعهم
وحافظ على عمر يمر مودعاً
وإياك والصرعى على المال ، إنهم
تلاقت - على الدينار - فيه ضمان
فماتت قلوب - في أساها - صريعة
فليست من الأخلاق تدرك ظلها
وكالمراة الخبلى تراهم تشوقوا
ولم يشبعوا ، كلا ، ولم يتورعوا
أراني أطلت النصح ، والنصح واجب
وحسبي نصحت الشبل ، والشبل منصت
فلا تستطن نصحي بني ، فحيرتي
فكم من شعور صغته في موافقي!
وكم من طيوب - من سنا الذكر - حكها!
أحذر أقوامي ، وألهب عزمهم
أسلي - بشعري - من بكربي تعلوا

أعيدُ - على الأسماع - ذكرى (ابن حنبل) ولا يسمع الذكري - هنا - متنعماً
وأطلبُ منهم أن يُواروا عوارهم إذ القدوة المثلى - لقومي - بلعم
إذ المال أودى بالنوايا وبالضمما ولم يك جباراً ، ولم يك يُرغم
بني تخلق بالحنيفة تنتصر نصحتك ، فاعمل بالذي قلت ، واعتبر
رجائي بأن تحيالدين وشريعة وأبشركم بالذي قلمت ، واعتبر
ختاماً لك الحبيب الكريم وقبلة

بعض المعاني والإيضاحات

يسطر: يكتب. الشبل: ابن الأسد مادام صغيراً. وصاتي: أي وصيتي. الخنا: أي الميوعة والترهل والتحلل. قيم: أي مستقيم على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم. يوقره: أي يكن له الاحترام والتقدير. مبهم: خاف. حكمة هادينا: أي نبينا - صلى الله عليه وسلم -. يجحم: أي يمتنع ويعرض. ضيغم وضرضم: من أسماء الأسد في اللغة العربية. وأشير هنا إلى أنني عثرت على ما يقارب الألف من أسماء الأسد في اللغة العربية. الترسم: اتباع الحق وأهله. الأشم: أي عالي الهمة والعزم. المنامات: الرؤى والأحلام. العائدات: البلايا والرزايا والهموم. شوقي: أي تطلعي للحياة وحبى لها كريمة أبية عزيزة. سيجم: سيال. تناغي: تداعب. أنجم: نجوم. الوزر: الذنب والخطيئة. مطلسم: مصبوغ بالسواد ، وهي صورة مقصودة هنا لبيان حال كل بعيد عن نهج ربه الجليل ونبيه النبيل - صلى الله عليه وسلم -. هجرت القرآن: الهجرة هنا هي هجرة العمل به. وإلا فإن الأمة بأسرها اليوم تطبع وتوزع القرآن ويستظهر كثير من علمائها وعملائها القرآن ، وتكافئ حفظة القرآن ، بل أعني هجرة العمل به . عرمرم: عظيم. مُسلم: أي الإمام مسلم - رحمه الله - صاحب الصحيح. واسأل الله عز وجل أن ينفع ولدي عبد الله وإخوانه بهذه القصيدة التي عمدت إلى أن أعنونها بالوصية ، وسطرتها على بحر فحولة الشعراء (الطويل) عامداً إلى جزالتها وقوتها.

في رثاء اللغة العربية (معارضة لحافظ إبراهيم)

(لقد أساء كثير من النقاد المعاصرين فضلاً عن العامة والدهماء من القراء العاديين فهم فن المعارضة في الأدب العربي. ففهموا أنها محاكاة دفع إليها العجز والضعف والخور عند الشعراء. وفريق آخر أقل جوراً ذهب إلى أن المعارضة كان الدافع إليها التقليد الأعمى. وإنني لا أنكر على العامة والدهماء من القراء العاديين ما ذهبوا إليه من ذلك. بل وقفتي في هذه المقدمة مع النقاد والأدباء الذين ينصبون من أنفسهم حكماً وقضاة يُصدرون الأحكام التي لا يجوز الطعن فيها كما لا يجوز قط الاستئناف عليها. أيها الأقوام إن فن المعارضة فن أصيل في كل أدب ، ليس فقط في أدبنا العربي الأصيل ، فلها وجود كبير في الأدب الإنجليزي ، وأخيه الفرنسي وغيرهما. ولا يزال جُل الشعراء يُعارض بعضهم بعضاً ، فهل هذا لعجزهم وضعفهم وخورهم؟ أم هو محض تقليد أعمى؟ وفي أدبنا نحن عارض كثير من الشعراء أقرانهم من أهل القريض ، وهذا في القديم وفي الحديث. وأسأل: هل كان ذلك منهم ل فقر أو عجز أو تقليد أعمى؟ والجواب بالطبع: (كلا)! ومن هذا المنطلق أقول: الآن وقد قلت من قبل إن قواعد الشعر وأصوله مبادئه وبحوره وقوافيه وأوزانه ليست قط حكرًا على أحد دون سواه. أعارض (حافظ إبراهيم) ، وعارضت من قبل شوقي في (قم للمعلم) ، وعارضت البوصيري في برده ، وعارضت الدكتور النحوي في قصائد له عدة. وأظن أعارض كلما وجدت في نفسي حباً أو إعجاباً بقصيدة ما لشاعر ما وجدته يوافقتي الرؤية والتصوير. كتب أستاذنا الكبير الشاعر القدير / سالم محمد سالم النوبي / موجه اللغة العربية بمنطقة عجمان التعليمية ، إحدى القصائد يُعارض قصيدة حافظ إبراهيم في رثاء اللغة العربية ، وكتبت متشجعاً أعارض الشاعر حافظ إبراهيم ، وذلك بسبب إعجابي الشديد بها. ألا وإن كل لغة تسود بسيادة معتقدها ، ومن هنا فسيادة لغتنا العربية وسيادة العقيدة الإسلامية هما صنوان لعملة واحدة ، ونسأل الله العلي الكبير أن يعز دين الإسلام ويعز المسلمين ، فتعود لهم عزة لغتهم وديارهم ، وما ذلك على الله بعزيز. أمين. إن الباعث على هذه القصيدة هو الإعجاب المبكر بتأنيده حافظ إبراهيم ، ويليه بعد ذلك الغيرة على اللغة العربية. وشدني مطلع حافظ:

رجعتُ نفسي ، فاتهمتُ حصاتي وناديتهُ قومي ، فاحتسبتُ حياتي

رموني بعقم في الشباب ، وليتني عقمته ، فلم أجزع لقول عِداتي

ثم كان الباعث عليها كذلك معارضة أستاذنا الشاعر الكبير سالم محمد سالم النوبي – الذي نفتخر بالتلمذة على يديه وقد نشر قصيدته في ديوان: البسمة الدامعة ، يعارض حافظ في الجودة والإبداع فيقول في مطلع معارضته له – حفظه الله :-

أحبسُ روعي في مضيق لهاتي وقلبي تلظى من نزييف شكاتي

تداعتُ على مُر لطفائف مهجتي وقد كنت أرجو أن يغار حُماتي

روى الحاكم في المستدرک وروى أحمد مثله أن النبی - صلى الله عليه وسلم - قال: (اللهم لا يدركني زمان أو لا أدرك زمان قوم لا يتبعون العلم ولا يستحيون من الحليم ، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب). أقول: حتى الألسنة أصبحت يا رسول الله ترطن بالإنجليزية والفرنسية وما شاكلهما ، في حين لها من العربية الانتساب فقط. لا حول ولا قوة إلا بالله. في مقال عنوانه: (الشعر وحقيقته ووسائل البراعة فيه والارتياح له وتحلي العلماء به والتجديد فيه) للعلامة الشيخ محمد الخضر حسين ، قال ما نصه: (إذا كان الأدباء في العصور الماضية لم يقصروا شعرهم على المقاييس المعروفة فأحدثوا مقاييس جديدة ، فلا نكره لأديب أن يصوغ الشعر في مقياسٍ محدث متى وثق من موافقته لأذواق الناس ، وارتياحهم لحركاته وسكناته. وأما القافية فقد ألزمتها العرب على النحو المعروف في أشعارهم ، حتى اخترع الأدباء الموشحات ، فأخذت القافية هيئة غير هيئتها الأولى. وفي التزام القافية على الوجه الذي اختاره العرب سابقاً ، وعلى نحو ما أحدثه الأدباء من بعد دلالة على البراعة ، ومحافظة على وجه من الوجوه التي يمتاز بها المنظوم على المنثور. وأما المعاني فلشاعر أن يذهب فيها كل مذهب ، وله أن يأخذ في التشبيه والاستعارات كل مأخذ ، فيرسل خياله فيما احتوته الحافظة من المعاني القديمة والحديثة ، والطبيعية والصناعية ، ويؤلف منها ما شاء من الصور الخيالية ، مراعيًا أذواق الطوائف التي يريد إثارة عواطفها نحو الشيء أو صرفها عنه. وما زال فحول الشعراء في كل عصر يبتكرون المعاني ، وينتزعون من مظاهر المدنية المتجددة صوراً يبرعون في صنعها ، فلشعراء العصر العباسي بالشرق ، أو شعراء الأندلس بالغرب معانٍ وتخيلاً لم يطرقتها الشعراء في الجاهلية ، أو في صدر الإسلام ، أو عهد الدولة الأموية. وقع هذا التجديد من فحول شعرائنا ، وكانوا على شعور من الحاجة إليه ، ونبه أدباؤنا على هذا الشعور فيما كتبوا قديماً. قال ابن سعيد يفاخر أهل القيروان بشعراء الأندلس: وهل منكم شاعر رأى الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الزهر بالنجوم ، وتشبيه الخدود بالشقائق ، فتلطف لذلك في أن يأتي به في منزع يصير خَلْقُهُ في الأسماع جديداً ، وكَلْبُهُ في الأفكار حديداً ، فأغرب أحسن إغراب ، وأعرب عن فهمه بحسن تخيله أنبل إعراب؟ وإذا لم تُجَدِّ قرائح شعراء عصر أو بلد بمعان جديدة ، ورأيانهم لا يزيدون عن أن يُرددوا معاني أسلافهم فلضعف ملكاتهم الشعرية ، وقصورها عن أن تُخرج للناس ثمراً جديداً. وأما الألفاظ ، فحقها أن يراعى فيها ما ثبت عن العرب ، وما تقتضيه قوانين الصرف ، وما تضعه المجامع العلمية على حسب ما تدعو إليه حاجة التعبير عن المعاني المحدثه. والألفاظ الجديدة بأن يصاغ منها الشعر هي الألفاظ التي لا يخفى المراد منها على أكثر من يقصد استعماله عواطفهم إلى الشيء أو صرفها عنه. ولا يكفي لجواز استعماله اللفظ في القصيدة خلوه من تنافر الحروف ، وموافقته للوضع العربي ، ووجوده في كتب اللغة القريبة التناول ؛ فيصاغ لهم في ألفاظ تطرق أسماعهم ، فتحضر معانيها في أذهانهم ؛ فلو هُجِرَت ألفاظ في عصر من العصور ، أو قل استعمالها بحيث لا يصل إلى معانيها إلا بعد الرجوع إلى كتاب من كتب اللغة ، وشاعت ألفاظ ترادفها بحيث تكون أسرع بالمعنى إلى ذهن المخاطب كان من حق الشاعر اختيار الألفاظ التي يكون بها المعنى أقرب إلى الذهن. فطبيعة الشعر تستدعي التجديد في الألفاظ على النحو الذي وصفنا ، فالشاعر المجيد لا يجمد على الألفاظ التي استعملها الشعراء في عصور ماضية ، ثم قل دورانها في كلام البلغاء من بعد. وإذا لم يكتف الشاعر في خدمة اللغة بحفظ مذاهب بلاغتها ، وفنون بيانها ، وأراد أن يكون له نصيب في إحياء ما هجرته الألسنة من كلماتها العذبة السائغة ففي استطاعته أن يأتي

إلى الكلمة التي تختفي معانيها على أكثر القراء ، ويوردها حيث لا يفوتهم فهم المراد من البيت والارتياح لما فيه من حسن التخيل).هـ. والآن مع القصيدة التي عارضت فيها الشاعر حافظ إبراهيم بك - شاعر النيل - وهو يتخيل اللغة العربية الفصحى تعاتب أبناءها فتقول:

نظرتُ أموري ، فأشـتـكيتُ حياتي
ونقبتُ عن روعي بأرحاب أهلها
وساءلتُ عن نحوي وصرفي وعزتي
وناقشتُ - عن صمت البيان - أعرابي
وشيعتُ جثمان البلاغة في الدجى
وخمّش حزني كل جرح وقرحةٍ
وبُحـ نشيجي ، واحتوتني كآبتي
ورببي تناجيني اللغاتُ ، فلا أرى
أراني تساميتُ الكثير أبيّة
ومهما قلاني أهل داري ولهجتي
سيذكرني منهم - مدى الدهر - من غفا
ويُدرك حقي كل غر وحاقدٍ
فلا يحسب الأعداءُ أنني بلا قوى
أنا الروضُ فواخ المَحيا لمن أتى
وإنني لأشكو - للمليك - الذي جرى
فكم بدّلوا في النحو والصرف بالهوى!
وكم زوّروا في النقد معنىً وهيئة!
نفايات هودٍ في الدروب كما الدُمي
وهم ضيعوا الفصحى كما ضيعوا الحمى
وهم قبّلوا أيدي النصارى تقريباً

وفتشتُ أحوالي ، فانتحبتُ لذاتي
فألقيتها صارتُ سراب شتات
وجادلتُ عن شعري الجريح دُعاتي
وقرّعتُ أقزاماً تحب شكاتي
وواريتُ - في قبر الجوى - زفراتي
وهددتُ - بالموت الزوام - حياتي
وما خلّيت يوماً أن تلين قناتي
لهن مكاناً - بالفؤاد - يُواتي
وغيري تردى يشـتـكي النكبات
فسوف يعدو الدهر بالملكات
ويعرف قدري من أهان كُماتي
ويعلو انفعالي بعد طول سُكاتي
ألا إن بأسـي لم يهن ورُعاتي
يَلتئم مُشـتـمّاً شذى زهراتي
فيا رب أبطل ما افتراه عِداتي
وكم حرّفوا في الشعر واللهجات!
وكم أهـدروا ميراث جيل نحاتي!
وأعراّبنا ضاعوا بغير نجاة
ودكوا المباني بعد ذبح بناتي
وكم أحدثوا من أشنع السقطات!

وهل يَنصَبُ المَخْفُوضُ غَيْرَ خِوَاةٍ؟
يُخْرَبُ شِعْرُ العُربِ غَيْرَ عُتَاةٍ؟
لَمَّا هَدَدَ الماسونُ مَجْدَ حَيَاتِي
لَمَّا قَدَّ نَعَانِي - لِلأَنامِ - نَعَاتِي
وحنجرتي أَمَسَتْ تَوَوزَ لَهَاتِي
وقومي لَجَّوا - بَعْدَهَا - بِسُباتِ
وصارت لهم - فِي النَاسِ - بَعْضُ لُغاتِ
وكيف اسْتَطابوا هَذِهِ النَبْرَاتِ؟
وكيف اسْتَطاعوا حِكْمَةَ لُوفَاتِي؟
وَمِنَ هَزَلِهِمُ قَدَّ تَاجِرُوا بِرِفَاتِي
فَهَلَا اسْتَغْفَرُوا مِنِّي مَشاعِلَ ذَاتِي؟
فَهَلْ أَحضَرُوا فِي المَلْتَقَى الجُوناتِ؟
فَهَلْ أَدْرَكَ الخِطابُ فِيمَ صِماتِي؟
أَغْنِي ، فَهَلْ طابَتْ لَهُمُ نَعْمَاتِي؟
إِذَا طَلَعَتْ أَرْدَتْ دَجَى الظلماتِ
أَضاحِكُهُم ، هَلْ أَنسُوا ضَحكاتِي؟
أزَيْنَ - بَيْنَ النَاسِ - حُسنَ بِناتِي
وهلْ أَعجَبَتْهُمُ ، ياتَرى ، فَلذاتِي؟
ويُهدِي حِياةَ العِزِّ كُلَّ نِباتِ
يُعافِي مِنِ الأَسقامِ والوعكاتِ؟
وكمْ أَشَبَعَتْ مِنِ أُمَّةٍ قَطراتِي!

وهل يَرَفَعُ المَفْعُولُ إِلا مُخْرَفًا؟
وهل يَكسِرُ الأوزانَ فِي الشِعْرِ عامِداً
ولو كان قومي سادة وأعزة
ولو كان أهلي كاليعارب نطقهم
وبالرغم سال الدمعُ يَكوي عَزيمَتِي
طَعْنَتْ - بِهِندي الأَعادي - تَشْفِياً
وعاشوا بِألفاظٍ مِنَ العُربِ لَحْنِها
عَجِبَتْ لَهُمُ كَيْفَ اسْتَساغُوا رِطانَةَ
وكيف اسْتَراحوا بَعْدَ وادِي وَغِيبَتِي؟
وكيف اسْتَعاَضُوا عَنِ شِروقي بِظِلْمَةٍ؟
أنا النورُ لِلدُنيا ، وَلِفظِي حِياتِها
أنا العِطْرُ فِي الأَرِجاءِ شادِ أَرِجْهُ
أنا البِكرُ تَسْتَحِي ، فَيَخنِقُها الحِيا
أنا الطِيارُ فِي جِوِّ السَماةِ تَزِينَتْ
أنا الشِمسُ فِي جِوْفِ الفِضاءِ تَرَبَعَتْ
فَهَلَا اسْتَناَرُوا بِي ، وَلِمَ يَتَمَرَدُوا؟
أنا الذِهابُ الصافي لَمِنَ رامِ حِليَّةِ
فَهَلَا أَتَوْنِي خِاطِبِينَ بُنيَّةِ؟
أنا النَبعُ يَروي كُلَّ قَفَرٍ ووِاحَةٍ
فَهَلْ شَرَبُوا مِماءَ فِراةٍ مُقْطِراً
أنا اللَّبَنُ الزاهِي شِراباً وطِعمَةً

فهل استزادوا من معيني فيشبعوا؟
أنا الماء يسقي من ظمأٍ وشرقةٍ
فهل تملأ من صفائي صحابي؟
أنا الزاد سمئت الجوع ، وزدتهم
فهل أكل الأقوام من خلوزادهم؟
أنا الخيرُ للدنيا ، وإن هي أعرضت
وإني سبيلُ الفوز في كل محفل
فكيف رماني كل خاومفلس؟
وقالوا بأنني لست أقوى على المضام
وكالوا - بظالم - عثرة بعد عثرةٍ
فعرضي برئ من أباطيل الصقث
ولو كنت أرضى بالأحاجي لذعتها
ولو خفت أعدائي لما دعت كيدهم
ومهما تحداني الأعداء فهمتي
ملايين ألفاظي تفوق كلامهم
فبي كان قرآن المليك وشرخه!
وبي دونت أقوال (أحمد) تزدهي
وبي أنزل الفرقان غضاً مكرماً
وفي نضرتي يا كم تغزل شاعر!
وزادت على اللاعد ألفاظ معجمي
فقد جمع الألفاظ يطفو أريجها
(تاج العروس) اليوم في عز عرسه

ومهما جفوني لئن أروع آت!
وسل عن جمال الرّي بعض رواتي
وهل أشبعت جيل العطاش قناتي؟
فكانت زكاة القوم بعض فتات
وهل أعجبتم ، يا ترى ، ثمراتي؟
فبي تزدهي في التوب بعد ممات
ولي في بقاع الأرض عذب صفات
ألا قبحوا من خوم وقساءة!
وهاجوا ، وماجوا في دجى النعرات
ويعلم ربي جوار ذي العثرات
وإني لأشكو خذل كل خماتي
وأخرست - بالتبيان - قيل نعاتي
فليس يهّم الصيّد نيل جفاعة
تفوق الثريا - في الغلا - بثبات
ونحوي وصرفي - في النزال - رُماتي
وبي سُطرت كم من روى وعظّات!
وبعد استبان كم روى لأبّاءة!
وبي وطدت كم من غرى وصلات!
وفي عزتي الفضلى أسرت هواتي
وهذا (ابن منظور) له قبلاطي
على سطح ضاد العرب خير فرات
يرصغ ضاد الشّم بالنفحات

ببعض يواقيتٍ وبعض أناة
فقد بالغ (القبالي) في القفشات
وقد سافر (الرازي) في الكلمات
وقد جدّد (الفيروز) بعض سمات
وأكرم بيمنى حبرث ودواة!
وأغدق في الإكرام والصدقات
ولست أحب العيش بين موات
ولا أرتضي كيلاً بفعل خِواة
وأصبر إن طمت غموم شِمات
وأسمو ، وغيري في عمى السكرات
ولست ترى بي من رُبى وإمات
وأعطيت حتى قيل: بيت زكاة!
وما جرأوا أن يمحقوا حسناتي
وقومي قلوني ، واستباحوا أساتي
عساهم - بهذا - أن يذوقوا ثباتي!

وهذا (ابن جنبي) يُقنن نحوها
ولست التي تنسى (الأمالي) لحظة
ولست التي تنسى (الصّحاح) نقيّة
ولست التي تنسى (المحيط) بما حوى
ولا أهجر (المصباح) نبعاً ومعجماً
ولازلت أعطي من يروم تعلمي
أنا الغادة الشقرا صدقي مكلفاً
وأعشق من يحيى الدين معزراً
وأهوى حياة الجد والسعي للغلا
وأعشى ديار المجد إن ضاق بي الفضا
وما بي أراجيف ، وساجي سوية
تجملت حتى قيل: أندى مليكة!
وما جرأ الأقرام أن يشجبوا اللوا
لي الله إنني - في ابتلائي - ضعيفة
فيا رب أرجعهم لضادٍ وشريعة

أليس الصبح بقريب؟

(طال النقاش في موضوع معين ، حوالي أربع ساعات لم يُبرر فيها الجاني جريمته. بل راح يلف ويدور ، ويتفعر في الكلام وكيل التهم التي لا دليل عليها سوى الظن والوهم. وساعده على الغلبة بالباطل ضعفُ حال المجني عليه ورقة شعوره وشمّتُ الناس فيه ، وخذلانُ القاضي والداني له. فلم يكن أمام الثاني إلا الصبر والاحتساب والاسترجاع والتذرع بالإيمان! وتذكر بكل تقوى قول الله تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً). ولم يكن أمامه كذلك إلا أن يتمثل قول الله العظيم الغالب على أمره: (إن موعدهم الصبح! أليس الصبح بقريب؟) والملحظ الذي ينشده من الآية ليس صبح قوم لوط ، بل الملحظ الذي يريده هو ملحظ التهديد وعبرة الوعيد الرباني: صبح يوم القيامة ، إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً. وإذن فصبح يوم القيامة كذلك قريب. ولو عُذنا إلى قصة موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ، مع فرعون وملنه عليهم الصغار واللعنة والذل ، لأدر كنا أنها سنة ربانية لا تتبدل ولا تتخلف! ولنطالع ما ذكره الأستاذ عبد الحميد السحبياني في كتابه (وماذا بعد الظلم؟) في التعليق على هذه السنة الربانية: (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَنَّ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ): هذه دعوة عظيمة دعا بها كليمُ الله موسى على عدوِّ الله فرعون غضباً لله عليه ؛ لتكبره عن اتباع الحقِّ وصدّه عن سبيل الله ومعاندته وعتوّه وتمرّده واستمراره على الباطل ومكابرتة الحقِّ الواضح الجليّ الحسيّ والمعنويّ والبرهان القطعيّ ؛ فقال: (رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ): يعني قومه من القبط ومن كان على ملته ودان بدينه: (زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) ، أي وهذا يغترُّ به من يُعظم أمر الدنيا فيحسب الجاهل أنهم على شيء ؛ لكون هذه الأموال وهذه الزينة من اللباس والمراكب الحسنة الهنيئة والدور الأنيقة والقصور المبنية والمآكل الشهيرة ، والمناظر البهيّة ، والملك العزيز ، والثّمكين والجاه العريض في الدنيا لا الدّين. (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ): قال ابن عباس ومجاهد: أي أهلكها. وقال أبو العالية والربيع بن أنس والضّحّاك: اجعلها حجارةً منقوشةً كهينة ما كانت. وقال قتادة: بلغنا أن زروعهم صارت حجارةً. وقال محمد بن كعب: جعل سكرهم حجارة. وقال أيضاً: صارت أموالهم كلّها حجارة. وقوله: (وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ): قال ابن عباس: أي اطبع عليها ؛ وهذه دعوة غضب الله تعالى ولدينه ولبراهينه ؛ فاستجاب الله تعالى لها وحققها وتقبّلها كما استجاب لنوح في قومه ؛ حيث قال: (رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا). ولهذا قال تعالى مخاطباً موسى حين دعا على فرعون وملنه وأمنّ أخوه هارون على دعائه فنزل منزلة الداعي أيضاً (لأن المؤمن أحد الداعيين): (قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَنَّ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ). هـ. وإذن فهي سنة ربانية ثابتة لا تتبدل ولا تتغير ولا تتحول!

بِاللّهِ نَفْسِي وَاعْتَدِ لتزول فوضى راعدة

طال النقاش ، ولم يكن إلا الدعاوى الحائدة

والأنثوية ، والخنا
والحق زمجر ثنائراً
والزورُ يجتاح الضيأ
والغبينُ يجتث الهدى
والحيـفُ أودى بـالمُنَى!
ذنبان ، لا ، لم يرحمنا
وتحمّل القلب العنا
وعقاربٌ لم تنتصت
وطعنث - يوماً - غيلة
الصبحُ موعـدنا إذن
صبحُ القيامة قد دننا
ولتصـبـن قيامة
ويعود حقّ ضائع
وليُمسكنّ القوس مـن
ولتندمنّ على الـذي
وكذا رفيقك ، والألى
كن جالسَ غيّك ، لا تُفـق
واللهُ يفصلُ بيننا!

وكذا العمالة حاردة
يشكو القلوب الجامدة
بالترهات الحاقدة
بالمؤبقات الكائدة
والنارُ كانت جامدة
والنفسُ باتت خامدة
ففي الأمسيات الشاردة
لتوجعـاتي الصامدة
والحالُ نعم الشاهدة!
وعسى تكون الفائدة
والروحُ - يوماً - عائدة
ففي الـذكر كانت واردة
مـن كل ذاتٍ جاحدة
ذا قد براها صائدة
كسبت شـفاهك عامدة
ظلموا ، ودمعي مائدة
مـن أمنياتٍ خامدة
روحي لـذلك واعدة

نشرت هذه القصيدة في جريدة الوحدة العربية
بتاريخ: 3 من مارس لسنة 1996م

يا ناس احترموا التخصص

(لقد أصبح الدين اليوم كلاً مباحاً لكل من هبّ ودبّ. ودعوى الناس أن الإسلام ليس حِكراً على أحدٍ وليس به كهنوت ولا يعرف طبقة رجال الدين ، أقول: إن هذا القول صحيح ، ولكنه في غير موضعه. وبمعنى آخر هو كلمة حق أريد بها باطل! نعم الإسلام لا يعرف الكهنوت ولا رجال الدين ولكن يعرف علماء الدين المتخصصين! ومن هنا فإنه لا يكون حِكراً على أحدٍ بشرط العلم والتخصص. * إن لكل علم أهله ، ولكل فن رجاله. فكما أنه لا يجوز للطبيب أن يدرّس ولا يجوز للمدرس أن يُطبّب ، بل يلتزم كل إنسان تخصصه! بل ليس لكائن من كان من أهل الطب مثلاً أن يتجاوز تخصصه في فرع من فروع الطب إلى آخر! فطبيبُ العيون لا يعالجُ القلب! كما أن معلم اللغة الإنجليزية لا يعلم الكيمياء أو الفيزياء! وهذا شئٌ درَجنا عليه وألفناه! وإن فالمسألة مسألة تخصص. فلماذا إذن عندما جاءت للدين اختلافت؟! وأصبح الدين هو الذي لا يتخصص فيه أحد؟ يقول الله تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) ، ويقول: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ، ويقول: (ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى العلم منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ، ويقول: (فاسأل به خبيراً). ويقول: (ولا ينبئك مثل خبير). ونبينا قال في صاحب الشجرة الذي أفتاه بعض الناس بوجوب الغسل رغم جرح في رأسه بالغ ، فأطاعهم ، فأغتسل فمات. قال النبي: (قتلوه قتلهم الله ، هلا سألوا إذا لم يعلموا؟ فإن شفاء العي السؤال!) * والحقيقة أن للناس اليوم جرأة رهيبية على الفتيا على عكس السلف. قال ابن أبي ليلى: أدركت مائه وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله يُسأل أحدهم عن المسألة فيردها إلى هذا ، وهذا إلى هذا ، حتى ترجع إلى الأول. وما منهم من أحد يُحدّث بحديثٍ أو يسأل عن شيء إلا ود أخاه لو كفاه. وقال عطاء بن السائب: أدركت أقواماً إن كان أحدهم ليسأل عن شيء فيتكلم فيه ويرعد. * وسئل الإمام مالك أربعين مسألة فقال في ثمان وثلاثين منها وقيل تسع وثلاثين: لا أعلم. ومن هنا أنشدت من شعري هذه القصيدة لكل إنسان لا يحترم التخصص في العلم ، ويتجرأ على الفتيا بغير دليل ولا هدى من الله ولا كتاب منير. وكان الباعث على القصيدة رؤيتي لمجموعة من الحدادين كلّ منهم يُفتي بغير علم! يقول الدكتور المحترم أحمد بن عبد العزيز الحداد وتحت عنوان: (احترام التخصص) ما نصه: (إن مما اتفق عليه عقلاء البشر أن التخصصات العلمية محترمة ، فلا يقبلون من غير المتخصص في فن أن يتصدّر لتقرير أو إفتاء أو تأليف أو توجيه في غير فنه ؛ لما في ذلك من الجناية على العلم ، وفتنة الناس وتضليلهم ، ثم ليكون هو نفسه مصوناً عند غيره فلا يُستهدف بالنقد أو الرد. وقد جاء الإسلام فأرسي هذا المبدأ المعرفي الإنساني يوم أن دعا الناس إلى التوجه بالسؤال لأهل الاختصاص دون غيرهم ، فقال في محكم التنزيل: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ، أي أهل التخصص في المجال المسؤول عنه لا غيرهم ، يأمر بذلك مرتين في الكتاب العزيز ، وهو أمر إيجاب في مسائل الدين ، وندب في غيرها! ذلك أن من لا يعرف يكون فاقداً للإفادة ، وفاقده الشيء لا يعطيه كما تقوله القاعدة المسلمة بين الناس ، فإن سأل من لا يعرف فإنه يكون مقصراً ولا يعفيه ذلك من المسؤولية ، ولترسيخ هذا المعنى التخصصي كان النبي صلى الله عليه وسلم يُنوّه بتخصصات أصحابه الكرام إشادة بهم فيقول: «أرأف أمّتي أبو بكر ، وأقواها في أمر دين الله عمر ، وأصدقها حياءً عثمان ، وأقضاهما عليّ ، وأقرأها أبيّ ، وأفرضها زيد ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن

الجراح!»! ليكون الناس على بيّنة من هذه التخصصات حتى يلجأوا إليها عند الحاجة ، أو لترجيح قول صاحب التخصص عند التعارض. وهكذا سار عمل الناس وعرفهم تالداً وتالياً ، فالمهندس لا يحسن أن يتكلم في غير فنه ، والطبيب كذلك ، والأديب والمؤرخ واللغوي والفقهاء والمحدث ، كلهم لا يُقبل منهم قول إلا في ما عانوه وتخصصوا فيه ، حتى إنه عيب على المحدثين عيباً شديداً وقاسياً إذا تحدّثوا في الفقه - بما لا يحسن ذكره هنا - مع أن الحديث هو مصدر الفقه الثاني ، ولكن المحدث الراوي قد لا يُحسن الاستنباط الفقهي ، فلم يعتد بفقهم ، فكيف إذا أتى غيره من ذوي التخصصات البعيدة ليتحدث في غير فنه؟! إن حديثه يكون سَمِجاً عند أهل الفن ، ويُضربُ به عُرض الحائط ، مع شدة النكير ، وقد يكون الأمر سهلاً ، ولكن العلم أمانة ، حتى لا يضيع بين تقارير أو تأليفات غير المتخصصين. وقد سنّت قوانين رادعة لمن يتطبب وهو غير طبيب لأن الطب يحفظ الأبدان ، وغير الطبيب يؤدي الناس ويضر بأبدانهم بوصفاته غير الصحيحة ، وقد ورد في الحديث: «من تطبب ولم يعرف منه طب فهو ضامن». وليس ضرر هذا المتعالم في الطب بأكثر من المتعالم في الدين ، فإن الإضرار بالدين أشدّ خطراً وأكبر أثراً ، فما أصاب الناس من ويلات ونكبات في أبدانهم وأوطانهم وأرزاقهم إلا بسبب أولئك الذين تكلموا في الدين وهم ليسوا من أهله ، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ، والشعوب تعرف ذلكم الخطر لذلك تهب عندما يقتحم حمى المعارف من غير المتخصصين ، فترفع القضايا ويقضى على المتعالمين ، ويحملون التبعات الكثيرة ، كل ذلك في قضايا المعارف العلمية من طب أو هندسة أو نحوها مما يمس الحياة الإنسانية ، إلا أننا نجد تهاوناً كبيراً في القضايا الدينية الخطيرة التي تمسّ المعتقدات أو الثوابت النصية أو الفقهية. وقد دخل رجلٌ على ربيعة - شيخ الإمام مالك - فوجده يبكي ، فقال: ما يبكيك؟ أمصيبة دخلت عليك؟ فقال: لا ، ولكن استفتيت من لا علم عنده ، وظهر في الإسلام أمر عظيم. ثم قال ربيعة: ولبعض من يُفتي ها هنا أحقّ بالحبس من السُّراق. أي: أحق بأن يحبس ويسجن من اللصوص. وقال الحافظ ابن حزم رحمه الله تعالى: لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء وهم من غير أهلها ، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون ، ويفسدون ويقدرّون أنهم يصلحون. والمقصود هنا هو التنبيه لمن يتصدى لمسائل الدين تفسيراً أو حديثاً أو فقهاً أو فكرياً وهو من غير أهله ، فيقال له ما قيل في المثل السائر: مكانك تحمدي أو تستريحي).هـ. ولقد سئل الأستاذ الدكتور الشريف حاتم بن عارف العوني عن مثل ذلك فأجاب وأوجز فأعجز ، ويحسن بنا أن نورد السؤال والجواب! (أما السؤال فهو: ما الفرق بين المطالبة باحترام التخصص في العلوم الشرعية والكهنوت؟ أليست مطالبة غير المتخصص في الشريعة بالرجوع إلى المتخصصين كهنوتاً واضحاً؟! وأما الجواب فهو: * أولاً: نحتاج أن نثبت للمسلمين أن علوم الشريعة علومٌ تخصصية كبقية العلوم ؛ حيث إنني أعتز أن أدعياء حملة الشريعة من المتصدين للإفتاء والوعظ في العصر الحديث هم أول من أساء إلى علوم الشريعة ، وهم أول من بثّ في الناس القناعة بعدم عمقها وبسطحيتها! وذلك بسطحيتهم وعدم عقلانيتهم وبسوء أخلاق بعضهم حتى ظن الناس أن العلوم التي يحملونها هي معارف الأغبياء الحمقى ومباحث الدراويش ودروس الجامدين فكريباً! وعزّزنا هذا الانطباع السيء عن علوم الشريعة في كليتنا وأقسامنا الشرعية! عندما أصبحت تقبل من الطلاب من ترفضه الأقسام العلمية الأخرى لانخفاض مستواه التحصيلي ، ومن يعجز عن السير فيها لعدم استعداده للتعلّم الجاد! فمع الانطباع الأول الذي يُخلّفه هذا التصرف من أن العلوم الشرعية سهلة سهولة السطحية وقريبة قُرب العبث ، فهذا التصرفُ أيضاً سيكون خطةً

مستقبلية لتخريج الحمقى والمغفلين من الأقسام الشرعية ، وبشهاداتٍ عُليا فيها ، وهم بهذا المستوى المنخفض من الذكاء ، فضلا عن العلم! فكيف نريد من بعض الناس بعد هذه التصرفات أن يقتنعوا بعمق العلوم الشرعية وبدقتها وبأنها تخصص لا يصح أن يلجأ أحد إلا بحقه من العلم به ، كأي علم آخر يحترمه الناس؟! إذن فأول حلول هذا الإشكال: أن علينا معشر الشرعيين أن نعيد للعلوم الشرعية هيبتها ، بالتزامنا نحن بالتعمق فيها ، وأن نحترمها قبل أن نطالب غيرنا باحترامها ، وأن يكون خطابنا عنها وبها خطابا يحترم العقل ويحسن الإقناع ويثبت جدارتنا بحملها دون المتسورين عليها. * ثانيا: لا شك أن بعض الرفض من الخوض في العلوم الشرعية كهنوت ، ولكن بعضه ليس كهنوتا أيضًا ، وهو كرفضنا من أن يتكلم الجاهل بأي علم بجهله فيه ، ولذلك: لن يُقبلَ ادِّعاءُ مدَّعٍ (من علماء الشريعة) عدمَ أهليَّةٍ مخالفه لنقدِهِ أو الاعتراضِ عليه في مسألةٍ ما ، بغير أحدٍ أمرين: * الأوَّل: أن يُثبِتَ المدَّعي بالدليل أنَّهُ مخالفٌ لا يَسْتَطِيعُ معالجةَ المسألةِ العلميَّةِ هذه ولا يعرفُ طريقةَ التعاملِ معها بأدواتها. كأنَّ يعترضَ معترضٌ جاهلٌ على متخصصٍ في التفسيرِ حيالَ تفسيرِ آيةٍ ما ، فيثبت له المفسرُ أنَّه عاجزٌ عن فهمِ لغةِ النصِّ القرآنيِّ ، من خلالِ اختبارِهِ إيَّاهُ في القاعدةِ اللغويَّةِ التي يتوقفُ على فهمِها واستيعابِها فهمُ الآيةِ. * الثَّاني: أن يكون دليل المتخصص على المسألة الجزئية مما يمكن أن يفهمه غير المتخصص ، وحينئذ على المتخصص أن يُظهر لغير المتخصص الحجة وأن يبين له البرهان وأن يقنعه بهما ، من خلال تفهيمه وتيسير الفهم عليه ، لكي يبين له أنه لعدم تخصصه غاب عنه الدليل وأخطأ طريق الفهم والاستدلال. فإن كان منغ مدعي العلم اعترضَ المعترض غير قائمٍ على إحدى هاتين الدعامتين فهو مجردٌ وصايةٍ وكهنوتٍ لا أكثر). هـ. وأخيرا تقول الدكتورة نبيلة شهاب عن احترام التخصص ما نصه: (التخصص مفهوم واضح ومهم جداً في المجتمعات المتقدمة ، واحترامه والتمسكُ به أمرٌ مفروغٌ منه ، وكل فردٍ يتفاني في اكتساب الخبرة في مجال تخصصه ، ويحاول أن يواكب التطور في ذلك. لا يشعر أي فرد بالحرص أو الخجل أو الخرف مهما علا مركزه من أن يقول: "لا أعرف" أو "لا يوجد لدي معلومات ومعرفة كافية في هذا المجال" ، وقد يرشح بعض الأسماء في المجال الذي استفسرت عنه أو يدلك عليها. هناك تخصصات معينة وهي المتصلة اتصال مباشر بالفرد وحياته الشخصية والنفسية والاجتماعية وصحته تخضع لمراقبة الدولة مراقبة مستمرة وصارمة وقد تم وضع قوانين حازمة دقيقة لها لا يتعداها أحد كائناً من كان ، على سبيل المثال لا الحصر الطبيب والمعالج النفسي والمعلم وغيره. الالتزام بالتخصص ليس شيئاً لا هدف من ورائه ، بل هو أساس العمل وأساس إتقانه والإبداع فيه ، فحين ينصب اهتمام أي فرد على عمل معين يبدع فيه ، ينحصر التركيز عليه ومن ثم تتقلص الزوايا وتصغر مساحات التعلم ليزداد التركيز على هذا المجال فقط ويتفوق الفرد في هذا التعلم ليبدع بعدها في مجال عمله وتخصصه ، لأنه اكتسب وتعلم كل تفاصيله بكثافة وبعمق ، على خلاف لو أن الفرد شنت انتباهه واهتمامه على أكثر من تخصص أو عمل مما يزيد من مساحة التعلم وينعكس ذلك سلباً على التبحر في هذا العلم وكشف جميع أسرارهِ ودقِّ تفاصيلهِ. في مجتمعاتنا للأسف بعضنا علماء في كل شيء ، فلو صادفنا مريضاً أو زرنانه نصبح أطباءً نشخص ونعالج ، وهذه أهم نقطة ، في الأكل - الشرب - الملابس ، ولو صادف صديق مشكلة زوجية أو اجتماعية نصبح المرشد النفسي ونغرقه بالنصائح "العلمية" ، متخصصون في كل شيء وننقل خبراتنا للكل ، والبعض يغضب إن لم يؤخذ برأيه! وللأسف عند البعض كلمة "لا أعلم" مرادفة لـ "أنا غبي"

على الرغم من أن لفظ "لا أعلم" هي دلالة على العلم وعمقه! هـ. فنقول: احترمو التخصص يا قوم! ولا تفتوا بغير علم ، ولا تنصبوا من أنفسكم علماء وأنتم أجهل من الجهل ذاته! وأعود لمجموعة الحدادين الذين هم سبب كتابتي لهذه القصيدة فأقول لهم: لماذا تركتم ساحة الحدادة إلى ساحة الفتيا في شرع الله تعالى؟ هل نأفكم علماء الشريعة ، واقتحموا عليكم ساحة حدادكم؟ اتقوا الله واحترموا التخصص ، والزموا حدودكم قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله!

عباقرة أراكم في الحدادة!	وجبل الناس يمحكم شهادة!
ففي صهر الحديد لكم فنون	وفي نفخ الكيور لكم ريادة!
وفي طرُق المعادن قد نبغتم	وفي صنع الشكيمة والقلادة
لماذا - في شريعتنا - استطلتم	وأفتيتم بجهل في العبادة؟
ولم تتورعوا عما اجترحتم	من الفتوى المكرورة المعادة
وقد تستهجنون مقال فرد	يقول بغير علم في الحدادة
ألا احترمو التخصص واستقيموا	وكفوا عن ممارسة البلادة
لقد أفيتم جُراء جِداً	على الفتيا ، وبئس الجهل عادة!
فتاوى لو (أبو بكر) رآها	لما أفتى ، ولا أفتى (عبادة)!
وأنتم تقطعون الرأي فيها	كأن لكم - على العلم - السيادة
ولو كنتم لدى (الفاروق) جنداً	لقطعتم يداً عام الرمادة
وما أنتم بأكثر منه علماً	وليس لكم - بشريعتنا - إجادة
فدرء الحد بالشبهات نص	(وأحمد) علم الغلما مراده
ألا يا قوم فانتبهوا لقولي	ففي قولي لمن علموا السعادة
أنيبوا للمليك ، ولا تغالوا	لكي تحيوا جهابذة وسادة
عليكم بالتعلم إن أردتم	فيما نعلم التعلم والإرادة!
سيُخبركم جميع الناس قطعاً	وأهل العلم يبغون الزيادة
ووفقكم - لنيل العلم - ربي	وعشتم بين أهل العلم قادة

احتسبتك عند الله يا رقية

(بين المقابر نظر ذلك الأب المبتلى إلى قبر ابنته التي ماتت رضية. وميز القبر بدون صعوبة رغم تشابهه بسواه. ثم رأيت عينيه تهلان ، وبعد قليل اخضلت لحيته بالدموع ، وسمعته يقول: احتسبتك عند الله يا رقية. وأخذ يذكر لي مدى تعلقه بها! فأنشدت بعدها هذه القصيدة متخذاً من كلماته عنواناً أراه مناسباً لها! ولم يكن يصلح أن أعزیه بعد الثلاث! وإن كانت كلمات التعزية لتشيع في نفس المعزي روح الاطمئنان بلقاء الله تعالى ، والإحساس بأن الكل ميت والشعور بأنها إرادة الله تعالى! - إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شئ عنده بمقدار ولأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب - وليس كما يقول أهل الجاهلية: - حياتك الباقية! - مات الميت وأعطاك عمره! - كلنا لها - البقية في حياتك - ربنا افكر فلاناً أي الميت ، فأماته!)

بني تي ، هذه الدموع تأبين
ما فارقت أبداً ذكراك ذاكرتي
مازلت أذكر وجهها باسم غرداً!
مازلت أذكر ثغراً ضاحكاً طرباً
مازلت أذكر جسماً ناحلاً عبثاً
مازلت أذكر كفاً من تناسقها
مازلت أذكر من عينيك سحرهما
إني احتسبتك عند الله أنستي
وللمهيمن ما أعطى خلانقه
وكل شئ بمقدار وموعدة
فيك امتحنت وكانت محنتي جلاً
لو أن عينيك يا بنتاه أبصرتا
لأرسلت كل عين دمع من فقدت
ليرحم الله من بأمره رحلت

فإن حُبك - في الفؤاد - مكنون
وطيف ذكراك بالتذكير مقرون
عذب المحيا ، جميل السمتميمون
رضائه - بشذى الريحان - معجون
تغار - من حسنه الجم - الفساتين
تسبي العيون من الكف الشرايين
وعند غيري من الأهل البراهين
إذ الاحتساب - ومن سواك - مسنون
والقلب إن يأخذ المولى فمنون
عند المليك ، وتكفي الكاف والنون
والقلب من عظم البلاء محزون
حالي ، وأني هنا - بالوجد - مرهون
أغلى عزيز له الدموع عربون
ومن دموعي لها ذكرى وتأبين!

شعري يعذب

(عانى هذا الشاعر من الناشرين جداً. فناشرٌ مُغالٍ قد تاجر بالكلمة. وناشر يعطي الوعود الكاذبة بمستقبل عظيم للكتاب تداولاً وتغطية للتكاليف! وناشر مستغل جبان. وناشر سارق لا يهمله إلا الدرهم والدينار. وناشرٌ عوانٌ بين ذلك. وأحسنّ الشاعر أن شعره يكاد يضيع بين ناشر طماع جشع ، وقارئٍ بخيل جاهل! فكان عذاباً للشعر لا يحسه إلا الذي كتبه وصاغه! وكان الشاعر يظن أن مشكلته الكبرى هي تحويل شعوره شعراً فقط ، فإذا به يكتشف أن هذه كانت من أسهل المشاكل بإطلاق. ولكن لم يصرفه ذلك عن الكتابة! بل ظل يكتب متحدياً الظروف والأحوال! فأضحى شعره يُعذب بين أهل الطباعة والنشر والتوزيع . واليوم هناك جهات معنية بالشعر والأدب طباعة ونشراً وتوزيعاً ، ولكن أي شعر وأي أدب؟ إنه الأدب الخليع المنحل الإباحي الساقط! وأي شعر؟ إنه الشعر الخليع المنحل الإباحي الساقط ، شعر المجون والرذيلة أو شعر تأليه الظالمين أو شعر سب الإسلام! فأنشدتُ باكياً أحكى عنه وعن مأساته ومعاناته!)

شِعري ابتليت بأزمةٍ وسِقامٍ
وطنيّت يا شعري بحربة حاقِدٍ
والناشرون عليك جاروا غيلة
والشامتون تنذروا ، وتفكّهوا
وكرامة الشعر استبيحت جهرة
لولا تلاعبُ تاجرٍ مستهتر
وقد استحلّ نقودنا وقريضنا
وسِواه خادَعنا بِلين كلامه
وسِواه - بالتوزيع - ضنّ مفضلاً
وسِواه ساومنا على ما عندنا
فبكى القريضُ لما يُعاين من أسيّ
شعرُ الفضيلة كيف تكسُد سوقه
شعرُ الكرامة كيف يُمسي ثاويّاً
يوماً سينتفضُ القريضُ مُزْمَجراً

حتّى بقيت فريسة الآلام
وضربت مغدوراً برميّة رام
وعليك صاب القوم مُرسيهام
واسـتـهزأوا بالشاعر المقـدام
وعلا عزيّف الجوقّة اللوام
حذق الخداع على مدى الأيام
ورأى التزام الحق غيرَ لزام
متسـنماً منظومة الأنغام
عن شعرنا صُخفاً زهت بغرام
ويريد شعرَ الدعر والإجرام
ورثا لحالٍ عنه كان يُحامي
ويبيت يشكو من عتيّ ملام؟
ويُباع - بين الناس - بيع سُوام؟
ومُبـدداً هذا المصير الدامي

الحراسُ الأماناء

(ألا إن أحاديث الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – تعتبر وحياً ، وتدخل في الآية (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). وإذن فالذكر هنا يشمل الوحيين: الكتاب والسنة أي القرآن والحديث. وإن الله جندٌ للكتاب حراساً أماناء ، كانوا قد كتبوه وحفظوه ورعوه وقاموا على شأنه ودعوا إليه بكل إخلاص. وجاهدوا في سبيله ، وحمّوه بالدم والنفس والمال والولد والبلد. وكذلك السنة. وكنتُ أظن أن الإمام الزرقاني بكتابه: (المقاصد الحسنة) والشوكاني بكتابه: (الفوائد المجموعه في الأحاديث الموضوعه) قد أحصيا كل الموضوعات. فإذا بي وبعد استقراءً للتاريخ دقيق أجد أن الحراس الأماناء أكثر أن يُعدوا كثرة. وكلهم قد كرسوا وقتهم ورسدوا المال لخدمة السنة ، فغفر الله لهم حمايتهم وحراستهم للسنة بأمانة. وجدّ بي أن أذكر شيئاً هنا في مقدمة هذه القصيدة عن هؤلاء الأئمة الأعلام وشيئنا عن جهودهم في حراسة السنة وحمايتها. * الحافظ الحسين بن ابراهيم الجوزقاني المتوفى سنة 543هـ له كتاب الأباطيل. * الحافظ أبو الفرج بن الجوزي المتوفى 597هـ. له كتاب (الموضوعات). * السيوطي المتوفى 90هـ عقب علي بن الجوزي. وله كتب (النكت البديعة - الوجيز - اللآلئ المصنوعة - التعقيبات). * محمد بن يوسف بن علي الشامي صاحب السيرة المتوفى 942هـ له (الفوائد المجموعه في بيان الأحاديث الموضوعه). * علي بن محمد بن عراق المتوفى 963هـ. له (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعه). * محمد بن طاهر الفتني الهندي المتوفى 986هـ له كتاب (تذكرة الموضوعات). * الملا علي قاري المتوفى 1014هـ له (تذكرة الموضوعات - المصنوع من الحديث الموضوع) * محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي المتوفى 1304هـ له (الآثار المرفوعة في الأحاديث الموضوعه). * أبو المحاسن محمد بن خليل القاوقجي المتوفى 1305هـ له (اللؤلؤ المرصوع فيما قيل لا أصل له أو بأصله موضوع). * محمد البشير أو ظافر الأزهري المتوفى 1325هـ له كتاب (تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعه على سيد وخاتم المرسلين). ** الحافظ محمد بن طاهر المقدسي المتوفى 507هـ له (التذكرة في غرائب الأحاديث المنكرة). ** عمر بن بدر الموصلي المتوفى 543هـ له (المغني عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شئ في هذا الباب). وله أيضاً: (العقيدة الصحيحة في الموضوعات الصريحة - معرفة الوقوف على الموقوف في الموقوفات). ** محمد بن محمد الطرابلسي السندروسي المتوفى 1177هـ له (الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي). ** ابن قيم الجوزية له (المنار). ** الحافظ العراقي له (تخريج أحاديث الإحياء للغزالي) وله (مختصرة لصاحب القاموس). ** ابن تيمية يعتبر أول من كتب في هذا الفن ، والدليل هو رسالته (أحاديث الخواص). وتوالت بعد ذلك كتاباته الجمّة. ** بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي المتوفى 794هـ له (التذكرة في الأحاديث المشتهرة - اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة). ** أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى 852هـ له (اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة). ** محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى 902هـ له (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة). ** عبد الوهاب الشعراني الصوفي المتوفى 973هـ له (البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير). ** غرس الدين محمد بن أحمد الخليلي الأنصاري الشافعي المدني المتوفى 1057هـ نظم قصيدة عذبة قوامها عشرة آلاف بيت وأسمائها (كشف الالتباس عن الأحاديث التي تدور بين

(الناس) ، ثم شرحها في كتاب يحمل العنوان (تسهيل السبيل إلى كشف الالتباس عما دار من الأحاديث بين الناس). •• نجم الدين محمد بن محمد الغزي المتوفى 1061 هـ له (إتقان ما يحسن من بيان الأخبار الدائرة على الألسن). •• محمد بن أحمد بن جار الله الصعدي الصنعاني المتوفى 1223 هـ جمع في كتاب واحد (درر السيوطي ومختصر المقاصد للزرقاني والتميز لابن الديبع). وفي عصرنا الحديث لا ننكر جهود الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في تنقية الأحاديث ، فله (السلسلة الصحيحة – السلسلة الضعيفة). ولقد تعددت جهود العلماء في مقاومة الوضع ، وتضافرت العوامل العديدة التي ذكرتها في إنماء كمية الأحاديث الموضوعية وهددت السنة بالتشويه والتحريف لولا الجهود الجبارة التي بذلها العلماء في تنقية السنة. وتميز الصحيح من السقيم ، فقاموا بمجهود رائع تمثل في التأكيد على الإسناد ، والرحلة في طلب العلم ، وتدوين الحديث ، ووضع علوم الحديث المختلفة ، والإسناد من الدين! فليعلم مدى الإسناد وأهميته وما يتصل بمعرفة رجال السند وهو أحد علوم الحديث المهمة ، ويطلق عليه "علم الرجال". يراد بالإسناد الطريق الموصل إلى المتن ، فالحديث إنما يروى عن طريق سلسلة من الرواة تبدأ بالراوي الذي يحدث بالحديث وتنتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فرق بين الإسناد والسند عند الجمهور ، وعند غيرهم أن الإسناد رفع الحديث إلى قائله وكأنه مشتق ومأخوذ من قولنا من أسند في الجبل إذا صعد فيه وعلا على سفحه ، والسند للأخبار عن طريق المتن الذي من معانيه ما صلب من الأرض وارتفع منه. فإلى جميع الحراس الأمانة الراحلين والأحياء والذين سيخلفون إلى قيام الساعة غاية وجودهم عبادة الله تعالى والحفاظ على سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – وحمايتها وحراستها ، أنشد هذه القصيدة النونية من البحر الكامل!

بتحيية الإسـلام والإيمـان	حييئت أهل الفضل والإحسان
واستمسكوا بشريعة الـديان	من أخلصوا لله ما دانوا به
وتخصصوا في سنة العـدنان	من نافحوا عن دينهم بشجاعة
إذ إنها وحي من الرحمن	كانت أحاديث النبي حياتهم
بل نطقه وحي من المنان	لم ينطق المختار - كلا - عن هوى
فالسنة التبيـان للقرآن	وأحب أهل العلم سنة (أحمد)
وتحملوا في ذلك كل هوان	واستبسلوا في الذود عنها حسبة
حتى يردوا فتنة الطغيان	واستعذبوا - والله - كل مشقة
وتغربوا - قسراً - عن الأوطان	هانت عليهم - في البلاء - نفوسهم

سعيًا وراء العلم دون ترهّلٍ
حتى يبوء الطاعنون بخيبةٍ
ومن افتري زوراً يُفند قوله
ومن ابتغى تخريب سنة (أحمد)
لم يعتد العلماء دون جريرةٍ
وضّع الحديث على النبي (محمد)
حتى إذا قرأ الأحاديث الـورى
حُراس سنة (أحمد) لم يسكتوا
واسـتنقذوا كل الأحاديث التي
أمناء ما عملوا لغير ملـيـكهم
ظفـروا بشر عصـابة تـند الـهـدى
من عاش يطعن في الحديث ونصّه
وينال من سـند الحديث تنـدراً
ويـعيب متناً ، ثم يكتـب غيرـه
ولـه رفاق لم يراعوا حرمة
وعلى مدى التاريخ دامت حربهم
فإذا بحراس الحديث كتيبة
وتتبعـت ما خط أصحاب الهوى
يارب فارحم كل (حراس الـهـدى)

كي يجمعوا تدجيل كل جبان
ويبوء أهل الـدس بالخسران
كـيلا يـشـوش حاضـر الأذهـان
فليلق أصنافاً من العـدوان
بل نـدوا بمـخـرف خـوان
ومضى يغلب مبدأ الرجحان
خـدعوا بـدس مـناوى شـيطان
بل جاهـدوا في عـزة وتفان
صـحّت ، وفيها ناصع البرهان
فجـزاهم الـرحمن بالإحسان
ويـلّ لكل مشـكك طـعان!
ويثـير نار الحـقـد والشـنان
ويكيـد في سر وفي إعلان
من عنـده بالـدس والبهتان
بل أيـدوا ما كان من عصيان
كم أوقـدوا في العلم من بركان!
خرجت - على الأنـام - بالفرقان
واسـتخرجت ما فيه من أدران
واشـملهم بـالعفو والرضوان!

جوزيت خيراً

(منح ذلك الأب الظالم بعض أولاده مالا ، وحرّم آخرين من أبنائه ، فنصحته الابن الأوسط وقال: هذا ظلم. فقال الأب: أعطيك ما يرضيك وتسكت. فقال: لا. فقال الأب: إذن أحرّمك لتسكت! فحرّمه الأب المعتسف من حصته من المال. مع علمه بأن العدل بين الأبناء وصية الله ورسوله. وأما الأبناء الباقون فلم يحرّكوا ساكناً ، بل قبلوا المال الحرام (حق أخيه) وكأنها قسمة قسمها الله ورسوله بينهم! فصمد الابن المظلوم مع باقي الأبناء المظلومين الذين انتظروا أن تتحرك في الظالمين هؤلاء نخوة الأخوة أو الميل إلى العدل! ولكن شيئاً من ذلك لم يكن! فصبروا على الأب الظالم! غير أن إعجابي كان بمن أنكر الظلم أقوى ولذا كتبتُ عنه! والعجيب أننا نرى مكر الله تعالى ببعض الآباء الذين يفعلون هذا بأن يجعل الأبناء - الذين خصهم الآباء بالعطية تمييزاً على إخوانهم - عاقين في أعلى درجات العقوق! وإن بعض هؤلاء الآباء ليتكفّف اللقمة والمأوى ، فيكون مأواه تحت سلم العمارة أو فوق السطوح! وطعامه بقية ما أكل الأحفاد!)

جُوزيتَ خيراً على ما قلت يا صاح
ولم توافق على ظلم يُمارسُهُ
جهرت بالحق في نور وفي وضّح
ترجو النجاة لمن تُرديه شِقوته
وبت تجأز في حرص وفي ملق
فضاق ذرعاً بما تقول مُجترئاً
لأن للحق - إن طبقتَه - ثِقلاً
وما تنازلت عن حق بأعطيةٍ
بل انطلقت تُخيفُ الكل من (سقر)
ورحت تُنذرهم من بطش خالقهم
لذا حُرمت من الأموال قسّمها
أب من الظلم لم يحذر دياجره
هدى المليك إلى تقواه من جمحت
وبارك الله من قد زاد مُحسباً

لقد نصحت بقول منك منصاح
أب يُغالط مثل اللاحن اللاحي
والحق يسمو بتبيين وإيضاح
لكي يحنّ إلى عدل وإصلاح
وتنكرُ الظلم في ليل وإصباح
ولم يطق منك ما تُدلي بإفصاح
وليس صاحبه يوماً بمرتاح
ولا بتزكية ، ولا بأمداح
وأهون الناس من يُجزى بضحضاح
أو موت أفئدةٍ أو موتِ أرواح
أب تنكر ، لم يعبأ بملاح
وضاق ذرعاً بمن يُدلي بأوضح
به النكايّة في أدغال أتراح
وخصّه الله من ضيق بأفراح

ألقاب بلا رصيد

(بعد لأي دخلتُ غرفته الخاصة: فإذا بشهادات التقدير والنياشين والأوسمة التي احتوت ألقاباً لا رصيد لها في الواقع. فأنشدتُ على الفور أعظ وأندد. فأما الوعظ فلصاحب الألقاب ، وأما التنديد فبمن منح هذه الألقاب والتي هي بلا رصيد! وظني بأن من وهب هذه النياشين وتلك الجوائز لهذا المفلس الفاشل الفاسل ، قد منح ما ليس يملك لمن لا يستحق! وعلى إثر هذه العطايا وتلك المنح حاز ذلك المفلس مجداً زائفاً ، وألقاباً هو عنها عار ، وحقوقاً ما كان ينبغي أن تكون له! فعلى كل من خدع بالعطايا والأوسمة والجوائز ليس أهلاً لها أن يعلم أن التاريخ له أنياب! وأنه لا يرحم! فهو بالخيار بين أن يدفع بها جميعاً إلى من يستحقها ، أو أن يعيش واقعياً ويصارع نفسه بصدق! إنه عندما يغيب التوحيد وتنتفي العقيدة يوسد الأمر إلى غير أهله! وهنا تُمنح النياشين والأوسمة والجوائز المادية والمعنوية ، ممن وسد الأمر لهم وهم من غير أهله لأناس كذلك ليسوا أهلاً لتلك الجوائز ولا لتلك النياشين ولا لهاتيك الأوسمة!)

ورُفِعَتِ إِلَى أَعْلَى ذِرْوَةٍ	حُزِتَ الْمَجْدَ وَبَعْضَ الْحَظْوَةِ
تَهْدِيكَ الْأَلْقَابَ الْخُلْوَةَ	وَمُنَحَتِ الْأَوْسَمَةَ الْمُثْلَى
أَوْ كَالزَّبَدِ تَلِيهِهِ الرِّغْوَةَ	مِثْلَ (الشَّيْكَ) بَغَيْرِ رَصِيدٍ
وَأَعَارَكَ شَيْطَانِكَ دَلْوَهُ	أَوْ كَسْرَابِ جِئَاعِكَ يَسْعَى
وَتَخِيلَتِ وَصُولَ الثَّرْوَةَ	فَتَوَهَّمَتِ بُلُوغَ الْعَلِيَا
وَشِعَارَاتِ تَفَرُّضِ غُنْوَةَ	وَمَلَأَتِ الْجِدْرَانَ رُمُوزاً
حَقّاً تَفْتَقِرُ إِلَى النُّخْوَةَ	وَرَسُومَاتِ فِي مُعْظَمِهَا
تُظْهِرُ فِي أَغْلِبِهَا النُّسْوَةَ	وَتَصْـاوِيرَ مُتَبَدِّلَةً
وَأَنَا كُنْتُ أَرَاهَا هَفْوَةَ	وَرَأَيْتُكَ تَفْتَخِرُ بِهَذَا
فِي الْخُلْوَةِ يَهْذِي وَالْجَلْوَةَ؟	هَلْ بِالسَّوْعِ يُجَاهِرُ شَهْمَ
وَأَنْتَ هَتَّ اللَّعْبَةَ بِالشِّقْوَةَ	أَلْقَابُكَ هَذَا زَائِفَةً
وَاطْرَحْ عَنْكَ رِذَاءَ الْغَفْوَةَ	فَدَعِ الْوَهْمَ ، وَخَلِ السَّوَايَ
حَتَّى نَلْتِ لِيَدِيهِمْ حَظْوَةَ	خَدَعُوكَ بِمَا قَالُوا زوراً
فِيهِ غَدَا الشَّيْطَانُ الْقِدْوَةَ	فَأَصْدَقُ نَفْسِكَ وَاهْجِرْ دَرِيّاً

من سيرتُ المليون؟

(أخ تيراً من الأخوة ، وتبرأت منه الأخوة. ذلك الشقي المحروم الذي شرع في قتل أخيه ليرث مليوني دينار هي نصيبه من تركة الثاني. فلما همّ بذلك في جنح الليل ، قامت البنيات يدفعن عن أبيهن هذا المتلثم في الظلام ، فقتلنه عشوائياً بحديدة. فإذا القتل عمهن الوحيد. وكأنما نسي ذلك الشقي أو تناسى أن القتل العمد من موانع الإرث في شريعتنا. فقد أخرج الدار قطني والبيهقي وصححه الألباني أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ليس للقاتل من الميراث شيء). وأعجب كيف طوعت له نفسه أن يخطط ويدبر ، واستكثر على أخيه وبنياته الثلاث ثروة تقدر بمليون دينار ، هذه البنيات اللاتي كانت أمهن قد ماتت ، وأصبح العم هذا صاحب النصف أي المليون لعدم وجود معصب أو حتى مشارك أو فرع وارث ، فله النصف أي المليون وللبنيات النصف الباقي. هل يفعل العم الذي هو أب بعد الأب مثل هذا المنكر. (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك). ولكن بدل الأخت الوارثة هناك كان الأخ. فالنصف ثابت له بوفاة أخيه عن بنيات ثلاث. ولكنه أراد معالجة هذا الأخ ليرث المليون الذي هو نصف التركة. وتناسى قول الله: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً أليماً). ومن السبع الموبقات في حديث البخاري ومسلم (وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق). وأيضاً روى البيهقي والنسائي قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لقتل مؤمن أعم عند الله من زوال الدنيا). قال الأستاذ عبد الكريم بن صنيان العمري عن القتل العمد للنفس المؤمنة ما نصه: (قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً} ، وقد ورد في سبب نزول هذه الآية: أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان في سرية ، فعمد إلى شعب لقضاء حاجته ، فوجد رجلاً من القوم في غم له ، فحمل عليه بالسيف ، فقال الرجل: "لا إله إلا الله" ، فضربه أبو الدرداء بالسيف فقتله! ثم وجد في نفسه شيئاً ، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له ، فقال أبو الدرداء: "إنما قالها ليتقي بها القتل" ، فقال: «ألا شققت عن قلبه ، فقد أخبرك بلسانه فلم تصدقه ، فكيف بلا إله إلا الله؟ فكيف بلا إله إلا الله؟!» قال أبو الدرداء: "حتى تمنيت أن يكون ذلك مبتدأ إسلامي"! فنزل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً} (رواه الطبري). قال المفسرون: "تضمنت الآية الإخبار بعدم جواز إقدام المؤمن على قتل أخيه المؤمن بأسلوب يستبعد احتمال وقوع ذلك منه إلا أن يكون خطأ ، حتى لكان صفة الإيمان منتفية عمن يقتل مؤمناً متعمداً ؛ إذ لا ينبغي أن تصدر هذه الجريمة النكراء ممن يتصف بالإيمان ، لأن إيمانه وهو الحاكم على تصرفه وإرادته يمنعه من ارتكاب جريمة القتل عمداً". إن قتل النفس التي حرم الله تعالى إلا بالحق من أحرم الحرام ، ومن أفضع الأعمال جرماً وأكبرها إثماً ، وقد توعد الله قاتل المؤمن عمداً بأنواع العقوبات ، كل واحدة أعظم من الأخرى وأنزل غضبه عليه ، قال جل شأنه: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}. إن قاتل المؤمن تنتظره هذه العقوبات الأربع: الخلود في نار جهنم ، مع الغضب واللعن والطرده والإبعاد عن رحمة الله والعذاب العظيم. إنه وعيد رهيب قاصم أشد على سمع المؤمن من أي عقاب ؛ إذ ليس بعد هذا الوعيد وعيد ، وليس بعده جزاء! وذلك كله دليل واضح جداً على حرمة دم المؤمن وحرص الإسلام على المحافظة على النفس المؤمنة وصيانتها من الاعتداء عليها وإزهاقها وسفكها بغير حق. إن هذا أعظم وعيد يجب في أغلظ تحريم ، حتى قال ابن عباس رضي الله عنهم لأجل ما تضمنته هذه الآية من الوعيد فإن

توبة القاتل غير مقبولة ، وذلك لما روى أبو داود عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو قتل مؤمناً عمداً». فقد سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين من مات مشركاً ومن أصاب دماً حراماً في عدم رجاء المغفرة لكل منهما ، فدل ذلك على عظم جريمة من قتل مؤمناً متعمداً وعلى عدم قبول توبته. لقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث أخرى كثيرة من الاعتداء على نفس المؤمن بغير حق ، وبين الوعيد الذي ينتظر القاتل ، فقال صلى الله عليه وسلم: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق» (رواه البيهقي). قال ابن العربي رحمه الله: "قد ثبت عن النبي النهي عن قتل البهيمة بغير حق ، وبين وعيد من ارتكب ذلك ، فكيف بمن اعتدى على مؤمن تقياً صالح فقتله؟! " وَعَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ مِنَ الْكِبَائِرِ وَالْمُوبِقَاتِ ، فَقَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» ، قِيلَ: "يا رسول الله ، وما هن؟" قال: «الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». (رواه البخاري ومسلم). وبين صلى الله عليه وسلم أن المؤمن يظل مطمئناً منشرح الصدر في حياته مسروراً ، فإذا ارتكب هذه الجريمة ، وقتل نفساً بغير حق صار منحصرًا ضيق الصدر ، لا تسعه الدنيا بطولها وعرضها ، فيرى أنها قد ضاقت به ، وذلك لشدة العقوبة وعظيم الوعيد الذي توعدده الله به ، فقال صلى الله عليه وسلم: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً». (رواه البخاري). وفي حديث آخر يوضح نفاسة دم المؤمن وحرمة عند خالقه ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطوف بالكعبة ويقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك ، ما أعظمك وأعظم حرمتك! والذي نفس محمد بيده ، لحرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمتك». (رواه ابن ماجه). بل ورد الوعيد لمن أعان على القتل المحرم أو كان حاضرًا يستطيع منعه أو الحيلولة دون وقوعه أو شجع القاتل على القتل ، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمنٍ لكبهم الله عز وجل في النار». (رواه الترمذي). هذه العقوبات العظيمة ، والأحوال الشديدة أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَى لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ، فَالْنَفْسُ الْمُؤْمِنَةُ مَعْصُومَةٌ مَحْفُوظَةٌ ، وَحَرَمَتُهَا عِنْدَ اللهِ كَبِيرَةٌ ، فَالْإِعْتِدَاءُ عَلَيْهَا مِنَ الْمُوبِقَاتِ وَمِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ وَأَشَدِّ الْمُنْكَرَاتِ. هـ.

أسطر هذا الوعيد ليطالعه القتل المجرمون الذين يغتبطون بدماء المؤمنين الموحدين في شتى بقاع الأرض ويظهرون في الشاشات والجراند والمجلات وكأنهم لم يفعلوا شيئاً! أسطر هذا الوعيد لمن يقتلون المسلمين بالآلاف المؤلفة ليرضوا عنهم طواغيت الأرض وليبقوا في مناصبهم التي هم عنها زائلون وهم لها مفارقون! أقول ذلك لهم حتى لا يعتروا بقوانينهم التي وضعوها ، وجراندهم التي يصدرونها ، وتلفازاتهم التي تمتدحهم! ومن هنا كتبت على البحر الطويل هذه القصيدة لأن همها هم طويل. وأسأل عبرها: يا ترى من سيرث المليون؟ أكتب في هذا العم الشاذ الذي قتل أخاه من أجل المال ، وأعرض بكل عم يعتدي على أخيه بسرقة أرضه بعد تدليس عقد البيع ، وعن كل عم يسرق متاع أخيه من كتب وملابس وما شاكل ذلك!

بذلت الذي أولاه الغدر من وسع وقد ضج بالأخبار تزعجه سمعي

وما صدق العقل الذي قيل جملة فما قيل شيء لا يرجحة طبعي

وسفك دماءٍ جفوة ألهبت روعي
وقد ضاق بالتقتيل عمّ الوري ذرعي
كان دماء الناس كالماء والبتع
وفي هدأة الليل البهيم بلا قرع
ومن فتحة السقف خرّ بلا نقع؟
وللسيف - رغم الحذر - إرھاصة الرّجع
ليدفعن شراً حسبما كان في الوسع
وليس له أهلون في ذلك النجع
ومن لم تجد شدّت عُري الثوب والدرع
بما أوتيت من قوة الصدّ والدفع
فأهوت بها ما بين سبع إلى تسع
وتعطيّه درس العُمر في الطعن والقطع!
ليرمى فتروى بالدماء ساحة الرّبع
وجادت عيون الكل باللوم والدمع
يسائل عن جدوى الجريمة والنفع
ويوسّعه سباً ، ويأخذ في الصفع
أما ردّ شيطان الهوى وازغ الشرع؟
يقولون عنك: الأصل يبغي على الفرع؟
وبؤ - يوم تلقى الله في الدار - بالدع

صراع على الدنيا ، وإزهاق أنفس
وقتل بلا حق تعدى حدوده
وإهدار أرواح بدون جريرة
ومن أجل مليون أتى الدار مجرم
وهل يقرع الأبواب من جاء قاتلاً
وأشهر سيف الغدر في وجه نائم
فقمنا البنيات اللطيفات في الدجى
ويحمين شهماً كان في النوم غارقاً
وكلّ بما طالمت يداها تساحت
فواحدة شجّت بفأس جبينه
وثانية لمتا تجد غير مديّة
تؤدّب بالسكين من جاء يعتدي
وثالثة لفته جسماً مضرجاً
ولما انجلى ليل الدجى جاء صبّحه
لأن سوء الألا سبيل لردّه
ويدمع عمّاً بالخيانة والغبا
أتفعل هذا دون حق ولا حيا؟
بماذا نجيب الناس يا عمّ إن أتوا
عليك من الله الذي تستحقّه

عندما يذهب الكرماء

(كان ذلك البناس في حال يرثى لها. إذ وقع في ضائقة مالية شديدة اضطرته للاستدانة من الناس. وإذا به يجد أغلب من كان هو سبباً في غناهم قد بخلوا عليه بالإقراض ، فضلاً عن العطاء والهبة. فأقرضه بسخاء رجلٍ من غير قومه ومن غير داره وعلى غير ملته! فأخذ يلوم نفسه ويرى أنه أخطأ الاختيار في الصحبة ، وأنه كان ينبغي أن يكون أكثر ذكاءً وحكمة! فتخيلته يصف لنا شعراً هؤلاء الأندال الأنانيين ، الذين لأنفسهم يعيشون ولغيرهم يتنكرون! وعنونتُ للقصيدة بهذا العنوان الذي يصوّر لنا الحياة عندما يفارقها أهلُ الجود!)

بَخَلُوا عَلَيَّ بِمَالِهِمْ ، وَتَمَرَّدُوا
وتَطاولوا جَبْرًا عَلَيَّ ، وَأزْبَدُوا
وتعللوا بالفقر يَدْمَغُ عَيْشَهُمْ
وجوابُ كُلِّ مسْتَتِيبٍ أَنْكَدَ
والعذرُ مكذوبٌ فَمَنْ يُصْغِي لَهُ
مهما تَبَجَّحَ قائلوه ، وأيَّدوا
اليومَ قد شَحَّوا عَلَيَّ بِمَالِهِمْ
وأنا الذي أعطيتُ حتى لأمني
أنا قد بنيتُ المجدَ مُرتَفِعَ اللِّوَا
وبذلتُ من مالي الكثيرَ ليهنأوا
وصدقتُ في وُدِّي ولم أكنْ غادراً
ونصحتُ أحسبُ أنْ غيْرِي مُنْصِتٌ
واحتجتُ للأموالِ سُنَّةَ رَبِنَا
أولم تكنْ دِرْعٌ لَهُ مرهونَةٌ
وطلبتُ لَمَّا عَضَنِي دَيْنُ الوَرِي
وطبيعة الكرماء عاجلها الردى
فعمسى مليكُ الناسِ يُغْنِي عبْدَهُ
وتطاولوا جَبْرًا عَلَيَّ ، وَأزْبَدُوا
وجوابُ كُلِّ مسْتَتِيبٍ أَنْكَدَ
مهما تَبَجَّحَ قائلوه ، وأيَّدوا
بنسِ التعاملِ والرؤى والمَحْتَدِ!
أني بذلتُ الحاقدون الحُسْدَ
لأرذالٍ ، بطُروا النعيمَ ، وأفسدوا
واللهُ يشهدُ ، والخلائقُ تشهدُ!
وسواي يُبرقُ بالإخاءِ ، ويُرعدُ
والحق أن الغيرَ صخرٌ جَلْمَدُ
أولم يُمرَ بهذا النبيِّ (محمد)؟
عند اليهودي الذي يتزيد؟
فلقيتُ خذلانا يَصْدُ وَيَجْدُ
والعبْدُ يَظْهَرُ إذ يموتُ السيدُ!
كَيْلا تُمَدَّ - إلى الألى بَخَلُوا - يَدُ!

بين شاعر ومستشعر

(أخذ ذلك المستشعر يتقعر في الكلام ، ويتحذلق ليثبت أنه شاعر. وظن أن صمت المخاطب الشاعر دليل على الإقرار له بذلك. والحقيقة عكس ذلك ، إنه الصبر عليه حتى ينتهي ذلك المستشعر ليلقنه الشاعرُ درسَ العُمر ويُفصح له عن صورته! يقول الأستاذ زاهر واصف عن ادعاء العلم والمعرفة ما نصه: (يشيع بين الناس الظهور بمظهر العالم أو المثقف الواسع المعرفة! ولعل انتشار خدمة الإنترنت ساهم في تعاضم هذه الظاهرة ، وإن كانت هذه الملاحظة لا تلغي حقيقة لا بد من الوقوف عندها ، وهي أن الشبكة العنكبوتية وسّعت آفاق الناس وجعلت المعلومات على اختلاف مجالاتها ومصادرها ومدى صحتها متاحة لشرايح متباينة من المجتمع. ولكن الأخطر في هذا الأمر أن هناك عقولاً وشخصيات تتشكل وتبنى على بعض المعلومات والأفكار الخاطئة). هـ. فكتبت لهذا المستشعر المتعالم الذي يزعم أن التقعر في الكلام واختيار الألفاظ المنقاة العذبة ، سوف يضيء عليه وصف المثقف النحرير!)

كم سبرتُ ما سقت من جاهلية!
كم كتبتُ الأشعارَ في كل شأن
كم طرقتُ بالشعر أسمى القضايا
كم تمرستُ في القريض احتساباً
ثم تأتي يا غرّ تذلّي بدلو
تستطيل بالحدقات ، وتهجو
زاعماً أن الجعر يُقتع عقلاً
إنما الاستشعار قُبْحٌ وعمارٌ
ما التقى الشعرُ بالتشاعر يوماً
ليس صمتي الإقرارُ يا من تُلحي
لم يكن الاستشعارُ سهلاً يسيراً
صاح أقصر ، إن القريض برئ
وارحم الناس من تخاريف غافٍ
ادرس الشعرَ كي يُصاغ صحيحاً
يا عديم الإحساس والأريحية
مفصلاً عن شخصيتي والهوية!
لم تعقني مما طرقت قضية!
عند ربي تمرسي والنية!
لا تطيق أرجاسه البشورية!
مؤثراً ما تجيد من فوضوية
أو يقوي ما صغت من منهجية
تجتيبه كل النفوس الغيبة
فاتبعني ، كيلا أراك ضحية
إنما صمتي إذ دهنتني البلية
والأحاجي كانت علي عتية
من سخافات ، ما لها مرجعية
يوهم القوم أنها شعاعية
نابعاً فعلاً من مشاعر حية

حوار مع إباحي مهترئ

(الجدال مع الإباحيين لا يصل إلى نتيجة. لأن القوم ليس لديهم مرجعية ولا أسس ولا ضوابط. وهذا أحدهم راح يُثبت بكل دليل متكلف ملفق أن الإباحية نافذة واقعية على الحياة ، وأنها نمطٌ من أنماط التعبير عن النفس! يقول الأستاذ عبد الحي زلوم عن الإباحية والإباحيين ما نصه: (تعيشُ الشعوبُ العربية اليوم حالة شيزوفرينيا ما بين شخصيتها الأصيلة العربية الإسلامية وشخصيتها التي عمل الاستعمار عقوداً بل قرناً لتغييرها. ولقد تجلّى زيفُ الشخصية التي ألبسنا إياها الاستعمار. وما محاولة حركات التصحيح هذه الأيام إلا بداية للعودة إلى شخصيتنا الإسلامية والتي يتم محاربة هذا الظهور عن طريق إرهاب حقيقي أسموه الحرب على الإرهاب. يجب عدم جلد الذات ، فما بناه الاستعمار في مائة سنة لن يتم هدمه في مائة يوم أو في مائة شهر).هـ. ومن هنا نعلم أن جدال الإباحيين جدال عقيم لا طائل من ورائه!)

رويـدك يا إباحي	وحـانـذري يا وُصـولي
ألا إن الخنـارجـس	يتيهـ به الضـلالـي
أتعبـدُ شهوة خبـثـت	وتجهـري يا فضـولي؟
تقول لنا: أنا حر	وتفكيـري مثـالي
وعيشـي طاب سـامرـه	وطابـغـة جمـالي
وغايـة عيشـتي مـرح	وإمتـاع خيـالي
وفرحـي لا يـكـذره	أخ عـدل أصـولي
أنا أحيا كما أهوى	وإن قـالوا: ارتجـالي
وأوغـل في أباطـيلي	وإن قـالوا: انفصـالي
وأسـبح في تخـاريفي	وإن قـالوا: ابتـذالي
ألا يا فاقـد التقـوى	أفـقـ يا لا أبـالي
وخفـف لهجـة فرطـت	لهـا لفظـتـالي
وكن رجـلاً له قيم	وأسـلوب رجـولي
فما الدنـيا كما ترجـو!	فأقصـر يا ممـالي

وفي الختام

الحمد لله تسبحة البحار الطوافح ، والسحب السوافح ، والأبصار اللوامح ، والأفكار والقرائح ، العزيز القوي في سلطانه ، الكريم في امتنانه ، ساتر المذنب في عصيانه ، رازق الصالح والطالح! تقدر عن مثل ونديد وشبيهه ، وتنزه عن نقص يعتريه ، يعلم خافية الصدر وما فيه ، من سر أضرته الجوانح ، لا يشغله شاغل ، ولا يبرمه سائل ، ولا ينقصه نائل ، تعالى عن الند المماثل ، والصد المكادح ، يسمع تغريد الورقاء على الغصن ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ويتكلم فكلامه مكتوب في اللوح مسموع بالأذن ، بغير آلات ولا أدوات ولا جوارح ، أنزل القطر بقدرته ، وصبغ لون النبات بحكمته ، وخالف بين الطوم بمشيئته ، وأرسل الرياح لواقح ، موصوف بالسمع والبصر ، يرى في الجنة كما يرى القمر ، من شبهه أو كيفه فقد ترندق وكفر ، هذا مذهب أهل السنة والأثر ، ودليلهم جلي واضح ، ينجي من شاء كما شاء ، ويهلك فهو المسلم للمسلم والمسلم للمهلك ، لم ينتفع يام أو كنعان بالنسب يوم الغرق لأنه مشرك ، قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ، أحمدته على تسهيل المصالح ، وأشكره على ستر القبائح ، وأصلى على رسوله محمد أفضل غاد وخير رائج ، وعلى صاحبه أبي بكر ذي الفضل الراجح ، وعلى عمر العادل فلم يراقب ولم يسامح ، وعلى عثمان الذي بايع عنه الرسول فيا لها صفقة رابح ، وعلى علي البحر الخضم الطافح ، وعلى عمه العباس الذي أخذ البيعة له ليلة العقبة وكل الأهل نازح ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وهب طالحنا لصالحنا وسامحنا ، فأنت الحليم المسامح ، واغفر لنا ذنوبنا قبل أن تشهد علينا الجوارح ، ونبهنا من رقعات الغفلات قبل أن يصيح الصائح ، وانفعني بما أقول والقارئ لشعري هذا بمنك ، فمك الفضل والمنائح! سبحان من أظهر العجائب في مصنوعاته ، ودل على عظمته بمبتدعاته ، وحث على تصفيح عبره وآياته ، وأظهر قدرته في البناء والنقض ، والهشيم والغض (قل انظرو ماذا في السموات والأرض) ، وهلك كل الهالك وأدبر ، من نسي سعد من تدبر ، وسلم من تفكر ، وفاز من نظر واستعبر ، ونجا من بحر الهوى من تصبر ، الموت مع الشعر المبيض (قل انظرو ماذا في السموات والأرض) ، يا أرباب الغفلة اذكروا ، يا أهل الإعراض احضروا ، يا غافلين عن المنعم اشكروا ، يا أهل الهوى خلوا الهوى واصبروا ، فالدنيا قنطرة فجوزوا واعبروا ، وتأملوا هلال الهدى فإن غم عليكم فاقدروا ، فقد نادى منادي الصلاح حي على الفلاح فأسمع أهل الطول والعرض! (قل انظرو ماذا في السموات والأرض)! (قل انظرو ماذا في السموات والأرض) إنه ليس المراد بالنظر إلى ما في السموات والأرض ملاحظته بالبصر. يا من يرجو الثواب بغير عمل ، ويرجئ التوبة بطول الأمل ، أتقول في الدنيا قول الزاهدين ، وتعمل فيها عمل الراغبين ، لا بقليل منها تقنع ، ولا بكثير منها تشبع! تكره الموت لأجل ذنوبك ، وتقيم على ما تكره الموت له تغلبك نفسك ، على ما تظن ولا تغلبها على ما تستيقن ، لا تثق من الرزق بما ضمن لك ، ولا تعمل من العمل ما فرض عليك ، تستكثر من معصية غيرك ما تحقره من نفسك ، أما تعلم أن الدنيا كالحية ، لين لمسها والسم الناقع في جوفها ، يهوى إليها الصبي الجاهل ، ويحذرها ذو اللب العاقل ، كيف تقر بالدنيا عين من عرفها؟ وما أبعد أن يفظم عنها من ألفها! يا مبارزا بالذنوب خذ حذرک وتوق عقابه بالتقى! فقد أندرك وخل الهوى ، فإنه كما ترى صيرك قبل أن يغضب الإله ويضيق حبسه (ويحذرکم الله نفسه) اجتهد في تقوية يقينك ، قبل خسر موازينك ، وقم بتضرعك وخيفتك ، قبل نشر دواوينك وابدل قواك في ضعفك ولينك ، قبل أن يدنو العذاب فتجد مسه (ويحذرکم الله نفسه)! لما سمع

المتيقظون هذا التحذير ، فتحوا أبواب القلوب لنزول الخوف ، فأحزن الأبدان ، وقلقل الأرواح فعاشت اليقظة بموت الهوى ، وارتفعت الغفلة بحلول الهيبة ، وانهزم الكسل بجيش الحذر فتهذبت الجوارح من الزلل ، والعزائم من الخلل ، فلا سكون للخائف ، ولا قرار للعارف ، كلما ذكر العارف تقصيره ندم على مصابه ، وإذا تصور مصيره حذر مما في كتابه ، وإذا خطر العتاب بفنائه فالموت من عتابه ، فهو رهين الفلق بمجموع أسبابه. أسفا لمن ضيع الأوقات وقد عرفها ، وسلك بنفسه طريق الهوى فأتلفها ، أنس بالدنيا فكأنه خلق لها وأمله لا ينتهي. وأجله قد انتهى ، سلمت إليه بضائع العمر فلعب بها ، لقد ركن إلى ركن ما لبث أن ، وهي عجبى لعين أمست بالليل هاجعة ، ونسيت أهوال يوم الواقعة ، ولأذن تقر عنها المواعظ فتضحى لها سامعة ، ثم تعود الزواجر عندها ضائعة. ولنفس أضحت في كرم الكريم طامعة وليست له في حال من الأحوال طائعة ، ولأقدام سعت بالهوى في طرق شاسعة. بعد أن وضحت لها سبل فسيحة واسعة ، ولهمم أسرع في شوارع اللهو شارعة ، لم تكن مواعظ العقول لها نافعة ، ولقلوب تضرر التوبة عند الزواجر الرائعة ، ثم يختل العزم بفعل ما لا يحل مراراً متتابعة ثالثة بعد ثانية وخامسة بعد رابعة ، كم يوم غابت شمسه ، وقلبك غائب ، وكم ظلام أسبل ستره ، وأنت في عجائب ، وكم أسبغت عليك نعمه وأنت للمعاصي توائب ، وكم صحيفة قد ملأها بالذنوب الكاتب ، وكم يندرك سلب رفيقك وأنت لاعب ، يا من يأمن الإقامة قد زمت الركائب ، أفق من سكرتك ، قبل حسرتك على المعاييب ، وتذكر نزول حفرتك وهجران الأقارب ، وانهض على بساط الرقاد ، وقل أنا تائب وبادر تحصيل الفضائل ، قبل فوت المطالب ، فالسائق حثيث والحادي مجد والموت طالب. أسفا لغافل لا يفيق بالتعريض ، حتى يرى التصريح ولا تبين له جلية الحال إلا في الضريح ، كأنه وقد ذكره الموت فأفاق فانتبه لنفسه وهو في السباق! واشتد به الكرب والتفت الساق بالساق ، وتحير في أمره وضاق الخناق ، وصار أكبر شهواته توبة من شقاق ، هيهات مضى بأوزاره الثقيلة ، وخلا بأعماله واستودع مقيله ، وغيب في الثرى وقيل لا حيلة ، وبات الندم يلزمه وبنس اللاحي له ، فتفكروا أيها الناس في ذلك الغريب وتصوروا أسف النادم وقلق المريب ، فلمثل حاله فليحذر اللبيب ، وهذا أمر تبعده الآمال وهو والله قريب. يا من صبح شبيهه بعد ليل شبابه قد تبلج ، ونذيره قد حام حول حماه وعرج ، كأنك بالموت قد أتى سريعاً وأزعج ، ونقلك عن دار أمنت مكرها وأخرج وحملك على خشونة النعش بعد لين اليهودج ، وأفصح بهلاكك وقد طال ما مجمج ، وأفقرك إلى قليل من الزاد وأحوج ، يا لاهياً في دار البلاء ما أقبح فعلك وما أسمع ، ويا عالماً نظر الناقد وبضاعته كلها بهرج ، ويا غافلاً عن رحيله سلب الأقران أنموذج. متى تترك ما يفنى رغبة فيما لا ينفد متى تهب بك ريح الخوف كأنك غصن يتأود ، البدار البدار إلى الفضائل والحذار الحذار من الرذائل فإنما هي أيام قلانل! أما بعد ، فها نحن أولاء بفضل الله وتوفيقه ومعونته قد فرغنا من صف وإخراج وإعداد ديوان: (غادة اليمن) للنشر والطبع والتوزيع! فأسأل الله أن يجزي خيراً غادة اليمن (رضوى) وأن يبارك فيها ، فلقد كانت سبباً مباشراً في كتابة هذه القصيدة التي تطوّر أمرها ، لتصبح علماً على الديوان بأكمله! كما أسأله سبحانه أن يبسر فهم المراد من الأشعار ، التي قد تستعجم أو تستغلق معاني كلماتها على القراء! وآخر دعوانا ومسك ختامنا أن الحمد لله رب العالمين!

لماذا هذا العنوان؟

الحمد لله رب العالمين ، لا إله غيرة ولا رب سواه ، ولا معبود في السموات والأرض إلا هو! مغيث المستغيثين ، وليس يغيث سواه ، ومجيب دعوة المضطرين ، وليس يجيب دعوتهم سواه ، ومسبل النعم الجزيلة الوفيرة على الخلق أجمعين ، عظم حلمه فستر ، وبسط يده بالعطاء فأكثر ، نعمه تترى ، وفضله لا يحصى ، من أناخ بباب كرمه ظفر ، وأزال عنه الضر ، وجبر ما انكسر ، إليه وحده تُرفع الشكوى ، وهو المقصود في السر والنجوى ، وجود بأعظم مطلوب ، ويعم بفضله وإحسانه كل مرغوب ، سبحانه أنشأ السحاب الثقال ، فأهطل ديمها قبل الأرض بعد جفوفها ، وأخرج نبتها بعد جدوبها ، سبحانه وسع سمعه ضجيج الأصوات ، باختلاف اللغات وتنوع الحاجات ، فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، هو مجيب الدعوات وفارج الكربات ، وهو مجبل النعم على جميع البريات ، الحمد لله عدد ما غردت الأطيوار على الأشجار ، والله أكبر عدد ما لمعت السماء أقمار ، الله أكبر عدد من طاف بالبيت وزار ، الله أكبر ما صام الصائمون ، الحمد لله ما بكى الخاشعون وأنّ المذنبون ، الحمد لله عدد ما نطق اللسان ورفع الأذان ، الحمد لله عدد ما وُزن في الميزان وقرئ من القرآن ، الحمد لله خلق الخلق فأحصاهم عدداً وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ، الحمد لله خلق كل شئ بقدر ، وملك كل شئ وقهر ، عنت الوجوه لعظمته ، وخضعت الرقاب لقدرته ، الحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرةً وأصيلاً ، الحمد لله كما يحب ربنا ويرضى على آلائه ونعمه التي لا تُعد ولا تُحصى ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً هو عبد الله ورسوله ، أصدق العباد قصداً ، وأعظمهم لربه ذكراً وخشياً وتقوى ، أرسله ربه رحمة للعالمين ، وحجة على العباد أجمعين ، وصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين ، ما ذكره الذاكرون الأبرار وما تعاقب الليل والنهار ، فهو صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من صلى وصام ، ووقف بالمشاعر وطاف بالبيت الحرام ، وخير من ذكر الله وعبد ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين. وبعد فالحديث عن اختيار اسم الديوان وعنوانه أمر يُحير الشاعر جداً! حيث إنني من الشعراء الذين يُفضلون أن يحمل العنوان اسم قصيدة تكون لها عند شاعرها شأن وشأن عظيم ، وذلك لتكون حقيقة وحرية بأن تحمل اسم الديوان! ولما تفقدت أسماء القصائد وعناوينها المختلفة ، وجدتنى في حيرة من أمري! إذ كل عنوان يصلح لأن يكون عنواناً للديوان! فقلت: ماذا أفعل؟ هل أقترح أم أدرس كل قصيدة على حدة؟ أما الاقتراح فلا أراه مناسباً لهذا الأمر. ثم إن الاقتراح يكون بين عديدين أو بضعاً من القصائد ، أما أن نقترح على ما يزيد على القصائد المائة ، فليس يسيراً من جهة ، ومن جهة أخرى أنني لم أشأ أن يكون الأمر ارتجالياً للعشوائية فيه نصيب! فأخذتُ في عقد المقارنات بين القصائد ، حتى أدركتُ أن (غادة اليمن) هي الأولى بأن تكون عنوان الديوان! ولما وقع الاختيار على (غادة اليمن) أحسستُ بشي من أداء حق غادة اليمن عليّ وقد أخذتُ على عاتقي أن أدعو لها ما حبيث ، وأن أقصّ قصتها الجميلة جمالها والعذبة عذوبتها والظريفة ظرفها ، على كل من أستطيع وفي كل مناسبة! حيث إنها مثال يحتذى وأسوة يأتسى بها من يشمرون عن سواعد الجد لإنجاز ما يريدون! وكنتُ واحداً من الذين تعلموا من (غادة اليمن) الكثير والكثير! فوالله من يوم أن التقيت هذه الفتاة الصغيرة الكبيرة ، وأنا أشفق على نفسي من خداع العمر وجريان الأيام بعد الأيام ، والأسابيع تلو الأسابيع ، والشهور تلو الشهور ، والأعوام تلو الأعوام! وأحاول جاهداً أن أنجز كل طموحاتي بنفسى ولا أقصد لها آخرين قد لا يحسنون لها إحساني ،

وقد لا يخلصون لها إخلاصي ، وقد لا يتقنون في إخراجها وتنسيقها إتقاني! وهذا طبيعي إذ الأمر كما تقول العرب: (ما حك جلدك مثل ظفرك فأقم بنفسك كل أمرك)! فله در من قال بهذا القول العظيم! لقد تعلمت الكثير الكثير من (غادة اليمن) تلك الفتاة التي لم أعش معها طويلاً ، إنما كانت سويغات في مجموعها هناك في العزيزية بمكة كرمها الله ، وتحديداً في نفق الملك عبد العزيز عام 1994م - 1416هـ ، نحسني الشاي ونأكل الفطير بالسمن البلدي (أنا وغان وماهر الدلو) ونصرف إلى نسكنا وصلواتنا وأذكارنا حيث قصدنا بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج! وكنت أشتهي أن أنظر عن كذب هذه الخلية المجتهدة المؤلفة من أم وابنتها ، أما الأم فاعتادت على أن تعد الشاي على موقد صغير ، وتحضر الدلة بعد الدلة! فما أن تفرغ دلة حتى تمتلئ أخرى بالشاي المعطر بالزنجبيل تارة وبالزعفران تارة أخرى! وفي ذات الوقت تتابع الفطير في الفرن داخل خبانها ، ولا يرى المشترون سوى الدخان يتصاعد من الخيمة الصغيرة التي أتقن فيها كل شيء! وتذهب (رضوى) في نشاط وحيوية لتحمل سلة الفطير البلدي ودلة الشاي المزعر المزنجل ، وتمشي مشية جادة لا تغنج فيها ولا دلال ، فشخصيتها الجادة لا تنتظم شيئاً من ذلك وقاموس حياة اليتيم ليس فيه مجال لمثل هذا! ثم إن الزبائن كثيرون! فما هي أن توزع على مجموعة حتى تأتي أخرى ، والنفق طويل ، والأم هناك تعد الدلة تلو الدلة والسلة تلو السلة! ووقت العمل لا حدود له ، بل على مدار الساعة ، ولو امتد بها احتمالها ولو طاوعتها قدرة جسمها النحيل لعلت لساعات متأخرة من الليل! ولكن كيف وأمامها صلاة ومذاكرة لنفسها ولإخوتها! والزبائن لا ينقطع ورودهم ليل نهار! بل فوج يحل وآخر يرحل! ولقد تغير شعور أغلب الناس الذين يعلمون بقصة (رضوى) ، فبعد أن كانوا يشفقون ويتصدقون شربوا من شايبها أم لم يشربوا ، أكلوا من فطيرها أم لم يأكلوا، صار الشعور هو العمل والعمل فقط! اشرب شايبك وكل فطيرتك وادفع! وشعار (رضوى) أنا أعمل وأكسب ، فأقصد بصدقتك المساكين والفقراء من غير القادرين على الكسب والتكسب والعمل! فله درها من فتاة ، ويا لها من عزة نادرة في زمان المادة فيه تكاد أن تكون إلهاً يعبده الكثيرون علموا بذلك أم لم يعلموا! والله لقد تعلمت من (رضوى) الفتاة ذات السنوات العشر ما لم أتعلمه من أساتذة كبار وأهل وأقربين وأبدين ورفقاء وأصدقاء! ومن يومها وأنا أصل الليل بالنهار خشية أن أموت وتكون هناك كلمة كتبتها أريد بها وجه الله والدار الآخرة ولا تصل إلى الناس! بل كلي حرصاً والله يشهد على أن أوصل ما عندي من الحق نثراً وشعراً وقولاً إلى كل من أستطيع! ولقد أنجزت الكثير بفضل الله ورحمته! وحققت الدواوين ونقحتها ودققتها وتداركت الأخطاء التي حوتها! ولم أنخدع كثيراً بثناء من هم من غير أهل التبخر في العربية! بل جعلت مدحهم وقدحهم سواها! وأصغيت للحاقدين والحاسدين جداً وانتفعت بكل ما ساقوه من مزالِق وعيوب وأخطاء في شعري! وانتفعت بكلامهم ونقدتهم أكثر ممن يحبونني وأكثر من الراسخين في معرفتي! إذ الحاقد والحاقن والحاسد يبدعون في تصيد الأخطاء والمعائب! فأعطيتهم أذني وأهديتهم أشعاري لينخلوها وليغربلواها ، فأبلوا بلاءً حسناً في ذلك ، على أن قصدهم لم يكن النصيح لي ، بل تثبيط همتي وتكسير مجاديفي! فما تثبّط لي همة ولا انكسر لي مجداف ، بل تابرت واجتهدت وأخذت بأحقادهم (أقصد نصائحهم) وقمتُ بالبداية من أول السطر فخرج الشعر مولوداً جديداً! فجزى الله الحاسدين والكارهين والحاقدين كل خير ، وهدى قلوبهم ونقاها من الحسد والبغض والحقد! ونفع بهم أهل الأرض أجمعين!

ترجمة الشاعر

(الشاعر/أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارع روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية وآدابها - جامعة المنصورة - دفعة مايو عام 1985م. له اهتمام بالغ منقطع النظر بالأدب الجاد شعره ونثره ونقده. وكانت له صفحة يومية بجريدة الوحدة الإماراتية عنوانها: دوحه الوحدة الشعرية ، وهي صفحة تعنى بالشعر في جميع مراحلها القديمة والحديثة. نقداً وتحقيقاً ومتابعة وتغطية. كما أن الصفحة تتبنى المواهب المتطلعة لشعر أفضل!

وأخيراً يمكننا إجمال الكتب والدواوين في هذه القائمة:

- 1 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 2 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - ترنيمه على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 5 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 6 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات: (ملحمة شعرية ألفية).
- 8 - الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 10 - ذل الجمال: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصبر: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - غادة اليمن: (ديوان شعر)
- 16 - قراءة أسلوبية في شعر حسان بن ثابت الأنصاري.
- 17 - قراءة أسلوبية في شعر عنتره بن شداد العبسي.
- 18 - قراءة أدبية في بعض الدواوين الشعرية.

هذا ، ولقد حرصت منذ صباي حتى مشيبي على تجنب الجدل بغير علم! بل كنت أبادر إلى إنهاء الجدل وإن كان الحق معي! والجدل بالشعر أعتى ما يكون الجدل لأنه يورث النفس انتصاراً لها يبقى بعد موت صاحبه! ومن هنا غلب على معظم قصائدي اجتناب الجدل والمناقشة العقيمة التي لا تنتهي بأصحابها إلى كثير فائدة! قال الفذ ابن تيمية في الحموية: "والمراء والجدال في الدين بدعة". قال الشيخ حمود التويجري متناولاً الحديث عن الجدل وشارحاً لقول شيخ الإسلام ما نصه: وقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمراء والجدال في الدين بدعة". نعم ، إذا كان هذا الجدل وهذا المراء يقصد منه التعتن والانتصار للباطل نعم والانتصار للنفس فهذا مذموم ، وهذا ما ورد عن السلف في ذم الجدل والمراء يحمل على هذا النوع ، النقاش الذي يسمى بلغة اليوم "الجدال البيزنطي" ، الذي لا ينتهي صاحبه إلى نتيجة ، أو يكون الحامل على هذا النقاش الهوى وحب الانتصار للنفس ، لكن إذا كان هذا الجدل لأجل

إحقاق الحق وإظهار الحق فهذا أمر محمود بل أمر مطلوب شرعاً ؛ لأنه من باب إنكار المنكر ، ومن باب التعاون على البر ، ومن باب نشر العلم الشرعي ، نعم. شرح الفتوى الحموية. قال ابن تيمية: فَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ الْحَقَّ وَإِظْهَارَ الصَّوَابِ اِكْتَفَى بِمَا قَدَّمْنَاهُ وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ الْجِدَالَ وَالْقِيلَ وَالْقَالَ وَالْمُكَابَرَةَ لَمْ يَزِدْهُ التَّطْوِيلُ إِلَّا خُرُوجًا عَنِ سَوَاءِ السَّبِيلِ وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ. {المجموع ج 4 ص 7}. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ آفَاتِ الْجِدَالِ فِي الدِّينِ بَغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ بَغَيْرِ الْحَقِّ. وَهُوَ الْكَلَامُ الَّذِي ذَمَّهُ السَّلَفُ فَإِنَّ صَاحِبَهُ يَرُدُّ بَاطِلًا بِبَاطِلٍ وَبِدْعَةً بِدْعَةٍ. المجموع 241/16 ، قال النووي: واعلم أن الجدل قد يكون بحق ، وقد يكون بباطل ، قال الله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ، وقال تعالى: {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ، وقال تعالى: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا}. فإن كان الجدل للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً ، وإن كان في مدافعة الحق أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً ، وعلى هذا التفصيل تنزيل النصوص الواردة في إباحته وذمه ، والمجادلة والجدال بمعنى ، وقد أوضحت ذلك مبسوطاً في تهذيب الأسماء واللغات. الأذكار للنووي ص 469 ، قال أستاذنا الشيخ ابن عثيمين: (المجادلة والمناظرة نوعان: النوع الأول: مجادلة ممرأة: يماري بذلك السفهاء ويجاري العلماء ويريد أن ينتصر قوله فهذه مذمومة. النوع الثاني: مجادلة لإثبات الحق وإن كان عليه فهذه محمودة مأمور بها ، وعلامة ذلك - أي المجادلة الحقة - أن الإنسان إذا بان له الحق اقتنع وأعلن الرجوع ، أما المجادل الذي يريد الانتصار لنفسه فتجده لو بان أن الحق مع خصمه ، يورد إيرادات يقول: لو قال قائل ، ثم إذا أجيب قال: لو قال قائل ، ثم إذا أجيب قال: لو قال قائل ، ثم تكون سلسلة لا تنتهي لها أبداً ، ومثّر هذا عليه خطر ألا يقبل قلبه الحق ، لا بالنسبة للمجادلة مع الآخر ولكن في خلوته ، وربما يورد الشيطان عليه هذه الإيرادات فيبقى في شك وحيرة ، كما قال الله تبارك وتعالى: (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) ، وقال: (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمُ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ). فعليك يا أخي بقبول الحق سواء مع مجادلة غيرك أو مع نفسك ، فمتى تبين لك الحق فقل: سمعنا وأطعنا ، وآمنا وصدقنا.هـ. وكم جادلت منصفين ومبطلين عن القضايا التي تناولتها في أشعاري وقصائدي! وفي كل مرة كنت أحرص على أن أكون محايداً وموضوعياً بعض الشيء! وكم تمنيت أن يكون الحق مع خصومي لأعترف لهم بتفوقهم وفوزهم! وتحققت أمنياتي نسبياً ، فوجدتني معترفاً بالحق لهم فأقول: أصاب فلانٌ أو فلانة ، وأخطأ أحمد سليمان ولا حرج! وقد أهب الجوائز تلو الجوائز لمن اكتشف عندي خطأ ولو كان من تلاميذي! وهذا أمر مشهود معهود ومحسوس ملموس! والله وحده الفضل والمنة!

تنويه هام

الحمد لله العليم الخبير الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، أحمدته سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره ، نعمه لا تحصى ، وآلؤه ليس لها منتهى ، الحمد لله الذي شمل بخلقه ، ورحمته ، ورزقه العميم القريب والبعيد ، {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين}. الحمد لله الذي امتن على عباده بالأسماع والأبصار ، وكرم الإنسان ورفع له المقدار ، واصطفى من عباده المتقين الأبرار ، فوفقهم للطاعات ، وصرفهم عن المنكرات ، وأعد لهم عقبى الدار ، أحمدته سبحانه فهو الذي خلق المنطق واللسان ، وأمر بالتعب وذكر الرحمن ، ونهى عن الغيبة والنميمة ومنكر البيان ، فسبحانه من إله عظيم ، يحصى ويرقب ، ويرضى ويغضب ، وينصب الميزان ، يوم تنطق الجوارح ، وتبين الفضائح ، فإذا هم قد أحصيت أعمالهم ، وهتكت أستارهم ، وفشت أسرارهم ، ونطقت أيديهم وأرجلهم. الحمد لله الذي خلق خلقه أطواراً ، وصرفهم كيف شاء عزة واقتداراً ، وأرسل الرسل إلى الناس إذاراً منه وإنذاراً ، فآتَم بهم نعمته السابغة ، وأقام بهم حجته البالغة ، فنصب الدليل ، وأنار السبيل ، وأقام الحجة ، وأوضح المحجة ، فسبحان من أفاض على عباده النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة ، أحمدته والتوفيق للحمد من نعمه ، وأشكره على مزيد فضله وكرمه. الحمد لله الذي أسكن عباده هذه الدار ، وجعلها لهم منزلة سفر من الأسفار ، وجعل الدار الآخرة هي دار القرار ، فسبحان من يخلق ما يشاء ويختار ، ويرفق بعباده الأبرار في جميع الأقطار ، وسبق رحمته بعباده غضبه وهو الرحيم الغفار ، أحمدته على نعمه الغزار ، وأشكر فضله على من شاء من عباده الشكر الممدار. الحمد لله المحمود بجميع المحامد تعظيماً وتثناءً ، المتصف بصفات الكمال عزة وكبرياءً ، الحمد لله الواحد بلا شريك ، القوي بلا نصير ، العزيز بلا ظهير ، الذي رفع منازل الشهداء في دار البقاء ، وحث عباده على البذل والفداء ، أحمدته سبحانه حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأئمة الكرام النجباء ، وسلم تسليمًا كثيرًا. وبعد فإنه لا بد من هذا التنويه الهام في ختام هذا الديوان كما كان مثله في الإهداء ليعلم القراء الأعزة أن (رضوى) كما سماها أبوها ، و(غادة اليمن) كما سميتها ليست فتاة ربطتني بها علاقة حب أو غرام أو هيام! وللعلم فقد عصمني الله تعالى من العشق واللعب ببينات الناس طيلة حياتي! وإن أمراً لم آتته وأنا ابن الأربعة عشر ربيعاً لا يمكن أن آتية يومها وقد جاوزت الثلاثين ، وصارت لي زوجة وأبناء! بل عشقت أم عبد الله ، المرأة التي عقدت عليها وتزوجتها على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – وتزوجتها وهي ابنة السبعة عشر ربيعاً وأنا ابن الستة والعشرين ربيعاً! وحتى لو كان فكيف بي أعشق طفلة في العاشرة من عمرها؟! وإذن فهو الإعجاب بالجد والاجتهاد والمثابرة التي عليها الفتاة! وهذا الإعجاب شاركني فيه كل من نظر إليها في جدها واجتهادها وحجابها وتحملها المسؤولية في سن مبكرة ، الأمور التي جعلتني أكتب هذه القصيدة عنها ، ثم يتطور الأمر ليحمل الديوان اسمها: (غادة اليمن) تخليداً لذكراها ، حيث سيعيش هذا الشعر بعدها وبعد كاتبه يحكي للأجيال قصتها! هذا ، والجدير بالذكر أن ديوان: (غادة اليمن) والذي بدوره يأخذ عنوانه اسم المرأة أو كنيته على أقل تقدير ، ليس أول ديوان يحمل اسم امرأة أو كنيته! بل هذا هو الثالث ، حيث سبقه ديوانان على ذات الخصوص:

الأول هو ديوان: (القوقعة الدامية) ، والثاني هو ديوان: (ماسحة الأحذية)! وهذا هو الديوان الثالث: (غادة اليمن) ، ويأتي الديوان الرابع: (عزة الخير) والذي يحمل اسم (عزة) أم أولادي ومحبوبتي إلى الأبد ، في الدنيا والآخرة! وعسى الله تعالى أن يكون ذلك كذلك! وهذا يعني بالضرورة أن جُل شعري وجهته للمرأة! حيث إنني كتبت ستة عشر ديواناً! أربعة منها للمرأة ، ناهيك عن القصائد التي حوتها الدواوين الأخرى للمرأة! وإنني أعتبر شعري هذا من العلم الذي ينتفع به بعد موتي بما حوى من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وبما حوى من النصائح والمواعظ والرقائق! وفي محاضراته: (اترك أثراً قبل الرحيل) يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه بتصريف زهد يسير: (ومن الأشياء التي يمكن أن تترك قبل الرحيل: أولاً: الإيمان والصلاح: فيبقى أثر الإيمان والصلاح بعد موت العبد ، فينتفع بذلك بعد موته ، فمن ثمراتهما: أولاً: انتفاع الرجل الصالح بدعاء الملائكة والمؤمنين: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. ثانياً: حفظ الذرية: قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فحفظ الله تعالى المال لهذين الغلامين بصلاح والدهما. ثالثاً: السنة الحسنة: عن جرير بن عبد الله - رضي الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده؛ كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده؛ كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء». رابعاً: العلم النافع والصدقة الجارية والولد الصالح الذي يدعو لوالديه: عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» والشعر الذي كتبه يعتبر من العلم الذي ينتفع به! رابعاً: إعداد الرجال: ليكن همك إعداد رجال خير منك وهذا هو هدي القرآن قال تعالى : ﴿وَوَاعِدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَّمَ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾. ولقد أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على غزوة مؤتة زيد بن حارثة، وقال: «إن قتل زيد فجعفر ، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة، وعقد لهم لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة». وعن علقمة قال : - صلى الله عليه وسلم - كنا جلوساً مع ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - فجاء خباب - رضي الله تعالى عنه - فقال : يا أبا عبد الرحمن، أيسطيع هؤلاء الشباب أن يقرأوا كما تقرأ؟ قال: أما إنك لو شئت أمرت بعضهم يقرأ عليك. قال: أجل. قال : اقرأ يا علقمة. قال علقمة: فقرأت خمسين آية من سورة مريم. فقال عبد الله : كيف ترى ؟ قال خباب : قد أحسن. قال عبد الله : ما أقرأ شيئاً إلا وهو يقرأه). أسأل الله أن ينفع بديواني: (غادة اليمن) كل من يقرأه وكل من ينشره! وفقها الله لما يحب ويرضى ، ورحمها حية وميتة ، وجمعنا بها في جنات النعيم ، هو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه! والله ما جمعني بغادة اليمن (رضوى اليمنية) حسب ولا نسب ، ولا قومية ولا عصبية ولا قبلية ، ولا جيرة ولا قرابة ، اللهم إلا نسب الإيمان والتوحيد والعقيدة ، وكونها مسلمة مؤمنة لم تناهز الحلم ولم يجر عليها القلم ، هذا كله جعلني أشفق عليها ، وأفخر بها ، وأدعو لها كلما ذكرت! ولفرط

إعجابي بها وبكدها واجتهادها وحملها للمسؤولية صغيرة في مقتبل العمر ، جعلت عنوان الديوان: (غادة اليمن)! لأن اليمن لا بد من أن يفاخر بابنته مثلي! وإذا لم يفاخر اليمن بغادته (رضوى) فبأي بناته يفاخر؟ إن الدافع الحقيقي لاختيار هذا العنوان للديوان – غادة اليمن – هو الحب في الله تعالى! ذلك الشعور الذي تلاشى من عالمنا عند كثير من أهل الأرض! نعم أحببتها في الله أختاً أو ابنة صغيرة! وتحت عنوان: (الأخوة في الله) يقول الأستاذ فريد الأنصاري رحمه الله - واصفاً الأخوة في الله ومبيناً ثمراتها - ما نصه: (لماذا الحديث عن الأخوة؟ والجواب عنه من عدة وجوه ، أولاً: لإقامة كيان الأمة من جديد ، لأن الأمة في هذا العصر وصلت إلى مستوى لا تحسد عليه ، فالمسلمون مهجورون نفسياً ، أريد لهم ذلك وللأسف ، انصاعوا مختارين لتيار أعدائهم ، حتى انسحب البساط من تحت أرجلهم وهم في غفلة معرضون ، إلا من رحم الله وقليل ما هم ، إن بناء الأمة من جديد يحتاج إلى تضافر الجهود ، ولا ينتج هذا مطلقاً إلا عن صفاء السرائر والاجتماع على قلب رجل واحد ، هذا أولاً. وثانياً: لتمحيص عيوبنا في مراتها ، الأخوة مرآة يرى فيها المؤمن عيوبه ، فبكلمة طيبة واحدة من أخ ناصح لك أمين تنكسر كل العيوب على صخرة الأخوة الإيمانية ، قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن مرآة المؤمن ، المؤمن أخو المؤمن ، يكف عليه ضيعته ويجمع عليه معيشتة ويضمها إليه ، ويحوظه من ورائها). أخرجه البخاري وأبو داود. وثالثاً: لمعالجة افتقاد الحب الأخوي ، إن افتقاد الحب الأخوي من أخطر الأسباب لضعف هذه الأمة ، فإن وجود الأخ المعين على الطاعة صار من الندرة بحيث عز التماسه ، وما ذلك إلا لغياب الأخوة الإيمانية ، التي في ظلها تتلاقى القلوب على طاعة الله ، يحبه في الله ، ويجعله مثل نفسه ، لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). يعين الأخ أخاه ، يأخذ بيده إذا تعثر ، إذا غاب سأل عنه وهكذا ، من أجل هذا أقول: نحن في حاجة ماسة إلى الأخوة الصادقة ، التي نجني من بساتينها العذبة نعيم القرب من الله ، وذلك بلزوم الطاعة والاستقامة ، وهجر المعصية ، وطريق الاستقامة شاق ، لكن يخففه الرفاق ، فعودوا إليه ليعود ، واطرقوا بابيه الموصود ، وتذكروا أيام طول الصيام وطول السجود ، عسى أن تصفو لكم العهود ، وذلك في التزام شرع الله والقيام بالحدود! ولماذا لا نبدأ من الآن من خلال رفقة الصالحين في التعاون على الطاعات والتناصح في الله. دعونا نتجول في حياض وبساتين الأخوة الصادقة لنقطف سوياً من ثمارها اليانعة الفواحة ، فالثمرة الأولى: السعادة وحلاوة الإيمان ، لأن من يتذوق حلاوة الإيمان يحيى حياة السعداء ، لقوله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار). والحديث متفق عليه. فحينئذ يستشعر لذة الطاعة وتحمل المشقة في رضا الله ورسوله ، وآثر ذلك على عرض الدنيا ، فالقلب السليم من أمراض الغفلة والهوى يجد طعم الإيمان كذوق الفم طعم العسل ، ولا ينال المرء هذه الثمرة حتى تتحقق فيه ثلاث خصال ، ترجع إلى واحدة ، أعني إثثار الله ورسوله على كل شيء ، فلا شيء أحب إليه من الله ورسوله ، ولا تعلق له بأي إنسان إلا من خلال الحب في الله ، ولا أكره إليه من حياة الجاهلية والكفر والعصيان ، وحينها يباشر قلبه ما يعجز اللسان عن بيانه ، لأنه لا يحتمل الوصف. الثمرة الثانية: أن يُحيطه الله برحمته ويقيه من شدائد يوم القيامة وكربه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه). رواه مسلم. ومن نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله

عنه كربة من كرب يوم القيامة ، فمن أدى حق الأخوة أحاطه الله بعنايته ورعايته. الثمرة الثالثة: نيل الأمن وتظليله يوم لا ظل إلا ظل عرش الرحمن ، فيكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، وذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه). متفق عليه. الثمرة الرابعة: أن يُرزق العبد محبة الله ، قال الله في الحديث القدسي: (وجبت محبتي للمتحابين). والحديث صحيح رواه أحمد والطبراني والحاكم وهو على شرط الشيخين وابن ماجة. الثمرة الخامسة: زيادة الدرجات في الجنة ، حتى يصل العبد أو الأمة إلى منازل الأبرار ، لما أخرجه أحمد والحاكم وصححه عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه قال: لما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلواته ، أقبل علينا بوجهه وقال: يا أيها الناس ، اسمعوا واعقلوا ، واعلموا أن الله عبداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله ، فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله! ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله! انعتهم لنا؟ فسُرَّ وجه رسول الله لسؤال الأعرابي ، فقال صلى الله عليه وسلم: هم أناس من أفناء الناس ونوازع القبائل ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا في الله وتصافوا ، يصنع الله لهم منابر من نور يوم القيامة ، يجلسهم عليها ، فيجعل وجههم نوراً ، وثيابهم نوراً ، يفرح الناس يوم القيامة ولا يفرعون ، وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فانظروا رحمكم الله إلى قوله صلى الله عليه وسلم: تحابوا في الله وتصافوا ، صارت قلوبهم صافية ، ليس فيها غل ولا حقد ولا ضغينة ولا بغضاءً وشحناءً ولا حسدً لأحد من الناس ، فيرفع الله درجاتهم في الجنة بذلك ، وهذه من أعظم ثمرات الأخوة في الله. الثمرة السادسة: اطمئنان القلب والأمن من أهوال يوم القيامة ، واستمرار الأخوة إلى يوم القيامة لقوله تعالى: الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ، فيخبر الله تعالى أن من اتخذ مؤمناً أخاً له وصديقاً في الله ، لم يتخذهُ لغرض دنيوي ولا لمصلحة شخصية ، بل من أجل الإعانة على طاعة الله وتقواه ، فيطمئن قلبه ولا يحزن ولا يخاف يوم يخاف الناس ، وذلك تمام الآية: (يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون). الثمرة السابعة: النجاة لكل من تمسك بهذه العروة الوثقى ، لقوله صلى الله عليه وسلم: (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله). أخرجه الطبراني ، وهو صحيح بمجموع طرقه ، الثمرة الثامنة: صفاء السرية وكمال الإيمان ، لقوله صلى الله عليه وسلم: (من أحب في الله ، وأبغض في الله ، وأعطى الله ، ومنع الله ، فقد استكمل الإيمان). فإن الحب في الله يدل على كمال الدين ، ويثمر ذلك من صفاء السرية ، وإتقان العمل والخوف من الله وتقديس كتبه ، وحب سنة نبيه ما يزيد الإيمان ويبعث على نقاء القلب وسلامته). هـ. جزا الله خيراً أستاذنا وتاج رؤوسنا فريد الأنصاري على بيانه الواضح ومحجته البينة ، بشأن الأخوة في الله تعالى! ويشهد الله ربي أن هذه الوشيجة الإيمانية (الأخوة في الله) كانت الباعث الحقيقي لكتابة قصيدة: (غادة اليمن) ، ولجعل الديوان برُمته يحمل ذات العنوان! والله يقول الحق ، وهو سبحانه وتعالى يهدي السبيل!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي - غادة اليمن

الصفحة	القافية	البحر	عنوان القصيدة	مسلسل
7	دء			الإهـ
11	مة	د	ق	المـ
13	ة	حـ	ا	الأفـ
15	وان	يـ	يـ ن يـ دي الـ	بـ
17	ر	يـ الأـ	ل مـ فـ	كـ
18	يـ	قـ	نـ تـ حـ دـ نـ يـ	جـ
19	يتفهيقُ	الكامل	ضل الجهول ، وخاب من يتشّدق!	1
37	وبؤسُ	الخفيف	دياجير الغرور	2
38	الذمارا	الخفيف	حسابي مع من يتشّدق!	3
39	تختنقُ	البسيط	إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون	4
50	وأنوارا	البسيط	لآلى الشعر (معارضة لعدنان النحوي)	5
58	الألمُ	البسيط	فتى الأحلام	6
64	في عَجَابِهِ	الكامل	الموتُ حار الكل في أسبابه (تابين الشرييني أبو طالب)	7
70	المستبينُ	الرمل	إنما الله إلهٌ واحد (رسالة إلى منصرة)	8
78	وقوموا	الطويل	ذرى المجد (رسالة إلى عمر بن عبد العزيز)	9
79	والأحبابا	الكامل	مشاعر تهويمة السحر الفوّاح	10
88	سجّيلا	البسيط	صرخة في ليالي المراهقات	11
90	وجراخُ	الكامل	ذكريات أنين زوجة باكية	12
92	الإشارة	الخفيف	شمس الجزيرة العربية (محمد بن عبد الوهّاب)	13
93	يُمتهنُّ	البسيط	أطلال فن القصيدة	14

94	والجَزَع	البسيط	مولد النور (في عرس بنت الأربعين)	15
95	النزاهة	الرمل	ظلمات حب الغانيات	16
96	والهداية	الخفيف	فرح بنات الثرى ببنات الثريا	17
97	لرثى	البسيط	ابتسامات الأسي الملتهب	18
98	منطقة	الرمل	الراحلون ليلا في زمن الأحزان	19
99	مدى الأيام	الكامل	مازلت وحدي بين جفون الجرح	20
100	واختيالا	الرمل	القريض الصادق دعوة من القلب للقلب	21
101	القريحة	الرمل	البهتان الرخيص	22
102	الغدور	الخفيف	صراع مع النفس	23
106	تعبيرينا	الوافر	كفى تبرجاً وقبحاً!	24
110	ينسجم	البسيط	رسالة مشفق على اللغة العربية	25
117	يضطرم	البسيط	رسالة عدو للغة العربية	26
124	بديلا	الخفيف	لا صلح على دخن	27
129	فالسّم	الرمل	إلى من يهمله الأمر	28
136	البلهأ	الخفيف	هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟	29
143	ما قدروا	البسيط	تذكروا الجميل!	30
158	مختلف	الرمل	الاعتراف العقيم	31
159	البلاء	الخفيف	إن هم إلا كالأنعام	32
162	يُطري	المنسرح	وافق الاسم المسمى	33
163	ومرامي	الخفيف	غادة اليمن	34
177	الخطايا	الخفيف	أريج اليراع الثائر	35
178	منوعة	مجزوء الرمل	التلون أخو النفاق من الرضاعة	36
186	الدفين	الرمل	كفى يا أختي	37

187	تعاذُ	الرمل	همومٌ كبيرة	38
188	والحطبِ	البسيط	عجلة الحياة	39
189	الأبيّة	المتقارب	أعرض عن هذا	40
190	الصنم	المتقارب	هُبِلَ القرن العشرين	41
194	الخيرُ	البسيط	حللت أهلاً ، ونزلت سهلاً يا يوسفَ الخير	42
204	ويُطلبُ	البسيط	الحنيفية السمحة حياة العروبة (معارضة أبي شهاب)	43
209	زوج اثنتينِ	الوافر	الزوجة الثانية نعمة لا نقمة	44
224	والرملِ	البسيط	إليك وحدك يا حمزة يا أسد الشعر!	45
232	ثم أمطرا	الطويل	أبلغت يا عدنان وأوجزت!	46
241	عمت وأخطأُ	البسيط	أفصحت ، وغيرك أزيد!	47
251	ما كنتُ أنظُمُ	الطويل	وصية والدٍ لولده (هدية لولدي عبد الله)	48
260	لذاتي	الطويل	في رثاء اللغة العربية (معارضة لحافظ إبراهيم)	49
266	راعدة	الكامل	أليس الصبح بقريب؟	50
268	شهادة	الوافر	يا ناس: احترموا التخصص	51
272	المكنونُ	البسيط	احتسبتُك عند الله يا رُقِيّة	52
273	الآلام	الخفيف	شعري يعذب	53
274	والإيمانِ	الكامل	الحراسُ الأمان	54
277	منصاح	البسيط	جوزيت خيراً	55
278	ذروة	المتدارك	ألقاب بلا رصيد	56
279	سمعي	الطويل	من سيرتُ المليون؟	57
282	وأزبدوا	الكامل	عندما يذهب الكُرماء	58
283	والأريحية	الخفيف	بين شاعر ومستشعر	59
284	وصوليُّ	مجزوء الوافر	حوارٌ مع إباحي مُهترئ	60

285	ام	ت	الخي	وف
287	ان وان؟	اذا هذا الع		لم
289	اعر	ة الش	رج م	ت
291	ام	ويه ه	ن	ت
295	يقة	موس	هرس القصائد & مسرد	ف

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته!

تتوية هام

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر

باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية

(إدارة الإيداع القانوني)

2006 / 16004

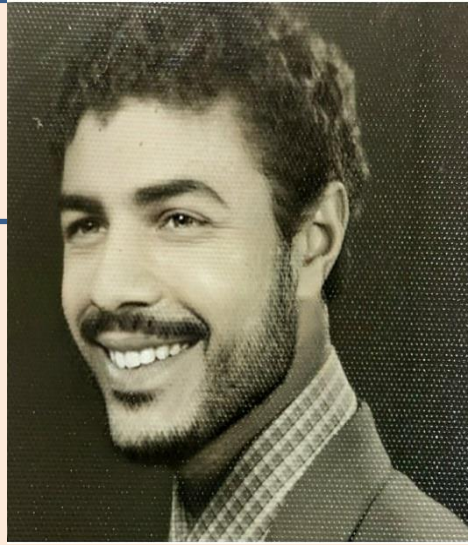
في يوم 6 - 8 - 2006م

بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

811 - 800

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارع روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ فح أباً وجداً وأعاماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله - سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصاعدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصير: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعْضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - عادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحرّبة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبْتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالعابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خانك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنتره بن شداد العبسي.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 - الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحيأ!
- 2 - القاتل البطيء (التدخين)
- 3 - بين شوقي وحافظ!
- 4 - ثاني اثنين إذ هما في الغار
- 5 - عمير بن وهب الجمحي - رضي الله عنه -.
- 6 - لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 - من أجل زوجي!
- 8 - هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
- 9 - فرانك كاريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 - يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
- 12 - رباعيات الخيام اليمينية (معارضة لعمر الخيام)
- 13 - ابتسم! (معارضة لإلياء أبو ماضي)
- 14 - إبراهيم مصطفى صديقاً وصهرأ
- 15 - أبو غياث المكي - رحمه الله -
- 16 - أتيناكم! أتيناكم!
- 17 - أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحويأ وناقداً
- 18 - أستاذي قال لي! (عريف الكتاب - رحمه الله -)
- 19 - قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
- 20 - أسماء الله الحسنى
- 21 - الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
- 22 - التلون أخو النفاق من الرضاعة
- 23 - موقع (الديوان) منتج الشعراء
- 24 - (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
- 25 - أبجديات شعرية
- 26 - الشعر رحم بين أهله
- 27 - الله يرحم مزنه
- 28 - رسالة شعرية إلى أم يوسف
- 29 - امتهنوا فما امتهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 - تراني عندما أرى لحيتك!
- 31 - لا فضن فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 - بردة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -
- 33 - بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما -
- 34 - بردة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -
- 35 - بردة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
- 36 - بردة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
- 37 - بردة فاطمة بنت محمد - رضي الله عنها -
- 38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيه التربية والتعليم)
- 39 - نعم الميت ، ونعمت الميتة! (رثاء فقيه الأزهر الشريف)

- 40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 – تغير الحال أم الخال!؟
- 43 – تلميذي البار شكراً!
- 44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محلاً فورثها)
- 45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 – جاز المعلم وفه التبجيلاً! (معارضة لشوقي)
- 47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
- 48 – حبيبي أقبلت! (معارضة لجاءت معدبتي لابن الخطيب)
- 49 – حرامية الشعر!
- 50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
- 52 – خاتك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 – رثاء الدكتور الشرييني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
- 55 – رسالة إلى داننة!
- 56 – رضية الحاوية (رماها أبوها رضية فنفته في كبره)
- 57 – رفقاً بنفسك يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
- 58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
- 59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
- 60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
- 61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
- 62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
- 63 – طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 – طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
- 66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
- 67 – عاشق عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 – عجبث للنذل
- 70 – عجبث من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 – وربما حار الدليل!
- 73 – يا جارة الوادي اليمينية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
- 74 – لصوص القريض
- 75 – لقاؤنا في المحكمة
- 76 – لوعة الرحيل
- 77 – مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى
- 78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهم الله -)

- 80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
 81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
 82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
 83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
 84 – الأطلال اليمينية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
 85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 – الغربية سلبيات وإيجابيات
 2 – إلى هؤلاء أتكلم!
 3 – آمال وأحوال
 4 – أمتي الغائبة الحاضرة
 5 – أنات محموم وآهات مكلوم
 6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
 7 – تحية شعرية والرد عليها
 8 – رمضان شهر الخير والبركة
 9 – عندما لا نجد إلا الصمت
 10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
 11 – بيني وبينك!
 12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
 13 – دموع الرثاء وبيكاء الحُداء (1 & 2)
 14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
 15 – رسائل سليمانية شعرية
 16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
 17 – شرخ في جدار الحضارة
 18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
 19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2 & 3)
 20 – عندما يُثمر العتاب
 21 – فمثله كمثل الكلب!
 22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
 23 – كل شعر صديق شاعره
 24 – مساجلات سليمانية عشمأوية
 25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
 26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
 27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
 28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
 29 – الصبر ترياق العلل والداءات
 30 – الصعيد مهد المجد والسعد
 31 – الضاد بين عدو وصديق
 32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
 33 – الغربية ذربة على الطريق

- 34 - الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 - اللغة العربية وصراع اللغات
37 - اللقيط برئ لا ذنب له!
38 - المال والجمال والمآل
39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 - المعلم صانع الأجيال
41 - الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 - اليثم غنم لا غرم
43 - أمومة وأمومة
44 - أهازيج بين الشعر والشاعر
45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 - بين الفتنة والفتنة!
48 - بين هندٍ وزيد!
49 - جيران وجيران!
50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 - عزة الخير (أم عبد الله)
52 - فذاك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 - مدائح إلهية شعرية
55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 - البُردات الشعرية السليمانية
57 - عيون الدواوين السليمانية
58 - معارضات سليمان شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 - من أزاهير الكتب
62 - من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 - من أناشيد الأفراح
64 - نحويات شعرية
65 - نساء صقلتهن العقيدة
66 - نساء لعب بهن الشيطان
67 - وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

- 76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر
80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أحبته؟
81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 - نصيب طلابي من شعري
87 - حضارة البطنة لا الفطنة
88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 - لا ينبغي أن نندع بلحن القول!
90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 - المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 - وترجون من الله ما لا يرجون
95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 - لماذا؟
101 - (لا) كلمة لها وقتها!
102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أحرث عمّن هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 - أين؟!
107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 - أيومة إلى الأبد!
112 - شتان بين البر والعقوق
113 - الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!

119 – عندما!

120 - تحايا شعريّة سليمانيّة (3&2&1)

121 – القصيدة الزينية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 6 - Conversation Skills
- 7 - Correction Exercise (1-100)
- 8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 9 - Grammar Tasks (1-77)
- 10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond's Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!